

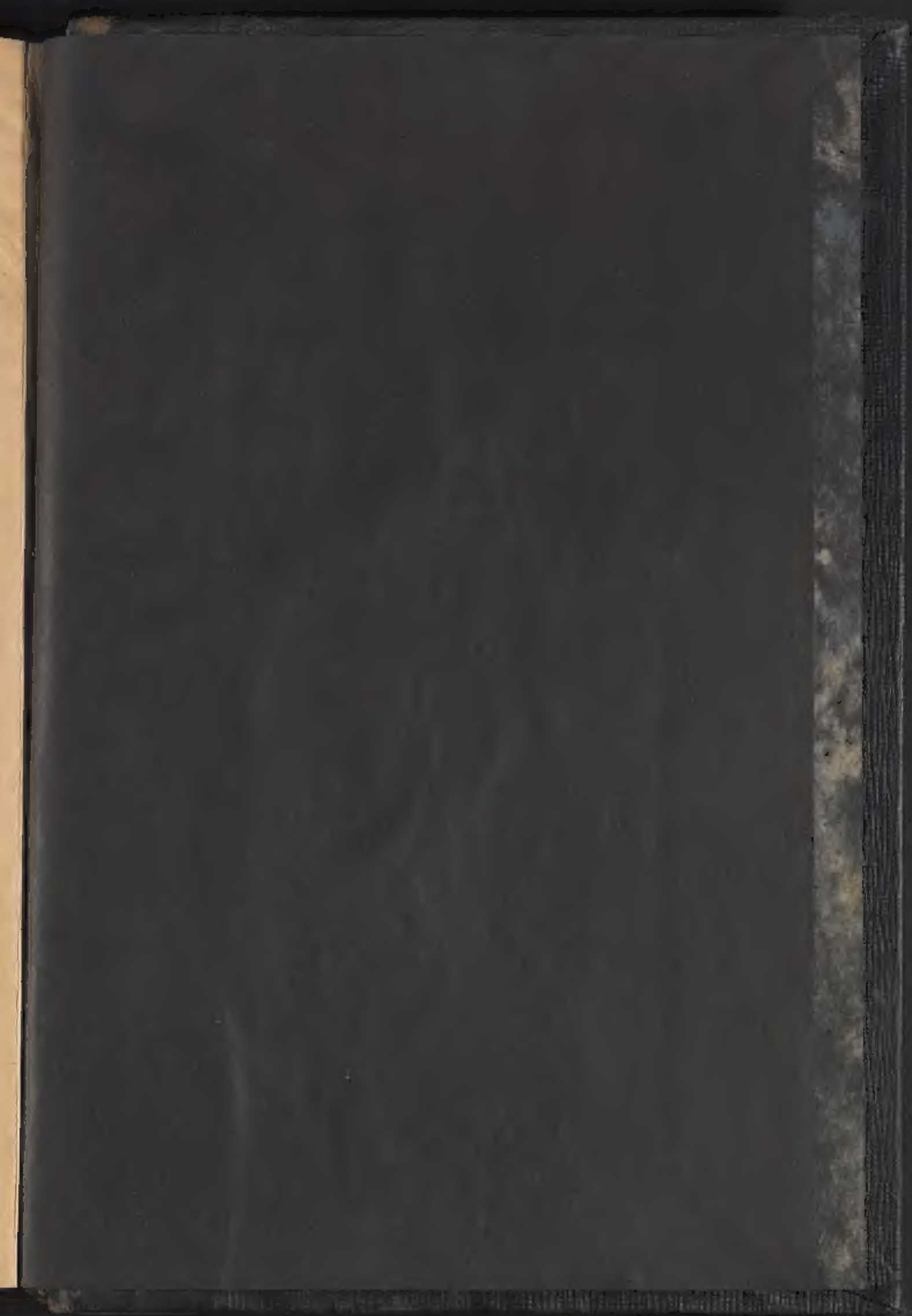
AMERICAN LIBRARY IN CAIRO
3 8534 01114 1797

Library of
The American University
at Cairo

Dapp is the man that
findeth wisdom and
the man that getteth
understanding ++ ++

PROVERBS 3-13

Ex libris datis
in memoriam
James Volk Mc Kinney
Pittsburgh, Pennsylvania



٥٣-٨٥١١١

د. ١٥٠٤ - ١٥٠٥

مكتبة
جامعة بغداد
المكتبة

علي محمود الشيخ علي

(٥)

معجزة الادب
جامعة بغداد

آراء

في القضية العربية

وذكريات عنها

DS

63

5525

1950

٧٠١

الجزء الاول

المقدمة

مطبعة السعدي - بغداد

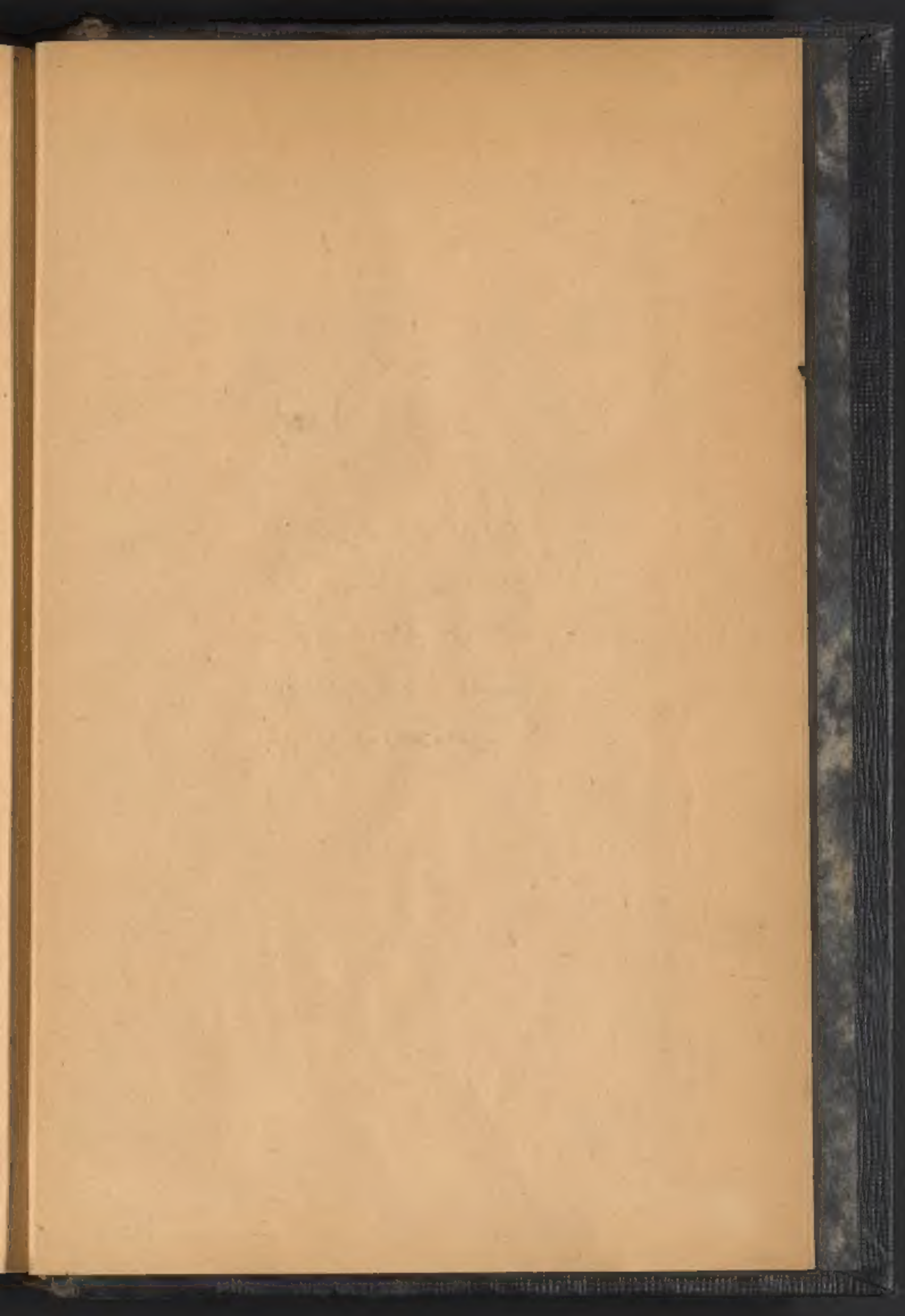
956
a/41

W.C., 10/11/19
1.35
12

31519

اهداء

الى الذين في سبيل الحق والمجد
هروا بأجسادهم الى الارض
وصعدوا بأرواحهم الى السماء
فكانوا فيها كالنجوم تستأنس
بنورها المروءة والعزة القومية



مقدمة المقدمة !

دونت هذه الآراء والذكريات في سجن أبي غريب بعد ان صدر الحكم علي بالسجن سبع سنوات لاشتراكي في وزارة نظامه الكيلاني الأخيرة. ولم اكن اتوقع انها سوف يتألف منها كتاب ضخم ذو اربعة اجزاء ، تكون مقدمته جزءاً قائماً بذاته . لقد كنت اظن ان السجن يكون ضيق الصدر برماً بالحياة تقوراً من الاجهاد الفكري إذ لم اكن اجرب بعد الحياة في السجن المنفرد . صحيح ان حياتي كانت سلسلة من الملاحقات والمطاردات ، وصحيح اني اوقفت غير مرة ، ونفيت . ولكني كنت اوقف مع زملاء واقفي مع اصدقاء وكانت المحالطة والمعاشرة تلهياني كثيراً عن التفكير والتأمل . ولكنني حين القيت في غيابة هذا السجن الرهيب كنت في اول الامر مع زميل عزيز . ثم لم يلبث ان ادر كالمريض فنقل الى مستشفى السجن المركزي ولم يعد الي إلا بعد ان تصرف عامان ونصف العام وإلا بعد ان هبطت علينا القافلة الثانية من الرفاق ليلاقوا عين المصير الذي اقيناه قبلهم . ولقد كانت بناية السجن ، واسعة علينا ، فضفاضة الرداء . نستشعر منها الوحشة ، وتسقزل علينا الرهبة . وكان ضرورياً لنا ان نصرف اذهانتنا الى مجالات ووحية نفسينا وحشقتنا ، وتندراً عن نفوسنا الرهبة . فحربنا حفظنا في القراءة ، والاستغراق في القراءة ولكننا وجدنا ان القراءة وحدها لا تكفي . فهتف لنا الخاطر ، بأن نكتب ، لأن الكتابة تشغل الفكر ، وتصرف الهم . ولكن في اي موضوع اكتب ؟ . هذا ما شغلني طوال يومين اثنين . ثم استقر رأيي على ان اكتب مذكرياتي منذ غادرنا بغداد في ٣٠ مايس سنة ١٩٤١ الى طهران عاصمة الجارة ايران الى اليوم الذي تقرر فيه ان نكون ضيوفاً ثقيلاً على هذا السجن لمدة طويلة . وما كدت أنتهي منها

- وقد تكون منها جزء يضارع هذه المقدمة في ضخامته - حتى جاء النذير بأن
 ينقل صاحبي الى مستشفى السجن المركزي وبقيت وحيداً أصول واجول
 في القاعة المستطيلة لا شريك لي فيها غير الحائم والمصافير . قرأت ما دونته
 فراقني ما دونت فطلبت من قلبي المزيد ، ومن فكري المدد . وكنت آنذاك قد
 الفت الوحدة وعشرة الحائم والمصافير ، الاولى تشدو فيشجيني شدوها والاخرى
 تغرد فيطربني منها التغريد . وعلى الحان هذه الطيور الجميلة البريئة وتغريدها
 كنت اسكب روحي واصب وجداني على صفحات القرطاس لا قدمها هدية
 الى الجليل العربي الجديد علامة حب ، وشارة ولاه . فخرى بي القلم في ميادين
 الثورة العربية ، وظل يجري بي غير راحم بشيبي ، ولا مشفق على فؤادي الذي
 عصرته نوائب الدهر عصراً . وما ان طلع العام الجديد ، عام ١٩٤٣ ألا وترك لي في
 غرفتي المظلمة اجزاء اربعة . احدها هذا الجزء الذي يجده القاري بين يديه .
 وان هذا الجزء وان كان يتناول اغراضاً شتى وينطوي على بحوث عامة مختلفة ،
 فان اغراضه وبحوثه لذات صلة كبرى بالاجزاء الثلاثة الاخرى وبتمهيد اصح
 انها لذات صلة كبرى بالوطن العربي العتيق وقضيته المقدسة . واما الجزء الثاني
 فانه يبحث عوامل الثورة العربية الكبرى ونفائجها والثالث والرابع فانهما
 يتناولان القضية العراقية ، كنتيجة من نتائج الثورة العربية الكبرى
 وبعد ان اكتمل هذا القدر ، من الاجزاء نفست عن نفسي ، وارخيت
 لها في جبل الراحة . وبدأت أقضي الوقت تارة بالتأملات وأخرى بقراءة
 بعض الكتب التي كانت تصلني بعد ان تقلب صفحاتها ونفقت متونها .
 وقضيت على هذا النمط العام باكله . وفي مطلع عام ١٩٤٤ قدمت القافلة الثانية
 من الاخوان ، التي جاء ذكرها آنفاً فبدأت الاختلاط والمعاشرة مع الاناسي ،
 ولسكني لم انس ابداً فضل تلك الطيور البريئة . وفي هذه الاونة شهدت برد
 فعل عنيف لحلك البطالة التي استفرقت عاماً كاملاً فتازعتني نفسي الى الكتابة من جديد
 وبدأت ادون مذكراتي عما يقع في العالم من احداث سيما ما يتعلق منها بالعالم

العربي بسبب. ولم اغادر بقاية السجن في ١٧ حزيران سنة ١٩٤٧ إلا وتكون
منها جزءان آخران .

ولما عدت الى بيتي ، ركنت الى الراحة التامة ، ورغبت نفسي في الاستجمام
المخلص . ولكن الاحداث كانت تتعاقب سراعا والصواعق على البلاد العربية
كانت تنهاوي مخفرتني احزانها وآلامها الى ان اكتب سफراً عن العالم العربي
بعد الحرب الكونية الثانية ، وهذا السمر لم يفته العمل منه بعد .

غير خاف على اليب ان هذه الآراء والذكريات دونتها في السجن
ومعنى ذلك اني كنت بعيداً عن مكتبي حين كنت اورد الامثلة والشواهد
التي ضمها الكتاب . لذلك كنت مضطراً الى ان اعتمد فيها على الذاكرة ولم
يكن في وسمي ان اعين كثيراً من المراجع والمصادر وان كنت اشترت في
الحواشي ، على بعضها من دون ذكر لفصول الكتب وصفحاتها . ولما كنت
وحيداً كثير التأمل والتفكير ، مطلقاً لنفسي العنان ، ولما كان المكان الذي
اكتب فيه يضاهي الهدوء والسكون فقد كانت الآراء تلاحق والذكريات
تتسابق . ولما كان قلبي يقتنعها بسرعة خاطفة وقوة ساحقة وقد كان طبعها
ان يطرأ على تساوق هذه الآراء والذكريات شيء من الاضطراب ولما
عزمت على نشر هذه الآراء والذكريات في الناس ابقيت على هذين النقصين
متعمداً ، ابقيت عليها متعمداً لاني وددت ان اعرضها كما جاءت واطهرها كما
دونت من دون ان تمسها يد التجميل والتزييق ، لا تمسها خيال روائي ،
وطيف وجداني ، وصورة نفسي الطليقة ، حين كان يعقل جملتها سحر
رهيب وابقيت عليها متعمداً لاني لا اخص الجمال ، في الصور المتناطرة
والاشكال المتساوقة فحسب بل قد يوجد الجمال في غير العطر والتساوق .
بل ان النفوس الثائرة ، والارادات العارمة تخص الجمال في الصور غير المتناطرة ،
والاشكال غير المتساوقة وفقدوا العلم وتستمرى العذاب .

وتعمدت كذلك ان تكون طبعة الكتاب رخيصة ليكون في متناول

أيدي الجميع ولا أني لا انتفى من وراءه ربحاً ولا ذكراً ، وإنما خدمة
خالصة ، لوجه الله والوطن . لقد حرات حظي في الحياة ، في لدائدها ومتعها ،
في آلامها ومتاعها هم أحد في الأولى ما يغري ولم أجد في الثانية ما يبعث على
الأمي ، أو يدفع إلى اليأس والقنوط . هذه هي الحياة . إنها مريجة من اللذة
والآلم ، والمتعة والنصب . وكلا النوعين ضروري للبشرية ، إذ دونهما
لا يكون معنى للحياة . ومن كانت هذه فلسفته في الحياة ، لا يستهويه ربح ،
ولا يستهويه ذكر .



ولعد الآن إلى الآراء والذكرات التي بسطتها في هذا الجزء من
الكتاب . إنها آراء عامة ، وذكرات عامة . ولكنها رعم عموميتها ، فإنها أكثر
صلة ، فالوطن العربي ، والشعب العربي من غيرهما من المواطن لشعوب .
ذلك لأن أكثرية الأمم الغربية ، كانت يد الإصلاح قد عملت فها مد
عهد بعيد ولكن الشعب العربي لم يرل يحو في ميادين العلم والمعرفة ، ولم يزل طفلاً
في محالات التنظيم والتكوين ونعل أموراً رمة تسترعي انتباه القارئ في هذا
الجزء أولها نقدي الصيف للسياسة البريطانية الاستعمارية . أما عن هذا الأمر فليس
الذنب ذني . اني لم اصنع تاريخ بريطانيا الاستعماري ، وإنما هي التي صمته بأعمالها ،
وسياستها . وإنما اكون ملوما إذا تجاوزت في وصف الاستعمار البريطاني ، الفصد ،
وغاليت في قلب حقيقته ونجبت في تفسير مناديه واعراضه . وإذا كنت الام
فقد يحور ان الام لصراحتي في القول ، وإفاضتي في البيان . وان لوما كهذا ،
لأنقله بنفس مطحنة وقلب شعاع . على انه بلذ لي ان اصرح للحميع - كما
سبق لي ان صرحت مراراً - ان ما أراه في السياسة البريطانية الاستعمارية ،
ليس ناشئاً عن هوى وعاطفة ، ولا منمنعاً عن حقد وضيغنة . اني قد أت
التاريخ الانكليزي ، في الجزيرة الانكليزية ، فحدث به ايما اعجاب ، - بما

تقديس الشعب البريطاني للحرية الفكرية التي هي اسمى الحريات ، وحده للعدل
ونفوره من الظلم . واني قرأت التاريخ الانكليزي في المستعمرات والممتلكات
الانكليزية فتعلمتني الدهر ، واحدي الدوار ، وشهدت مصرع قومي في
مختلف اقطار الهلال الحبيب ، وعلى صهني السبل على يد الانكليز فاحلح قلبي
ونفرت كندي . وبعد كل ما قرأت ، وبعد كل ما شهدت فلا يفتقر الناس
في ان اكون مناديا لشعبهم . نفوذ في اوطان العربي ، ومنزلها لسياسة
ارفعت الشعب العربي ارهاق . لذلك فان ربي في لسياسة البريطانية الاستعمارية
ليس وليد هوى وعاصفة وانما هو ربي يستند الى واقع وحقائق التاريخ
وان ربي لم يكن متعمدا على حمد وحسينه لاني صريح . وله امة والحقد
ضدان لا يجتمعان

واما الامر الذي فانه يخص يبحث التكوين السياسي ، ان هذا البحث ،
وما ورد فيه من ، فهو يتعلق بالشعوب الحرة المالككة لسيادتها الوطنية .
اما الشعوب المحتلة مما لكها بالقوات الاجنبية ، والشعوب التي يسيطر عليها
نفوذ اجنبي قاهر ، فلا يصح ان تطبق فيها الآراء التي ورد ذكرها في هذا
البحث والحق ، ان شعوبا كهذه يكون اول واجب من واجباتها ، العمل
في تحرير نفسها وانقاذ صيادتها . فلا راء لمسوية تكون مقدمة لدعائم
السياسة ، ومقدمة للروح التقدمية من احلاص من يراد منه . واما الامر
الثاني فهو ينس لكونها دولي . جميع شعوب الاسامية مبالغ بعد درجة
كبار حتى تقم عليها سلطة قاروة . وهذه تفرق على الاممات من الامم
والدول ولكن عور ان يجمعهم شيء . كثير من هذه الآراء وحديث
ايباب ، وصفت السرار . الى ان هذه الآراء ، كانت تروح في آفاق فكر ،
حين كان المعسكران المتحاربان ، يسرقان في الوعود الخالابة ، ويتبصرون في
اطهار الآمال والاماني التي كانا يرعنان انها سوف يصب على اسم
مالا اعمس

واما الامر الرابع فهو يدور حول ، الخلق العربي . صحيح اني نقدت
 هذا الخلق نقدا عنيفا ولسكن مع عنفي في النقد لم ابلغ الفسابة ، ولم اصل
 الهدف . انه حدير بأكثر من هذا النقد ، وحرى بأشد منه . واقد آن للعكري
 العرب ، وساستهم ، وقادتهم ان يتصارحوا في القول ، ويتكاشفوا في الرأي
 لايجاد دواء عاجل ، لشفاء الشعب العربي من هذه العلة . ان هذه العلة الخطيرة
 التي اسفحت الشعب واضنته طوال عهوده ، الى يومنا هذا ، يجب ان تروى
 ولو بسحر ساحر . اننا اليوم على مفترق الطريق وأما اتحاد بعيد الينا الحياة ،
 واما تفرق بلقي بنا الى الهاوية . والجراح الماهر ، هو الذي يستأصل الداء من
 مكانه من دون ان تأخذه الرجفة ، وينفذ الى قلبه الخوف بل من دون ان
 تطلب عليه الرأفة والشفقة . على اني في الاجراء الثلاثة الاخرى كنت اكثر
 صراحة ووضح بيانا . فقد بحثت الثورة العربية ، ولسكي بمحتثها بروح
 غير الروح التي بمحتثها بها مؤرخوها ومقلية غير عقلية من اشترك فيها وخاص
 عمارها ثم استسلم الى نتائجها اما رعة في ما نواجه واما رهة من ادى وعقاب .
 ان بحثي للثورة العربية وثائفي لم يكن قصة . لاني لا اجيد من القصة
 ولا املك اسبابها وموادها . واني لم ابحت تاريخ الثورة لان تاريخها قد
 كتب كتبه المفرضون ، وكتبه المخلصون . وان الخفيف السكيس هو
 الذي في وسعه ان يلتقط الحقائق المتناثرة فيما كتبه المفرضون وفيما كتبه
 المخلصون المتطرفون ، ويعرجها بالحقائق التي اهتدى اليها هو ، بعد البحث
 الهادي ، والدراسة الرصينة ثم يعمل فيها رأيه ، ويبدى مقترحه . اني خلصت
 بتمحيص اثنتين ان الثورة العربية كانت مشروعة لان العوامل التي ادت اليها
 كانت تبرر قدح رد ها ، واضرام نارها ، وان اكتشفت تطوراتها اخطاء ،
 وسقطات كما سوف يراها القارئ في الجزء الثاني عند نشره ان شاء الله . وان
 لثورة برعم مشروعية فاما لم تكن موفقة بالنظر الى نتائجها واما اسباب عدم
 التوفيق فلا محل لذكرها هنا ، لانها بسطت بمصويل في الاجراء الثلاثة التالية

واذا كان العرب لم ينجوا من تورثهم غير الكوارث والمحن فهل لهم ان
 يستسلموا ليستروا فشلهم بتكليفهم الكذب على التاريخ وعلى انفسهم ؟
 انه لمن الحيانة للقضية العربية ، وانه لمن الفدر بالفكرة الوطنية ، ان نماري
 في الحق ، وان نتكلف الكذب ، اشباعا لغرورنا ، وسترا لفسلنا فنقول ان
 العرب نالوا شيئا من تورثهم ، او انه وان لم يكن كل ما كانوا يطمحون اليه
 فقد اصابوا نصيبا منه ، بل نصيبا كبيرا . ان مثل هذا القول ، يضر بالقضية .
 ان مثل هذا الادعاء ، يورث الفكرة علة وسقما . وكيف نزع مثل هذا الزعم
 والامثلة المادية ماثلة امامنا ؟ لقد كنا في العهد العثماني ، امة متهاكمة معواملة
 فيها بينها كانت تجمعا راية واحدة ، وتمكننا امة هي منا ، بل محترما احترامنا
 خاصا لاسباب دينية . وكانت القوانين والانظمة واحدة ، ووسائل الرفاهة
 واحدة . كنا لا نعرف حدودا بين امكارنا ، ولا سياسات اقليمية تفرق فيما
 بيننا كانت خيرات بلادنا في بلادنا ولا شائها والخيرات التي كانت تحتفظ بها
 بطن بلادنا من مواد خام او آثار عتيقة او ما الى ذلك من الخيرات كانت ملكنا
 لا ينازعنا فيها متازع ولا ينافسنا عليها منافس . كنا اذا اردنا ان نقاوم دولة
 رأينا في تصرفاتها جوعا علينا ، وهدرا لحقوقنا ، فانما نقاوم دولة واحدة
 متداعية الاركان ، موشكة على الانهيار بمعاونة بسيرة يكون الظفر بها
 والفوق عليها ميسورا . والسكن هذه الحالات والاضاع انقلب الى عكسها
 بعد الثورة فقد اصبح لزاما علينا اذا اردنا الانعتاق من نير العبودية ان
 نقاوم اميراطوريتين ضحمتين هما الامبراطورية البريطانية والامبراطورية الفرنسية
 وان نقاوم فوق ذلك امبراطورية عالمية ، وهي اليهودية العالمية . هذه اليهودية
 التي هي اشد دهاءا واكفر مالا واقوى مكرأ وخداعا من تيك الامبراطوريتين
 الضحمتين . وهذه القوى الثلاث تعجز عن مصارعتها ومقارعتها الامة العظيمة
 المتحدة المتهاكمة فكيف بالامة العربية في هذه الايام ، وقد توزعت الى اقطار

ومالك تفصل بين مصالحها المادية الحدود الاصطناعية والسياسات الإقليمية
المختلفة وتفصل بين روحيتها ، الثقافات المناسبة والقوانين المختلفة والانظمة
المتنوعة المسافرة ؟

ولسكن ما معنى هذا الاعتراف لصريح ؟ ما معنى قولنا ان الثورة العربية
تمحست عن نتائج أودت بالامة العربية الى املاكة ، وقادت الى مصير
فاجع اصحت نرى فيه حاشا الاولى التي شكك منها ، وثارت عليها ، اذا
لم تكن اكثر رضاء فعني على كل حال اقل شقاء وابسر ، أأ نأ هي فيه اليوم ؟
ما معنى كل ذلك ؟

معنى ذلك ان الاحلال لفصبتنا ولسكرتنا ، ندعونا الى ان نشر الحقائق
بين ايدي اناسنا وان كانت مرة ، وان نصف لهم الاوضاع على سجيبتها من
دون ان نعمل فيها وان هذا لاجلنا ندعونا كذلك الى ان نقول الحق
وان كان اثما ، وان نعرف الى الخطئنا وسقطتنا التي امثلا في المستقبل
وبعد كل ذلك ان نكون معروفنا ، لأمنا وامراضنا ولاخطار المحقة بنا
مثمرة سجوننا ، مورية مرثمة ، مصاعده بقوانا ، حفرة القوس ، وتكون
هادية لنا في كفاحتنا ، مشروقة بنا الى العانة ، ونحب نعمت قوه ،
ونصطخب اقتدارا .

ومعنى ذلك ان حرصنا على سلامة أنفسنا ان نعلم مواطن ضعفنا
والخمسات التي تهدد اليها المرض ، وعزتها حرايمها فان احدهم مواطن
الضعف ، والاحكام التي عزتها حرايم مرض ، واعلان للصحة الرائقة واطهار
السلامة السكادة انما هي صرقات معتمة اعزور ومصدره اعمل ، لا تؤدي
الا الى تمكين المرض من صحته ، ولرحيصة له بأن يبعث ما يشاء
العتب بالجد

ومعنى ذلك ان مصالحة نرصد ، ان نشعر بالآلام ، والمصدر الذي يذعن منه
الآلام والخطر والمكان الذي يذعن منه الخطر اشد من قواد لم حاجة
الآلام في مواضعها ، ولاختصار في اماكنها بل معنى كل ذلك ان استمد

فوانا من هذه الامراض وهذه الآلام وهذه الاخطار فنعلم على انقاصها
صرح كياننا ، ورمز حريقنا .

احل ا من واحد القوي ان يعل لا حوانا ، ولا بمانا ، لا تلب
وامهاتنا ، واحوانا واحدا ، وكل من نظمه سقا ، ونقيه بره وطبا
انما مرضاه ، في روحنا ، واخلاقنا ، وثقافتنا . وان مصدر
الآلام متنوعة منها وليدة امراضا الي ذكرت ومنها وليدة المظلم الي بعضها
عليها الاجنبي التحكم في مقدراتنا وان في خصر ، وان محقق ما وسرنا
بالويل والثور من واحد قوي ان يعل لا سوطا ون شعرهم بالامراض
والآلام والاطار للمستمر جميعهم ، ولستمر حيويتهم ، ووقف فيهم
العزائم والمهم للسكران والاستهـ ان في السكران في مثل الامراض
والآلام والاطار حافرا للموت في سبين الحياة ، وما مثلها قوة مدفع
بالناسان الي ميادين العظمة والحدود

ان الامراض والآلام والاطار مصائب تنقص على البشرية ونحتاج
الانسانية وقد يرى فيها دور الارادة الضعيفة ، والعرائم الواهية ، والعموب
الواجبة الشر متصدا ، وللامانة فتجور عنهم ، وتحمق قلوبهم ونشحات
ارادتهم فيستسلمون ويرى فيها دور الارادات القوية ، والارواح المتمردة
والعرائم الدامية ، خيرا منه يستمدون القوة ، وشعلة منها يقسمون نورهم
الذي يسرون عليه الي ميدان الخلاه والجهاد وفي الحق ان الله عز وجل
- ولا اقول الطبيعة - ارحم بعباده من ان يجعل من الامراض والآلام
والاطار شرآ محضا وبلاء صرفا

والامراض فسد افادت البشرية اكثر مما اصرت واعدوب الخير على
الانسانية اكثر مما امسكت عنها سو . تمكنت بالافراد كل منهم على افراد
او ام تمكنت بالشعوب فحيتم تنحس غير وم نصن فائدة ولولا الامراض
لما صنعت عقول جبارة ، وقامت حصارات وحرب احياة سائرها ولقد

قال (بنفشه) ان المرض هو اول شي هدا في سواء السبيل وقال (نوالس)
ان الامراض ام مادة واقوى دافع لنا على التفكير والعمل فيها يستطيع
الاسان حقاً ان يجي تماراً لاحتصر لها خصوصاً في الميدان العقلي وفي ميدان
الاخلاق والدين ويرى (جوته) ان المرض والضعف الجسماني لارمان
عند العباقرة لكي يستطيعوا الاحساس بالوجدانات النادرة وبقدروا على
سماع الاصوات السماوية . واذا رأيت كائناً من الكائنات قد امتاز امتيازاً
خاصاً فابحث مريباً عن الناحية التي منها يتألم بحث الفاحص المدقق وستجدها
مفتاح كل تكوين وارتقاء .. وحيث يكون السمو العقلي كبيراً يكون
الالم كبيراً ايضاً ..

وفضل المرض على الالم والشعوب لا يقل عن فصله على الافراد الممتازين
حيث اثار فيها قوة واندفاعاً ونهيجاً وخلق اعواماً اشدها للنهوض بالحضارة
واعلاؤها . والصحة لا قيمة لها ان لم ينصبجها المرض ، ويصبرها الالم فلولا
الامراض لما كانت تلك العقول الجبارة التي زينت اعيان الدنيا لآلائها ، عقول
جوتة وشوبنهاور وبنفشه وبيرون وبيت ، وهومبروس والميري ولما كانت
حصارة يونان ، ولا حصارة اوربة ، ولا انقلاب فرنسة الكبير . ذلك لان
الامراض تدفع بالانسان الى استجلاء خفايا النفس الانسانية وانفعالاتها
ورغباتها وما يسيرها من دواع وعرائز ويسوقها الى ان تنظر الى الاشياء في
برودهاثل . والامراض هي التي تشعر الانسان بالصحة وتحمله على دراسة
الحياة وفهم طبيعتها . والحياة بحر ذو شاطئين احدهما شاطئ الالم المظلم والاخر
شاطئ الشفاء الباهر النور ولا تشعر بلذة الشفاء ، ولا تقفح نفسك الى النور
الباهر مالم تمر من شاطئ الالم المظلم .

فالامراض مصدر قوة ونشاط لذوي الارادات والعقول الممتازة ،
ومصدر حياة وانعام للامم التي حبها الطبيعة باسباب الحياة والانعام . وبكفها
خيراً انها العين الثرة والمنبع الذي لا يجف ، للالم . والالم هو قوام الحياة .

وقوة الوجود وكل ما كان الالم عميقا كان السرور عميقا ، واللذة قوية
تصور انك اخترقت نهاء لانت فيها ولا ماء ، وليس معك متاع ولا يسايرك
صديق او رفيق ، وشعرت بالظمأ يحرق كدك ، والجوع يمتصر معدتك
وتغلبت بارادتك القوية ، وروحك المدفوعة الفتية على صعب الطريق ومهالكه
وانتصرت على الطمأ والجوع ونصب ووصلت الى المكان الذي تريد
تدقق في جناته الامواه ، وتحف به الجمائن والبساتين فذا كل هيثا وتشرب
مريفا ، فاي لذة قوية نحس ، وأي سرور عميق تشمر ؟ فلو لم يكن الالم
عميقا في نفسك فويا في روحك لما شعرت بعمق السرور ، ولا احسست بقوة
اللذة . فالالم ادرك يفيد النفس الانسانية . فكما ان الصحة الكاملة هي الصحة
التي تأتي بعد المرض كذلك اللذة القوية والسرور العميق ، هما اللذان يعقبان
الالم القوي العميق . والامراض والالام ادن هي مصدر قوة وشباط ، ومبع
فيض وخير لذوي العقليات المتقار من في الاسار ، وللشعوب والامم التي
توفر فيها الخصال والسجايا السكرية . وقد يتضاعف خير الامراض ويص
الالام ، اذا لارمتها الاخطار فالاخطار تستدعي المقاومة وتعضي
المحسومة وكلما كثرت المقاومات واشتدت المحسومات زادت قيمة الحياة
واصبحت اكثر خصا واوفر ثروة . واندفعت الارادة الى ميدان
الكفاح قوية معينة ذلك لان كل خطر كبير يستثير حينا للاستطلاع بنسبة
ما لدينا من قوة وشجاعة ونسبة ما في ارادتنا من مصاء ومتانة . لذلك قال
ببخشة بحق كي تمنح من الوجود اعظم انمار ونعم . ما في
عش في خطر . . .

لكل ذلك كان واجبا القوي بمرض علينا ان نكشف لابناء وطننا
عن الامنا ، وامراضنا ، والاخطار المحدقة بنا ولا مسترعنهم شيئا منها لنعلق
فيهم ارادة القوة ، او قوة الارادة التي يحتاج اليها ميدان الكفاح والقتال ،
وتختصر اليها المقاومات القوية والمخاضات الشديدة التي تنفطرنا .

لا خيفة في هذا الوجود ، ولا بأس . مادامت هناك ارادة ان
الحياة ارادة . وان جوهر الوجود كله هو الارادة . وان هذه الارادة تدفع
الانسان الى الامام وتحلق له في كل آن رغبات جديدة . وانها لا تعرف
شعاعا لهما ولا نهاية لمطامعهم ولا هوادة لمرتها . فهي في اندفاع دائم ، وفي
طلب دائم للمزيد . وفي روع مستمر الى تحديد قوتها . ولئن كانت
شبهور مصيبا في وصف الارادة واسكنه لم يكن مصيبا حين تملكه اليأس
من استطاعها الدائم . واعتصر قلبه الم القنوط من زوعها المستمر في تحديد القوة
، طلب المزيد فعشاد روع من التشاؤم حين راح يطلب للحياة غاية ، هي
العدم ، وبالجور نهاية هو العدم . فالارادة في قوة وفي حياة ابديتين .
والارادة مادامت في قوة وفي حياة ، يجب ان تعمل بقوة وحيوية .

علينا ان نشعر بامراضنا ، وان نشعر بآلامها العميقة ، واخطارها
المهلكة . علينا ان نشعر بان هذه الامراض منها ما هو مما مصدره ، ومن
وسطها منبعه ، من الاضطمة والقوايين التي تضعف ارواحنا ، وتوهن من
عرائقنا وتضعف من شأنا ، من الرجال الذين مالوا الاحمي على الوطن ، وعادوه
على تغيير اسماءهم ، ونشبت احرارهم ، وفتقن اطلالهم وحماهم ، من السياسة
الاعلمية ، والاراء الشعبية الى نبت في الاوساط ، وتمعد الى البيوت والى
دور الثقافة والتعليم ، ومن ما هو خارج عن وسطنا ، ومحيط بمركزنا ، من
القوى الاجنبية الخائفة على صدورنا ، المتعددة فيما بينها على امانتنا وامانتنا .
علينا ان نشعر بكل هذه الامراض والآلام والاطار التي تهدد لمقاوماتها ،
وهي اناسنا معاولتها ، وللم في ارادتنا القوة الحارقة التي تحترق بنا هذه الطلعة
احد سكة ، وتغير بنا كل هذه الشك والغم والاحاديث لنصل الى اسهل ، والى
طام الحياة الذي يطعم بالور ويمور بالمسرات . اما الان كن تحطمت بهم
سفينهم في وسط بحر متراكب الآدي ومن عيدين آي خيط من المور هو
البحر . ون هدأنا هبطنا الى قاعه ، واحتوتنا فراره . وان نحر كننا كان

في حركتنا الخلاص ان تحدت ارادتنا ، واستسلمنا لقوى الطبيعة اكلتنا
الطبيعة وهصرتنا قواها ، وان غالبنا الطبيعة وسحت ارادتنا على قوتها نجونا .
فالحياة نسر الينا بيناتها الاحمر المحض بالدم ، ونومي الينا بمعدلها الابيض
الناصع البياض . فعليتنا ان نسمو مارادنا على نفوسنا ، وان نتطب بقوتنا على
ضعفنا لنقدف بانفسنا الى احضان الحياة . فالى الساحل ، الى نور الحياة يجب ان
تصرف ارادتنا وقوتنا ، وان نتوجه عواطفنا وقلوبنا .

ان حلوا الحقائق رائعة مكشوفة لآباء وطننا فانما تؤدي واجبا فرضته
عائتنا الوطنية الحقة ، والزمنا اياه الاخلاص العميق للوطن . وان حجب
الحقائق عن انظار اماء الشعب انما هو عمل يقوم به الاجانب المتحكرون
املا في استمرار تحكمهم ، واطالة عهدهم بهم بصورون لآباء الشعوب المحكومة
المرض صحة ، والالم لذة ، والخطر امنا وسلاما والموت حياة . فلهذا نقل
لا نفسا ان سايرهم في تصليلهم وفي مكرم وفي خداعهم لمجرد ان هذه المسيرة
تلاقى هوى في افئدتنا ، ونظم حابيا من غرورها وكبريائها ، وتسدل ستارا
على فشلنا وخيبتنا ؟ ان الحية والفشل ليسا عارا ، ولا هما نقيصة وانما الطار
في تصليل الانسان نفسه وهو عالم بهذا التصليل ، وانما النقيصة في مكر
الانسان على نفسه وهو شاعر بأنه بنفسه بمكر ولها بحمار . والحياة جدال
وصراع ، وكفاح ونزاع ، وفي هذا الميدان قد يفوز بالطمر ، او قد يهزم
بالمزيمة ، وانما المهم فيما ركز في طمعه ، من عناد ، وما ركب في ارادته من
قوة . فان كان الطمع متخادلا ، والارادة واهية صاحبه الحية ورافقة
المهزيمة وان كان الطمع حاداءيدا ، والارادة قوية عيفة والنفس طامرة
بالايمان فار بالطمر وطمر بالامس وان اعتورت طريقه عقبات ، ومسالك
عثرات ، وان اصابته الحية والمهزيمة مرة او مرات .

١٨ مارس ١٩٥٠

على محمود الشبع على

لمحات فكر وخطرات نفس !

بعد ان حطم هتلر مسألة السودان وتغلغل بنهوضه السياسي في
جيكوسلوفاكيا وحرأها وفق خططه المرسومة ، ومنج التنمية ببلاد الرينغ ،
وسايره التوفيق في كل هذه الضربات القوية ، الحاسمة ، كان مفهومه الذي كل
من له مسكة من العقل ، ودرة من التفكير السليم ، ان هذا العبقرى ، الذي
بوآتيه السعد ، في كل موقف يقفه ، وفي كل حركة يقوم بها سوف لا يهدأ
روعه ولا تسكن نائزته ما لم يحقق احلام الشعب العظيم الذي يقوده وبرصى
مطامحه ومطامعه ، وفي طليعة هذه الاحلام ، والمطامح والمطامع ، انهاء
هضبة الدانربيع والممر ، لانها بلاد المانية ، والمستعمرات التي اسفول عليها
اللعاء في الحرب الكونية الماضية بعد ان قهرت المانية ، ومتفقوها
والقوا السلاح مستسلمين ولبس يصبنا ان نبعت مشروعية مطالب هتلر
التي حققها والتي كان مرمعا تحقيقها او عدم مشروعيتها ، ولا ان تعسب في
تحرير مدى احلامه ومطامعه ومطامحه لان الاقضية في مثل هذه الامور
خارجة عن موضوعنا هذا ، وانما الشيء الذي نريد ان نقرره هو ان هتلر بعد
ان تخلص من مشكلتي السودان وحسم المسألة وتقسيم الدولة الجيكوسلوفاكية
تقسيماً يرصى سياسته رأى الفرصة ملائمة ، ليلتفت الى ما تبقى من اجزاء
الوطن الالماني وهو بعيد عن متناول يده . والدانربيع والممر هما الجزء ان
اللدان ما اعك هتلر ورملاؤه يعظمون عليها ، ويحنون اليها .

ليس من شك في ان هير كان يرغب في ان يحمم شتات الوطن الالماني
عن طريق السياسة والمسالمة ، لا عن طريق القوة والاكرام . وكان يبدي
من وقت الى آخر حلولاً مختلفة وطرقاً متباينة ، تختلف شدة ولينا ، ضنا
وسخاء ، ليحصل على . متفاه . ويدودج دناه غير مرة يفوز بتحقيق مطالبه وما لم
معا . فلقد استطاع ان يتمي قضية السوديت ، من دون ان يضطر الى
اطلاق رصاصة واحدة ، كما انه كان يصمم الفسة من دون ان يسفك قطرة من
الدم . وكان هذا العوز الوطني السلمي ، قد شجعه الى ان يذهب في رغبته
السلمية الى اقصى حدودها في مسائلتي الممر ودانزيج ، معرضاً حلولاً فيها نبي .
كثير من السخاء والكرم . ولو ان بولونيا رضيت باحداها اسلمت على
كيانها واستقلالها ولانقذت العالم من شرور الحرب الطاحنة التي عانتها
الانسانية وما رالت تعانيتها الى هذه الساعة . ولكن أني لبولونيا ان تعسكر
في نفسها وفي الانسانية وشياطين الحرب ، ودعاتها في بريطانيا وفرنسة لم
بالواجمداً في اثاره نحوها ، واستمرار وطنيتها وتحريضها على ملارمه التصلب
والعناد ؟ وقد كان العالم ينتظر في اواسط عام ١٩٣٩ اسدلاع لمحب الحرب في
كل صباح او مساء وانما كان مما يصرى الهم هو ان موقف روسية لم يكن
معلوماً . ولموقف روسية اثره الفعال ؟ في تمهليل الحرب ، او تخيرها سبباً ان
الوحد البريطاني كان يتفاوض مع رجال موسكو المسؤولين ويتداكر .
ولكن الذي جعل الحرب حقيقة واقعة لا مفر منها هو الاتفاق الروسي
الالماني الذي فوجي به العالم ، ودهش له . وهكذا كانت . فتم تمر ايام إلا
والجيوش الالمانية تحترق حدود بولونية من عدة نقاط ، وتلا هذا الاختراق
اعلان كل من بريطانيا وفرنسة الحرب على الالمان . وبذلك سجل التاريخ
في صفحاته الدامية ، ان شهر ايلول سنة ١٩٣٩ كان المحس شهر طلع على العالم مد
تسكوبته الى هذا اليوم

والحرب اذا كانت كارثة يفرق منها العربقان المتحارمان في المصور

الحوالي ، فهي في هذا العصر تعتبر كآثره عامة ، تجعل منها الانسانية
وتضطرب لها الامم جمعا . لان العقل الانساني بقدر ما اعد للانسانية من
خير ، ويسر للامم من متع تشبع الازواق ، والوجدانات ، والنفوس ، وقدر
ما اسبغ على العالم من جمال ساحر ، وندائع فائتة وحاد عليه بمجترعات مفيدة
وصناعات نفيسة وعلوم وفنون هذت كثيرا من طماع البشر ، وامزحتهم
وسحرت لهم ما في الطبيعة من عناصر عادت على الحصار بالخير العميم ، فان
هذا العقل ، قد اعد كذلك من الشر اكثر مما اعد من الخير ، وبسر من
وسائل التعريب والتدمير ، اكثر مما يسر من اسباب الانشاء والتعمير ،
وردد العالم من صروب المذاب ، والوان الالم ما تصغر بجانبها ضروب النعيم
ومختلف اسباب الحياة المانعة

كانت الحروب فيما مضى ، كوارث محلية ، تحتوي صغيرها ، اما كبر
معيته ، وتنتلي بارزائها امم معدودة وتحتصر ويلاتها بمناطق محدودة . وكان
العقل الانساني ، بمحمود يسير او كثير ، يستطيع ان يتغلب على عناصر
التدمير ودعاة الشر . وحتى اذا استمرت الحروب اعواما طويلة ، وانما لم تكن
تتعدى رايابها الفرقاء الذين حاضوا عمارها واكتووا منارها . اما الاقطار
الاخرى ، والشعوب التي لم يصيبها شررها فتبقى سالمة ، مطمئنة الى كيانها
عارقة في نملها ، متقلبة في لدائدها . فالحرب الميدانية التي دامت اعواما كثيرة
لم ترهق الا الفرس واليونانيين ، وحروب هابسل عظيم قرطاجنة ، لم
تؤثر الا فيها ، وفي الرومانيين خصماءه وان عمرت اكثر من خمسة عشر عاما ،
وحرب الثلاثين عاما الدينية لم تتجاوز مناطق معيته من اوربة فقط . وحتى
الحروب البابليونية فانها لم تعد بلاد اوربة وشطرا يسيرا من الشرق فالتجارة لم
تتوقف وطرقها لم تسد والاتصالات الاخرى بين الدول غير المتعادية لم تنقطع
والمجازر لم تكن في نطاق واسع ، وضحاياها اذا عدوا فلا يتجاوزون
الا آلاف او عشرات الآلاف من الالهة البشرية . ان حروب الاسكندر ،

وحروب الاسلام التي كانت أوسع آفاقا من حروب القرون الماضية لم تشهد من المذابح البشرية ، والتدمير والتخريب غير جزء يسير مما شهدته الحرب الكونية الماضية ، ذلك لأن العقل الانساني قد أعد للمحاربين الاخيرين اسلحا اشد فتكا ، مما كان قد يسه لهم من قبل . لذلك كانت مفاجأة الحرب الكونية الثانية ، ومما جاء اليمة ، اكمل من في قلبه عطف على الانسانية ، وفي فكره نزوع الى تحقيق الآراء الانسانية .

فأي خير نعمت به الانسانية من هذا العقل ؟

العقل يحتمل ، ليوفر اسباب الوقاية للعنفس البشري من الآفات فيكتشف الجرائم التي تؤدي بنوعه ، ويخترع اساليب المعالجة ، وابواع الادوية ليدفع عن كيانها ، ولكنه من جهة اخرى يقدم للانسان وسائل القضاء على الانسان . فهو ينزع الى ان يصون الافراد من عادات الاوثة الفتاكة ، والجرائم المهلكة واسكنه لا يتردد في ان يزجى الجيوش الممعة والعمليات المتلاطمة الى مهادي الموت . وانه يبدع في وسائل البناء والعمران ومن ناحية اخرى يبني المدافع ويبتنى الرشاشات والقذائف والذخائر ليذكر بالحطة ما علمت به بد الانسان دهرأ ، ويحطم ساعة ما اقامه الانسان في سنين . وانه يشيد البواخر والطائرات والسيارات لتنفع الانسان في عدواته وروحانيته وفي تجارتها وفي اتصالاته السائرة وليكنه يركب فيها ما يقذف بها وبمن فيها اما الى قاع البحر واما لتنهشم على اديم الارض وفي اجوار القضاء . وانه يوحد الكهرباء ليمسح الانسان النور ، والبرق والتلفون لينشط العلاقات البشرية ويكثرها ، والاجهزة اللاسلكية واندعها الاذاعات اللاسلكية ، ايلهو باعانيها من هوى اللهو ، ويرتاح الى اخذها واحايتها ، من يتذوق الاخبار والا حاديت ويصمى الى مانهته من نصائح ، وما تنسبط فيه من علوم وفنون من اشهرت نفسه حب العلم ، ومالت به الى المعرفة ، ومع ذلك فقد هدى العقل ، الانسان ايضا الى استعمال الكهرباء في تحريك الآلات المهنمية ، والبرق والتلفون

والاذلعات الانسانية لاثارة الحفالت ، وتبييج العواطف ، وبقرابذور الشقاق بين الامم وخلق العن والثورات والاضطرابات . وهكذا نجد العقل ، ما اسدى حيراً للانسانية من ناحية إلا وضاعف لها اسباب الشر من نواح متعددة وما تقدم بالفرد خطوة ، إلا واوحى للمجموعات البشرية ان ترجع الى الوراء ميلاً . فكله مثل من يمنعك دابقاً لبسبك ما تمكك جميعه او اسكره او يعطيك كأساً من الماء لتدفع به ظمأك ، فأسال فيه من السم الزعاف ما يجعل بك الى الهلاك وبوردك موارد التلف . فأى نسمى هذه التي يجود بها علينا العقل ؟

صحيح ان العقل الانساني قد تكامل ، ووصل الى درجة عالية من النضوج لم يكن ميسوراً له في القرون الماضية ان يسموا اليها بل ان يحلم بها . ولكن تقدمه الرائع لم يقد الحياة الاجتماعية ككثيراً . فالانسان ليس العقل وحده ، وانما هو عقل وروح فاداً لم نسم الروح ، سمو العقل الى الانسان على عنجهيته وبربريته . وادا كان العقل لا يعمل لانقاد الروح من هذه الطلمات التي نكتشفها فكأنه لم يعمل شيئاً . فالتقدم العقلي يجب ان يصحبه تقدم روحي ، ليكون الانسان انساناً . ان النفس الانسانية احق بالرعاية واولى باصاية ، من المجالات الاخرى التي احاطها العقل برعايته ، واولاها عمايته فالمقول الكبيرة في الغرب ، قد اوجدت هذه الحضارة الحديثة ولو انه بذلت ما يصارع شاطها ، في المجال الروحي ، او لو انها ترست على العقل الشرقي وازدافت الى العقريات التي طوتها ايام الشرق المحجلة عبقريتها ، او حابا من هذه العقيرة لجار ان نرى عالماً غير العالم الذي يعيش في اكنافه وايماً اقل شقاء والمائما تقاسيه في ايامنا الحالية . ان الانتاج المادي الذي فاض به العقل الغربي . او تعبير آخر ان الحضارة المادية التي ورثت الحضارة الشرقية الروحية قد اودت بكثير مما نصت في خلقه العقول . وليس بعيداً ان استمر الحال على هذا السوال ، ان تلقى البشرية

مصرعها ونوسد رمسها في مستقبل قصيرة آحاله ، معدودة احياله
لا ينكر ان رهطاً كبيراً من فلاسفة الغرب وحكائهم والمتخصصين
منهم في الاخلاقيات وفي علم النفس خاصة قد نبهوا الاذهان الى الفراغ الذي
تشكوا منه الحصاره الحديثه واشفقوا على الانسانية من ان تلغط انفاسها في
وسط تسوده هذه النزعة المادية المترعة بالانانية والطمع ، والرهو والعزور ،
والمقباعدة كثيراً عن الماديـه الشريفه والسجايا الخلقية الرضيه ، واهابوا
بالرجال المسؤولين في الامم الى ان يشمروا عن ساعد الجهد للعمل في سبيل
تهذيب النفوس ونزقيق لطباع ، وتشذيب العرائر وتطهير الصبائر والادواق
بما هي منغمسة فيه وتقويم الاخلاق تقويماً يقرب الانسان من الانسان
الكامل المنشود . لانهم آمنوا انما مطلقاً ان الضرور التي تحتاج البشرية من
آن لا آخر ، والآثام الاجتماعية التي ترتكب ما هي إلا اثر
الاهمال للارواح والنفوس ، سيما هذه النفس والثورات ، وهذه
الحروب الدامية التي تذهب فيها الارواح جراحاً ، وتنفق عليها الاموال
بلا حساب ، وما تتركه وراءها من اثار التدمير والحراب والعمى والفساد . فلو
رقت الطباع ، وتهذبت النفوس ، وصفت السرائر مما يجب ان تصفو منه
من انانية وطمع ومكر وخداع ، وحسب الاستيلاء على الغير ، واستعباده ،
لنجت الانسانية من كثير من الكوارث التي اصابها ، وات تحت كل كلمها
الطاحن . ولئن كان تهذيب النفوس من هذه الاضرار لارما لكل فرد من
امراد الحياة الاجتماعية فهو ل حال السياسة وقادة الامم الزم له هذه الميول التي
تدفع بها الانسان الى ان يفتك بضمه ويستعبد الواحد الاخر ، ويستبد به ،
ويسلبه ماله ، ويظأ ارضه ، ويفقده حريته ، ويفقره ويسلبه ؟ اليس عاراً على
الانسانية ان يكون الانسان اقل رفقاً ببي جسده من العجائز التي لا يربها
قل ولا يرققها طبع ولا يجمع شتاتها شعور بالتصام ؟ نرى السماع في
الاجام والذئاب في البراري والفقار والافاعي تدسب في الاحراش وادعة
مع بعضها ولا يؤذي جنس جنسه ولا يفضي نوع على نوعه ، مع ان الانسان

لا يتردد في القصاص على أخيه الإنسان إذا شام فيه ضعفاً أو انصر عنه مالا
أو وحده على غير عقيدته أو من غير عنصره ولونه ولماذا يصل التقدم
بالإنسان إلى درجة أنه يرفع عقيرته ويقول

عوى الدلف فاستأست بالدلف اذ عوى

وصوت انسان فكنت اظلم ؟...

وإذا كنا اغمضنا العين على قدي ، عما اتاب الاسابية من كوارث
ومواجه في الماضي السحيق ، وما اصابتها من مداخل ومحارر اما لا تساب
ناهة ، او لمعة ديدية ، او عصبية عنصرية وقلبا انها كانت وليدة الحمية
الجماعية ، واثرا من مروات النفوس الجامحة . حيث كان العقل طفلا والادراك
عرا ، فما هو العذر في المصور المتأخرة بل في هذه الايام والعقل قد اكتمل
هلاله ، والادراك قد بلغ الحلم ؟ الحق ، ان العقل لا يكفي ان يخلق الانسان
وان وصل الى الدروة من سمو ، ان لم تكن الروح مسيطرة في سمو
ومستوية معه في سمو ، والصعف ، الروحي هو الذي يضرب على
البصائر عشاوة وعلى الانصار عشاوة فتصير الحقيقة على الناس ولم يكن
دوجونيس ممرقا في القشوم حين كان يحمل مصباحه في ضوء النهار يعقش
عن الرجل ، الرجل الذي تنير وجدانه الحقيقة وهو بدوره ينير وسطه
نورها ، ذلك لان مثل هذا الرجل لم يكن قد خلق في وطنه بعد ، حيث
المفوس كدرة ، والضباب معتمة ، والسرائر قد ان عليها الكلف . وكذلك لم يصب
رجال الامم وقادتها في المصور المتأخرة شرف العاقر بالحقيقة لاهم لم يسموا
بهموسهم وبعلموا في ارواحهم برعم بصووجهم العقلي ، وجودة تفكيرهم فهذا
مؤتمر فينة عام ١٨١٥ الذي صم حيازة العقول في القرن التاسع عشر ، ألم
تسده شخصية مترنيخ وتذب فيها شخصيات المؤتمرين ؟ ألم تطلع نهسيقه
عليهم وتقرروهم بقرارات ، القت اورية خلال ذلك القرن في انون
من الجحيم برمي باللهب المالحق والشواطئ المبيد ؟كم نعمة اثارها تلك القرارات
وكم فتنة خلفتها ودقائق اهاجتها ، وكم امة اعتصمت حريتها ، ونوسيت كرامتها

وفضى على استقلالها؟ فكان ذلك المؤثر لم يعقد لا عطاء نهاية لحروب نابليون وإنما ليكون مصدراً للحروب متسلسلة عديدة استغرقت أكثر من ذلك العصر والحرب السبعينية أما كان في مقدور رجال أوربة الحيلولة دونها؟ إن الوثائق الرسمية، والمستندات التاريخية، وحقائق الوضع في ذلك الوقت، كلها تصرخ في وجوه شياطين السياسة بأنه كان في مقدورهم أن يدفعوا الكارثة وينقذوا أوربة من ويلاتها. ولكن كيف يطيب لرجال السياسة في ذلك العهد أن ننأى عن أوربة بملء جفونها وهي وادعة مطمئنة؟ ومرسيون يلمسون روح الدونب والمموض، في جيرانهم الألمان. والانكلز يصرون بعيونهم ويدركون بمقولهم ما يؤول إليه هذا النشاط الخارق من شعب عظيم، تصحمت قوائمه المسلحة، وتقدمت صناعته، ودبت في أبنائه روح التضامن والاتحاد. والألمان يريدون أن يشقوا طريقهم إلى المجد، ويرعوا إلى لم شعنتهم المشتتة وجمع كلمتهم المنفرقة. فلماذا لا تحترق أوربة بتيحة هذا التنافس وتطبيع هجمات، ونسفك دماء وتفرى علاجهم؟ وهكذا وجد القادة والرعاة من سبب بسيط، عذراً لا يقاد نيران الحرب. نطلب اسباباً أحد أمراء البيت المالكي الروسي ليتزوج ملكاً عليها فيعصب الامبراطور نابليون الثالث عاهل فرنسا فيكفهر الجو ويتظاهر علادستون رعيم الانكلز بعدم التدخل برغم الحاج ملـكتـه فيكتوريا بضرورة التدخل سبي ان موقف نابليون كان غير مشروع بعد ان اعتذر الأمير الروسي عن قبول العرش الاسباني ثم تقع الواقعة وتدور الدائرة على نابليون الذي كان يعم في اهانة الملك الروسي ويتشدد عليه (١) وكانت الحرب السبعينية الجرح النعار يتهدد السلام، وكانت السبب الاصيل في قيام الحرب السكوبية الاولى وكان في الامكان الحيلولة

(١) ان هذه المعلومات مستقاة من مذكرات الملكة فيكتوريا التي صحت بأشرف الحكومة البريطانية والتي صنعت لي فرصة قراءتها في مستقـوسـجن «دوربان» ميناء لندن حول الرغبة المعروفة. ولكن هناك حلة من سبي الانكلز ومذبحهم رموز نعمة الحرب السبعينية على، سويسرية وبشربون الى عهد التي هذه المورد كلار من وزير خارجية =

دون وقوعها او عدم حدوث تلك النتائج الخطيرة لو كانت بريطانيا تدخلت في
الزراع ولي استمجاله ، بل حتى بعد استمجاله وقبل وقوعه . ولستكما لم تشأ
ذلك لانها كانت تريد ان تفزع الحرب وتتخلص من المراحل الجديد ، ثقة منها
بان فرنسا هي التي ستقوم عير انها لما وجدت الامر معكوسا ، ارتأت التدخل
وعملت للمصلح ، فكان صلحا مسلحا ، انطوت فيه القلوب على الحقد والبغضاء
على ان يقاء الالتزام والتوريب في ابدى الامان وحده كان يكتفي بهذا المحدود
المعارك ، وعودة الملاحم لاقل عتمة تقرأى في الافق . فما بالكم اذا اذتمعت
اسباب ونوهرت عوامل لا يحصيها حاسب ولا يلم بأطرافها كاتب ؟ قالفرنسيون
اقسموا على ان يثأروا لسكرامتهم الجريحة وشرفهم المثلوم وان يعيدوا الى
الى حظيرة الوطن الام الجزء المصوب وان يردوا الى الجسد العضو المقطوع .
والالمايون يحكمون اسباب الحكم في هذه الارض التي طغروا بها ،
عاصين عابها بالواجب ناظرين اليها كعمر لا ينك عن جسم الوطن الالماي .
فكان كل فريق بعد العدة لئلا جديد ، وبهي اسباب الخصام القادم وعدا
ذلك وقد دفع حب الاستمرار ، والاستقثار فاطايب الشعوب الضعيفة ، الامم
الاوربية جمعاء ، الى ان تقامس في صبغامة السلاح ، وتزاحم في مضمار التمدق
الصاعى فالامان نزعوا الى تقوية اسطولهم البحري ، الامر الذي حلق
قلوب الانكليز واصاب منهم المقاتل فكان جدل وكان نقاش ، وكان وعد

ت حكومة امير علاءستون في عام ١٨٦٩ ومطلع عام ١٨٧٠ حيث كان قد تردد غني نازيس
برلين و صهي النرويج ، وحددت معها كلا من الامراجور نادون الثالث والحكوم
سمارك عن امكشوره ممددا حياة اقلص الى كانت الدولتان بينهما . وسرى الى سمارك
هول له خطورة وان جاء عن حريق السكتة وامراح مع اللادي أمين اية البورد كلاريدن
وعقبة اودو رسل سمير بريطانيا في برلين عام ١٨٧١ . يعال انه من له . . . لم ارتفع
في حاتي محرم ممته كبحر وفاة والدك وقد رأيت في القصب في وجهي اسم يده ومن
له . . . اعترري اردوا ان لا يحصى عوي على غير محله . ان الذي رميت اليه بقولي هذا
ان والده . . . بقى حياً لحظ دون وقوع الحرب . . . (راجع مجموع عاماني الترافات
تأليف امير سكوت رئيس وزراء الاكلد في الحرب الكوبية الاولى)

ووعيد ، ثم اخذت الصناعة الالمانية ، وما تفتح من نتاج متين في صناعته ،
 رخيص في سعره ، تفرغ الاسواق التي كانت وقفا على ما تنتجه الصناعة
 الانكليزية ، وتفرغوا المستعمرات والممالك التي تسوسها انكلترة مباشرة او
 بالواسطة بل تفرغوا بلادها لصنعة نفسها. والخيلاء المليون والاقتصاديون ،
 والوكلاء التجاريون الالمان يندسون في كل وسط ، ويظفون في كل جمع ،
 له بالانكلير صلة ، فيشجعون فيه وسائلهم ، ويسمعون عليهم بشهم ،
 ويخطفون منه ما كانوا يخطفون . فالأمر أدنى لم يقف عند الالمان
 والفرنسيين وانما تعدى آفاقا أخرى ، وتجاوز الى رحاب الاقتصاد
 والتجارة بحال كبير . وما أسرع ما انقسمت اوروبا الى معسكرين كبيرين ،
 وفريقين خطيرين متناحرين ، ولم يكن قد جف مداد صلح مرسيل (١) بعد ، وفي
 كل معسكر دولة مترعمة ودول تصدع بما تؤثر ، وتنفذ ما يطلب منها او ما
 انطلقت رصاصة سراجيفو فصرعت رأسا عظيما وقرم عبيداً إلا وبدأ الارعاد
 والابراق من كل جانب حتى انتهيا الى الحرب الماضية . وما كان في مقدور
 رصاصة واحدة ان تغير خريطة العالم ، وما كان في سبيل قتييل واحد ،
 معها عظم وكبر ، ان تقوض عروش وتمحي ممالك وتفقدا لاسانية الملايين
 من ابناءها من قتييل وجريح ومشوه وكسيع لو لم تكن القلوب طالحة
 بالاحقاد والاحسن ، والهوس مترمة ، والعقول مستعدة الى استساعة مثل
 هذا الحصران المين . نعم قام في اثناء الحرب ، وبعد الحرب ، الدعاة اكل وريق ،
 والمؤرخون لكل معسكر يصدرون الكتب ويفرقون المكفيات والاورساط
 بالنشرات ، والمؤلفات يرمى فيها مؤلفوها واشروها نعمة الحرب على حصانهم
 ويدفعون عنهم مسؤولية هذه المجزرة البشرية ، والله شهيد على ان كل فريق
 منها له في هذه الجناية نصيب . وماذا حل بالاسانية بعد هذا التطاحن الميذ ،
 والتقاتل الخفيف ؟ هل انها افادت شيئا بعد ان منيت تلك اصمات القاصيات ؟

(١) اي صلح المانيا وفرنسة بعد الحرب البسمية

والخطوب العوادح ٢. اللهم لا ا. وما مرأه اليوم (١) من حرب طاحنة مبيدة
لحير دليل على ما نقول ا. وهذا امر طمعي وليس في الامكان ان يكون خلافة،
لان المقدمات اذا كانت شراً كانت بقيتها شراً كذلك فصحة النتائج متوفرة
على صحة المقدمات. مضت ثلاث سنوات على الحرب السائرة وكان الالمان
سادة الموقف في كل ميدان من ميادين الحرب. كانوا يقاومون العلم اجمع
ويصاولون الدنيا برمتها ولم تنكس لهم راية، ولم يقل لهم جمع طيلة هذه
السنين الثلاث. واسكن خطوط الحرب، وطوالع الامم لا تظن على ونيرة
واحدة، ولا تستقر على حال والالمان ولان كانوا موقفين في الحرب فلم
يكونوا موقفين في انتقاء اصدقاء والاعوان. هم فوق ما كانوا يعاونون من
الولايات ويقاومون من لمصاعب في الصمود في الميادين الكثيرة فقد كانوا
يصلون هؤلاء اصدقاء، ويمدون اولئك الاعوان، ومع ذلك فقد كانت كفتهم
هي الراجحة، وكفة خصومهم السكنا الصغار، هي المرحوحة الى ان
دخلت امركة الحرب نجيلها ورحلها، بحجاب الحصون، فأثقلت السكة
وبدأت الوضع من حال الى حال ولم تحص امركة عمار هذه الحرب الربون
لمجرد ان ينعم الخلفاء بالظفر وليتشوا رحيق الانتصار، وانما دخلها الرئيس
وبلس وفي قلبه عواطف نفيس مرؤة وكرم، وفي رأسه آراء تشع حقاً
وصواباً دخلها وهو بلوح لا بناء وطبه والعم اجمع بمقاطع الاربع عشرة
نك النقاط التي لو نفذت او نفذ جانب منها لطب الامانية زرفل محل السعادة
اجيالاً وتقلب في احضان النعم اماًداً. دخلها بروحية فيلسوف عطوف،
وعقليه عالم جمع. واستاد جامعة، ولم يدرا به بعد ان تنطق حدود الحرب،
وبرامل شيوع السياسة، وبقتعد كرسية من زعماء الامم والقادة، ان
روحية الفيلسوف العطوفة تتحدان، وعقليه العالم القادة يضحك منها

(١) المقصود الحرب الكورية سنة ١٩٥٠ حيث ان هذا الكتاب كتبه والحرب في

اوج سموات

ويستخر بها ؟ له الله من رجل ما اروع فثله وما الفجع هزيمته ؟ . ليت افلاطون
ينفض التراب من على رأسه ويستوى قائماً من بين صحور رمله ليرى تعيبيه
كيف تذوب نظريته في ضرورة اسناد حكم اشعوب اليه لعلاسفة فيها ، في
مثل زميله الرائع ، وكيف يتمثل له خطاؤه في جمهوريته الخالدة في هزيمة
صنوه الكريم... وخيبة افلاطون في رفيقه بعد ان مرت على بشرية عمور تقارب
الثلاثة والعشرين عدأ ليست هيئة لينة ، وانما هي خيبة معجبة نكي لها الحق وهو جعت
عليها المرؤة وذهلت منها الانسانية ، خيبة نبئت على اليأس من اصباح
النفس للانسانية وتدهم الى القنوط من تقويم مآذنها واذا كانت هذه
العمور العديدة المردحة بالاحداث قد عجزت عن تغيير هذه النفس ، ليت شعري
ثم في وأي عصر آخر يتحقق حلم هذا الفيلسوف اللامع الذي نبت الى الوجود
قبل هذه العمور ، وهو لم يزل في عقله وفي روحه ، في اشراق تفكيره وفي
فيض وحدانيه كأن عصره الخالق ان يعيش فيه مارال بمبدأ ؟ ..

احل ! لقد مثل ولبس الحكيم وانهرم . وكان مقدرا له هذا المثل
وهذه الهزيمة ، لانه قدم اوربة واخذ مكانه في مجلس الاربعة ولبس في يديه
سوى قلعه الكبير ، وليس له مصدر يستمد الهامة منه غير روحه السامية
بما زملأوه الآخرون اعتمدوا على عقولهم المشعة بالمادة ، وهو سهم المترعة
بالفرور ، ولم تسكن لهم عواطف تصقل من عقولهم ، ولا لهم ارواح
ترهف من حسهم ونقصهم من شوكة عروورهم ، فاعتصموا بالباطل وهم كثار
ولاد هو بالحق ، وهو فرد فقلت لكثرة القلة وارفق الباطل الحق
وصرع الظلم المدل وانعكست الآية ، والله اذا اراد شيئاً هيا اسبابه .
ولو ان اميركة بقيت مكشوفة في رفعتها ولم تغير المحيط برجالها وعتادها ،
ولم يفسد الشعب الالما في الجوع ، ونفسه في وجهه طرق الحياة لما طار لقوش ذكر
ولما ذكره ذاكر ، وانه لمن سحر يات القدر ان يتدحر لودندروف وهندبرج
جوما امام قوش الشعان ولو ان موتيسيكبو كان من الاحياء في يوم الهدنة

اسجل سخرية القدر هذه بحجاب تلك التي دحرت هانibal العظيم امام سيون
 الروماني . على انه لو كان زملاء ويلس ينصفون انفسهم والتاريخ لا عزموا
 بحميلة عليهم ، وانهم لولاه لرفعوا الراية البيضاء علامة التسليم الكامل .
 ولكن اني لهم الانصاف وقد حيت انوفهم ، واشفقت اوداحهم عجباً
 وزهوا ؟ وكيف يقولون بقوله ويرثأوت رأيه ويعطون الامم المستضعفة
 حقوقها وانهم لم يسمروا الحرب إلا طمعاً في هذه الحقوق وإلا رغبة في استنزاف
 خبرات هذه الشعوب وثرواتها . فعيناً حاول الرئيس امالتهم لحساب الحق
 والزامهم طريق العنواب ، فاعخذت ارادته امام ارادتهم ، وانفلتت روحه
 لمقوله فكان مثله مثل السكريات البيضاء امام السكريات الحمراء في الانسان
 فانها انما تستطيع ان تهتلع من الحمراء قدر ما معيناً فاذا كثرت هذه وازدحمت
 في الجسد والدمهت في هجومها العنيف فلا تلت هذه البيضاء النافعة ان تفقد
 قوتها وتتلأش امامها ويتلاشيها تكون نهاية الانسان قد آدت وبومه قد
 انتهى . وكما ان فشله وهريمته كانتا مقدرتين في اورية ، فان مصيره الاليم
 في وطنه كان نترقه ايضاً . لان الشعب الاميري وان هو كافع في جباب
 الخلفاء ، وارق من دماء بديه كثيراً ، وانفق في سبيل التسليح والتكوين مالا
 يحصى من المال فهو شعب يقدس الحرية قبل كل شيء ، وانه ما عامر هذه
 المفامرة الا في سبيلها ، ولما كان حصاد هذا السكرم الانساني طهر هشياً ولما
 تحقق الخيبة وواجه الحقائق المرة ، بدأ ويلس ونذ معه موافيقه ومعاهداته
 ومات ويلس وفي عينه دمه وفي قلبه نوعة . وما عتمت الانسانية الا ووجدت
 نفسها تستمر في حميم حرب هائلة ثانية ولما التثتم جروح الحرب
 الماضية بعد .

عوامل الخيبة !

نرى ما هذه العوامل التي أدت بالرئيس الى الفشل والهزيمة وبالتالي ان
تفهمى الانسان الى هذا المصير الممزن ؟
انها عوامل كثيرة ، واسباب عديدة . ولما الان في سبيل وضع تاريخ
هذه الحقبة من الزمن ، لتوغل في بحث الوقائع التاريخية ولنعم في تحليلها
والمحاولة لاثبات قسما من هذه الوقائع ما يكفي لتصوير التردى
الروحي الذي رافق هذه الحصار المادية ، والصف الممسي الذي مارالت
الانسانية تدفع ثمنه غالبا ، والانحلال الوجداني الذي دفع بزعماء الدول
الى ان يكثروا في اخطائهم . ويعملوا مجددين في خالق المشاكل ونهضة
اسباب الحروب والدمار لعنينا عصر العشرين ، عصر الحرية والدور كبر عموم
اولا : ان واضعي وثيقة الصلح ، كانوا قد امعنوا في القسوة ضد الامم
المغلوبة ، وانحنوا لاجرائها . فأنهم قطعوا حسم الامبراطورية النموية قطعا ، ونشروا
اشلاءها هنا وهناك ، غير معتمدين قاعدة معقولة ، ولا مستندين الى اسباب
يدعمها المنطق ، ونبروها طبيعة الوضع ، وتركوا تلك الامبراطورية الصالحة
ممثلة بـ (فينة) وما يصاقها من مقاطعات ، قليل خيرها . ازرسكانها ،
ضاحل موردها ، موصدة ابواب تجارتها ، حكوا عليها بالفقر والجوع .
وان اقسى سياسة تقس ازاء الامم . تتضاءل بجانها فسوة الامم الفائرة ،
والفاتحين السفاحين ، حين كانوا يستسيقون المجارر البشرية ، ويشرعون الرق
والعبودية ، هي سياسة التقدير والتجوير . ذلك لان الفاتح الشديد النمط كان
اما انه يفترع ارواح المغلوبين فيهم واما ان يسترقهم فيقطعهم ويكسيهم ويتكفل
بساير احتياجاتهم اما سياسة التقدير والتجوير التي اتبعت في بقعة النمسا فقد كانت

تؤدي بهذا العشب البهيل العريق الى الموت واسكن بعد ان بذوق من العذاب
الوانا ومن الالام اشكالا حكم عالم واحد في ابته منتحراً بالجوع ، وكم جنة
عثر عليها و كان سبب حتمها المسغبة ، وكم ام قصت على نفسها وعلى اولادها
اضيق ذات اليد ؟ لم يكن في وسع الخلفاء ان يحولوا دون مصير هذا الشعب
الايام ، لان الوضع الذي كانت قد زج فيه كان يحتم هذا المصير فتعير
الحكومات ، وتنازع القروض ، وتوالي المعونات ، كل ذلك كان عثا في
عث . و كان شأنه شأن من يستتبت الارض الساخ ويستولد العقيم
واما المانيا فقد امن الخلفاء في جرح كبرياتها ، ونفسوا في اهانتها
من جهة ، ومن جهة اخرى فقد وزعوا من اراضيها ، ما يكفي لاثارة لديها
واهاحتهم لقد عطلوا مرافق الحياة فيها ، واحاطوا بصناعتها ونحارتها
سياج سميت . حددوا جيشها ، وفرضوا عليها مراقبة صارمة ، اسقروا
ثروتها ، وقصروا على اقتصادياتها ، استصفوا مستعمراتها واشعلوا اراضيها
وبقاعها النقية كدأمين ، واكتموا بضع ، سلخوا عن جسمها دنانير و اخضعوها
اممية الامم ، وخرفوا بروسية الشرقية ، الالمانية الصميمة و شطروها
شطرين وملكوا ما يدها الى الدولة البولونية ، الى بعثت من حديد ، لفسام
في حاكية البلطيق . وبعد ان بكلوا بالشعب الالمانى القدير بصاعته ، القوي
بروحه ، العظيم بقايلته العسكرية ، الكثير بسكانه ، تركوه موحد الاحراء
متناسك الاطراف . فما هذا النقص ؟ لقد كان معقولا بعد ان اهدى هذا الشعب
العظيم هذه الالهة ، وبعد ان عبث بممتلكاته وثروته وصناعاته هذا العهد
المريع ، ان يجهروا عليه اجهارا كما اجهروا على الامبراطورية النموية من
قبل ، وتركوها في وضع لا نستطيع فيه حرا كاولا تقدر معه على الهوض ،
ليسلموا من خطره وليأمنوا انبعاث الحياة فيه من جديد ويكونوا بذلك قد
عدوا السياسة الماكيافيلية على وجهها الصحيح وخصمك ان اردت
مناجزته اما ان تضربه الضربة القاصمة واما ان تحفض له جناحتك وتعامله

بالحسنى ذلك ادعى للسلامة ، واقرب الى الصواب اما انك توجهه في الايذاء
وتترك له محل الاستعانة ليسدد بين اصره بعد الاطاعة فانه الخطن
بعينه ، والخرق نافع اشكاله ، است من يؤيدون سياسة الماكيا فيلية ،
ولا معنى بزعمون منزعها وانما اثر السياسة العكسية ما كان اليها من سبيل
والسكى في هذه الملاحظات يريد ان اصور الخط الفاضح الذي وقع فيه
مؤتمروا فرسان ، وواضعوا ميثاق صلحه ، واقول اما انهم كانوا يحمرون
على المانيا الممورة احمر الاحمر لا يقوم لها من بعده قائمة ، ولما كان عليهم ان يعاملوها
بالحسنى اما انهم قد احتساروا الشق الاول فقد كان ابقاؤهم على وحدتها خطأ
فاصحا يكمن فيه شرر الحرب ، وتعتزم فيه بدر لشر ، لأنه كان من المنتظر ان
يستطيع من هذا الشعب الذي تجمعت فيه كل مزايا العظمة والتعوق العقلي
وعناصر الحياة من تأثير الضربة التي اصابعه وبطلب حقه في الحياة من جديد
وخطاؤهم في الانقاء على الوحدة الالمانية كخطائهم في توزيع انشلا الامبراطورية
النسوية وتركهم النسبة مكشاة في رقعة صغيرة يفتك فيها الجوع والعرى
ويقتاتها اقر ويتورعها الدل واهوان ، وهي متصلة الحدود ببلاد الريخ ،
وتربط الطرفين وشائج القرين ، ونصبتها صلة الرحم وبوحدها الشعور بما
نزل بها من المصائب والنوائب .

ثانيا : وانهم اخطأوا في تكوينهم الدول الجديدة التي بعثوا فيها الحياة
وفي نصعيم الدول الصغرى على حساب الدول المغلوبة . حيث لم يعينوا خطة
مثلى يصيرون نموهم ، ولم يسهحو في ذلك طريقا مهيما . لتأخذ بعو سلافة
مثلا وهي دولة كات صغيرة وصحما المؤتمرون على حساب الامبراطورية
النسوية المقهورة فانه علاوة لسكراتيين بالصريين ، وماعلاوة الاسلام
وهددم كثير بالانين ، وكيف يكون لسكراتيون والاسلام وهم السكثرة
خاصة بالصريين وهم امة . وكيف يستطيع هذه السكثرة تغت هذه امة
وتجبرها وتعطرسها ؟ ولنصرب مثلا بالدولة الجيكوسلوفاكية ، وهي دولة

هفت فيها الحياة حديثا ، ما هي الاسس التي استند اليها المؤتمرون في جمع هذا
 الخليط من الناس وحشرهم في صعيد واحد تحت عنوان «الدولة الجيكونسلوفاكية» ؟
 فالسوديت وهم يراوحدون بين الثلاثة والاربعة ملايين هم المانيون
 والسلوفاكيون وهم اكثر من الالمان ، هم انفسهم يقولون بانهم لا يتصلون
 بسبب الجيكيين وآخرون لا هم المانيون ولا هم سلوفاكيون ولا هم جيكيون
 رجوا من هذا الخليط العجيب وان هؤلاء من غير الجيكيين هم اللذين يؤلفون الاكثريّة
 الساحقة ، والجيكيون هم اللذين يكونون الاقلية ، ومع ذلك اقصعت الاكثريّة
 الساحقة الى الاقلية وسن لهم نظام للحكم عجيب . والدولة البولونية ، المولود
 الجديد ، الذي اولده المؤتمرون لتكون حائرا بقي اورية من شرور
 الباشعوية انما جمعت اشتاتها من عناصر روسية والمانيّة ويهودية وبولونية ومع ذلك
 «قد شقوا الوطن الالماني ، لتتمتع هذه الدولة الناشئة بميثاق على الملطيق ونسلك
 الى ذلك ممراً كان منذ ان اشيء بديرا بالحرب ، وشيخراً بالدمار والعذاب الاليم
 وعلى هذا لقياس تستطيع ان تقس الدول الاخرى . فلم يراعوا في هذا
 ان تكون او هذا التصحيح سيلا يصب ان يسلكه السالكون فلام انتموا
 الحدود الجغرافية ، ولا هم استقوا سنة العصرية ، ولا هم ركسوا الى التاريخ
 وما تركت احداثه في الشعوب من آثار ، ولا هم اهتموا بالمصالح المشتركة
 والمدافع المتقابلة انما ساروا على اشواك الخقد والبعضاء وادعال الانتقام
 يدهمهم في هذا الطريق ، عرور فاضح ، وانانية عمياء ، وطمع اهوج .
 ثالثاً انهم حبطوا في تقريرهم النظام الذي اطلقوا عليه نظام عصبة
 الامم . رعموا انهم بهذا النظام سوف يثتتون دعائم السلم في جميع انحاء العالم
 ويركزون في عرصاته راجات السعادة الشاملة ، خفاقة جميل حقا ان يعتقد
 العقل الاساني عن هذا المشروع الصحيم ، واجل منه ان تشهد الاسانية
 تنعبد مثل هذا المشروع ورجال سياسة وجهانذة حقوق الدول ، من
 قديم الازمان الى يومنا هذا ، يتجادلون ويتناقشون ، يتمفون تارة ويحتلفون

اخرى في الحقوق الدولية ، او القانون الدولي بتعبير اصح ، هل انه موجود
 او انه حديث خرافة والمنكرون يحتاجون بعدم وجود سلطة عليا تنفيذية
 لقواعد هذا القانون واؤيدون برهون على ان الرأي العام الدولي هو السلطة
 العليا ذات الحول والطول وبما هذا القانون بين النفي والاثبات ، وبين
 العمورة والحقيقة تمتنع الاذهان عن خلق هيئة حقيقية يودع اليها امر الفصل
 في قراعد القانون والحكم ، أحكامه ، واجهاد مكر قانوني تشرأب اليه الاعناق
 وترنو اليه الانصار وتهوا اليه الاسماع . انه حدث خطير النفع على
 الانسانية شديد الاثر في تسييرها في الطريق الاحب والسبيل القويم . ولكن
 هل كانت عصبة الامم حقاً من هذا النوع الذي كانت تصبو اليه النفوس
 الحساسة ولعقول السليمة ، والوجدان الذي يفيض بالعواطف الثريمة ؟
 ان العصبة التي املت على الجانب المقهور شروط الصلح ، والتي سطر ميثاق
 مراسيل وحبرت قرارات من ريمر وخلفت الدول وقضت على امراطوريات ،
 اقول ان هذه العصبة لبس في مقدورها ان تكون هيئة قانونية ومفرع
 الحضارة الانسانية واداة سم وطمأنينة لهذا العالم المضطرب ، المتأرجح ، ذلك
 لان عناصر الشر وبدور الفساد كانت مبهمة في كل مادة ، من مواد ميثاق
 الصلح ، وكامنة في كل عبارة من عبارات مقررات الاتفاقيات . والسلام العالمي
 لا نرتكز دعائمه ونقوم اركانه على الماء الرجراج ، او الرياح السافية انما
 ترتكز فوق ارض صلبة الطمر ونقوم على اساس رصحت حجارتها رصحا متقماً .
 وكيف نرجو سلاما عاما ، واستقراراً شاملاً وقليل من الشعوب
 يستأثر بالسلطان ويحتكر الثروة واكثر لشعوب مستديم لهذا السلطان ،
 ومستجدله ، يتخلى عن ثروته مكرها ، ويتجرد عن حرياته مقهوراً ؟ قل
 التفكير في انشاء مثل هذه المؤسسة القادرية كان يحس التفكير في الانساب
 والوسائل المؤدية الى ازالة الحس المشهود في اتوارن امالي ومن صحتها
 ان يسطر مثلاً شعب لا تتحاور نفوسه الارمين مليوناً على بلاد لا تعيب

عن اطرافها الخمس ، ويتحكم في نفوس تقارب الخمسمائة مليون ، او ان
يشدد الخناق على شعب يريد سكاكه ضعف الشعب الاول ، وهو اذا لم يكن
معوقا عليه في المرافاة لا يقف فيها عنه ، ويحرم من مستعمراته . ومن
موارده ، ومن اتججه وصناعته ؟ . وادراكات الرعية التي دفعت بالمؤتمرين
الى ايجاد هذه المؤسسة احقاق الحق ، واقامة منار العدل ، فما هذا الحق الذي
يدعونه في الشعوب المستضعفة واثرار امولها وهدر حرياتهم ، وحرمانها
التمتع بالحقوق التي منحها اطيبة اياها ووافرتها لها الشرايع ؟ فالصعاب التي كانت
تقوم في سبيل هذه المؤسسة منذ يوم نشأتها كانت كهيبة ان تورد موارده
التلف ، ان تؤدي بها الى المصير الذي آلت اليه بعد تجربة قاسية . والافواه
لا تدعي الصروح المردة والابرار لشاهدة ، وانما الاعمال . اني هي نتاج
النية الحسنة ، هي القديرة على هذا الاشياء . ونقد كان مقدرا ان تنو الاسايه
بحيية العمل وحرارة اليأس والقنوط من هذه المؤسسة . ومع ان النية التي
تمحصر عنها هذا المشروع لم تكن حاصلة . ان الاسس التي قام عليها نظام
المصبة الانموية كان واحيا لا يقوى على اوقوف امام الرياح حتى اذا كانت
رياح ، فان النواقص في تشكيلاتها كانت واضحة ، والنقائص في تصرفاتها
كانت لا تحتمل القاش ، واجدل وذلك - أ - . فيما كان اعرض من اشائها
القضاء على المازعات الدولية بأمر طريق ، واسهل الوسائل ، واحقاق الحق
واخذ القوي بحق الضعيف ، واعانة الضعيف على حقه وارشاد الامم الفتية
والاخذ بيدها للوصول الى المكاه اي نستحقها . وقد وجدناها وسيلة من وسائل
القهر والاعتداء ، وسها من الاسباب التي يتعاقبها الاقوياء بالاحمار على حياء
الضعفاء ان امثلة على ذلك كثيرة من الامرات في الحق ان نور . مثلا او
مئتين او عشرات منها لأن كل قراراتها فيما يتعلق بالشعوب الضعيفة تقريرا
تصلح لأن تكون امثلة لتأييد هذا الادعاء

والاعتداء من خلق فكرته ، ومن اوجد نظامه ؟ وما هي هذه الفكرة وما

هو هذا النظام ؟ يعزو المستر تشرشل في كتابه « الحرب الكبرى » فكرة الاندفاع الى الجبال سمطس رئيس حكومة اتحاد جنوبي افريقيا في هذه الايام (١) وسواء خلق هذه الفكرة الجبال سمطس ام الحكومة البريطانية ، فان الامكار كانوا قد حققوا هذه الفكرة من قبل ومارسوها بالفعل فقد وضعت معاهدة باريس عام ١٨١٥ الجزر ليونانية التي اعترفت بها الدول الموقعة عليها وهي بريطانيا وروسيا واوستريا وروسيا ، كدولة حرة مستقلة تحت حكم مندوب سام بريطاني . ومنذ عام ١٨٨٢ كانت بريطانيا تهيمن على مصر بصفتها منتدبة لصيانة منافع الاوربيين فيها ولم تمنح الحماية عليها بصورة رسمية إلا في غصون الحرب الكبرى الاولى . على ان الفكرة عمليتها لا تعدو الفكرة الاستعمارية المقتنعة والنظام بمجموعه لا يمتدئ نظام المستعمرات المروق قالوا ان هذا النظام لا يبيح للسلطة المنتدبة ان تعمل ما تشاء في البلد المنتدب عليه مع ان المستعمر له هذه السلطة على البلاد المستعمرة ، والمنتدب ليس ذا سيادة على البلاد المنتدب عليها والمستعمر له حق السيادة على مستعمرته ، والمنتدب لا يحق له ان يستغل البلاد المنتدب عليها لمصلحته مع ان المستعمر له ذلك في مستعمرته ولما كان المستعمر له حق التملك والسيادة في مستعمرته وله حق التصرف فيها لمصلحته فان سلطاته فيها دائمة ولكن المنتدب بما انه ليس له كل ذلك فان سلطاته على البلاد المنتدب عليها مؤقتة . هذه مروق فقهية اشاعها واضعوا ميثاق عصبة الامم ، المنتصرون لتبرير استيلائهم على اراض جديدة . انها نوع من عمليات مديونية القرن العشرين وإلا فاية نعمة اصابت انشاء البلاد المنتدب عليها ؟ وكيف نصيهم نعمة ومساوي . هذه الفكرة والنظام تهدم السيادة الوطنية للبلاد المنتدب عليها من درجة (ث) و (ج) تلك البلاد التي تدار بصورة مباشرة من قبل المنتدب

(١) الان ميرشل سمطس وقد سميت حكومة اتحاد جنوبي افريقيا في البداية دوق

سنة ازمة الحكم الدكتور ميرون .

ولمادة غير معلومة ؟ ولناخذ مثلاً البلاد المنتدب عليها من الدرجة الاولى اي درجة (أ) والتي صادق ممثلو الدول المنتصرة باستقلالها مديياً فما هو حظها من السيادة القومية ؟ أين نجد السيادة لقومية ؟ في حكومتها المحلية وهي خاضعة لارادة المنتدب أم في الدولة المنتدبة وهي لم يعترف لها بها بموجب احكام الميثاق الصريحة أم في مجلس العصبة أم في المجلس الاعلى أم في لجنة الانتدابات وهذه المؤسسات جميعها لا يجوز ان تمك مثل هذا الحق لان حق السيادة انما يمتد من ارادة شعب البلد المنتدب عليه ، ومعلوم ان السيادة هي واحدة غير قابلة للتجزئة كما انها غير قابلة للتنازل عنها ، او نقلها وهذا مبدأ دستوري لا يقبل المناقشة فكيف يجوز لنا ان نعتبر مثل هذا النظام مشروعاً ؟ وكذلك اشترطت المادة ٢٢ من الميثاق الرجوع الى ارادة شعب البلد المنتدب عليه في اختيار السلطة المنتدبة فأي بلد اهدب عليه واستؤنس برأيه وارادته في هذه السلطة الحساسة والجوهرية ؟ وأين هم ممثلو العصبة في البلاد المنتدب عليها ليشرفوا على معاملة السلطة المنتدبة لانياء البلد المنتدب عليه ، ويبدوها بالمعلومات التي من شأنها الكشف عن مدى تحقيق السلطة المنتدبة للاهداف والمبادئ التي وردت في امانة المد كورة من الميثاق ؟ وابن هي لجان التحقيق ، وهيأت التدقيق في الاحداث الجسام التي حدثت في البلاد المنتدب عليها ، والتي هزت اناؤها العالم هراً () واية قرارات توصلت اليها لجنة الانتدابات او المجلس الاعلى او مجلس العصبة من شأنها ان تدرأ الظلم والعدوان ؟ (٢)

وهذه الاقطار العربية التي وضعت رعم ارادة اهلها ، تحت مظلة الانتداب هذه الاقطار التي سبق لها ان حاربت في صفوف الخلفاء المنتصرين ، ضد دولة

(١) راجع الكتاب السادس من كتاب (روح السياسات العالمية) مؤلفه العلامة وليم ارست هو كيم استاد العسمة في جامعة دارود سنة ١٩٣٢ .

(٢) لقد اطلقت البحث في موضوع الانتدابات عند بحثي نتائج الثورة العربية .

البحر .

كانت تتصل بها لأسباب الدين ، والمقاومة ولتأريخ الطويل المشترك ، هذه
 الاقطار التي خرجت على ذواتها تنوع ثقة منها بأنها سوف تنال حريتها
 واستقلالها على أيدي الحلفاء ، واعتماداً على اليهود الخطية المفطوعة والوعود
 الرسمية المطبوعة لله ماجاء على السنة سياسة الحلفاء المسؤولين وقادتها المتفنين
 من بيانات وخطب واحاديث ، مدد ، فادت من عدل عصبة الأمم حينما
 اعرفها الدول المتقدمة عليها والتي كانت حليفة معها في الحرب بالدماء وانحسرتها
 باجراح ، هل رجعت شكواها في اقية العصبة ، وتردد صداها في انبائها ؟
 ان هذه الاقطار الدامية الجريحة ، لم تترك وسيلة إلا وأخذتها لاسماع اصواتها
 الى من في العصبة ، ولا طريقة الا سلكتها لتظهر حدة المصاع وحريتها
 المعصومة . ولكن اي للعصبة ان تسمح رفرة المظلوم وانه الجريح الشهيد
 وهي لم تفسأ الانتشية مصالح الدول الكبرى التي اشأتها ، ولم تخلق الا لثمة
 طريق المسوت والاستعداد المقيم للصعفاء ؟ وانه لما يدعو للهرؤ والسحرية
 مافرره هذا النظام "عريب من الشروط التي يجب استيعاها من قبل من يقدم
 شكواه للعصبة من الشعوب المنتدب عليها فلاجل ان تنظر لجنة الانتداب
 في الشكوى ، على المشتكي ان يقدم شكواه اليها عن طريق المشكوى عنه اي
 الدولة المتقدمة فالمسروق منه يجب ان يقدم شكواه ضد السارق ، بواسطة
 السارق ، والمتهمكة حرمة ملكه ان يقدم شكواه عن طريق المتهمك ، والمجروح
 عليه ان يلتصق بجرحه ليوصل ادعاه الى اذن الحاكم فاداً لم يكن
 الامر كذلك فلاحق يحكم به ، ولا مراعاة تجري ، ولا فرار يصدر . ما اضحك
 هذه القواعد الخادمة لاحقاق الحق وتحرير العدل ! فهذه لطريقة هي
 التي اختارنها لعصبة في اصناف المظلومين واعانة المستغنيين ! ..
 ب - ومن علامات ضعفها الاوليه ان نظامها لم يحتم على الدول المستقلة
 الانحراط في سلكها فقد جعل الانشاء اليها اختياريا وهذا ما ادى بالولايات
 المتحدة الى ان تنقص يديها من العصبة ، والدول المعصومة التي اصحابها الخيف

ولحقها الحسرة ان بقيت كذلك خارج العصبة حقبة طويلة من الزمن فكان
العصبة انشأت للعلماء الطافرين ، بل لفريق من هؤلاء العلماء ، لان اميركا
وهي الجزء المهم من هذا الكل فقد رفض شعبها الاشتراك في هذه المهرلة
السياسية الكبرى وبقي في نحوه من شرورها وآثامها والعالم المتمدين او
بالاصح المجموعة الدولية امست فريقين . فريقا من العصبة ، وفريقا لا ينحور
عليه اوامر العصبة واعظمتها فائدة قيمة بقيت لهذه المؤسسة التي كانت
الغرض منها ان تصبح قوة تمثل الرأي العام الدولي - ح - ولما كان الانهاء
اليها اختباريا فقد اتضح هذا المبدأ ان الانفصال عنها متوقف على ارادة الدولة
المنتحبة اليها وهي متى ما رأت ان مصلحتها تقضي عليها بالانفصال انفصلت
ولما وجدت ان اطاعتها لم تتحقق او وجدت ان العصبة تقف في سبيل هذه
المطامع تحجت عنها مولية الادبار من دون ان تحشى شيئا . وعلى هذا الاساس
انفصلت اليابان عنها لتحقيق مطالبها في منشورية والصين ، وايطاليا في الحبشة
والالمان لاعادة عظمة المانية ورد احزائها المقتطعة منها اليها . - د - ان
المقومات التي تعرضها عصبة الامم نداء بالمقومات الاقتصادية . ولئن كانت
الاقتصادات ذات تأثير فعال في حياة الامم في الوقت الحاضر ولستكنها
لا تكون خيفة وحاشية ما لم تشفع قورا بالمقومات العسكرية . وقد وجدنا
ايطاليا لا تحمل كثيرا بالمقومات التي فرضتها العصبة عليها في حادث الحبشة
ولما رادتها اصرارا على ارادتها وامعانا في سيرها ومضاء في عريبتها ولما
راد في ضعف هذه الآلة السياسية التي اعدت لتأمين لسلام اعم ، ان الدول
الخارجية على مقرراتها ، تبقى صلاتها الدبلوماسية وتعاونها السياسي مع الدول
التي بقيت منخرطة في سلك العصبة والادعى من ذلك ان هذه الدول بعد ما تنكس ما
كانت تسمى اليه ، وتحصل على ما كانت تطمع فيه تعود هذه الدول الماقيه
على ولائها للعصبة فتعترف بالوضع الراهن ، والامر الواقع كما حدث مع ايطاليا
بعد ان استولت على الحبشة واليابان بعد ان اكتسحت منشوريا والالمان

- د - ان اعادت الى حظيرتها الرين والسار حتى ان مؤتمر مونيخ اقر الوضع
 المعلوم في جيوكو-لوتا كيا - و - ث - د كان ميسورا للاسانية ان تفتتح بهذه
 المؤسسة ان - أ - الطافرين عاملوا الدول المقهورة معاملة تطوي على السجاء والية
 الحسنة واعادوا المطر في اصول الاستعمار وتركوا حانافكرة التوسع على حساب
 الشعوب المستضعفة - ب - ولو فرض الاتية الى العصبة فرضا على الدول
 المستقلة كافة الطافرة والمطلوبة والمحايدة - ج - ولومع الانفصال عن العصبة واعبر
 ذلك تمردا يهدد السلام العالمي ، الامر الذي يستوجب الاجراءات العسكرية
 لغورية ان عظمة ابراهام لمكولن لم تتحل بروحه المعطورة على حب الخير
 للاسانية وندفاعه عن الرق البشري بقدر ما تجلت في صرامة عريته على
 حرب الجمهوريات التي قررت الانفصال عن الاتحاد حيث اعبر هذا الانفصال
 خروجا يستلزم الاجراءات العسكرية الغورية ، وان من انضم للاتحاد
 بمحض ارادته فليس في امكانه ان يتفصل عنه مختارا بعد ان امتزج
 الجمره بالكل ، وهذه الحركة اجبارية استطاع ان يحفظ للاتحاد قوته
 وسلاحه وان يصونه من عوامل التفكك والانحلال . ولا يرد في هذا المجال
 ان الشبه معدوم بين الاتحاد الاميركي ، والعصبة ان الشبه موجود وكامل
 اذا كان يراد ضبط لسم اعالمي ضبطا دقيقا عن طريق وجود هيئة قانونية
 كبرى تتركز فيها الساطة العليا التي تمثل هذا الرأي العام - د - ولو ان
 المقومات العسكرية تعقد فورا بعد اليأس من صلاح الحالة التي اقدمت عليها
 الدولة الخارجة على نظام العصبة وتقطع العلاقات الدبلوماسية معها
 ويحرم التعاون معها .

رابعا يجوز ان يكون سك مواد الصلح ، واحدا من تلك القرارات
 ضد الدول المغاوية ، وقتل الحبال المتينة لحق الشعوب التي كانت قد اناخت
 بأحيادها صوب العدل الديمقراطي فادابها تطوق بتلك الحبال المقتولة المعدة

لها في طي الحقاء ، اقول يحور ان يتم كل ذلك في وقت يسير ، بقوة السيف
 والدفع ، وتحت سلطان الطغيان والجبروت ولكن المحافظة على
 الاوضاع المقررة ، واحترام ارادة امال من المظلومين ، وصيانة الغنائم
 المهرزة والاسلاب المنتهبة كل هذه امور تقتضي السهر الدائم ، واليقظة
 المستمرة ، والعمل متواصل . فالامم المونورة لن تفعل عن القرص تستعملها ،
 والمسباب تفتنرها لتعوق مساهمها ونسدد الرمية ، وتحجر على الخصم
 سيما اذا كان في جملة هذه الامم ، امة وآتتها اسباب الحياة ، ونوافرت لديها
 السحائب والمرايا ، التي تكمل لها الابحاث من جديد . وان الطاهر الذي كال
 لصحابه انواع الاذى ، وصوف العذاب ثم استرسل في لذائذه واستقام للرسم
 ونمادى في رهوه وكبرياته ، وطن انه انحر كل شيء ، وقضى على كل خطر
 ولم يبق له غير الراحة بعد العناء ، واللذة بعد الشقاء فانه كمن مكن لمرض
 الرهري في جسده واهمل معالجته ، فتطول جراثيم المرض فتفك فتكها الدربح
 وتمت عبثها المربح ، حتى يتشقق جسده وتعمد القروح ، ولما يتراى له
 انصير المحزون ، يبادر الى المعالجة ، بعد ان ضاعت عليه الفرصة ، وتأخر به زمن
 الخلاص وكذلك كان فرسان فرسايل وابطال سن ريموثا جف مداد
 صكوك العبودية التي برعوا في تعبيرها واحادوا تسطيرها الا ووجدتهم
 يعصاولون فيما بينهم ، ويقنأسون في النعوذ على اوربة ومن ورائها الامم التي
 استعبدتها اوربة ، يمدم القروور بشيطانه ، وينعدم السطر بأعوانه . فلم تعد
 الارض تحتل فرسة الطامرة التي رأت من حقها ان تحتكر السيادة على
 اوربة فامعت في النشاط واسرفت في الحركة ولم تفكر في انكثرة ، هذه
 الدولة التي قتلت نابليون بصيرها ، وعمرت باميركة بمكرها ، وانزلت عليوم
 من محاء عليها براءة تدبيرها ، وهدوه اعصابها ، ولم تقدر ما لهذه الامبراطورية
 الصخمة من مصالح شديدة الاثر في حياتها وكيانها في القارة التي تطمح ان
 تفرض سيادتها عليها وان تحتكرها احتكاراً وكيف نصير هذه الامبراطورية

ان ترى اصحاب فرنسا تمتد بقوة الى مواطن حساسة وهي لم تصكتف بالعبث
 الخفيف بل تريد ان تحتكر العت لنفسها بأوسع آفاقه وابعد آماده وما تمودت
 بريطانيا ان ترى منافسا لها فتعبر عليه ، ومزاحما لها فتعاديه وفي اللحظة
 التي انصافت فيها دراسة سوقا الى غابجها هذه بدأ صراع بريطانيا الخفي ، ونضالها
 المستتر اتحد من غرور حليمتها ولتحصن من شوكة خيلائها . وكان طبعها
 لها ان تنهون في مراقبة عدوة فرنسا اللدودة وان تغص الطرف عن كثير
 من علائم نشاطها وبوادر حيويتها بل انها رعت الحركة الوطنية التي قادها
 هتلر واعوانه وشجعت على نموها وعملت في سبيل اردهارها . ولم يلبث النضال
 الخفي ، ان ارتدى رداء العلانية وكلا راد احدهما ضعفت قوة الحليفتين ،
 وارتداد الحصم قوة . وقد طهر النضال جليا واضحا عندما احتاجت ايطاليا
 الحبشة ووقفت فرنسا موقفها المعلوم ، ووقفت ، بريطانيا موقفها المعروف .
 وقد حق لايطاليا ان اعلنت في مناسبات عدة غضبها على ما اصنامها من حيف
 وخذلان حينما اقتدم الظاهرون المائم وكأت هي من جملة الظاهرين . وما
 راد في ضعف الحلفاء المتناكرين ، والمعقبين المتناحرين ، التناقص البحري بين اليابان
 من جهة وبريطانية واميركة من جهة أخرى . وهذه الدول المتناكرة المناصرة ،
 هي التي أملت شروط الصلح ، وهي التي ابرمت القرارات الخطيرة في سان ريمو ،
 وهي التي قضت على امبراطوريات ، وبعثت للوجود امم افريقية ، ودولا ناشئة
 ويقول وجيز هي الدول الطائرة التي عشت بالدول المغلوبة ذلك العت المقيت .
 فكيف تطلب من المانية ان تقبض في رفعتها وتسلم حدود النطاق الحدودي
 الذي ضربه عليها الظاهرون ؟ ولم تعق هذه الدول من سكرتها ، وتصحوا
 من سباتها إلا بعد ان اندرهم المانية الجديدة برد الحق المعسوب والكرامة
 المسلوكة والحربة المتقوصة والله در الشاعر العربي حيث قال :
 ومن رعى غساق ارض مسممة ونام عنها نولي رعيها الا سدد

حامسا : و ارادت بريطانية رعيمة الدول المتحالفة ان تلهي العالم عن
 هذا المصال المستتر معها وبين حليفتها ، بمكرة درع السلاح وهي في حد
 ذاتها فكرة جميلة ، وفاتنة في جماها ولكن المكرة تكون مجرد قول اذا لم تقترن
 بالعمل والعمل اذا لم يكن وليد ليه بالحسنة والسريرة الصافية ، فانه لا خير
 فيه بل قد يكون ضرره كبيرا وشره مستظيما والذي يتفق دمه عن هذه
 الفكرة الحميلة الخلائفة ، ويتدع خياله مثل هذا المشروع الانساني الرائع ، اما
 هو ذاك الذي طبع على المعدل ، وقطر على حب الانصاف واختاكت في
 نفسه المروءة ونض فيه عرق السباحة والكرم . والذي ان قال صدق ، وان
 وعد وفي وان اغضب حم ، وان قدر عف . اما الذي جبل على المكر
 والخداع ، وتماككه الهوى واردهاه الغرور ، وان قال مان وان وعد اخاف ،
 وان اغضب قد حث عيناه بالشر ، وان طهر بطش وانتقم وسى وطلم فليس
 محريا له بما طوره بمظهر الحمل الوديع ، و لاسك المتبتل ، والناس لهم عقول
 تدرك ، وعيون تنصق وقلوب تشعر ولش تفاوضت الائم ولشعوب بشن
 هذه المكرة ، وتناحلت امر هذه الرعة الانسانية في العلن والشيطانية في
 الدطن فان نهاية هذه المفاوضات والمناحلت كانت معلومة مدان بعثت
 الفكرة الى الوجود ودررت لرعة الى العالم لان بريطانيا كانت تطمع في ان
 يكون لها من سمة التسليح نصيب الاسد فاذا لم يكن هذا النصيب لها وحدها
 فلا أقل ان يكون لها ولحلفائها الظافرين وبدلت في هذا السنين جهودا جبارة
 ولكنما لما صدمها المثل السوفياتي في عصمة الائم بالحقيقة المرة ، وطلب ان
 يكون تعيذ هذه الفكرة تنفيذا حقيقيا لا صورة وخيالا بحيث يبع الاعتداء
 ويؤمن الشعوب المستضعفة على حياتها وكيانها ، حلت بريطانيا ومن
 ورائها حليفتها ، واختفت هذه الفكرة من عالم الوجود بأسرع من ملح الصبر ،
 ذلك لان النية كانت غير حاضرة والوحدان الذي كان قد اوحى بها لم يكن
 نقيبا طاهرا

والوأميس والتشريعات التي تشرع لا يكتب لها البقاء، ولا تنعم بالحياة إلا إذا كانت ملائمة لطبيعة الأشياء التي وضعت لها. وإن فكرة نزع السلاح تفيد الحيلولة دون الاعتداءات التي تقع من الأمم بعضها على بعض أو تعبير أصبح التي تقع من الأمم القوية ضد الأمم الضعيفة فإذا كان هذا الاعتداء واقعاً بالفعل، ولم تكن هناك ثم بواذر تشير إلى انصراف النية عن الحد من هذا الاعتداء أو الكف عنه فكيف يكتب لهذه الفكرة النجاح والفوز؟ إن الأمم التي جرححت في كبرياتها، وميت ما دح النكبات في فروعاتها وأراضيتها، وتجرات اجراء وتقصمت اقماما كيف يتصور العقل السليم انها سوف تأتم الصمت الى ابد الابد. وانها لم تتأثر لنفسها في أول سائحة تسنح، وفي أول مناسبة تقع؟ ثم كيف يمكن تنفيذ هذه الفكرة من قبل الحلفاء أنفسهم وهم بطمحون الى ان يبقوا الوضع الذي قرروه في موثيقهم ومعاهداتهم، ومقرراتهم مصوناً من العت، بعيداً عن عوامل الفساد؟ من كيف يمكن الأخذ بهذه الفكرة وهم أنفسهم يسيطرون على رفاع كثيرة من الارض، وأمم عديدة يستنفون دماءها، ويخطفون خيراتها، ويستذلونها ويستخذونها وهذه الشعوب، والأمم، متدمرة متبرمة، تبحن العرص، وتنامس مواطن الضعف، وترقب الاحوال والظروف لتقضي على من حرمها الحياة، وسامها الدل، ولاجل ضبط هذه الأمم المستعدة وتلك التي استعدت أو أهيت بعد الحرب لكبرى، نفتقر الأمم الطاغية والمسيطر، الى قوة من السلاح والعتاد لا تحبب ولا تقدر بقدر وهذه حالة تحالف على خط مستقيم ما يرى اليه فكرة نزع السلاح؟ انما هذه الفكرة يحوز تحقيقها اذا شمن الامم العدل ولا نصاف وتحكمت في مصائرهما المرؤة والسباحة او على الاقل اذا انجهدت النية الى هذا الانجاء. وفي خلاف ذلك يكون مثل الذي نزع الى تحقيق هذه الفكرة، كمثل الذي يلقي نفسه بين السباع المفترسة والصواري الكامرة وهو خال من وسائل الدفاع واسباب النجاة، هذا اذا كان جاداً في

رأيه ، غير مخائل في طمعه وإلا فاما ان يحمل محاولته الى العت و الهجون ، او الى العلمية واضاعة الوقت - والحق : فان هذه الهمود التي بدلت في سبيل هذه الفكرة قد انتمت الى ما تستحق من الهمود والركود لان العالم المحدثين قد اعتقد اعتقاداً راسخاً ان الهممة التي نشأت عنها هذه الفكرة كانت ترمى الى التسلية واضاعة الوقت واشغال الاراء والافكار ، اكثر مما كانت ترمى الى خير الاساية وتحقيق سعادة حقه يستطل العالم طلالها الوارف . ولكن الله العادل المنتقم قد انتصف المظلومين من الظالمين والمغلوبين من الغالبين . فبينا كان الامل ان تلهي هذه الفكرة الامم المظلومة على امرها عن نفسها فاذا هي بالعكس من ذلك تلهي الامم الغالبة واما الامم المظلومة فلم تعرها آذانا صاعية بل انها ظلت دائمة في تنمية اسباب قوتها ، وتهيئة وسائل كفاحها القادم لما حل الاجل الموعد إلا ووجد الخلقاء انفسهم امام ، اكين ثائره ورياح عاتية . وكذلك كانت المحاولات التي بذلت في سبيل هذه الفكرة سبها في اضعاف الخلقاء . بحاف الى اسباب الضعف الاخرى التي سبق بيانها .

سادسا . ان الاغراق في العيم ، والامعان في النزاه والاخذ بأسباب القرب باندفاع جنوني وحماسة ملتمة كل هذه عوامل فعالة في انحلال اخلاق الامم ، واضعاف وجدانها وايها ن روحها ، سيما اذا صاحبها طمر لامع اهاب بالطافرين الى ان يشمحو بانوفهم ويشموا سرورهم ورهوهم ، ولم تكن في الامم قوة روحية كامنة تحد من هذا الرهو وذلك السرور . والاعراض الاجتماعية ، وآثارها والامراض النفسية او قل الخلقية ونتاجها هي واحدة في الامم ، تستوى فيها القديمة والحديثة ، وتقاسوى المدبرة منها والمقلدة . وارتقاء الحضارة ، ونمو ج المدينة ليسا كافيين لدفع السكوارت عن الامم المريضة في اخلاقها ، وللوقوف في وجه الامراض الاجتماعية ، اذا تأصلت جذورها ، وثبتت اصولها ، ذلك لان نشاط الامم وحيويتها مرتبطان بروحيتها واخلاقها اكثر من ارتباطها بحضارتها ومدبرتها . او قل بعلمها وصناعاتها

ولست أقصد بقولي هذا إلى الاستهانة بمكانة العلوم واصناعة ولا تأثير
الحصارة والمدنية في حياة الأمم . فالأمة العاضلة (واعيها ذات الاخلاق
العاضلة) والعائلة خير من الأمة العاضلة لحسب ، هذا امر مفروغ منه ولكن
الأمة العاضلة قد تستبدى حيويتها امام الأمة العائمة المتفسخة الاخلاق . وقد
نصمد في وجهها صمودا يعجزها عن الطمر بها اما هذه الأمة المتفسخة
الاخلاق فقد تطنى شعلة حياتها لاقل عارض ، ولأول صدمة وان كانت
في الثقافة مبرزة .

ليس من شك في ان اليونانيين في عهد ارسطاطاليس ، وديموستينس
كانوا ارقى فكرا وانصح مدينة مما كان عليه أجدادهم ايام ليكورغوس
وسولون ، ولكن شرائع ليكورغوس الرياضية ، وسولون المدنية العادلة
كانت قد حلفت منهم قوما اقوياء الاجسام ، اقوياء الاخلاق اقوياء الروح
فكانت بهذه حياتهم الحافظة بالانتصارات ، الملاهي بالمعاصر ولكن لما بدت
اعراض المرض ، ثم تأصلت فيهم لم يستطع ارسطو ، ولا ديموستينس ولا
حصارتها ان تحول دون المصير الاليم . وكذلك عظمة الرومانيين فقد
كانت تسير إلى نهايتها ايام كانت المدينة الرومانية تسمو إلى اسمى درجات الكمال
ومن يسكر ا ل روما الشرقية كانت في عهد جوستينيان مثلا اعرض مادة ،
وانصح عقلا واسمى ثقافة مما كانت عليه روما الام ايام رومولوس ، ونوما -
ومانيولوس بنها الاخيرة كانت قد سارت في طريق الحياة ايام هؤلاء ، والاولى
كانت تسير في طريق الموت ، ايام هذا الامبراطور الذي وحد الشرائع ورتب
الموسوعات الفقهية المعتمدة وما كانت مدينة العرب حينما اندفعوا ذلك الاندفاع
الامجز ؟ ولكنهم اضاعوا حرياتهم ، وتخلوا عن سيادتهم ايام كانوا من
حصارتهم في الدروة ، ومن تصوجهم العقلي في العاية !! .

وهذه دراسة اليوم التي استسلمت ولم يمر على الضحائها بالقوات الالمانية
اكثر من اسبوعين كاملين فهل يستطيع ان يضر مدبيتها فاض ، ويطن في

ثقافتها طاعن ؟. وان يمكن ما هي اسباب اندحارها ثم استقلالها ؟
انها الاخلاق ١١.

لقد كان رجال الحكم يسمون امور الدولة ، وقلوبهم موزعة بين
رشف نفور اخطيات والعشيقات وبين حملات اللهو والرقص ، وعقولهم
منصرفه الى اكتناز المال ، والحصول عليه من اي سبيل ، كان ، فهي كل لحظة
قصيعة وفي كل يوم مأساة ، وارباب الصناعة ورجال العمل لا يفكرون الا في
انفسهم ومتهمهم ورجال الجيش متهاونون والعمال ضيعون اوقاتهم في الاضراب
وفي التدمير ، ويحلقون الف سبب وسبب ليضعوا العراقيل في سبيل انتاج ما
تحتاجه قواتهم المسلحة ، وامنهم من المواد المطاوعة كل هذه وغيرها من
الحالات الموحمة كانت تعتور حياة الامة لان العوس كان قد انطرها الترف
والهاها النعيم واساها واجمها الثراء ، وحسب لها الحياة غارقة في لذائدها
واحفلها من الموت في سبيل المجد ، التفسخ الاخلاقي المريع الذي منبت به ولم
يكن بيتان ممرقا حين نهى على فرسة المدحرة انفاسها في اللذائذ ووسيانها
الواحب ، وتهاونها في المقومات الروحية وتلسمها السبل التي هدت الى الفوضى
في الاخلاق ولن بريطانيا وان طلت محتفظة من اخلاقها وتقاليدها
بندبيب وافر ولسكنها ايضا اصبحت برجة عظيمة من الناحية الروحية فقلما
تجد بين رجالها من يماثل مشاهيرها في القرن التاسع عشر فالستر اسكوت
لن يكن وليام بيت ولويد جورج لن يكن غلادستون ولا بلدوين
كاللورد سايسبوري حتى ولا تشرشل وهو اصلب رجل عرفه هذا العصر في
بريطانية كدراثيلي . ان انتصار الحرب الماضية قد اسكر الخلقاء جميعهم
وان تعاونت القابليات بحمل هذا السكر بالنفس لبعضهم البعض ، فالروح
القوية التي كانت تعتز بها بريطانيا قبل هذا القرن لم تحافظ عليها بعد ظهرها
للأمع في الحرب السكونية الماضية والانتصارات بقدر ما تفيد المنتصرين
فانها تمرس في تربتهم بذور الضعف والانحلال وقد يتأخر عو هذه البذور

او تقدم بالنسبة الى المواجه الكامنة في عناصر المتصربين وكل امة دافقت حلالة
الاقتضار غادت وفوت ولو بعد حين سرارته ، ذلك كان شأن الامم الخوالي وهذا هو
شأن الامم الحاضرة وكذلك سوف يكون شأنها في المستقبل ان لم تنقد الروح من
ماديتها ، وتخلص من ادراج الانانية وشوائب الطمع وبوارع الغرور فتوسعها
ادن ان يقول ان افوضى الاخلاقية كانت من الاسباب المباشرة لاستعمار بارهذه
الحرب الماحقة نتيجة الانتصار اولا وثانيا لانها قدمت للشعوب الطافرة عن
اتخاذ اسباب الوقاية .

سابعاً . ومن قبل ان رحل الدولة في بريطانيا اليوم لا بسامون
رحالها في الحرب المتصرم فلا عني بذلك اهم اقل علما واصحل ثقافة من
سابقهم فقد يكونون اكثر علماً ، واوسع ثقافة ، واعلم تفكيراً مهم
- والمفروض فيهم ان يكونوا كذلك نظراً للتقدم العلمي ، ونيسر اسباب
تلقى العلوم والفنون اكثر من ذي قبل - واسكنهم على كل حال ان
يكونوا مثابهم في متانة الاخلاق ، وقوة الارادة ، ورعاية الصدر ، وفرنسة
وان كانت اعرق اعداداً في الازمات واقدم عهداً في الفوضى الاخلاقية
واسكنها في هذا العصر قد نب ما كانت عليه دراسة في القرن الماضي ،
ورحلتها اليوم قد كسوا الرهف في هذه الميادين وفاروا على آمالهم
فوراً مبيناً ومهمل في دراسة القرن التاسع عشر ، فانها كانت قد
انعت نيرس وممتا ودل كاسية وكلمصو وهؤلاء وغيرهم من معاصريهم
وان مارسوا شؤون فرنسا وهي مدحرة وداقوا آلام هزيمتها الفجيعة
في واقع سيدان ، فاهم بدوا جهوداً مجودة في سبيل انقاذ وطنهم من قرارة
الدل التي صدر اليها ، ولم يذكروا يفكرون حين يراولون واجباتهم . على
الاقن ، في حليلات وعشيق او شر كونين في مهام الدولة ومشاكلها كما فعل
ريو ودبلاديه واصراهما من رحان هذا العهد . ومن هذه النقطة
ستطيع ان يدرك سر الاحداث التي انحنا اليها في سبى والاختطاف الاخرى

الاشد خطورة والاعمد اثره من هانك التي ارتكبتها فرسة
وريفاتها بعد ان تعدتهم المانيا لمقهورة المستقلة في الحرب الماضية ، يشد
اررها كل من اليان وايطاليا الدولتين الصحمتين لان المثل الروحية
والقواعد الاخلاقية والشعور بالهاء في دينا الواجب ، والتصحية في سبيل
المعتمد لم يكن معينا بها بقدر عدية المسؤولين بالذائد الجسدية ، والاطماع
المادية . اجل ! لقد كان في وسع الخلفاء لو احسوا الصرف واحكموا
التبذير - ان يقدوا البشرية عما تعاني اليوم من ارراء مريحة واسقام مصيبة
وخطوب هوادح - وان اصبح في مقدور مادية ان تقف على قدميها وان
نقص عنها العمار السميكة الذي ادرته عليها رياح مراسيل . وان كان الى لهم
ذلك والانحلال كان ممعا في الروح والفساد متعللا في الاخلاق
والهاء متمكنا في الضائر والوجدانات ؟

اهم اسرفوا بوضع ايطاليا في الخبهة بعد ان حردوا عرتها واثاروا
حبيطتها ، وانهم اتقوا صلاتهم الدبلوماسية مع اليان بعد حادثة مدشورة
واجتياح السبي ، ومع المانيا بعد ان استررت بقونها الراين والساار ، وقد استمرت
هذه املاط مع هذه الدول المتحجرة حتى بعد خذلها عصبة الامم وخروجها
من حظيرتها . ولما حسم هتلر قضية السوديت في مؤتمر موننيخ ، تجاهل الخلفاء
صلة روسية بهذا الموضوع فأصدفوا بذلك الى عدة المناوئين رقما آخر هو
اخطار الارقم . وكان من مصلحة المحور هذا التجاهل بضعف الجبهة المخاصمة
والتي لم يكن في وجه من الوجوه في مصلحة الخلفاء . ولم تقف المانيا
الماشطة عند حد استصفاء السوديت واستخلاصهم وانما مرقت الجمهورية
الجيوكوسلوفاكية ولقمت على انقاضها حكومات من العناصر التي كانت
تشتم عليها تلك الجمهورية الكسيحة ، بعد ان مانت شطر النمسا فانقدتها من
نؤسها وصممتها الى اوطان الامم وكان الشوق الى هذا الضم متبادلا وكان امنية
وطنية اكمل من الدولة انصامة والدولة المضنومة . ولقد كان المفروض

ان هذه الاحداث الجسام اتى حدث واقى من شأنها ان تهدد كبار الخلفاء ،
ان تعيدهم الى الصواب وترجع اليهم الرشدة فيتخذوا من الاسباب ما يراون
به السكينة الى تدنيط العالم لمتدبرين . والى حكمهم يدب ان يفوموا بذلك اخذوا
يحبطون خطط عشواء ، ويعطون في ليل حالت الأهول ، كان الانتصارات
السياسية التي كسبتها المازية قد ارتكبتهم واطشت منهم الاحلام هم يعودوا
بمقهورين ، ما هم صانعون . انهم نعمدوا بسلامة ولوبية وبعد ان سجدوا عليهم
هذا العهد اخذوا في معارضة روسية ، فكان موقفهم في هذا التفاوض عريضا
عجيبا فاضوا بمقابلة انهم اصحاب المنة عليهم . ارادوا منها كل شيء . واسكنهم
لم مطوها شيئا طلبوا ان تكون معهم ، وان تتحمل اوزارهم وآثامهم وان
تصنع مستقلم في كف القدر ، وشددوا عليها ان تسرع الى اعادة بولوبية ،
والى كن على شرط ان لا تدخل اراضيها ولا ان تمر جيوشها فوق ترستها .

اسروا الى بولوبية ان تعارض وأبدوا هم وحاجة هذه المعارضة
بما معنى هذه الخطط اوبيا . كات المندس اس نفق حياها . واليوم متردد بين
بين الافداء والاحكام . اعاد لاتف وروسية - اذ لم ي على حين غرة
مهر كيان الخلفاء هرا عتيفا . بل هذه هدا ، وباء مثوهم في ، ماوضة ، يتلمصون
ممرارة الحية وبرتمصون . تار امشل . وبعد ان تطورت الحالة الى هذا
الوضع الدقيق بالفسة للخلفاء . كان الواجب بفضي عليهم ان يصححوا بولوبية
في لقسا هل مع المانية سيما ان الاخيرة كات تصع في ذلك الوقت بين سدى
تمنى الدولة البولوبية حولاهم - شيء . كثير من لذل واستحاء غير انهم
لذل ان يصححوا في القسا هل اشروا بالقشدد و ترام حاب لتصا
وقد حدث لشراة ، وانقلب القبلة وروى صوت المندوع وتحصنت
الانسانية بالدماء !

فالخلفاء تعمدوا بسلامة بولوبية من ان يتفقوا مع روسية . وعلى اي شيء .
كأوا بتمددون ؟ كيف تمكنهم ان يتصلوا بولوبية اذا اسعد ختمهم

واستنجدت بهم وهي محاطة اما بروسية واما بالمالية وحليقات المالية (أولم
يكن لويد جورج مصيبا شهكته الادع . دما ته اساحرة حينما صرح في وجه
جامرلين قائلا . كان عليّ قبل ان يعطي هذا العهد لولوبية ان قس الاطس
(مجموعة الخرائط الذي يهتبه طلاب المدارس وفي حق لولون حكومة
جامرلين نظرت في لاطلس لما اهدمت على هذا الامر ومن ان تحقق الاتفاق
مع روسية اما وقد انقطع الامن من هذا الاتفاق فقد كان لراما على لولوبية
ان ترضي بالامر الواقع فتسألهن . لأن في نشدها تكمن شرارة الحرب . وهو
ان التساهل كان واقعا لما وقعت الحرب . او كان الاتفاق بين الخلفاء
وروسية حاصلا لما وقعت الحرب ولتجنب لبشرية لولون ولشور

ومن سوء حظ الخلفاء . وكذا طاعهم اهم كانوا ضعفاء في القوة
وضعفاء في الوحدة . وخصوصهم على دقيق من ذلك فقد كانوا اقوياء في لاندس .
اقوياء في السلاح والعتاد لاهم كانوا بقطر ولأن عار الاستسلام والخصوع
كان يقصص معاصيهم . ويحرق في نفوسهم ومن كانت هذه حاله كره نظري
حده لولون . وكانوا اقوياء في الوحدة لأن المدارس مع . . . ولأن المم الذي
تتحكم فيه لولوبية الماسي . . . لا عن عرره بروسية . شرفيه حيث يشطره
شطرين ويفرق ما بينهما . نعم . ان اعتصم بها كان ويد نصب لقوه على الحق
ولكن بما ان القوة قد عادت الى الحق . والحق ان يسترد عرته وكرامته
فان لم يكن هذا الاسترداد يقع بالمفاوضة ووقع بعد الالسة وشما المرهه .
ولقد كان هتار في كتابه الذي كان قد انقذه الى ددييه في ارجاء لاطلس
. . . هوي المبدع رائع لرهان . لقد يسمح لي ان افرأ كثير آمن او تائق السياسية .
ولمذكرات الدبلوماسية وكان في كثير منها بين ساحر . . . وللاعه فائنة
ومناطق دفاق عير ابي ام أر وثيقة سياسية تهيج سحرا
حقا وصوابا كهده لولوبية تاريخية
الى هذا الاعجاب الذي لا يجد محرو . . . ولا ينتهي الى هية راسه من المشي

بحميا النار، او انصل قصها او ستمع الى دعائهم - احتى اكون ماخوذا
بمفاتيح هذا السحر الخلال، وممهورا بوزر هذا الخلال اذن ولما اذا اثرت
في عبارات هذا الكتاب هذا التفسير العميق الكونها اعرب عن لوعة دى
حق عظيم، وحرية سليمة وردت اذات وطن جراً أنه القوة، وحطمة الظهيمان،
ام لان فيها دمعه الضعيف ابدى استقوى، والجربيع الذي التأممت جراحه
لحاء يندر واقفل بشار، وسواء لدي اكاك الاوى ام لثاجة هي التي استعرت
حواسب نفسي وقد رحت نفسي ووطي راسه وطي دوى صلبة تطلق هذه
اعارات والعابيه اتى رمت اليها لذلك حقق لها فلي، وهذه لها ستمي،
وربى صوبها بصري واحتواها وحداني، كما يحتوي وحدان عاشق كرى
ممشوقه وتمثلها صميري كما تمثل صمير المقيم صورة محبوه !

والعمري ! لا ارى ما هي حجة بولونية في حقها بشرطها بروسية
الامانية شطرين ونفودها من بسما الى للطن فمن انها لا حق ان يصل الى
البحر ترى من حقها اعتصاب اراضي الغير ؟

ان هذا المطلق، ترجمه بريطانيا . فهي قد استولت على كثير بقاع
المعمورة بحجة انها واقعة على طريق الهند . فقد اشبت اقطارها في مصر
وسويسا واستندت بالسلاسل العربية وتحكمت باب مسدها
كل ذلك لانها واقعة على طريق الهند واهتم ما هو حق بريطانيا
فيها ؟ الهند هذه التي هي سبب كل هذه لكرارث والمحن على هذه
الاقطار المسيجة الارحاء لوسيعه الاقفاق الهند سوداء وهي بيضاء والهند
اما بودة او مسلمة وهي مسيحية، الهند اسبوية وهي اوروية فما هو نوع
الحق الذي تدعيه في الهند غير القوة ؟ وهل القوة تنتج حقاً وتمنح
عن عدل ؟ فلنسم بحقها هذا لانها قوة واسكن كيف تسلم المانية القوة
المسككة المتفقه المدرية بحق بولونية في هذه الارض الامانية وترسخ لصفطها
وبولونية لا تعد شيئاً مذكوراً اذ ازلت واباه في ميدان واحد بولونية هي

موقعا كانت كوقوف الباعى الاثيم يمس فقط بالطار الى هواء العدل ،
 ومبادئ الحق ولا تصاف بن بالفساد الى اقواء الطاقة التي يتمسك بها
 لا قويا صد لصعفاء بصا ، وبارعم من مينا وعدواها وان هتلم يكن
 مانع فى استفادتها من الممر وادى نتيج ها ان تستعيد منه بقدر ما تحتمه
 الضرورة ونقتصيه منعتهم لا اقل ولا اكثر ولكم صحت اذنيها واحصت
 عيبيها فكيف بعد كل ذلك لا تقع اواقعة ولا تنشب الحرب ؟
 ومما يحزن اجمع احرة ، ويسمى القلوب الكبيرة ان تفرق البشرية فى
 الدماء لا سبب كان فى مقدور اهل البشرى ان يتغلب عليها واحرب فى حدودها
 تدبر الدمار والحرب ، ولعقول السليمة تتهيأ وتتخاطها اذا كانت دوافعها
 مشروعة ، وعاباتها شرمة فكيف بها اذا كانت دوافعها الزرق والطيش ،
 واعرور وعاباتها اطم والاستيلاء على الغير ؟ شكت الدول الصربية الالمان
 واستمرت العصف كرارا ، وستمطرت الرحمة مرارا ولكن نفوس الفالين
 كانت هوء ، وفلوهم كانت احب من احجارها ، ولما اطمان الى ان لا حق مع
 صمغ ، ولا عدل مع خور . ادججت . الاخ ، وتدرعت بالقوة واتهمت
 لكهاج ورحمت من قوتهم حفا ، من سلاحها عدلا . فخطت الدول لقاصدة
 بالقول الكريم ، ويطبق قوتهم وسط اسهم ، الحق والانصاف فم بعد فوها
 فم بعد مبعدهم شدة . هذا ينظر من مظلوم نر هرب له سبب اقوة ،
 وضعيف يستوثق من الاصر ، ولاحت فى طوفه تباشر الحياة اهل بقعد
 ملوما مدحورا او يرحى الحيوش . بدفع وسائل التدمير والهلاك ليقد نفسه
 ويدرا الاخطار عن كيانه ا

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا
 فما حيلة المصطر الا ركوبها

الحق والعدل !

يقول الخلق ان المايبة كانت معترمة الحرب ، ومهما اعطيت فلا يجمع هذا العطاء الكارثة ، ولا يرجعها عما اعترمت . وقد يكون هذا القول مقبولا ، لو انهم اعطوا المايبة ما كان حقها لها ، فادما استنفدت حقها ، وحصلت عليه كاملا ثم طمعت في اكثر منه وطمعت الى ما وراء حدوده ، فعدت يحوضون معها عمار الحرب . أما وانهم اعلوها الحرب ، وهي ما زالت تطلب حقها ، وتلتبس رد ما اقتطع من وطنها اليه ، فليس في وسع من له دره من الاصاب ، وفيه مسكة من العقل ، ان يقل بهذا الادعاء ، وان يستسبح هذا الهراء ان سبب احتياح الحدود البولوية ، هو انتهاء التسليم بحق المايبة في الدار ربع والمر ، فهل هذان حرم من الوطن لبون في طرادت المايبة اعتصامه منها بالقوة أم ماذا ؟ وهل تريد الديمقراطية ان تصنع قواعد جديدة للحق ، وتعريف طريقة للعدل فتعبر من طاب بحر مقتصب من وطنه حارحا على الحق ، ومن التمس إعادة الحق الى نصابه مداونا لمبادئ العدل ؟ وعاد ذلك هناك نصيب المستعمرات التي سلبت من المايبة وهي ضعيفة مدحورة ، فهل نرى الديمقراطية من حقها ان تمرد بها وان تحرم منها المايبة ذات لموس الكثيرة المحصورة في رقعة صيفة من الارض ؟ لماذا يحرم على المايبة ما يحل للديمقراطيات ، وتتمتع من مستعمرات قليلة بينها هذه الديمقراطية جهات ما يقارب ثلاثة ارباع المعمورة مستعمرات لها ؟ اي لا تؤيد حق امة في استعمارها أمة أخرى ولا أقر بهذا المبدأ ولا تؤمن بمصقه وانما أقول اذا انحلت

الديعقراطيات الاستعير ور أنه حقاً وصواباً ، فلماذا يحرم البر القليل على غيره ، ونحن لها حتى الكثير منه ؟ أي حق وعدل هذين ؟
 الحق والعدل آه ! من هاتين الكلمتين استخرجتني بهشتين ، الحببتين
 المهيبتين ، المهمتين الواضحتين ، المظلمتين مشرقين ، لقوبتين لصعيفتين
 ما أكثر صحاياهما وصرعاهما ، وما أفنت سهامهما وانفردا في لقائن ؟ فك
 حر صمته بين صعودها المقابر ، وكم عام عام حثوته ظلمات السجود ،
 وعظيم قاصص اشتعلت عليه اصدق المعاني ؟ كم نوح هسوى وعرش تزلزل
 وكم أمة عفت آثارها ، وندرت معالمها وأخرى تختصم تنظر يومها ، وترقب
 ساعتها ، بقطع أناسها أبي موحج ، وبذب وحدانها حردوين ؟ وكم وطن
 محروب ، انتم بك حرمانه وبلوث عرصه ، واعتصب خيراتنه وتحكمت
 الزوات في مقدراته ورب بالانسانيه او ح نوارل ، نسيم هذين الكلمتين
 العذبتين المرتين ؟

ابتها الكلمتان المجلتان المحبهتان ، احمر انفوس ، الكريمة عن
 استكناه كسبك وسر عورك و انفود الى سر كيا ؟ انك في رفقتك نعا كيان
 وجبا سماويا يهبط على قلب شاعر وفي بصارتك تافسان روضا اربها اصاها
 سحبت ماظر ، واسكنك مع ذلك ره من سكون اللين المدهم واصحب من
 امواج لبحر الخضم واوحش من الدلاة ، واشد رعد من احواف الكهوف ،
 ترى ماذا افادت الانسانية من عث العقل تعاني هاتين الكلمتين
 ونفسيرهما في مختلف التفاسير عبر الدماء و هري واخوع ، والولاء
 والخرال والتموع ؟

امدل هو قصيلة للنفس يختار بها صاحبها الانصاف من نفسه على نفسه
 اولاً ، ثم الانصاف والانصاف من غيره . واحق عبارة عن فائدة مدبه او ادبية
 يحافض عليها لقانون واسطه منح صاحبها قوة يعمل بها الاعمال اللارمه للتمتع
 بهذه الفائدة ، اذا ما قاله امن لهم بصددتها وما احتاروه لها من معان .

والعدل والحق لا يختلف معها ، ولا يقابله تفسيرها بالنفس الفرد او بالفئة
 للفرد والجماعة (الدولة) او بالنظر للجهات (الدول) بعضها البعض . فالحق
 المعروفة يحب احترامها ، والواحد المعروضة من اللام تأديتها . ولو كانت
 النفوس خالصة مما يشوبها من شوائب آثارها ملموسة ومعالمها محسوسة . لسارت
 الانسانية على صوة هذه المعاني او اصحة والتعاريف البينة ، هادئة مطمئنة ،
 واسكنها اهنات وتركت شخصيات الانسانية وما رالت تحصد مرارة الترك
 وعلقم الاهال . ولا اريد ان اعمس في القشاوم واسرف في انكار وجود العدل
 والحق ، فتأربح الانسانية بضم بين ذهنيه مثالية وصور رائدة للعدل والحق
 معنييهما الاصيلين ولكن هذه المثل الحية والصور الرائعة والسما . ما تكاد
 تستقر في الدهن حتى يترايل اثرها وتآدد محسنها ، ويحتوي ضوءها اللامع
 ظلام دامس ، كشمس اشعة الشمس عند الغروب ، امرعتها جحافل الليل
 الزاحمة عليها فودعت عالمها ، الصاكن تاركة وراءها في الافق للحظات
 معدودة ، لونا ورديا هور من شبقها واثرا انعاسها . او كشمس رؤى لطيفة
 واحلام جميلة ما تكاد النفس تتفتح اليها وتأس بها حتى تعاجأ بالمقطة
 القاتلة فتهاوي ألما وتصطرب أسفا فتعوى هاتمة في آفاتها القائمة سابعة في
 اجوائها المعتمة

ان نجد هذه المثل الحية والصور الرائعة ؟ في قرار الانبياء في ارسال
 حكيم الانسانية سفراط الى القمر ولم يكن له من دب سوى حبه لهم ،
 ومحاولته هدايتهم سواء السبيل ، ام في عقاب الفرطاحيين لعظيمهم هابيل
 ونفيه من ارض الوطن وهو الذي كان قد دب عن حياصهم ، وانهم لولاه
 لما خلد التاريخ لهم ذكراً ولا اشادهم بمقبة ؟ اين نلسمها . في امر الطاغية
 (دهنس) طاغية سيراكورة ، حين دفع برأس سيد من سادة قومه الى الجلاء
 لانه رأى في الحلم انه قاتل له وقص رؤياه مارحاً لاصه . قاله مفسر الطاغية هذه

الرؤيا تتعمده لقلبه ، لأن الحسد إنما يكشف فيه ما كان يفتويه الحالم في
 اليقظة ؟ أم في اعدام احد قياصرة روما من اختصم مع فرد من افراد حاشيته
 فاعتبر ذلك تحسورا على حقوق العرش ، أم في عث (بيرون) في قيثارته على
 اصواه روما وهي تحترق ؟ ابن يتحسس أي تعذيب « غالبلة » لانه قال بفكرة ،
 أم في حرق (جان دارك) لأم انقذت وطنها أم في مجرة (بارثولماوس)
 نعم ا ابن بعدها ؟ أي طغيان شارل الاون أم في اعمال « كرومويل » بعد
 ان اهوى برأس شارل التعس واستبد بشعب قدس الحرية تقديسا ، أم في
 المظالم التي حادت على ايدي لويس الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر
 وبلاهم أم في الدماء التي ارتفها مارا وروسير ودانقون وسارجوست بعد
 ان اقاموا جمهورية حراء ، على نقض الملكية العريقة أم في صرع « قيصر
 روسية » ورجاله أم في صحايا العمد البلشي ؟ ان نفس الانسان لتذهب شعاعا
 وقلبه ليتصدع الماء ، اذا اراد ان يستنطق التاريخ ويستجكي المآسي المروعة ،
 والجماليات المعجبة التي ارتكبت باسم العدل ، واسم الحق ، تارة بحجة صيانة
 اخلاق الشعب واخرى لانه ذ الملكة وطورا للدفاع عن الكنيسة وآخر
 لحماية طبقات الشعب من تحكم لنسلا ودوي الامميار وهيكذا بعد العقول
 البشرية نسعي لتعمس من هاتين الكلمتين لسيطقتين ، سلاحا ذا حدين ماضيين
 يستعمل للحرب وللشرف وان كان يصيب الشر منه اوهر ، وحظه فيه اكثر
 وما را ان هذا السلاح يستعمل من قبل الامم التي ترعم التمددين والحصارة حتى
 اختلط الحق بالظن وامترح الرشيد بالضي والجد بالعت فكل فريق يدعي
 ان الحق في جانبه ، وانه انما يقوم بما تعرضه عليه العدالة ويعجبون بالالفاظ
 ويسعون عايتها من المعاني ما يحلو لهم ، ويروق فاذا حادتهم بالحسنى ، وسعيت
 ان يصلوا بايام ، الى الحق المحض ، والعدل المطلق لخطوك شررا ، ونقصوا
 اورارهم اليك فخلوها عليك ورراً . فان كنت ضعيفا سحقوقك ، وان كنت

قويا ناهضونك حتى نوي. الى عيهم ونحصر لارادتهم وإلا فما هذا العث المريع
 في مصائر الأمم ، وحريات الشعوب ؟ ما هي فائدة الشعوب المستضعفة
 والاعطار المحكومة بأساليب الاستعمار المهيمنة اذا انتصرت الديمقراطية ،
 وانتحرت الدكتاتوريات والعكس ، ما دامت تدار ادارة مستبدة غائبة ،
 وتحكم بطرق كيمية مطلقة ؟ هن اذا انتصرت بريطانيا نعم الهد
 باستقلالها والبلاد العربية بحريتها وهل تطهر فلسطين بالهجرة من شرور
 اليهودية ، وسورية من العبودية الجائفة فوق صـور وفيها
 ام هل تمان مصر والسودان والجزائر ونوس ومراكش الحكم الذاتي
 وتحتفظ بحرياتها وسكنورها ام ترى نور الاحسان ، يماوح في افاقك تلك
 الافطار الواسعة في افريقيق والجزائر امة مبددة المشته في المحيطات ؟
 ماذا يصيب هذه الاموال المنكوبة بحرياتها ، وبحرياتها ، وسكراتها
 وعزتها من خير اذا انتصرت الديمقراطية او اذا انتحرت ، حتى تطلب
 ليها ان تؤيد فريقا على فريق ، وتفضل قوما على آخرين ؟ ان
 تحارب المصالح في روعها اليأس ، وصرت على فئدتها بمشاردة القوم
 فما هي الضمانات التي تطمئن اليها النفوس ، وتردها بها الآمال
 وتفتش الاماني ، في المستقبل وفي كل يوم يقوم المدليل
 ودليل ، على تهالك الأمم القوية واستئثارها في سبيل التوسع والاستعمار ،
 واثار المادة ، على مادي ، الحق والعدل والامساف ؟

هذه روسية قبل ٢٣ حزيران سنة ١٩١٦ كما ساء في عهد الدول لدكة نوربة
 الفاشية التي لا تحترم قانونا ولا تقدر مبدأ ولا تنه بحرية ولا تعف عن
 سفك الدماء ، وارتكاب المحرمات ، هذه الدولة الباطشة ، لعانية اصيحت بين
 عشية وضحاها ، في جهاد الديمقراطية المقدسة للمبادئ والحريات ، المحترمة
 للقوانين ، الضامنة بالدماء ، الرافعة راية المدن والحق ، ثم ادان في روسية من

نظام او تغير من وضع حق تنقلب فجأة من دولة شريرة الى دولة خيرة قوامه
على مبادئ الحق والحرية ؟ أليست هذه معان ، تسببها الميول والترعات على
الالفاظ وفق الظروف ، وبالفسبة للمصالح المادية ؟ وما يمنع ان تتقدم القوى
الطاهرة ، بعد ان تضع الحرب اوارها الى الشعوب المستضعفة مكثوس
متربة بالسم الذعاف ، تجرعها اياها على انها كثوس متربة بماء الورد ، او
الشهد الحلو المذاق ، وان تضفي عليها اودية الذل والعار ، وأسمال العمودية
والصغار ، واعتبارها اودية المحمد وحمل الحرية والاستقلال اذا كان لعث
عماني الالفاظ الواضحة في دلائلها ، يصل الى هذا الحد ؟

ديمقراطيتهم

وهذه الديمقراطيات او الدكتوريات ، ماذا يقصد به ، وما يهمهم من مدلول هذه الكلمات ؟ ليست هناك امة في هذا العالم ترضى ان تنفذ بالدكتاتورية ، وتحاطب بالمستبدة فكما ان الديمقراطيات تنهم دول المحور بالدكتاتورية فهذه ايضا نجسها بعين الاتهام وتورد عليها مثل اللهجة التي خوطبت واين تستقر الحقيقة وفي اي حاسب ترى الصدق ا وهل تركت الروح المادية العنيفة اثرا من احقية والصدق ، في هذا العالم الهربل المريص المتحادل ؟ ..

نحن نعلم ان النظام الديمقراطي قائم على مبدأ سيادة الامم وانه نظام يقدر الحرية بالنسبة للفرد وبالنسبة للجميع فنظام هذا مداؤه وهذه روحه لا يقر الظلم ، ولا يستصيح العدوان على مصائر الامم ، ولا يؤمن بمنطق الاستعمار ، والا يكون مداؤه وهما ، وروحه خيالا . فهل الامم التي تدعي انفسها الديمقراطية تحترم المبدأ والروح هذين في عمدها من الامم ؟ ثم أين نجد الديمقراطية ؟ في روسيا وستالين ارادته قانون وامره لس له مرد ، تصاع لاشارته روسية من ادهاها الى اقصاها وبفرق من عمرة حاجته الرؤساء والعظماء والاقوا ويتملقه حتى رئيس الدولة ، والجمهوريات الروسية ويدعوه زعيمها العظيم ا فهل الديمقراطية تستصيح ان يفرد بالحكم فرد ، ويتحكم في مصائر امة صمخه كالأمة الروسية رجل واحد ؟

ان ستالين لم يستمد هذا السلطان من الامة الروسية ولا من منصبه كرئيس وراثة واسكته يستمد من الحرب السوفيتي ، ومن منصبه فيه

كسكرتير عام وهذا الحرب هو لقاص على شؤون المملكة المترامية الأطراف
 وهو المهيم على اسباب الحياة والموت فيها وهو الفلسفة الى مجموع الامة
 افقية ، واولية صنبلة فاين نلمس الديمقراطية في هذا النظام ؟
 واميركة اين محد المبدأ الديمقراطي واهدافه من نظامها ؟ ليس
 رئيسها هو السيد المطلق في البلاد ، والعرد الذي لا تقاوم ارادته ؟ اين وزراءه
 ومن لديه وزراء ام سكرتيرون ان شاء انقاهم في خدمته وان شاء طردهم
 لا رأى لهم الا رأيه ، ولا مبدأ الا مبدأه ؟ هذا ابراهيم يسكول وهو واقف
 واعف وانه رئيس جمهور استعبدته الدنيا الجديدة . فهل يمس المنتخبون
 للتطورات السياسية فيها انه حين جمع سكرتيريه لديه مرة وشاورهم وكانوا على
 ما اتذكر سبعة فأبدوا رأيا خلافا رأيه . قل لهم ان سبعة في رأي ، واني
 في رأي فألاكثرية جانب لرأي الواحد . فامضى رأيه واهمل آراء السبعة
 الذين هو نعمه كان قد استدعاهم واحتار مشاورتهم بمحض ارادته ؟ وهذا
 رورقت أو لم يدوم « لامة الامير بكيه الى الحرب وهي مكرهة ؟ كلا ، يذكر
 ما حدث في الانتصارات وكلا « تحظر وعنده الذي اعطاه للامة الاميركية
 في تحميمها ويلات الحرب اذا ما فار في لرياسة وتحدد استغائه فهل ير
 بوعوده لامة او لو كانت لامة لامير بكية تميل الى فكرة الحرب فلماذا كاد
 بصرع في الانتصارات لو لم يدارك موقفه باعطائه هذا الوعد الصريح ،
 او ليس اضطرره هذا وحده كافي للرهنة على مقت هذه الامة لفكرة الحرب ؟
 ولكنه أية وسيلة توصل الى تحقيق هذه الفكرة ولم يستعملها رورقت ، واي
 طريق لم يسلكه ايها ؟ فاين هي المادى الديمقراطية من هذا النظام ،
 وماذا تكون روسية ديمقراطية واميركة ديمقراطية والمساوية ليس لها حق
 الدخول في ضمن هذه المجموعة وهتلر اقل منها صلاحية ، وحقوقا ؟
 والنظام لاررى نعمه لا يستسيح ما استعاضه النظام السوفيتي ، ولا النظام
 الرئيسي الذي نخضع له اميركة ؟ اي لم انفرغ لدراسة النظام النارى ، ولم

اكن في سعة من الوقت لا محص اصوله ، وادقق في فروعه وانما اثبت هذا
الرأى عنه وتبعته واقعة على عاتق السير بيمن هدرس السفير البريطاني لدى
حكومة براين ، حيث صرح في مذكراته التي نشرت بعد استعداده هذه
الحرب بسمع الحكومة البريطانية ونصرها بان النظام الناري هو من ارقى
النظم الديمقراطية ، وأما كان يسد بعض التصرفات التي يراها خاطئة الى
اشخاص معينة لا الى حقيقة النظام الناري ومبادئه ونعمل هدرس انكليزي
ممتاز في ثقافته ومكانته السياسية ويمتاز فوق ذلك باحلاقه الرصية وسلوكه
الحديد مشحونة لها هذا المقام الرفيع لشهادتها قيمة ولاقوالها خطورة
ولرأبها مكان مرموقا

اما بريطانيا فبرغم الجراح الدامية التي انحنت بها جسد العالم العربي ،
والسهم القاتلة التي ارأستها الى حربه واستقلانه ، فلا يستطيع ان انكر عليها
ديمقراطيتها في جريرتها ، حتى في ايام الحرب الملاهي بالرأيا والمخ هذه الايام
في تسوغ التصرفات الشادة والاعمال النابية عن النظم الديمقراطية لا
استطيع ان انكر ذلك لاني لست خصما للشعب البريطاني او مستمينا بمراياه
وسحاياه الميولة وان كنت خصما لسياسة حكومته في بلادي ، وعدوا
لدودا لمبادئها التي تربت فرضها على شتى قرصا ولكن من ان بريطانيا
ديمقراطية حقا في ممتلكاتها ومستعمراتها والاصقاع التي وصفها سوء خطها
ونسكد طامعها على طريق الهند ؟ ان بريطانيا في جريرتها لا تعد شيئا
مذكورا اذا ما قورب بهذه المستعمرات والممتلكات والاصداع . ان نفوس
الاحيرة تفيض على الاربعمة مليون من البشر تستحرم الحرية التي لا تزيد
نفوسها على الاربعمي كما كان الفانجون لقديما ، يستحرون العبد الارقاء ،
وتعاملهم معاملة اقن روفدا ، يعامل السيد الاسكليزي هييمته ، اذا يقبوا الدوق
ان قلت كله فاقن هي الديمقراطية . من نجدتها في الهند ، وتاريخ الهند
حافل بالأمسي الدامية ، عامر بالمدايح والمجائر البشرية ، ومن يقرأ هذا التاريخ ،

ولا الدم فله قمل عينية ، وتنفض روحه قبل ان ترتعد فرائضه وترتجف
اطرافه ؟ من الذي اطلق النار على المعصومين ، في الشوارع ، وشحنها
بالجثث ، ومن الذي امر الناس ان يزحفوا على اركب اممنا في الادلاء ،
ولم يكن لعارقون في دمائهم ، ولا هؤلاء الراحقون على ركبهم قد عصوا
قوا او انهم ارتكبوا امرا اذاء ، وانما شاءت رعية الوارع عليهم ان يكونوا
عبدة لغريم ، ودرسا لسوام ، من قام بهذه المحرمات غير رجال الحكومة
البريطانية في الهند ؟ وما هذه الارواح البريئة التي ازهقت عندما قرر المؤتمر
مؤخرا تأييد قرار الزعيم غاندي ، وما هذه المثبات من الرؤوس الهندية
المصكرة وعلى رأسهم زعيمهم ، نعصرهم المعتقلات عصرا ، وتضغط عليهم
اقبية السجون ضغطا لا رحمة فيه ؟

وما هي جرائم هذه الصحايا ، وما هي دنوب هؤلاء الصرعى . فهل
كانوا غير اصحاب حق طالوا به ، ودوي فكرة ارادوا تحمية بها ، ودوي
نفوس اضناها الجور وعيون اعشها الظلام ، فطمت في ان تلتبس هوا حرا
تلقسه ومورا تقين فيه الطريق ؟ اين نجد الديمقراطية ؟ انجدها بين امواج
الدماء العربية واثابجها في فلسطين ام بين الهامات والرؤوس
العريية التي اطاح بها لظ ؟ اين نجد الديمقراطية ؟ انجدها في موقعة
الاسكندرية في حادثة الاعرابي ام في السجون التي اكتظت ، والمنافي التي
رغرت باعاطم مصر ، وخيار حزب الوفد ام نجدها في حوادث البوير وما
سالت بسبها من دماء تحصب بها جبين العصر المشرب ، عصر الحرية والنور ؟
اربعمئة مليون رقيق او يربدون تنصرف في مقدراتهم بريطانيا الديمقراطية
ولم يحن الوقت لتعتقهم بعد ؟ ان روما عندما يكثر فيها الرقيق ، ويقيصون
عن حاجة اسائها كانت تخود عليهم بالعتق ، فتصحبهم الحرية ليندجوا في
مجموعة الاحرار ولم يكونوا يمدون بالملايين وانما بالآلاف او عشرات
الآلاف فتصيق بهم ذرعا ، فما لهذه الامة الديمقراطية لا تصيق ذرعا بهذه

المثالث من الملايين فتمنعهم الحرية ، وتفدق عليهم نعيم الاعتناق ؟ انها حرمت
 النخاسة على السود لتسترق البيض والسود والصغير وكل لون انها قصت على
 قيود الرق وادعته لتكون مطلقة الحرية في الاسترقاق . انها حطرت على
 السادة ان يؤثروا في بيوتهم ومحلاتهم ويمتلكانهم ارقاء يسقونهم ويطعمونهم ،
 ويكسبونهم وينفقون عليهم ما يسهم الاندق ، لتمتلك هي الارقاء بسقونها
 رحيقا ويطعمونها لذيذا ، ويكثرون لها الاموال ، ويدخرون لها الخيرات
 خالصا ، الاجرة صافية من النفقات ان الدين شرعوا الرق ، واحكموا نظامه
 هؤلاء ايضا كانوا قد شجعوا على تحرير الرقاب ، وحسوا الى الدار العتيق فلماذا
 تنهر بريطانيا الديمقراطية ، مما شجع اليه وحسه الى الناس اولئك القساة
 الظالمون ؟

ان فلاسفة اليهود الخالية ورفقاءهم الدين قالوا مشروعية الرق ،
 وقانونيته كانوا قد اعتبروا الرق مشروعا بحق اصرى الحرب ويطروا
 اليه كعدية عن دمائهم التي اهدرها للمعروف الدولي آنذاك وجعله نمنا لحياتهم
 التي كانت تعتبر ملكا لافـالب المنتصر ولكن العرب يا عرب ربي بريطانيا
 الديمقراطية ، كانوا معك حرا على اعدائك . وعونا لك على اخوانهم في الدين
 ثقة منهم باخية ، واملا في الاستقلال ، فكيف يجوز استرقاقهم وبأي شريعة تحمل
 لك مصادرة حريتهم واعتصاب حقهم في الاستقلال ان يقول رجال بريطانيا
 واستها اذا منحنا حق الحياة للعرب . فها هم يعيشون والعرب ايها السادة
 لا يريدون حياة هي اشد الاما من برعات الموت ، واكثر طلاما من طلام
 القبر انهم يظنون الحرية الحرية نعم الحرية فقط . ان الطير في
 الهواء والسمك في السماء ، والحيوان على الارض الفقراء ، والسمك في قعر
 الماء ، يتعشق الحرية ، ويهاها . فلما ايها السادة ، اضعف من الطير وجدانا
 ولا ابلد من الحيوان شعورا ولا اصا من السمك احساسا بل لسنا في تاريخنا
 وماضيها ، اقل من النجم لمعانا ان فأي حريقنا ؟ اين ؟

أين هي ديمقراطية بريطانية ؟ وماذا يحدي النظام الديمقراطي نفعا ،
 وماذا يهيد البشرية إذا كان يقتل جزءا أسير أمن سكان المعمورة ويترك الأجراء
 الكثرة النافية هذا لطفيان الاستعداد وغرض المساهمة العتكة ؟ على أننا نطلق
 اصطلاح الديمقراطية على نظام الحرية البريكانية على سبيل المجاز لا الحقيقة
 لأن الديمقراطية الحقيقية لا يمكن أن تستقر وتثبت أساسها إلا في البلاد
 الصغيرة ، أو بالأحرى في الجمهوريات الصغيرة . فالديمقراطية كانت ثابتة
 الأركان في المدن اليونانية القديمة لأنها كانت صغيرة وكان لكل منها
 حدودها ، وسيادتها الخاصة ، ولم تجتمع كلمتها ، وتوحد صمومها إلا إذا هجمها
 مهاجم ، أو هي أرادت المصوم لسبب من الأسباب . فالديمقراطية هي حكم
 الشعب . واشترك الشعب في الحكم ، اشتراكا حقيقيا إنما يكون في المدن
 الصغيرة فإن اتسعت رقعة المملكة انتحب الشعب عنه ممثليه . وكلما رادت الرقعة
 اتساعا تضاعف اثر التمثيل الشعبي ، وابتعد عن الغاية التي تمسدها الديمقراطية
 ولقد كان مونيسيكو مصيبا حين بحث عن الديمقراطية في الجمهوريات لأن
 التمثيل الشعبي يكون فيها أقرب إلى الحقيقة ولأن الديمقراطية تقوم على
 المصلحة ، أعنى المصلحة السياسية ، أي شعور الفرد بمصالحه في المجموع ، وتطعمه
 على نصحية مصلحته الشخصية في سبيل المصالح العام . وهذا الطبع وهذا
 الشعور لا يتوفران في فرد يعيش بمملكة واسعة الأرجاء ، ممرامية
 الأطراف ، حيث تكثر فيها المروق والاحتماعية ، من حيث توزيع الثروة ، والثقافة ،
 القربة الاجتماعية ، والتماس بين الطبقات وقد أثبت التجارب فساد النظام
 الديمقراطي لحاضر وانحلاله وعمت الشكوى منه في مثل هذه البلاد واسعة ولم يكن
 فيلسوف من فلاسفة القرن التاسع عشر أكثر تدهما بما وصلت إليه حالة الديمقراطية من
 هربرت سبنسر الفيلسوف الإنكليزي ، وما رالت عبارته النارية ترون في الأوساط
 الديمقراطية ، تلك التي يقول فيها أن واجب الأحرار في الماضي كان إيجاد
 حد لسلطان الملوك ، وأما واجبهم اليوم فهو إيجاد حد لطغيان المحالس التمثيلية

واي مجالس تمثيلية هـ / ليت انها تمثل حقا الشعب الذي تتكلم باسمه ،
 وتصدر القوانين برسمه . ولكيها في الحقيقة لا تمثل الا اشخاصا ، قليلين
 تمكنوا اما بدلالة اسانهم ، واما بعودهم المالي ، او الاجتماعي من تزعم
 الاحزاب التي تكون الا كثرية في المجالس التمثيلية وهذا اسبب تزي رعماء
 الاحزاب للذين يتولون الحكم بكونهم اكثر نفيا ، واشد خطرا على
 الحرية العامة مما كانت عليه الملوك المستبدون في الزمن الماضي . ومن الطبيعي ان
 يكون استبداد هؤلاء اشد خطورة ، وانقل عشا على لشعب ، لانهم يبدون
 ارادتهم فيه وهم يؤمونه بانها هي ارادته ، ويحققون مصالحهم ، وهم
 يحددونه بانها مصالحهم . فهم في الواقع ملوك مستبدون متعددون في شعب
 واحد واسكنهم غير مسؤولين لان من مر بامثل هذه الديمقراطية هو ضياع
 المسؤولية ، وانعدام الحق ، وتبدد ثروة الامة وانحلال اخلاقها ان علماء
 الحقوق الدستورية ما زالوا يكون هذه الحالة ، ويرسلون الحمرة تلو الحمرة
 مما حرت هذه النظم على الشعوب من مصائب وبلايا ، ومما تركت في اوساط
 المجتمع من آثار سببه في الاخلاق . وقد قاربوا من هذه الديمقراطية متعلقة
 وآثارها ، وبين غيرها من النظم التي قيل انها مستعدة : او في الحقيقة انها
 مستعدة - لان الدكتاتورية مثلا لا يجوز ان توصف الا بهذا الوصف -
 ولكم خرجوا من هذه المقارنة ، بالاعراف باسم الام الديمقراطية ، وبخيمة
 الا من في هذا النظام ولم يجدوا طارفا يفرق بين الدكتاتوريات والديمقراطيات
 الحديثة ألا ان قرارات السلطة او ما تريد تنفيذه منها يكون عرضة للمناقشة
 في الاوساط الديمقراطية ، واما في الاوساط الدكتاتورية فهو يقدر قبل ان
 يعرف . واما الفوارق الاخرى فليست بذات اثر يستحق الذكر . ولكن
 هذا الفارق الاساسي الذي تتجججه الديمقراطية او يعمر به دعايتها انما هو
 وهم من الاوهام ايضا لان الحزب سيطر هو الذي يملئ القرارات ، ويفرض
 القوانين واما حزب الاقلية فلا وزن رأيه ولا قيمة لافتراحاته انما

هي فائدة المناقشة العلمية اذا كان الاساس في فرض القوايس واملأه القرارات
هو القوة لا المصلحة العامة واكثرية الآراء لا اصح الآراء ؟ ولما كانت
القوة واحدة فالنتيجة واحدة اي كما ان الدكتاتوريات تفرض آراءها
بقوة السيف كذلك الديمقراطية تفرض آراءها بقوة صكثرة الآراء
فماذا يستفيد الشعب من الديمقراطية والمجادلة والمهاجرة ؟ واما ما يتركه مثل
هذا النظام الديمقراطي في الشعب من آثار فدوا اثر عميق وخطورة بعمر
القام عن وصفها ان ثروة الامم تعدد لاشباع شهواتها الخس ومطامعهم
فالمثليون يستهينون بأموال الشعب بفضة لظفر ثقة الماخس ، والناخسون
سرفوف في مطالبهم ، مستعلين بعمهم التي كانوا قد اعدوها على مثاليهم
ومهددين ايام نزع الثقة في المستقبل ان لم يحققوا تلك المطالبات . والاخلق
يسودها التعكك ، ويعمها الاخلال لان كسب الآراء على الاكسب
يكون بطرق من شأنها ان تفقد الافراد بحرة النفس ، وتضمف فيهم سحرة
الاعتداد بالشخصية بل تميت فيهم الضائير والوجدانات فالسيد في ملكه
يحتطف اصوات فلاحيه وماجوريه وصاحب المصنع ، سلب ارادة عماله ،
والتاجر في محله ، ورؤساء الشركات في شركاتهم كل هؤلاء يستعملون
أنواع الطرق لاطفر بأصوات عمالهم ولتأمين لهم واذا ما اعوزتهم الحيلة
لربح المعركة ، اشتروا الأصوات بالمال وسجروا النفوس ، بالمخ وسائر
المغريات وما اكثرها فدا تحدث هذه الطرق في الاخلال ، وفي نفوس
الافراد غير كل شيء ١٩٠ ومع ذلك تنهض هذه الممارس الخلقية والاجتماعية
الى نتيجة واحدة ، هي سيطرة افراد معينين واستبداد اشخاص معدودين
وبالتالي تحكم القوة بالصنف والكثرة التي يلعب بها ويسيرها افراد معلومون
بالقوة ، فأي ديمقراطية هذه وما فصلها على احكم لفردي او رحيم - ا على
الادارة المستبدة ؟

قد يقال ان الديمقراطية الحديثة برغم هائتها ، واخطائتها ،
ومساريتها فهي اكثر نفعاً للاساية من غيرها من المظم فهل تريد ان يسود

الحكم الفردي في الشعوب ، أم لديك نظام آخر أكثر صلاحاً من هذا النظام ؟
 اني لا اقول ان الحكم الفردي صالح ويجب ان تأخذ به الشعوب ذلك لاني
 ولدت حراً ، ونشأت حراً وعشت حراً واريد ان اموت حراً ومن كانت
 الحرية ، أملها ومبتغاه وسكنه ومأواه ، فلي تميل به النفس الى اي نظام
 لا يقدر الحرية ، ولا يحترمها . والحكم الفردي قاتل للحرية مستعمل لحرمانها في
 الاغلب ، وانما الدافع الذي دفعني الى ان اعترض على هذه الديمقراطية ، هو اعتقادي
 بان ما يطلق عليه اصطلاح « الديمقراطية » هو بعيد عن مفهوم الديمقراطية
 الصحيحة ، ولا يتصل بها بسبب من الاسباب . لان الديمقراطية الصحيحة
 محالها الجمهوريات ، والجمهوريات الصغيرة فقط تلك الجمهوريات التي يمكن للشعب
 اما ان يشترك فيها بوجه في حكم نفسه واما ان ينتخب عنه ممثلين ، هو عار
 تحقيقاتهم ، مطلع على ميولهم ونزعاتهم ، مطمئن الى قلوبهم واقتدارهم وهذه
 الصفات لا تتوفر فيما يسمونه ليوم « ديمقراطية » . واني رعيم بأن هؤلاء
 الذين ما رلوا يرددون على الاسماع نعمة « الديمقراطية » لا يكونون
 انفسهم من الاسترسل في الصموت على عقول لسان في خواتمهم ،
 والسحر منهم ، في نحواهم حيث يرون خدعتهم قد جارت عليهم وضلالتهم قد
 استبد بهم .

اما أي نظام آخر اريد فليست صاحب الكلمة في المجموعة الدولية
 حتى نكون لي ارادة في الموضوع ، وليست الامر المطاع في عشرته وهيبته
 حتى يكون لي رأي نافذ ، وانما انا فرد من سائر الافراد وواحد من هذه
 الاتحادات الطغيان الفردي في الارملة الحالية . وفي الامم المستنصعة في
 هذه الايام ثقتي ، واهرع ما رأي من آثار سيئة فيما يسمونه النظام الديمقراطي
 فجاء ينقده ويصححه . واثبت كنت لا حول لي ولا طول في تعبير تجري
 الحوادث ، ونسبيل انواع الحكم فليس هناك ما يمنعي عن ان ابدي رأيا
 واهتف بخطرتي من يرسل بصره وهو على الغبراء ليصف جمال القمر

وهو في كد الماء ، او من يرسم مريشته قمة الجمل وهو يطلع اليها من
صميم السهل

ان الديمقراطية سواء كانت صحيحة ام مزيفة ، فليست بالنظام الوحيد
الذي بدونه لا يمكن ان ينجح ولا تسعد امية فاعلاطون لم ير الديمقراطية خيرا
الانظمة ، وانما بالعكس فانه قال عنها انها تؤدي الى حكم الفوضى (الرماح)
وهذا النوع من الحكم يؤدي الى الحكم الفردي اي الادارة المستبدة وانه يرى
ان الديمقراطية هي غير انواع الحكم ، وانما يمكن استقرارية
اعلاطون ليست كالارستقراطية التي منيت بها القرون الوسطى ، تلك
الارستقراطية التي كانت وقفا على طبقة لسيادة اي الاكابر والاعيان
دوي الامتياز ، وانما ارستقراطية اعلاطون فانها تتمثل في طبقة لفساد
والحكماء تلك الطبقة التي خصها بمزايا خاصة وافترض فيها شروطا معينة لان
الحكم صنعة وادارة امور الشعب واجب ثقيل تقوم به العقول الضعيفة ،
وتشقق منه العوس انواضة عبر المهدنة والنظام الاسلامي فرض الشورى
ولكن هذه الشورى يقوم بها ذور الحل والعقد في المملكة الاسلامية وهم
معروفون فليست هي اذن شورى يشترك فيها الرماح ، ويعتبر بها الاقانون .
ولعل الانسان يستطيع ان يوجد نظاما للحكم يلقى مقبولا في
ايدي الاخيار من الشعب وبكسر في عين الوقت حريات انائه وتقديمهم
العكرى والاجتماعي ، ويشي نوعا من التربية الاجتماعية توفى في النفس
الاحساسات الكريمة وتبعدها عن موازع الشر وللتربية العامة هي اي شعب
له صلة وثقى بنظام حكمه (١) . ايس الانسان شرا محضا كما آراء ماكيافيلي
وصاغ له تلك الاصفاد المحكمة الصلبة ، وبين الامراء تلك الطرق الفاسدة
المحيطة لامتلاك ناصيته وانما هو يكون اقرب الى الشروادى الى الخير او الى

(١) لذلك اعتبر افلاطون في « شرائعه » و « رعاياه » « التربية والاعلام » و « الشرف »

عليها اول رجل في الدولة التي يتخيلها .

ذلك وفقا للتربية التي نشأ عليها . والوسط الذي عاش فيه . ولبيئة التي احتملته
 والارض التي اقلته ، انما نشأ الفراعة والقياسة العتاة . والا كاسرة الحياة
 والملوك المستبدون ، والحكام الظالمون . في اوساط كانت تفتط باطم
 والعدوان وفي بيوت كانت تربيته تمت في هوسهم ميول البطش وتنمي
 فيها نزعة ادلال الضعيف ، واسترقاق الفقير . وكذلك قل عن السفاكين
 والقاتلين والسارقين وسائر المجرمين الذين يحلون بهدوء الهيبة
 الاجتماعية وطمايبتهم . وقد اثبت العلم ، وايدت التجارب ، ان للبيئة اثرها
 في تكييف الانسان ، وللوسط فعله ، وللتربية فسطها فكثيرون ممن يكوون
 ضحايا العدالة ، للقيحة لتصرفاتهم ، كان يجوز ان يكووا في نجوة مما اصابهم
 لو نهيا لهم وسط غير الوسط الذي عاشوا فيه ، وبيئة غير التي شأوا فيها
 واحضات غير الاحضات التي شأوا فيها . فلدائنظر مثلا من طملى ينشأ
 في احضان الوؤس والفاقة ، ويموت عنه ابواه ، وهو لم يبلغ الحلم بعد وركبته
 المقادير يحوس خلال الأماكن المؤثرة ، ويماثر الاشرار والمصاق ، او طفلة
 تولد في دور البغاء وتعيش في دنيا الموبقات وتنمى في حاة الدعارة والمجون
 فهل تنتظر من لاول صلاحها ، ومن الثانية عفة وحياء ؟ وبالعكس من ذلك
 فقد يجوز ان يكفل اسة المومس ، ووليد الشرير ، وسليل الماسق به
 فيه تربته وفيه ثقافته وينشأ مؤلا . على آدابه ويتحلقون بحلق اهله فتجى
 الامانية منهم خيرا . والذين يؤثر في الهوس تأثيرا قويا يصارع الثقافة
 وانواع التربية الاخرى . واداءت الذين فلا يريد ان اخص دينا بهيه ،
 وشريعة بداتها . اما الاذيان والشرائع على اختلافها ونبايتها فاتها تعمر الهوس
 بالخلال الحميدة وتهديها ونصقلها حتى الوثنية منها فسقراط ، وسولون
 وارسقديس وافلاطون وملتياديس ، كانوا قد شأوا في الوثنية اليونانية
 ولكنهم كانوا خيرا محصا او اقرب الى الخير المحض ، وان من اسباب عظمة
 روما كان تمسكها باهداب دينها الوثني . يقول مونتسكيو في روح قوانينه

ان الدين والاخلاق لرومانيين كانوا بمثابة مرسيتين لجمعية في وسط بحر
 متدافع الاذي وان الرومانيين بعد هزيمتهم في واقعة « كان » امام هانيبال
 القرطاجي كانوا قد تدمروا من الحالة التي صاروا اليها فارادوا الامتناع
 عن الاستمرار في الحرب ولكنهم تدكروا بمحبتهم التي حاقوها للقونسل
 الذي كان يقودهم فتشاوروا فيما بينهم عن الطريقة التي تنجيهم من حوائثها
 حتى آل الامر باحدهم الى ان يقترح لبل القونسل حتى يكونوا في حل من اليمين التي
 سبق لهم ان أدوها امامه . ولكن لا احب احد عقلائهم بان خطيئة القتل لا تقل عن
 خطيئة الخنث باليمين عادوا الى طاعة قونسلهم واستمروا في الحرب ويري موتسكيو
 ان هذا المثل من اروع الامثلة التي تضرب في مدى استمسالك الرومانيين
 بدينهم على اني مع اقرارتي بقوة هذا المثل وروعته فتاريخ روما ، ثبت في
 دفتيه امثلة اخرى اكثر روعة ، وابلغ نصيراً عن روحهم الدينية وان
 اس فلا انس موقف ريجيليوس الروماني ، حين كان اسيراً لدى القرطاجيين
 فآرادوا هؤلاء الصالح والسالم مع روما فاندبوه ليكون وسيطاً في هذا
 الصلح ، وسفيراً لهم لدى روما على شرط ان يعود الى قرطاجنة اذا لم ينصح
 في وساطته واستعملوه على ذلك . فهذا الفائدة الباسل كان قد ألم بوضع
 القرطاجيين الحرج ، وبمدى التمسك الروحي الذي كانوا قد صاروا اليه
 فأتعد هذه السفارة وسيلة لا فهم روما حقيقة الوضع في قرطاجنة لئلا تقبل
 بأي نوع من الصلح . فذهب الى روما وشرح الوصف امام مجلس الاعيان
 (السانوي) وطالبه بالضي في الكفاح الى ان يتم النصر الحاسم الذي اصبح
 وشيك الحصول . وبعد ان قام بمهمته خير قيام الملقب بضرورة عودته الى
 قرطاجنة لانه أقسم ، وعلى الروماني ان يمر بقسمه مما كانت الهزيمة التي
 تنتظره البتة . مانع المجلس في عودته وتعلق به اقرباؤه ، وتلطف به روجه
 واصدر قاضي القضاة قراره بأن هذه اليمين لا تلزمه ولكنه تغلب على كل
 هذه المشطات ، فرجع الى قرطاجنة حيث لاقى مصيره المحزن ترى اية قوة

لا تقاوم صفحا في روحه ذلك الدين الوحي . وكسرى ابوشروان مشأ ايضا
في احصان الوثنية لدرسية وكان خيرا محصا للاسانية وان من يقرأ ترجمة
بررويه مستسخ كتاب كلية ودمه الشهير يعجب من تلك الروح الدينية التي
شمت في حواش نفسه واثرت في نكوبه وهي كما قلت ديانة وثنية وقس على ذلك
كهوشوس في الصين ، وبودا في الهند . فاذا كانت هذه الديانات الوثنية
تفذي النفوس بهذا العناء اشهي فكيف بالاديان السماوية وشرائعها السمعة ،
التي جاءت على ايدي موسى وعيسى ومحمد ، وهي تعيض خيرا ، وتتدفق برأ ،
وترخر بركة ونشع سلاما ؟ فلاسان ادرك ليس شرا محصا كما طنه
ما حكيا فيلالي ، اذا كملت ربيته نفس عالية ، ورعاه عقل سليم انعم بحجور ان
يولد الانسان وفيه مرض ارني بدفعه الى ارتكاب الشواذ فهذا زر بسم في
هذا الوجود يمكن ان يعالج معالجة المرحى المرمدين وبحجور ان يكون للأفليم
والطقس ، والجواهره في الاسان والسكن التربية الصالحة نفعف كثيرا من هذه
العوامل الطبيعية ، كما ان العم قادر على الحد من معاصيها وانخفض من شوكتها .
الا ترى الانسان في حال وحشيته لم يكن ينأى عن العجاوات من حيث
الخشوبة والعسوة وقلة لتدبير والسكن العقل الذي تكامل فيه ونما ، قد نقله
من طور الى طور الى ان وصل به الى الحالة التي هو عليها الان ؟ فهذا التطور
وحده دليل على ان الانسان بحجور ان تكيه التربية الصحيحة الى الخير ،
كما تميل به التربية الناقصة الى الشر ان الوحوش الكاسرة ، والصدواوي
الجارحة نروص ، وتلبس عريكتها ، وترق شررتها اذا تعهدتها بد صناع ،
ومرر ما هر ، فكيف بالاسان والله عز وجل قد اشأه على احسن تقويم 17
ولئن عجزت الانسانية الى هذا اليوم ، عن ان ترى الاسان السكامل ، فان
هذا العجز سببه ، ان العقل الاساني كان قد انهك قواه في مجالات الطبيعة ، ولم
يخص المجال الروحي الا شيئا قليل من عابته . ذلك لان المادة من شأنها ان
تعري لعقون ، حيث فوائدها طاهرة ملموسة ، ومضاعفها سريعة عاجلة ، بخلاف
المنافع والفوائد اروحية فاعما تكون غير مرئية ولائها لا قدر بحيرها ولا تنمر

أمرها إلا بعد زمن طويل وإن كان حيرهم عم وتمرهم أشهى والد كالسحاب
 الماطر ، كلما نبطاً في سيره وتنافس في حركته كان أعز منه واسح صوا
 ولست أعني في قولي هذا ، أن العموم الطبيعية غير حديرة بالعناية بالعكس ،
 فاني أعني بعض هذه العموم على الانسانية وغيره على البشرية واعترف بالفوائد
 والمدافع التي عنمتها الحصار منها ولكن شغل العقل بها قد وصل الى درجة
 الاشباع من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد أهملت النفس ، وتركت العناية
 بهدب الروح ، الى حد أن صارت الحياة في هذا العلم ، صراماً من الخجيم ،
 والاسان لا يقوى على تربية رسالته في هذه الحياة الدنيا ، ونصفه سليم ،
 ونصفه الآخر سقيم وهل تنتظر خيراً من اسان نصفه سقيم أشل ، ان
 أصبحت يحب أن يتمتع بها الجسد بكامله ، فالرأس لا يروم الاطراف
 والروح لا رمة كذلك لروم العقل ومثل أصبحت كذلك فاما لارمة للعقل ،
 وللروح ، وللرأس والأطراف من ولكل ورب وشريان ونسجته في الجسد
 فاهان بعضها ، يستلزم مرض هذا العنصر ومرضه يقلل من نشاط الاسان
 وهمايته . ومما يصرى الهم وينقص العلم ، ان المحن التي تحتاج الانسانية من
 حين الى آخر توهط في مص النفوس السكيره حوائجها العنصرية فتدفع عاملة
 في المحال الروحي ، بجسده في تصميد هذه الانسانية المائسة من حراجاتها
 الدامية كما يرى اليوم الكثيرين من علماء الاجتماع ، والعلامة ينشطون من
 جديد الى العمل وامن مشطهم يؤدي الى نهس هذه الحصار المادية تهددنا
 روحياً بتمرع منها شرها ، وبطهرها مما شأها من شوائب كثيرة

على انه من التفتت في الحق القوي ان الانسان برأ من عبوه النفسية
 كافة ، معها أوتى من قربة فريضة ، ومعرفة صحيحة ذلك لأنه كونه من
 قووس ، القوة المعافاة المدركة وهي التي تسيده الى الخير والقوة العاطفية ، او قوة
 الميل والاهواء التي تقوده الى الشر ، وعلى ذلك فإنه يقال للانسان الخير انه
 خير مني كانت القوة المعافاة المدركة فيه عالية وانه بوصف بأشهر اذا

سيطرت انانية على الاولى وسعلنا في الابحاث الآتية نعود فننسط في
 الموضوع ونزيد فيه القول . فالإنسان الحيوان اذن ليس معناه انه معصوم
 من الزلل ربي من المير والاهواء لأن هذه مركبة من طبعها وغررة ، وانما
 يكون خيرا او شرا ما يحظر الى قوة احدي الهوتين هاتين او ضعفها . ولما
 كان نظام الحكم عملا من عمل الانسان ومراة ترسم فيه صورته الكاملة
 بما فيها من فصح او جهل ، خير او شر وانه يشترع بعقله ويحكم على يديه
 فليس في وسعنا ان نتجيب بوجه من الاطعمة . اربابا من اعيان ، كاقلا لسعادة
 المجتمع الانساني منه في النشأة . ان مثل الاعلى يدي بتجيلة افلاسة
 والمفكرون لنظام الحكم لا يمكن ان يتحقق على هذه الارض لانه بحال
 بالطبيعة البشرية المكونة من مزيج من الخير والشر . وكان افلاطون قد
 شعر بهذه الحقيقة فأفاد على اسان علو كون الذي كان يحاور سقراط بهذه
 الكلمات . . فبحث ان ياتي به بهل حكيم في المدينة التي اكملها طوماس
 المحصورة في دم احياء لأي لا يتقدم ما توجد على وجه الارض . (١)
 فالنظام الحسن اذن هو ذلك النظام الذي تكثر فيه الاهداف الفاضلة ونعاب
 عليه مبادئ الحق وعدالة وتربيت وه عناصر الخير . ونعمي اذ صبح هو ذلك
 النظام الذي يشتمل على هاتين اريتين الخطيرتين . تشريع صالح ، ونظيق عادل
 تشريع صالح تصدع به رمية واحدة مؤمنة ، ونظيق عادل . تقوم به طرفة
 به العقل ، برمية اصغر وواحدان على قدر الاستطاع . وليس شرط ان
 يكون هذه رمية او لطيفة من افلاسة والحكام كما تحيل ذلك افلاطون

(١) جمهوره الافلاطون . ان كتب افلاطون ، وكان هو بغيره في اني قد كور
 في اسماء من روم ان رمية على رمية . واه مسألة . ووه من
 الأرض في الحاضر أو السهل للسلطان . ولأنه في كل حال حذر نظام مدره
 كده ويجري عليها معرضا عن كل . . .

في جمهوريته (١) وإنما يكفي أن نكون من الخجاء الواعين والمثقفين المدركين
بحاجات الشعب والعارفين بالوسائل المؤدية إلى تقدمه ورفاهيته ، ومتى كمل
نظام الحكم هذين الاساسين ، فلم يعد يصيبنا نوع الحكم واسلوبه أكان جمهوريا
أم ملكيا ، ديمقراطيا أم استقراطيا أم فرديا . ولقد كتب في فلسفة الحكم
ونظمه الكثير من الفلاسفة والعلماء والحكام من تقدمين ومن متأخرين
ولكنهم في الحقيقة : لم يربدوا شيئا على ما يحته افلاطون وأرسطاطاليس .
وقد لاحظ هذان المفكران العظيمان ، شي . قليل من الاختلاف ، أن الحكم
أصلح قد يكون في الحكم الفردي ، أو بمعنى اصح المالكى وقد يكون كذلك في
الحكم الارستقراطي أو الحكم الديمقراطي ، إذا كان لتشريع سائيا ، ولتطبيق عادلا ،
وإذا قصد الحكم الفردي انقلب إلى الاستبداد وإذا قصد الحكم الارستقراطي صار
حكما أوليغارشيا أي حكم الطبقات ويكون لحكم حكم سوقة أو فوضى إذا
قصد الحكم الديمقراطي . وأن كل نوع من الانواع الصالحة المذكورة
أعلاه إذا قصدت تكون بها بته الاستبداد . وفي الحق أن الوعائع المادية والحوادث
التاريخية نعطينا امثلة كثيرة تؤيد هذا الدور والتسلسل

وأن هذين المفكرين الصقيرين وأن كانا بفضلال النظام الارستقراطي
فما لم ينكرا ، النظام الفردي الصالح . ولنظام الديمقراطي الواعي وفي الحق
أن كلا من هذه الانظمة الثلاثة حسن إذا احترم في طلة المبدأ أن اللذان سبق
ذكرهما ، وهما التشريع الصالح ، والتطبيق لعادل ، وإذا كانت البيئات المنفذة
فيها نلائمه وتستسيجه خذ مثلا الحكم لفردي فهو يحور أن يتمحض عن
سعادة شاملة للشعب إذا كان لتشريع في طبه سائيا وإذا كان للحاكم وعوايه
يحرصون على تنفيذ أو تنفيذ عادلا ولا يتجاوزون حدوده أو لا يهملونه
تفسيرا لا يستحق وروحه وأهدافه . فربما كانت أسعد حظا في عهد

(١) أن افلاطون قد عدل رايه هذا ، في كتاب « لترات » الذي حله أكثر

قربا للواقع وأيسر للتنفيذ .

المالك من اواخر جمهوريتها ، واليونان كانت ملكياتها تعيى عليها خيرا
 قبل النظام الديمقراطي ، حتى ان مستعمراتها التي كانت منبثة على حواشي
 وسواحل البحر الابيض كانت نردهر في افياء العدالة ان جالويكوس حاكم
 ومشروع مستعمرة لو فرووا اليونانية قد بلغ حبه لتحقيق العدالة في قومه الى
 حد انه حكم على امه سمل عييه لأنه ارتكب جريمة الاعتداء على المرض
 وذلك وفقا للشرع الذي كان قائما بومئذ ولم تأخذ المرأة الاثوية عليه ،
 وانما تأثير شعاعة لشعب وتوسطه قبل ان تسمل عين واحدة لانه وان تسمل
 عين واحدة من عييه هو حتى يكون مصاب العقاب حاصلا ، و حكم القانون
 منعده . وكذلك كان حاروداس حاكم ومشروع مستعمرة « كازانة » الذي كان
 قانونه يحرم على الفرد المحصور في الاجتماعات العامة وهو مسلح خشية الاصطدامات
 ووقوع ما يحل بالامم ويمرض عقوبة الموت على المخالف فانه لا يقل حرصا
 على سلامة تنفيذ القانون عن سابقه . وقد حدث انه استدعي على عين المحصور
 اجتماع عام بينما كان قادما من الرفقة عن نزع سلاحه ولما حضر الاجتماع وادرك
 انه حالف القانون بمحصوره مسلحا ، انتفى سيفه واعمدته في صدره وبعد العقوبة
 على نفسه بنفسه ودفن في المطرة عظيم في الامبراطورية الرومانية ، اعدل واحترموا
 ارادة الشعب والقوانين الامبراطورية كداريانوس ، وماك اوريل ، و تراخان
 وغيرهم . وكان الناس في عهدهم في أمن وطمانينة على ارواحهم ، واموالهم
 وحررياتهم . وانت اذا امعت النظر في تاريخ صدر الاسلام سيما في عهود
 الخلفاء الاربعة ، وبالاخص عهد خلافة الصديق ، ولقاروق ، وحسرة
 لرأيت عجبا ، ولدهلت من فرط هؤلاء الامراء العاديين والخلفاء المصلحين ،
 تعاملهم باهداب العدالة ، وفي حرصهم على سلامة تطبيق احكام الشريعة
 السمحاء . ومعلوم ان الخليفة ، هو مجمع لسلطات ، وموئل الناس جميعا فالحكم
 الفردي سواء كان ملكيا وراثيا او ملكيا منتحبا ، او خلافة لا يكون
 شرا محصا الا اذا قصد واحد عن الطريق المستقيم وكما ان الحكم الفردي

ليس شرا محض ، فان النظام الديمقراطي ليس حيراً محضاً ، فالنظام الديمقراطي في
 اتيمة مثلاً هو الذي رخص سفي اريستدس اعدل اهل اليونان واحكمهم عشر سنوات
 عن وطنه ، حكم على ملتيا ديس اس واقعة سراطون ، ودفع سقراط حكم الانسانية
 الى الموت ، واحقت نفس هو كيوس الذي ارتت اعرواح التي في حسده على
 الارمني حرا في سفس ثيمة ، والنظام الديمقراطي هو الذي قضى على الاخوين
 ديموس ، كايوس عروشيوس ، على كاسيوس ومايليوس ، وغيرهم في روماء
 اهم لم يدخروا وسع في سبين خدمه روما ومعه ، فامسألة ادن هي ليست مسألة
 مجرد دساتير وقوانين ومؤسسات رسمية ، ولا هي مسألة نظام بل هي مسألة
 عمل وتطبيق وسحابا نفسية ومزايا عقلية وفهنية . فاذا كان العمل صالحا
 ولتطبيق عادلا وانفس حيرة عادة والعقرب ، ومثقفا فاص الحير على البلاد
 والعباد والا كان الشفاء حاصل لا محالة .

ومن سوء حظ الانسانية ان فهمت هذه الانظمة ، التي حلق فلسفتها عماهرة
 اليونان وفي طليعتهم سقراط و فلاتون و ارسطاطاليس ، وجلو ابوارها
 على غير حقيقتها سيما في القرون الوسطى و كان هذا الفهم اعطوط سداً لتطور
 الاسوع عن ذكرى الحكم الفردي او الحكم الارستقراطي وبكس ذلك
 فقد راحت دعاية قوية للحكم الديمقراطي ، الذي لا تنفق وحقيقتها التي كان
 عليها ايام موحدي هذا النظام والحقين لفلسفته فقد طرأ ان الحكم
 الاستبدادي هو الحكم الفردي مع ان كلمة « اوتوكراسي » اليونانية

(١) سربوس عروشيوس قتل اعضاء السناو ١٣٩ قبل الميلاد حيث رمى بتهمة حمل
 معه دعاية و حو كايوس عروشيوس ذكحه انصار القانون والنظام ١٢٩ و .
 سوبروس ثاسيوس اصدرة في ضمن في العامة الحق في الارض الموروثة اعد في
 ٢٨٥ ق م وماركوس مايليوس اتي من على صخرة « القاربية » وهي طاعة اعدوية في اس
 اسكافون ادي راجع في ٤٠٠ ق م و ٣٩٠ ق م انه كان حثريا وانفق جميع ثروته على
 ايام من روماء و ٤٠٠ ق م فلهذه حمل نفس طرية

لا نفيد معنى الاستعداد ، وكذلك فان مادته التي افرها فلاسفة اليونان
ومشرعوهم لا تدعم الفكرة الاستعدادية ولا اجل ان يوضحوا الاشكال قلوا
اذا قصد الحكم الفردي انقلب الى حكم استعدادي وقد طرحت خطئ الحكم
الارستقراطي هو حكم طبقة الاشراف والاعيان ذوي الامتياز من ناحية
الدم والثروة والحال ان كلمة « اريستوكراسي » لا نفيد هذا المعنى ابدا
وكذلك فان مادته التي افرها مشرعو اليونان وفلاسفتهم لا تؤيد هذا
المعهوم ولا اجل ان ينسبطوا في الموضوع قلوا ان الحكم بما انه صفة فيجب
ان يودع تشريع لقوانين ونفيعها الى ايدي اهل السياسة كما جاء في جمهورية
افلاطون او الى ايدي الخيرة العارفين واهل الرأي من اهل البلاد كما قال
ارسطو طاليس في كتاب السياسة فانظرة الحكمة ، او المشروعة انما كان
يقصد بها اهل العلم والمعرفة ، لا الاشراف والاعيان ودوروا اليسار الذين هم
توفر فيهم هذه الرايا واذا كانت هذه الرايا قد توفرت فيهم فلماذا يحرمون
من تولي المسؤولية لمجرد انهم اشراف واعيان ودوروا اليسار ؟ وقد طرحت ان
الحكم الديمقراطي هو استواء الناس كافة في الحق في الوصول الى المحاسن
الشمسية والى تولي المسؤولية في مناصب الدولة مع ان كلمة « ديموكراسي »
وان كانت نفيد حكم الشعب ، فليس هذا معناه ان كل فرد له هذا الحق
ان المقصود من هذه الكلمة ان الناس متساوون في الانتخاب لا في ان يكونوا
منتخبين ذلك لان الحكم الديمقراطي ليس ، احدى تقوم اركانه على اساس
العصبية هو ذلك الحكم الذي يكون فيه تشريع صالح وتطبيق للقوانين عادل
وهذان الاساسان لا يمكن ان تقوم بهما ، نصطلح عمهما حكومة او سلطه
مكونة من الدماء والعوغاء وانما تقوم بهما ونصطلح عمهما حكومه مؤلفه
من المثقفين المدركين والعارفين المصلحين ، وهؤلاء عمقه في كل مكان وفي كل
زمان ، وهؤلاء يجب ان تتوفر فيهم شروط معينة ، ومنزاجا خاصة على ان النظام
الديمقراطي بمعومه الحقيقي ، لا يمكن ان يسعد في بلاد واسعة الارحاء

مردحة السكان ذلك لأن معرفة الناخب بامتنع وباهليته وقابليته شرط ضروري لصحة الانتخاب وهذه المعرفة ، متعذر حصولها في مثل هذه البلاد وعلى مرافق قد كان حالفوا نظام الديمقراطية على حق حين حصروها في دول المدن او دولة المدينة كما كانت عليه اليونان في السابق . (ارجو مراجعة كتب الجمهورية ، (١) الشرائع ، السياسي ، لافلاطون طبعة اوكسفورد والسياسة (٢) لارسطاطاليس طبعة اوكسفورد وافلاطون الرجل واتاحه للبروفسور تايلور طبعة ١٩٣٧) وما نراه اليوم من النظم الديمقراطية سواء كانت نظام الحكومة البرلمانية كالنظام القائم في بريطانيا واكثر البلاد الاوربية وآسيا والمحوريات الامريكية الجنوبية او النظام الرئيسي القائم في امريكا الشمالية او النظام الحمي القائم في سويسرا افون ، ما نراه اليوم من جميع هذه النظم ، لا ينطبق ، على مفهوم « الديمقراطية » المعروفة في العهد اليوناني وانما هي مزيج من الانظمة الثلاثة الفردى والارستقراطية والديمقراطية . ولم يحف مثل هذا لنظام المختلط على ارسطو فانه قال به وبحته وقرره للدول الواسعة الارحاء الكثيرة السكان ، وفي الحق ان نظاما يأخذ من هذه الانظمة الثلاثة اطاييسها ومحاسنها هو خير نظام يصلح للدول الكبيرة ولا يخفى ان ارسطو انما ألف كتاب السياسة وهو يعيش في كنف البلاط المقدوني الذي كانت نفوس املاكه ، وتطافر فتوحاته . واما النظم التي يطلق عليها اليوم ، النارية ، الفاشية ، او السوفيتية فانما هي في الحقيقة مذهب اقتصادية وليست نظاما سياسية وانما رعاؤها استعملوها وسيلة الى الحكم لتحقيق مبادي هذه المذهب . واني حين ابحث في لتكوين السياسي انما ابحث على ضوء المبادي والقواعد المسرودة انفا .

• • •

قلنا ان النظام الديمقراطي الصحيح لا يستقر إلا في الجمهوريات لأنه قائم

« ١ » كتاب الجمهورية رichte اداره الفتلف

« ٢ » ترجمه اميدا الى العربية العلامة لطفى السيه

على اساس اشتراك الشعب في الحكم اما حقيقة كآل ينظم اساقفه في مجلس
واحد يقررون فيه قوانينهم ، ويديرون شؤونهم وأما شكلا كأن ينب
لشعب عنه افراداً معينين يثق بهم ، ويعتمد عليهم . ومعرفة الشعب لتوانه
تكون قسوية في المدن الصغيرة ، أقله عدد سكانها وتكون ضعيفة
اذا اردادت رقعة المملكة اساعا وكثر السكان وفي الممالك المتراصة الاطراف
المردحة السكان يكاد لا يبقى اثر لهذه المعرفة . فتعدم الديمقراطية في هذه
المملكة . والموانين والاعظمه لصالحه للجمهوريه الصحيحة ، لا تكون
صالحه في الدولة التي خرجت عن حدود الجمهوريه وتساعدت عن أسسها ،
ومعنى ذلك ان نظم الديمقراطية إذا كانت نافعة ومعيدة في الممالك التي تستطيع
هظمها وهي الممالك التي تقوم فيها جمهوريات وهي لا تكون معيدة في الممالك
التي لم تعد صالحه للنظام الجمهوري . والدول القائمة في عصرنا الحاضر ،
وايامنا الحالية وان كانت تدعى الديمقراطية ، وهي ليست ديمقراطية ، وان
اعصمها وان كان قد بين النظام الجمهوري هو ليس جمهوريا صحيحا . فالحقيقة
لا يمكن ان تحجب ستائر شفافه تفسجها الاوهام ، ويحوصكها الخيال .
فالديمقراطية لا تنبت إلا في الجمهوريات واحموريات لانلائم إلا المدن
الصغيرة . وهذا النوع من الاستقلال ، أي استقلال المدن الصغيرة ، اذا
كان مبسوراً في الماضي فليس مبسوراً في لوقت الحاضر ، نظراً للتقدم العلمي ،
والصناعي ، وارتباط ممالك العالم بروابط شتى واشتراك مصالحها اشتباكا
مكينا . فاد قدرت هذه الحقيقة قدرها ، وجب علينا ان ننصرف عن
النظم الديمقراطية المربف ، أو على الأقل ، ان نتجنب ترديد هذه النظم التي
وان كانت فيما مضى من الأرملة تسهوي العوس ، وتغري العقول ، فقد
أصبحت ليوم ، سمجة - تعافها الأرواح ، وتفر منها الاستماع . علينا ان
نمكر في أوصاع وانظمة للحكم ، نلائم المنطومات الاجتماعية الحديثة ، وان

يطلق عليها اسماء ، تطابق حقيقتها ، والقوانين والاظمة معرضة للتغير
 والتبدل وان ما كان صالحا للجمهورية فقد يكون صاراً في غيرها
 لأن الأولى انما سفت بقصد تنمية المملكة ، وتضحيهما ، فبعد ان تكون
 هذه قد تم ، ونصحت وجب ان نوضع قوانين أخرى تكمن استدامة هذا
 النمو وتثبيت وترصين هذا التصحيح . ادن ، فتغير وضع المملكة ، فتغير
 اهداف القوانين والاظمة . ورومالا كانت محصورة في ايطاليا ، كانت
 جمهورية ولكنها لم بسطت سلطانها على قالم واسعة ، ونصحت ثروتها
 ونعاطمت قدرتها ، من نواح كثيرة ، فلت النظام لقيصري ولم تلت
 ان غيرت قوانينها الجمهورية ، واستبدلتها بغيرها ذلك لأن مهمة القوانين
 الجمهورية كانت قد انتهت ولم تعد صالحة لصط الامير طورية الرومانية
 وتمشية مصالحهم والا سلام في أول نشأته حين كان محصوراً في شبه
 الجزيرة العربية وما حاورها كان قد فس نظاماً مثل النظام الجمهوري ولكنه
 ما لست ان نقلب نوع الحكم فيه ، الى نظام الملك الوراثي وبذلك قد تغيرت
 كثير من الاوضاع ، وقد تعدت فيه انواع الاظمة . واست اعني ان
 قيصرية روما ، أو ملكية الاسلام هاتين صاحيان ، لئن هذا الزمن
 وانما اوردته للتدليل على ان تغير حدود المملكة ونطور قابلياتها من
 طور الى طور يؤدي الى تغير نظام الحكم وهذا يستلزم تغير القوانين والاظمة
 ولما كانت الدول القائمة في هذا العصر ، لن تكن جمهورية ، فهي ادن لن
 تكن ديمقراطية ، فالقوانين والاظمة حينئذ يجب ان تتغير وتتبدل ، ولكن
 تغيرها ، وتبدلها لا يحتمل ان يقل نظام الحكم المطلق ، أو الارستقراطية
 الطامه ، اجماعة التي تحكم في القرون الوسطى وخر القرون الأخيرة
 او ان نستطيع النظام الذي اثبتت تحرية عدم صلاحه ، وهو النظام الذي

الارستقراطية الفاضلة

والديمقراطية الوعنة !

قبل ان يوضح مقترحا في صدد نوع نظام الحكم يرى من الضروري ان نحدد معنى الحكم . ما هو الحكم ؟ هو السيادة . وما هي السيادة ؟ هي السلطة التي لها الكلمة العليا والاخيرة على سائر الجماعات والهيئات والافراد الموحدين داخل حدود المملكة . ولكن هذه السلطة هل هي مطلقة الحق ، حرية التصرف بهذه الجماعات والهيئات والافراد ؟ احق انها مطلقة ، وحرية ، تستمد اختصاصها من نفسها لأن استمدادها الاختصاص من غيرها ، ينافي جوهرها وينافض مفهومها . فالسلطة ذات الكلمة العليا الاخيرة هي كل شيء . وادنا فرضنا خلاف ذلك معناه ان هناك سلطة اعلامها وهذا محال . شاء علماء الحقوق الدستورية ان يصنعوا تعاريف لهذه السيادة أملا في اتحاد حدودها كصحاح نظرية التحديد الذاتي حيث قالوا ان الدولة نفسها تقبل تحتسار بعض القيود تحد منها من سلطانها كلها وحدث الى ذلك سبيلا أو من قال بكرة حقوق الافراد الطبيعية حيث رأى انه لوحد حقوق طبيعية للافراد لم يكتسبها هؤلاء من الدولة بل هي ملازمة لاشخاصهم كادميين وتلبيهم فيحكمهم التمسك بهذه الحقوق على الدولة نفسها ويجب على الدولة احترام هذه الحقوق أو القائلون بنظرية القانون الطبيعي حيث توجد هناك ملجأ تعليمها العدالة وبوحي بها العقل السليم نلزم افسار ع نفسه . وفي احق انه يصعب حماية

حقوق الأفراد اذا لم يكن الرأي العام مهيكل ، والأفراد ملين بما لهم
 ومقدري ما عليهم هذه نظرية توزيع السلطات ، أو تقسيمها ، لم يكن بها
 قائلوها الا ليخففوا من سلطان هذه السلطات ثمة منهم اذا توزعت السلطة
 عليها فمساها الى ثلاث سلطات وراقبت احدها الاخرى امتنع الاخلال
 بحقوق الأفراد واستجبات اساءة استعمال السلطة سلطانها المطلق ، وحررتها
 غير المحدودة ومع ذلك تحد السلطة دائمة في طغيانها في الملاد التي يكون فيها
 الرأي العام ضعيفا ، أو حامداً فسيادة الدولة اذن مطبقة لانعرف حداً تنتهي
 اليه ، الا اذا كان هناك رأي عام متيقظ يقف لها بالمرصاد وهذه القوة الخارجية
 اذن كلما استعملتها عقول راجعة سليمة ، واضطامت بأعبائها نفوس كريمة ،
 أمن الشعب من انتهاك حرمانه واطمان الى حقوقه ، ووثق سلامته
 فالعظام الذي يكمن حسن التصرف بهذه القوة ، هو النظام الجدير بالقول ،
 الحري بالتهديد بها كان الاسم الذي يطلق عليه حتى اذا كانت الديمقراطية
 اصححجة مسها تؤدي الى ان يتولى استعمال هذه القوة قوم غير صالحين ،
 علينا ان نفندها ، درءاً للضرر الذي قد الذي تنتظره الأمة من ايديهم لأن
 انظمة الحكم انما وجدت لسلامة المجموع ، ولم توجد للفجر والمهاة أو
 للمهاة والملاحة فعد ان فهم ان الحكم صعبة ، لا يجوز ان يدرسها إلا الملمون
 بدقائقها ، المطعمون على اسرارها ، أو الذين هم فانية الامام بهذه الدقائق
 والاسرار ، اصبح لزاماً علينا ، ان نحكي عنها لغوفاً ، او اجموع التي لم نقمياً
 هذه الصفة لسبب من الأسباب لانه ان عمل خلاف ذلك انتهى الامر
 بحكم اجموع ، وهذا النوع من الحكم كما قال افلاطون يحق يؤدي الى
 الفوضى . والفوضى من شأنها ان تؤدي الى اضطراب لشعب الى ان يلمس في
 شخص ربح ما رغبها بفورده بلفظه ، على هذه الفوضى ، واذا ما قضى عيب كان
 ذلك الرعي استند الممتطر ، فيه من حيث ان الحكم فري فالتقيحة واصحة

ومن السهل التنبؤ بها فكيف نتحاشى مخاطرها ، ونحصل من اصرارها ؟
لا سبيل الى ذلك إلا بالحد نوع من الارستقراطية التي تقوم على الفضيلة
واثقة لا على الوراثة . والامتيار لخاصة ، والظلم والعدوان ونوع من
ديمقراطية واعية مدركة وان نمزجها مزجاً متقناً .

ان شكل الحكومة لا يهم كثيراً سواء كانت الحكومة جمهورية ام
ملكية ، ام حكومة الجمعية كسويسرا ، فقد يطيب للشعب الاميركي مثلاً
الشكل الجمهوري « الصورة التي يملها ، وقد يرى الشعب الانكليزي الشكل الملكي
نما يتناسب وروحيته ، ويتلائم مع طابعه وتقاليده . فالحكم هو النظام الذي
موجهه تنقسم الابدى السلطة العليا ، وتمارس توجيه تلك القوة التي لا تحد .
وهي تتمثل بالسلطة التي تنس القوانين ، والسلطة التي تنفذ القوانين وتنصرف
شؤون العباد ليس في الامكان حقيقة ان يفرض نظام معين ، على الامم
جماعة . لأن الامم تختلف من حيث القاطنات ، وتقابن من حيث الامزجة ،
والعادات والتقاليد والطباع . يفرض نظام معين ، تفاصيله ودقائقه ، على
كل أمة مستقلة صرب من الاعادت إذ يحور لا يلائم بعضها غير النظام البرلماني ،
أي نظام مسؤولية الوزارة ام المجلس التمثيلي . كما قبلته بريطانيا والمجموعة
الدولية الاوروبية ، واكثر دول آسيا ، وافريقية مستقلة ، او شبه المستقلة
وبعضها الاخر غير النظام الرئسي الذي يري الى فصل السلطتين التشريعية ،
وال تنفيذية عن بعضها كما قبلته اميركة ، أو جمع السلطتين في المجلس التمثيلي
كما ارتضته سويسرة ، أو تركية ، أو استونية ، ولبنان ومعظم الولايات
الاممية الداخلة في تكوين الرينج كروسيا وناظرية . على ان معظم هذه
الدول قد عدت عن هذا النظام مؤخراً بعد ثوب فشل هذا النظام ما عدا
سويسرة وتركية فقد بقيتا محافظتين على دستوريهما . ولكن كل هذه
الحالات لا تمنعنا عن بيان بعض الاسس العامة المهمة التي تكمل الفرض
الذي نري اليه .

التكوين السياسي

أولاً يسمى حق الانتخاب محفوظاً للناخبين بالمسبة للشروط التي تعيها كل أمة لأفرادها .

ثانياً : مع أن حق الانتخاب يكون بلا قيد أو بقيود خفيفة الأفراد فإن المنتخب أي « تنبلي الأمة » يجب أن يكونوا من طبقة مختارة بشروط فيهم ما عدا الأسباب الدافعة عن الانتخاب ، أن يكونوا ممن تحرروا من المدارء العاليه . وهذا شرط له أهمية كبرى في تسيير السياسة التشريعية سيما في البلاد التي مستواها الثقافي ضعيف لأن المشرع يجب أن تكون له قابلية تحت الفوايين بروح علمية ، فاجاهل ، أو قليل الثقافة لا يصلح لمهمة التشريع . ثالثاً : أن يكون ممثل الشعب ، ذا تجربة فصلا عن ثقافته لذلك لا يصح أن يكون عمره أقل من ٣٠ عاماً على الأقل وقد يقال أن العمر ليس أمراً مهماً إنما المهم قابلية الفرد للاستفادة من الحوادث التي تمر عليه ، والاحداث التي تقع في مجتمعه ، فكثيراً ما نجد شاعراً قد اندوا آراء كانت انصج من آراء لشيوخ وقد يكون هذا واقعا ولكن الاحكام تمي على لعالب الشائع لا على النادر الشاذ وليس صحيحاً أن نعتمد على الشعب امره ، لأجل النادر الشاذ .

رابعاً : أن يكون الورداء الذين هم رؤوس السلطة التنفيذية قد ناهروا الاربعين عاماً ومن قد مارسوا افصاء ، أو محاماة ، أو الاشتغال في مهام قانونية مدة لا تقل عن عشر سنوات فصلا عن الشروط المعروضة في الممثل عدا

الوارات ذات الاختصاص كالديفاع، والبحرية، والصحة وقد يظهر هذا
 الشرط عرسا، وقد ينظر اليه كشرط تافه لا اهمية له ولكن الحوادث
 العالمية، قد اثبتت انه ضروري ولارم لسلامة المجموع، وحفظ حقوق
 الافراد، واعتدار الدولة وكرامتها. ان الدين ينشأ في الاوساط الحقوقية
 وينارسون مهنة قانونية، مدة من الزمن، تكون فيهم ملكة احترام القانون
 وتقدير حقوق الافراد، وحقوق المجتمع، اقوى من غيرهم، وانهم يكونون
 اشد حرصا على الوفاء باآرامات الدولة القانونية، والتقيدها بالعهود الدولية
 وبالتالي يكونون اكثر رعاية للحق، وحرمة الواجب، وانه لفرق بين من
 يدساق الى احترام الحق، وتقدير الواجب بدافع من شانه، ونريته، وطبعه
 وبين من يدساق الى ذلك بتأثير مادي. او افعال بعد سبل الجهد فيه. وقد
 دلت التجارب على ان القانوني يسعى قدرا ما يستطيع الى ان يتجنب الاعمال
 التي تحمل باحكام لقوانين او تؤثر في احكام القوانين او تؤثر في حقوق الناس.
 وادارة الدولة، اكثرها، عبارة عن ايصال حق من آخر الى آخر او طلب
 تأديته واحب من فرد، تجاه فرد آخر او تجاه المجموع فالقضاة ليسوا هم
 وحدهم المكلفين برد الحقوق الى اصحابها، وكثير من الحقوق ينظر فيها
 من من مصالح غير قضائية وعدا صلات الدولة بالداخل فان لها اتصالات
 في الخارج، مع المجموعة الدولية، والقانونيون افضل المتقنين للقيام بهذه
 الاتصالات وتحميد الاآرامات المتأدية منها. نعم قد يكون من القانونيين من لم تكن
 لهم هذه المزايا او ان هذه المزايا لا تكون ظاهرة مدوسة في تصرفاتهم. وقد يجدد مثلا
 في بعض العسكريين، او المهندسين او الاطباء من هم اكثر رغبة في احترام
 القوانين، وانزع نفسا لا "حقاق الحق"، وارهاق الماثل، قد يكون ذلك
 والسكي كما يثبت ان الاحكام لا تنس على الشواذ وانما تنس على الاعلى
 السائد وان اكثر الارامات الخارجية الدولية، والاضطرابات الداخلية،

تأتى من الساهل في الحقوق ، وتواجه - اب ، او عدم الاعتداد بها
كما ينبغي .

حامسا ان الجمهورية كما بناها هي الدولة الصالحة للنظام الديمقراطي .
وان النظام الديمقراطي القائم على اساس العصيلة لا يضر فيه تعدد الاحزاب
بل ان تعددها مفيد ، فهي - كما وصفها مونتسكيو بحق - كنفات الآلات
الموسيقية المتعددة وان اختلفت نغماتها ولسكنها تخرج من مجموعها نغمة
متسجمة متناسقة ، فالاحزاب في الجمهورية لا تفل في اتحاد الشعب ، ولا تقل
من قوته ، ذلك لانها جميعها تسيرها روحية واحدة ، هي لعمري في سبيل مصلحة
المجموع . ولسكن الاحزاب في غير جمهوريه ، تفل في اتحاد شعب وتفل من
قوته . وان تعددها لا يكون ذلك الاستحسان والتناسق . الذين يلمسها في
الجمهورية لان المحرك اختلفا فيما كان في الجمهورية للعصيلة ، نرى هنا
محركات بعيدة كنوا عن العصيلة ، محركات معنيتها الاختلاف في كل شيء ،
في الثقافة ، في توزيع الثروة ، في التربية ، في الارحام والتنافس في سبيل الجاه
او المناصب او ما الى ذلك . اذن فان تعدد الاحزاب لا يصلح للشعب الا ان .
وقد ادركت شعوب كثيرة هذه الحقيقة فلم تسمح ان يتكون فيها غير حزب
واحد . ولسكن هذا الحزب الواحد ، الذي نراه في الدولة الارستقراطية الفاصلة
هو في الحقيقة مجموع افراد الشعب او اكثرته يسلكها نظام حزبي
واحد ، ومن لم يملح بطبعه الى السياسة او التقيد بقيود الحزب فله ان يكون
مستقلا واسكنه على كل حال عليه ان يكون عضوا في النقابة او الجمعية التي تمثل
مهته . وعليه فان هذا الحزب لا يشبه حزب السوفييت في روسيا او حزب
الشعب في تركيا وانما هو حزب يمد قبه على اساء الامة جماء . لا يجوز
لفرد ان يبقى غير مرتبط بهذا الحزب بوشيجة من الوشائج ، فالنقابات
والجمعيات التي تنظم اختصاصات الافراد ومسالكهم تكون منضمة الى
الحزب وكل فرد واجب عليه ان ينضم الى نقابة من هذه النقابات ، او الى

جميعه من هذه اجميات كل حرب احتصاصه او مهنته فالرارع يضمن الى
الجمعية الررسية او فرم الذي هو في منطقته ، واعمل الى ثقافته ، واتاجر
الى عرفته انتصارية ، وانحامي الى فاسه خاصه بلح فهد كالم تكون
منظمة بالحرب . فاعرب ان ينسؤسسة سياسة الحرب واعما هو مجموعة
مؤسسات تسمى في تنظيم صفوف الشعب ودرهم ، وثقافتها لتجس منه وحدة
لا تتجرا ، ووجهه مناسكة لا يتطرق اليه احل على ان الهية العليا للحرب
وكذلك مرا كبر اجميات ولفقات واعرف لا يجب ان تتجرب الا من
الذين اكلو تحصيلهم اعالي . لانهم غير الرؤوس امفكره ، والعقول المدبره
لجميعاتهم ، وغرفهم ونقاباتهم وهياتهم .

سادسا ان اصحف والمجالات لا يجوز ان يصدرها فرد . انما ذلك من
حق الحرب ولفقات واجميات واهية ، واعرف ان خطه به او شر كان
تكون ارضها في احدى حمة لشهاد الاعاية . ذلك لان لرأي العام لا يصح
ان يتعرض لخطر عسار وتشوش بها اضراره تستمر عهله ، وهدديه ،
ووجبه وجهه في وضع يتمكن فيه من تغيير الحق من باطل . ولرأي
انما يصح من ارأي القصر وان اكثر الاندفاعات الخطره اي انتبها محتملات
هذا عصر ، منفتح لاهل في امر الصجسافة والمطويات لما فيه حيث قد
اصبح تثره فعلا بالنظر الى نفس من لطاعه وانفس في طرق البشر ،
وسرعاء ان صلاب تحصر مصدوره بالحرب ومرتبطه وشر كان استقلاله
ليس معصاه مع حرب البشر فكل مواطن ان منير به ، ونبش نظرية حصمه
فيها ويحارب ويحارب خربه لغير موافقه اسكل فرد واسكن وفق نظام
معين ، وطرار معوم ولا فرق بين ان يكون الصجسفة ووجهه او الرسه المؤدية
سياسيه وغير سياسي ، لان كل ما هو مطوع اصبح في الوقت الحاضر ،
ذا اثر بالغ في النفوس ، وفي العقول .

سماها. لا يجوز لمثل لامة ان يراون صحفته او يشهدوا كل عمل .
يبتع لهم نحاذايا ، ولا يقرر هرة با كل وسها ومن يناحيه كات ولا يمج
الاوسمة وشاران الشرف وذلك طيلة الدورة التثبائية

ثمنا لا يجوز الجمع بين اثنين في محس الامم والعصرية في هيئة .
ادارة الحزب او ادارة المؤسسات المصممة اليه طيلة الدورة التنفيذية ومن يكن
القسامه ناهيا مؤسسة اي انفسهم ، كما انه لا يكون مديرا او عضوا
اداره في الشركة او مؤسسة مالية له مع مئة مع احدي الدوائر الرسمية
للدولة

فهم من هذه الاسس الخدمة للتكوين السياسي في كل ناحية مستقلة
ان حرية الافراد في جميع وانهم مضمونة . فهم يحسون ثقلهم . وانهم
مضمونون في البنية والخدمة او العروة . الهيئة الى عم منها ، وهم مضمونون
حريةهم الفكرية . اعلان آاتهم سواء في المجتمعات والوادي والمدن ، ثم عن
طريق الخدمة ام انصحاه . ثم الذائب . وفي وسع كل فرد منهم ان يمس
الى ارقى لمص ، اعلى مراتب الانوار وفيه الاهمية واليكفاءة الامتنان
من هذه نوجوه لا يكون مدين عن نظم يقرر طيلة اوقافه . وان كان
يقابل ذلك ان سببه البنية تدرج الى ذوي الكفاءة من او ان اشبه
والطريق الى هذه الكفاءة مفتوح لكل فرد من دون تمييز بشي . مس ووعا
على طبقة من طبقات ، كما ان لا يضمن بشي . وليس او كثير ، بالدم ، او
الزرة ، او نورانه ، او قيم اميالات حاصلة مدح اعموم ، ونعم عن آخري
فالكفاءة سبب يوصل الى مكان الاثني به من الاماكن التي منهم تمتد
سلطان سيادة الدولة . كانت اسجاعة وطموحات ، والحرب وسرطاته
نما لهاصة . في هذه الامور وصحت في راسقها . طرقتها الكفاءة . فمن
هذه الامور لا يكون مدين عن الا سبب طيلة . ولكن هذه
الارستقراطية لا تقف على اسس الدم والنزوة واوراثه والامور ان احصيه

وانما على العم ، والثقافة وهي ليست ارسـتقراطية فاشمة جاهلة ولـكنها
ارستقراطية فاضلة عالة .

ان تحديد حرية الانتخاب ، من مقتضيات المصلحة العامة لان ممثلي
الشعب الذين في ايديهم السلطة التشريعية يجب ان يكونوا مختارين في ثقافتهم
وعلمهم ، وتحررتهم ليستطيعوا ادراك حاجات شعب ، والنفاذ الى روحيته
لتكون قرايبهم ملامه لها ، ولا نفور معها فالحرية لها حدود تفهمي اليها ،
وآفاق لا تتجاوزها . وحدودها وآفاقها هي المصلحة العامة ، وكيف يقدر
المصلحة العامة من كان جاهلا او قليل التجارب ؟ وقد يقال ان المندور الذي
يخشى منه وهو انتخاب غير الاكفاء لا يرول في مثل هذا النظام ما دام
الناخبون هم الناخبون الذين يعرف مبلغ ذمهم العقلي ، واختباراتهم
وقاليتهم اي اهم هم الناخبون الذين عرفوا كيف تؤخذ اصواتهم قبل هذا
النظام الا يجوز انهم يفتخون غير الاكفاء ، ما دامت الشروط
والقيود لم تتغير ؟ الجواب ... ان الامة هي في المنتخب لا الناخب . ولما
كانت حرية الناخب قد حددت وانتخاب الاشخاص الذين يجب ان
تقوم فيهم سمات معلومة ، وهذه السمات رؤيت كافية لطمس المصلحة
العامة فلا يكون هناك اي صرر يخشى منه لان المنتخب يكون له من
الكفاءة ان يلم بحاجة شعب وان يناقش المشاريع القانونية بروح علمية
نعم قد يجوز ان الناخبين لم ينتخبوا الاوصاف من بين المثقفين ، والاكفاء على
كل حال ملزمون بان ينتخبوا ممثلهم من المثقفين المعضولين ، على الاقل .
هذا النظام يمنع انتخاب غير الدارسين ، او الشباب الذين تعورم الحكمة في
الامور هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان الحرب والمؤسسات المنصمة
اليه هي التي تنظم الاعمال الانتخابية وتنسقها وان هذه المؤسسات اودعت
الى اشخاص لهم كفايات خاصة ، وقابليات منظورة
وقد يلاحظ ان اعضاء هيئات الادارة لهذه المؤسسات الي هي صاحبة

القول النافذ في ترشيح الممثلين ، يستملون فرصة وجودهم على رأس هذه المؤسسات فيرشحون انفسهم ويكون التمثيل الشعبي محتكراً لهم ، ومحصوراً فيهم . وأين هي الحرية في مثل هذا النظام ؟ ان هؤلاء ليسوا خطراً على الصالح العام اذا ما فازوا بالكراسي التمثيلية لأن الصفات والقابليات المعروضة فيهم تؤهلهم لتمثيل مصالح الشعب اولا وثانياً ان هذا النظام يحرم الجمع بين التمثيل في مجلس الامة والعصوية في الهيئات الادارية لهذه المؤسسات . فاداما ينتخب عضو الادارة ، الى عضوية المجلس التمثيلي وجب عليه اما ان ينسحب عن عضوية الادارة ويحتفظ فقط بامتصاصه للخدمة او الجمعية ، او الغرفة واما ان يستمر عن قبول عضوية المجلس فلاستعلاء اذا حصل ايضاً يكون لمرة واحدة فقط لا اكثر . ولماذا لا تكون هذه المؤسسات كدور تدريب لممثلي الامة في المستقبل ؟ . وثالثاً ان التمثيل هو كلمة لأن الممثل يكون ممنوعاً عن الاشتغال في مهنته او مزاولة صناعته طيلة مدة الدورة التمثيلية فلا يقدم على عضوية المجلس الا من خلصت نفسه من شوائب المادة ، وآثر الخدمة العامة ، على الجمع الذاتي ذلك لأن التشريع كله والتطبيق اي (الحكم) كله والتنظيم كله .

فالخرب مؤسساته يكون كمنظمة عامة للشعب ، ودور تثقيف وتدريب لآرائه ، ومراكز استشارية ، ومصادر علمية ، وثقافية ، للسلطة التنفيذية وقد فرض على من ينتخب عضواً في المجلس التمثيلي من اعضاء ادارة احدى المؤسسات المرتبطة بالحرب ، او من اعضاء هيئات العليا ان يختار العضوية في المجلس او القضاء في مركز الحرب او مؤسساته ليسكون الحزب في نحوه من التاثيرات التي قد يقوم بها هؤلاء الاعضاء المنتخبون للمجلس . لقد دلت التجارب على ان رعماء الاحزاب حينما يفوزون بالكراسي التمثيلية وتكون منهم الحكومة يدورون الحرب ، ويسيرونه في اتجاهات لا تلتزم ومبادئ الحزب واهداه . وعوامل كثيرة وطرق متعددة يستطيع هؤلاء القادرون على شؤون الحرب والحكومة معاً ، ان يكسبوا اصوات الاكثرية

وان يقدموا على امور خطيرة وهم آمنون مطمئنون من مؤاخذة ، فاذا كان
اعضاء الحكومة ، المجلس التمثيلي لا يكونون في مراكز مؤثرة في الحزب
وقد يجوز ان يكون للحزب قوة تنظيم شؤون الدولة ، فالسلطة التنفيذية ،
عنها سلطة المجلس التمثيلي ترافها ، وتعزل من انحاءاتها ، اذا ما كانت في
انحاءها خط وخط ، والحزب يكون ساحة تالفة ترافها كلها السلطات
التشريعية ، والتنفيذية فالحزب يكون هو المؤثر ، ومن انحراف من رجال السلطات
عن الطريق السوي ، وان كان لا يستطيع خذله ، واسقاطه فوراً ، وليكنه
يستطيع لفصحاء على مقعده لأن الانتخابات تكون بيد الحزب ، لا بيد
هذه السلطات ، وعندما يراد تحديد انتخاب أعضاء المجلس ، تكون كلمة
الحزب هي الحتمية ، واداءات الاختلافات بين السلطة التشريعية والحزب ،
وارادات السلطة والحزب ، ووجه طرها فلم ذلك ، ولا أعضاء السلطة التنفيذية
الحزب يحضرون ، تصدوا ، فسادته ، ويخطوا في اعضائه ، والصلوة لم تقطع
بهم ومن الحزب ومن انتمت زمامه والسيطرة هي التي تنقطع

التكوين الاقتصادي والمالي

ان لماحية المالية والاقتصادية من اهم سواحي اؤثره في حياة المجموعات البشرية وتطورها . فهي في توجب المرور الاجتماعي ، وتحت موازع الشر ، وتسبب الارمات . والاختلافات والاضطرابات ، سواء في داخل كل مجموعة أم بين المجموعات البشرية بعضها لبعض . فالحاجة هذه الماحية تكون اولى الواجبات والزم استلزمات في كل شعب وسائر هذه الماحية هو حق الملكية في الضروري ايصاحه وتقدير حدوده وتحدد مفاهيمه . وقبل ان نقول بحث هذا الحق ، اريد من الارم ان نتكلم عن المساواة ، والحرية ، وهما اتصال وثيق بهذا الحق الذي نحن بصدد

ان المساواة في كل شيء غير موجودة ، ولا يمكن ان يوجد في امة مجموعة بشرية . ذلك لان فاليات البشر تختلف ، طباعهم تختلف ، آراءهم وأمايتهم تختلف ، وتغير اصبح ان الاختلاف بين ابناء البشر امر جوهري فيهم . اصبل عندهم ، فاذا كان الاختلاف اساس الطماع البشرية ، فالمساواة بينهم تكون صرا من الوهم والخيال . فليس صحيحا ان من لعقري ، والمخترع ، ورجل المم والمصل معاملة اسوي ، ككسول . ان من اس لتساوي بينهم ، سواء في الاحترام ، أم في الاتصاف عليهم ، ثم طر عيشهم انما هو الظلم بعينه . فالاختلاف في معاملتهم لازم وضروري ، ان فالمساواة لا يمكن ان تكون ألا امام القايون ، ولا استعادة من القايون . فوالفرص وهذا هو المقصد الذي يري اليه احرار لما من حيثما يطلبون المساواة ، ويرغبون في

تطبيقها في المجموعات البشرية ، فالأوامر والنواهي ، والفوائد والموانع ، التي تنص عليها القوانين والشرائع ، يجب ان تكون ملزمة للجميع ، وبمنوعة عن الجميع ، فلا يجوز اختصاص طبقة من الطبقات ، بالمفاز ، واخرى بالمفاز ولا ان يفتقر فريق من عقاب ، اذا ارتكب عملا ممنوعا في القوانين ، ويدان فريق ، فالأداة تكبر نصيب كل من بعث بالقوانين ويحل بنظام الحياة الاجتماعية التي سنت القوانين لحمايتها ، هذه الصورة تتحقق المساواة . وكذلك الحرية فليس المقصد منها اطلاق العنان لكل انسان ، ان يفعل ما يريد وينفذ ما يحول محاطره من افكار . فالحرية هي ان يعمل الانسان ما يريد عمله . ضمن نطاق القوانين اي انه يعمل كل عمل ، يشاء اذا احسنه القوانين او لم تمنعه عليه . فالقضاء في تمييز القوانين يهدم الحرية كما ان التشدد فيها اكثر مما يفتضي ، بعدمها كيانها . فالحال ان تنتهي الى الاستبداد الاول تنتهي الى الاستبداد عن طريق الموصى ، والثانية تنتهي اليه عن طريق التحكم الطام ، والاضغاث . هذا مهمنا ذلك فلا نكون متجاوزين حدود المساواة اذا قلنا بتوزيع الثروة بين الافراد توزيعا عادلا . وان كان مختلفا . كما لا يكون معتدين على الحرية اذا سمحنا لقوانين خاصة ان تنظم حق الملكية وتحدده تحديدا معقولا يتناسب وحالة كل مملوكة ووضع كل امة

وحق الملكية هو حق بمقتضاه يوضع شيء تحت ارادة شخص يكون له دون غيره ان يستفيع به ويتصرف فيه في حدود القانون . وهو حق مطلق يتمسك به ضد كل الناس أي ان كل الناس مكلفون بالامتناع عن التعرض لصاحب الملك قانونا . وهذا الحق ضرورة اجتماعية . ليس في مقدور النظم لسياسية التي يفكر في تطبيقها في المجموعات البشرية ، ان تتجاهلها أو تنكرها مما أوتيت من سلطان ، وممكن لها في الأرض ذلك لأن تجريد الفرد من هذا الحق يناقض وجوده وكيانه والقوانين انما تستمد قوتها من ملائمتها لطبيعة الاشياء التي وضعت لها . فالحق بصورة عامة هو عبارة عن

فائدة مادية أو أدبية حتم القايون على الغير احترامها، ومع صاحبها قوة الانتفاع والتصرف فيها ضمن الحدود المرسومة . وإن الحق ، نفسه ضرورة من ضروريات الحياة الاجتماعية . فلو أن الإنسان يمكنه أن يعش بمفرده لما وجدت ضرورة ليكون له حق أو يترتب عليه واجب وإنما يفشأ الحق، في اللحظة التي يتصل بها الإنسان بأخيه الإنسان ولما كانت مديا بطبعه لا عني له عن هذا الاتصال ، أصبح الحق أصراً طبيعياً كذلك . وببشأة الحق يفشأ الواجب . لأنه لا يمكن أن يحصور حق من دون واجب ، ولأن يكون واجب من دون أن يكون هناك حق مفروض احترامه . إذن فالحق ضرورة اجتماعية . والحق وإن قسمه العلماء أقساماً ونوعوه أنواعاً فهو لا يعدو فائدة أممية وأما أدبية فالحقوق العامة، كحرية الرأي والمعتقد بأنواعها، أو سياسية كحق الانتخاب ، فهي وإن كانت أدبية ولكنها فائدة يستعملها الفرد ، بقوة القايون ، وبقوة القايون يستطيع منع غيره من التعرض له فيها . والقايون يحرم كلا النوعين من الفائدة . وقبل القايون احترامها التقاليد والعادات ، وهي من أقوى مصادر القايون . فتجريد الفرد من حق الملكية ، معناه تحريده من جميع أنواع الفائدة المادية . أي كل ما يقوم به ، ويفقد بنفد . وهذه هي الثروة ، والثروة إذا لم تكن قابلة للتملك فهي فائدتها ؟ .

ولماذا الماركسيون يرون للدولة حقاً في التملك ، ولا يفرون للفرد بهذا الحق وما الدولة إلا مجموع الأفراد القاطنين في المملكة المعلومة الحدود وهل إذا جرد الأفراد من هذا الحق ، واعتبروا أصفاراً لا قيمة لهم من هذه الناحية تكون للدولة قيمة وهي مجموعهم ، ومجموع الأصفار صفر ؟ إن الدولة تستمد قوتها من هؤلاء الأفراد ، كالأهر تتكون لمواها من دراته وعطراته ، أو كالخط يتكون من النقاط المتصلة بعضها ببعض فكذلك إذا حلت أمواه النهر ، غاض مائه ، أو محوت النقاط اندرس الخط ،

كذلك الدولة داخلة في ارادتها من قراتهم . او من حقوقهم ، (تعبير اصح ،
 فلاشئ اثره ، وامتحت معالمها وقد قال اذن كيف تقوم هذه الدولة للصحة ،
 الدولة الروسية السوفيتية على هذا الاساس ، حيث جعلت الدولة اساس كل
 شيء ، ومجتمع كل الحقوق ؟ اني اجيب على ذلك بكلمات قليلة لا اريد
 في هذا المقام ، ان اتعمق في تحليل المساواة السوفيتية ويبحث حساساتها
 ومساوئها ، وهذه الكلمات تلخص عما ينبغي . ان لدولة روسيا اضطراب الى
 ان تعترف بحقوق الملكية الجزئية للأفراد بعد ان ثبت لديها عقم محاولاتها
 في تعريضهم من هذا الحق وهذا الاعتراف وحده كان للفحصاء على فكرة
 تكرار حق الملكية للأفراد وهو - ليس مادي بشت كون هذا الحق ،
 ضرورة اجتماعية لا على الانسان عنها . لأن عدم الاعتراف بهذا الحق للأفراد
 يضعف فيهم قوة الاتحاح العسكري ، ويوهن فيهم عزيمة اشخاص ، ويعدم فيهم
 كل قابلية . والانسان انما تدفعه في حياته الى محاولات الاعمال لسعادة ،
 والمنازعة للصحة ، والى الابتكار والابتداع ، الآمال والاماني فاذا
 اهدمت تحت حدود دكا ، واعطأ صماء روحه ، واحتتمت ومصحات فكره
 ومع ان روسية قتلت عمداً حق الملكية في نطاق ضيق ، فهمم الروسيين لم
 سم سموها المنتظر ، ولم ير انعام او احصاءة القناعة ، عقولا مددعة وادمغة
 معكورة من الطرار الاول في لاوساط ارسية في هذه الايام ذلك لان
 قوة اسواقهم وشاغلهم حددتها الا في لصيفة ، لا ما هم وامانيهم وها
 اهم - يندحرون امام امة موسها تقن عن نصف لغرسهم وسر هرسهم
 واندحارهم ليس في فئة حيوشهم ، وادرة وسائلهم الخيرية وما هو في
 عدم قابلية القائمين بقيادة حيوشهم وفي قصص ثقافة اندرسين اشؤورهم ، ولوهم
 موسهم ، وهذا امر طبيعي فلماذا يرهق اصحاب اقباليات بركرية نفوسهم
 وخصي العقريون احسادهم ويمس المعاشون دفعة وتمحيصا في بحوثهم ، وهم يرون
 الفرق بينهم وبين غيرهم يسيرا ويحدون موردهم صجلا ، لا يكاد يسد عورهم ، وفي

باحتاجهم والاسس انما يعيش للحاضر، والمستقبل وكدح يسا النعمى، ويقور
رعا العيش في رمر أشجوجه وارىنى، انه ثرية برصاها، ويرفه عنهم في حال
حياته وامد موته، وهذه هريات ليست متميزة في طس ابطاء الوهم؟ (١)
ان القوانين، و عظمة لربية وهواءها، هانثير في نكيتت موس البشرىة
انس هانثت في ذلك، انك توحى نواميس طبيعیه، وفواع اجتماعیهة
ارلیه، انس في مقدور هذه اقوان، و تلك الاطعمة واداءات الترمونة
هدها من آسها وافلاعم من جدورها، وحق من نكیهة حتى اوجدهته
صحة، و الحياة الاجتماعية، وفرصته التواميس الطبيعية ان تؤثر في اساسه

[illegible]

وحذوره ، القوانين الوضعيه ، والنظم الكيفية . نعم ! يمكنها ان تنظمه
 وتنسقه ، تجلوه ونصقله ، فهذا امر ميسور ، وكل من له رعة انسانية ، ونفس
 كريمة ، يسعى في سبيل تحقيقه ، وينذل قماراه في تبسير ما عسر فيه .
 والحقوق على مختلف انواعها قد تناوشتها يد التنسيق والتنظيم واصابها الصقل
 والجلال ، باقدار متفاوتة وصور مختلفة . وقد يقال ، ويقال بحق ان حق
 الملكية كان اقل هذه الحقوق عناية من ناحية التنسيق والتنظيم ، وابعدها
 عن الصقل والجلال . اذا قيل مثل هذا القول ، فانه قول حق ، بحسب الانبساط
 اليه ، والابقاد له . ذلك لان المدنية القائمة مدنية مادية . فقدت ماديتها ، الى
 كل وسط . وتعلقت في كل شيء . فنظم القرية العامة تأثرت بهذه المادية ،
 وسياسة الفنين ولقشربيع انجحت انجازها ماديا ، ولصناعة ، والمائموه
 بالصناعة من اصحاب رؤوس اموال ، وعمل ، كانت تسود اتصالهم لمادة ،
 فكل شيء اصبحت تحت تأثير المادة . لذلك نورت الثروة نوريا غير عادل
 منقلبت دنة بالعماء ، واضطربت فئات في الساء واصراء . واشتدت الخلافات
 بين المنتهجين الحقيقيين وعم العمال والصناع ، مع اصحاب رؤوس الاموال ،
 وامتلأت صدور الجميع بالشحناء والخصاء . وامعن الاقوياء في ارهاق
 الضعفاء ، مستغلين القوانين التي سنتها المدنية المادية ، واستبدوا هم استبدادا
 البيا . فكانت ثورات وكات اضطرابات تهيحها كلما سكبت احن واحقاد
 دوية ونشمرها كلما هدأت ، عصبيات ونزعات كامنة وفي الحق . ان اصغر
 الثروات لصغمة انما تكونت بطرق محرمة ، ووسائل غير مشروعة . وان
 لثري شخصا كان رأس ماله قليلا ، او ليس له رأس مال أصلا ، تمت ثروته
 وتكدست امواله الكثيرة في ايام حاطمة ، ورمي بسم . والربح المشروع لا
 يمكن ان يجمع مثل هذه المبالغ الطائلة في مثل هذا الزمن . وانما العوامل
 التي ادت الى التضخم والتكثير هي عوامل تسوا عنها الطماع السليمة ، والنفوس
 الكريمة والاخلاق الفاضلة . هؤلاء المترون إما انهم يفتخرون نكبة عالمية

عالمية ، أو حرمان شاملة ، فيستنفون ثروات وأموال المستهلكين ، أو انهم يرشون اصحاب المودور على التشريع ليستصدروا منهم قوايين أو أوامر في اختصاصهم ! ممتياز أو نوع من الاحتكار أو انهم يستصدرون سندات مالية وهمية ، أو يقومون بمضاربات خطيرة الاثر أو يؤلفون شركات من دون رؤوس أموال ، يعتمدون في تأنيقها على المكر والدهاء ، أكثر من اعتمادهم على الطرق المشروعة لاستحصان الثروة ، أو انهم يستغلون السيطرة السياسية الموالية لهم ، فيصنثون في الاوساط المالية في داخل بلادهم وأحارجها ، سيما اذا كانت البلاد الخارجية تحت نفوذ دولتهم واستعمارها ، فأهم يستصفون الأموال ، والخزائن والكنوز التي فوق تربتها ، وتحت اطباق تربتها والحاصل فان أكثر الطرق التي استعملت وما رالت تستعمل لتكوين الثروات ونصحيحها جاءت خلاف القواعد القانونية ، أو ضد المبادئ الأخلاقية ومضاهج المجموعات البشرية . وإن ثروات تتكون بمثل هذه الطرق ، من الواجب إعادة النظر في أمرها وهذه حقيقة لا ريب فيها ، فقد بحثها كتاب عالميون ، وعلماء فطاحل لا نقاؤهم الشبهات وليس في وسعنا ان نورد أمثلة لأن ذلك يكون بمثابة تكرار لما أثبتته هؤلاء من جهة ومن جهة أخرى فان الشواهد المادية ، من الكثرة بحيث تستوعب مجلدات ضخمة . وإن اكتناز الأموال من قبل فريق من الناس ، وفقر الفرقاء الآخرين هما العاملان لـكل هذه الاضطرابات المادية والروحية التي نشاهد آثارها السيئة في المجتمعات البشرية . فإذا حاول المصلحون تثبيت حق الملكية على أسس منطقية ، وقواعد قانونية ، لا تضر بمصاحبة المجموعات البشرية ، ولا تحدد من آمال الافراد وأماهم ، في هذه الحياة فلا تكون هذه المحاولة ، طائفة ، أو منافية للبائدي الحقوقية .

لكل حق من الحقوق المتنوعة التي يتمتع بها الإنسان حدود ينتهي بها ، ونطاق لا يتعداه ، فخرية الرأي والذمير مثلاً هي من أعر الحريات التي يحرس عليها الإنسان ومع ذلك فليس صحيحاً ان تكون مطلقة ، وهي محدودة

بمصلحة المجموع متى صبح رأي مصر هذه المصلحة بحسب الوقوف في
سبله ، وكذلك حره معتقداً ، لا تدان ظاهراً موصوفة من النظام العام
فإذا حدث به نصي حر منها ، فقد بقي بتقسيمه هذا النظام ، حتى أن
حق البقاء في هذه الحالة ، لا يستطيع إلا أن يمان أن تصرف فيه كما يريد ، وهو
ليس له حق تصرف نفسه ، ولا غيره ، متى ما شعرت السلطة بكلمة بمحاولة لنظام
العام ، يهرم أساساً على الاستحسان ، يدر في نفسه ذوقاً ، وماقت محرضه أو
مساعدته ومعيته في هذا العمل ، من من المبادئ ، غلب الشرع في الانتحار
نفسه ، وهذا حق لسلطة الله من لا غبار عليه ، اقتضته المصلحة العامة ، وفرضته
أو اجبات الاحتياج ، وكذلك فإن لا مانع ليس حر في التصرف في أمواله
إذا كان ميم تامدراً لا ينفك ، حوله إلا غاي ، والسلطة العامة حجرة ومنعه
عن التصرف في أمواله ، بل سلطة الله ، لها حق تثبيت الحقوق
وتدعيمها وتنظيمها ، ويعين طرق اللائحة الاستمارة بها سواء كانت هذه
الحقوق عامة خاصة ، ما دام ينفذ على هذا الأسس ، يعني إعادة النظر
في من حق الملكية ، ومن من سرعي ، نظر في الحق الملكية ، ما هو
د ، صبه ، ويرسم ، الأرض وكيفية التصرف فيها ، لأن ملكية الأرض ليس
ومط تؤدى إلى صميم ضرورة ، كما أن توزيعها منه ، وتقسيم لا يستند
إلى نوع وطريقة ، وإنما تؤدى إلى فرق ، في استجابة حقيقة ، وتكون طوائف
وفرق ، متباينة ، متباينة ، وهي فاهم تؤدى إلى تفتيح مجموعة من
الأحياء ، روحية ومادية ، بل ، كما كانت ملكية ثم جموية ، وكانت
مصلحة ، رفعة ، طمأنينة ، كانت في عموماً من العليم ، وتعيش في ظل
العدل ، والهدوء ، وذلك لأن تربية الأرض ، كان هدوءاً ، وتنظيمها بين
الحسد والافور ، كان متساوياً فلا نزعات الغيرة والحسد كانت تحرك العداوة
بين الافور ، ولا يفتت في المصالحات الاجتماعية ، كان سبب لتجسيم والتجسيم
كان الرأى ، من كلهم ، يفكرون في رؤى ، ويعيشون ربه ، وكانت سلطة

السامو تشمل الافراد الذين ، والجود وهو دعم على السمو ، و كل الاحرام لها من هؤلاء ، ياتي اموه ، ولا يمكن عم جميع غير حصة روما ، و من دماهم وما تملك كون في سبع شرب روما و كرمتم ، و يمكن لا صباوت ايضا ليا بالرومانيين وطه موا في حاحم ، و احد ، ثما ، ثما ، كل اسامو هو المؤثر في شعب في الجسد وفي سمو ، صبح لقو ، مقتضرون خارج البلاد الاطانية ، الداحون ، لالا فيم شيء ، كثير من اسباب الرضا ، ومن الثروات واليكور انهم ، اصبح هؤلاء شعرون سر عدا غلابة عن سادو روما واوامره ، وكما بعدت بهم الديار ، و شنت لمساكن منهم ، و بين وطهم الاصيل ، كانت روح الانصياع للمركز ضعف فيهم واطاعه لاهالمن شؤون اوطان الامم ان ، كما و يعودون بحبوشهم مشبه روح الفتح ، العسكري من سلافة مصر ، وسحون وم دعي رؤوسهم كابل الفا معقودة تتمهم حجاب الاموال واثقال احرام وسكور ابي ظهرها بها ، كانوا سنبون على الاراضي طرائق شتى وصطرب ملك طام انهم المتبع ، ونهر اسلوب تملك الاراضي واصحت الارض من رمن وسر و ١٨٩ على طائفة مميته ، و حرمت من طرائف كبرى اخرى ، و راد في ذلك مادح من روما من الجرائل واليكور ، وبكثرت اسباب اربعة ، وتنوعت ، و صرت الترف بحرايه على ذلك اشعب لمسكرى ، اووع بالفساده ، وتفرق الى طوائف متعاضده متعاضده ، وانقسم على نفسه ثم مال الى النظر و ضعف روحه ، وتخرج عن كثير من المومث الاخلاقيه التي كانت السبب في قوته وعظمته ، فكانت هبة روما ، اربعة ، و سار هب وهكدا كانت الامم رات لته فية اسرعه من لا خلا ، من شعب لمسكرى اقوي لعبور ، لانه عندما كان يرى الجود وفواجم ، وم هي بكل في الكل ، و اسامو هو صاحب السلطان لطاع اصبح القواد يشعرون بالستقلالهم عن هذا السلطان والجود مر سطين هو عفا وفي طرعه ، عر روم ، وعم سادوها

وبينما كانوا يحاربون في سبيل روما ولاجل الشرف اصبحوا يحاربون في
 سبيل الاتراء، واصانة الاموال وادجار الطرائف واقتناء اكبر مساحة
 من الارض، واشادة اضمخم الابنية عليها. فلو كانت روما احتفظت بقواعد
 تقسيم الارض وحرصت على ان تكون السايك الضحمة، الباهضة الكلفة
 هي البنايات الحكومية كما كانت عليه في اول امرها وطيلة الحكم الجمهوري
 فيها، لكان يجوز انها لم تلاق حتفها تلك المريعة، ولم تلعط انفسها بين سموم
 الخرف ومخدرات المم. فتوزيع الارض امر حيوي، في كل مجتمع انساني
 ولست ارى تبعة امياري روما الغربية على التفاوت في توزيع الارض فقط،
 واما اقول انه كان السبب الاول واما الاسباب الاخرى فقد تفرعت عنه
 حيث احدث اصحاب النفوذ، والفواد والرؤساء والذين حملوا الى روما خرائط
 البلاد المفتوحة واموالها، اخذ هؤلاء بقناصون في الاستيلاء على الارض وفي
 انشاء البنايات الضخمة عليها، والتزويق والتنميق. واقتضى هذا التناسل
 في اسباب الرينة واقتناء الرياض الفاخرة، والاثاث والاواني الثمينة، الارتفاع
 الى حياة مرفهة، لم يكره قد ألعها الشعب. والى عيش رغيد لم يكن يد تعود
 فضحت روحه وانحطت كفاءته من ناحية ومن ناحية سرت في النفوس
 امراض التنازع والتناكب، ونصبت في اوساطهم ربيع الخلافات لما كان بين
 طبقات لشعب من فروق واضحة. ولا يعترض على هذا الرأي بأن
 الاختلاف في الثروات، ما صارت اليه الحالة في روما فتائج طبيعية لسياسة
 التوسع والتوسع. قد يكون ذلك اذا لم تتحدد اسباب الوقاية ولحكمها اذا
 تعدت، فقد يجوز انها كانت تحول دون المصير الذي صارت اليه سياسة روما التوسعية
 وغيرها. على انه مادام نفي الامم لى طمعت في سياسة التوسع، والفتح، اذا كانت
 تعلم ان نتائجها تفتني بموتها وضمحلها؟ والعبرة ليست في الفتح والتوسع
 ونوالي الانتصار وانما العبرة في الاحتفاظ بحيوية الامم وكيانها، ثم
 الاحتفاظ بما حصلت عليه عن طريق الفتح والتوسع والانتصارات.

ان الامبراطورية العربية ، الى ادهشت العالم في فتوحاتها المريعة ، وانتصاراتها
 الرائعة ، ما لبثت ان تحادلت رويدا رويدا ، وقد بدأ فيها اعراض المتعادل
 والاعطاط وهي في فجر حياتها . لان الانتصارات في الوقت الذي تعطب
 فيه الحيرات الى الامة المتصرة ، وتدر عليها البركات فانها تحمل في طياتها
 جرائم الاحتلال والاضمحلال اذا لم تتخذ الاسباب المانعة فكما ان روما
 الغربية كانت انتصاراتها سريعة كذلك كانت نهايتها سريعة ، وكما ان
 الامبراطورية العربية كانت انتصاراتها ، سريعة وكذلك كانت حاتمها .
 احتلت روما بالمساواة في توسع الارض فادى اخلالها بالحدود الى
 احتاحتها ، وكذلك الامبراطورية العربية فانها اخلت بالمساواة في التوزيع
 ظهرت على الاعراض التي ادت بروما الى اهلاك ، ولو اتسع امراء المسلمين ما اتسع
 ابو بكر ، وعمر ، وعلي ، لكان يجوز ان تدوم حياتها اكثر ، ولما كانت
 سلطاتها اقوى ثباتا . وفي كل مجتمع انساني اصيب بأسباب الاضطراب
 والاخلال تحد السبب الرئيسي لكل ذلك هو عدم العدل في توزيع الارض
 واذا كان قد اصبح التساوي في تقسيم الارض في الوقت الحاضر امرا
 متعمرا فيجوز ان نوضع قواعد تبين الحدود العليا ، لمقادير الارض التي
 تكون قابلة للتملك او للتصرف فيها . صحيح ان الارض تختلف بمساحتها عن
 بعض من حيث قوة الاسات ، ومن حيث بعدها عن العمران او قربها منه
 او بعدها عن وسائل النقل او قربها منها ، ومن حيث وعورتها او سهولة
 الاستفادة منها او ريبها ، ولكن هذه الامور يمكن ان تؤخذ بنظر الاعتبار
 حين تقدير المقدار الاعلى الذي يجوز تملكه او تفويضه لكل فرد . او
 لكل بيت (عائلة) فاذا اخذنا طرائق توزيع الارض الجارية في العراق
 مثلا نجد ان هذه الطرائق قد ادت الى ان يتعوض ويملك فريق من
 العراقيين ، مقادير من المساحات تكفي لتأسيس دولة فيها ، او اقامة جمهوريات
 اكبر حجما ، واكثر تنافجا من جمهوريات يونان القديمة . مع ان الاكثرية

الساحق، من اعرابيين لا تملك كومة تروى اليه وخرابه تستطن في ظلها ثما
 معنى ذلك، وكذلك نجد الحالة في الامم الاخرى وحتى في الامم الاوربية
 كبريطانيا وفرنسا او في اميركة على اختلاف جمهورياتها
 غير طريقة تعامل فيها مع ملكية الارض، هي تحديد الحد الأقصى
 للمساحات التي تكون قاتلة للتعمير أو التعمير في العراق مثلاً يجوز ان
 يكون الحد الأقصى خمسة آلاف من الدونمات الجديدة للأرض المحصنة أو القرية
 من العمران وعشرة آلاف للوعرة أو البعيدة عن العمران وقد تكون هذه
 المقادير كثيرة بالنسبة لبعض الممالك، وقليلة بالنسبة لغيرها في بريطانيا
 بعد كبيرة مثلاً، بين في استراليا تعد قليلة بالنسبة لأردحام السكان أو قتلهم،
 ووسعة رقعة المملكة أو ضيقها وان هذه المقادير تكون بالنظر الى الارض
 التي تستعمل لمراعاة وأما الارض التي تستعمل لغرض السكنى والاعمار
 يجب ان لا تتجاوز بالنسبة لوضع العراق، اكثر من خمسة دونمات وهذا
 التحديد لا يكفي وانما يجب ان يشجع تحديد آخر هو ان يثبت الدور او
 الاماكن التي تعد للسكنى للأفراد يجب ان تكون متواضعة او متعبر اصح
 ان تكون مستوفية اسباب الراحة لغرض السكنى، ويترك أمر انشاء الأبنية
 للصحة للدولة، وهي التي تدعى السيات المحصنة لدوائر الدولة والمستشفيات
 والمجالات العامة والمعارض والحدائق وما الى ذلك، والسبب في هذا التنظيم،
 هو ان يقل التنافس بين الافراد في انشاء السيات المحصنة، وبالتالي يقل
 التنافس في اقامة اسباب الزينة وأدواتها، فضلاً عن ان هذا الوضع يجعل
 أبنية المدينة أكثر تناسقاً وأشد التأمناً، وأجمل منظراً، فجاء المناظر لا يكون
 بالانذية المحصنة وانما يكون بالانذية المتناسقة المتلائمة لسان ثم هذا الطور
 من البناء لا يثير كوامن الحقد والبغضاء في الطبقات الفقيرة حيث ان يثير الى
 فئة الفروق بين الطبقات كما ان تعزء الارض الى أقسام صغيرة، أو غير مفرطة
 في الاتساع لتسهل توزيعها على أكثر عدد ممكن من أفراد الشعب، فلا ينفرد

افراد قلائل ، مراض واسعة ، ونحرم الاكثر لعدم قدرتها على محاربة
 الأغنياء في هذا النضار وكذلك تكون الرعية في اعمارها والمحرص على
 بقائها في حالة العمران اكثر مما وان الاراضي واسعة ، ومالكها قلائل فقد
 يدفع الضرر ، اصحابها الى ان يهتموا القسم الكبير منها ، اذا ما رأوا ان
 ما يأتهم من الوارد من القسم العمور يفي بحاجتهم أو يفيض عنها
 والتحديد الثاني يكون في الوارد لكل فرد . سواء كان هذا الوارد
 من تجارة أم صناعه أم زراعة أم حروقة أم مسلك أم وطيفة أم ملك على
 شرط ان لا يكون هذا التحديد مؤثراً في نشاط الانسان وقابليته ، ودافعا
 به الى اليأس والقنوط في آماله وأماه . فالانسان يجهد فكره ويجهد نفسه
 ويواصل سعيه ليظهر ثروة يتمتع هو وأفراد عائلته بخيراتها فاذا حيل
 بينه وبين هذه الثروة فقد يقوده اليأس عن العمل ، ويصيب نشاطه بقابليته
 فتور . الحق امتلاكه ثروة مناسبة لضرورة اجتماعية كما اننا آملنا . ولكن هذه
 الثروة يجب ان تكون معقولة لا تتجاوز حدود المطلق . وان لا تصرف في
 الصالح العام . وان فكرة ان الثروة لا تعرف حدوداً كما قال سولون ، فليس
 ليست فكرة صحيحة . وكما ان لكل حق حدوداً وآفاقاً معينة وان الحق
 امتلاك الثروة حدوداً وآفاقاً انصافاً وهذه الحدود والآفاق يجب ان تعينها
 القوانين في كل مجتمع انساني . وان التصحيم في الثروات ، وما اتيح من
 اسباب أودت بحياة الأمم احايه روبرت تدوم بالأهم الحاضرة الى عن
 المصير انما يشع عن اهم هذه الناحية فكما ان امتلاك الثروة اصبح ضرورة
 اجتماعية فمحدداتها كذلك اصبحت ضرورة واشد ضرورة واكثر لروما درءاً لتجميع
 القدر ودفعها لتصحيم ثروات . وهذا التحديد هو عبارة عن بيان حد أقصى
 للأرباح والمنافع حتى اذا ما وصلت ارباح الانسان حدها الأقصى المعين في
 القانون وجب ان يكون الرائد عنه بصيب خريصة الدولة فملكه . من
 العراق ، وقد يكون من المناصب ان يكون حد أقصى لاداءات الشخص

المختلفة الصافية فيها لا يتجاوز الألفي دينار في الشهر أي أربعة وعشرين ألفاً من الدنانير في العام الواحد . ان الرواة انما تنقضي ويقصد اليها ، لا تجلس ان يعيش الفرد عيشة هائلة وان تنقذه ودريته من العور والعاقة ، فتجدها واكتنارها ، أو تدبرها والأمراف فيها كل هذه الحالات فصلا عن انها لا تفيد صاحبها ، فهي تضر فيه وتضر في لصالح العام وتؤثر في قوة التداول في الأسواق . وقد تختلف المالك بالفسه لوسعها ، وقتها ، وازدهار السكان فيها أو قلتهم ، وطرق معيشتهم وكثرة النقص فيها أو قلتها ، وكذلك تختلف اساليب حياتهم بالنظر الى ان البلاد رراعية ، أو صناعية أو غير ذلك . فمحدد الحد الأقصى يكون بالفسه للأوضاع المختلفة التي عليها البلاد المختلفة . فالمداء الذي يجب ان يكون ضالة الجميع ، هو تحديد الثروات عن طريق فرض حد أعلى لمختلف الواردات الصافية التي يحصل عليها الفرد

هذان مدان عامان اساسيان لا بدحسة لما من اتناهما اذا أردنا في المجتمعات البشرية تكويناً مالياً اقتصادياً راضياً . ويتفرع عن هذين المسألتين ما يأتي ١ ان تكون سياسة فرض الضرائب سياسة قويمية تكفل المصلحة العامة ، والعدالة المطلقة . لا سيما صرية الدخل فيجب ان تكون معصاعدة حتى اذا ما بلغت الأرباح الحد الأعلى المأمور كانت الضريبة مئة بالمئة . ب ان لقوارث مداء مقبول . فالإنسان من أعز امانيه ان يكفل الحياة الداعمة له . ولدريته عدا ذلك فان التوارث قائم على اساس التعاون ونقابل انغارم بالمقام فكما ان المورث في حال حياته اذا اصابه عجز ، وابته نائسة ويجب على دريته القادرة على اعالته ، ان تميته ون تقوم بأوده فعلى المورث ان يفكر لدريته أموالاً تستفيد منها . فبدأ التوارث فصلا عن انه من لوازم لطبايع البشرية ومن مظهرات الرغبات الانسانية فانه قائم على أساس التعاون وهو امس أساس تقوم عليه المجتمعات البشرية ولكن اذا كان احتمال العور والدفعة قد انعدم في الدرية ، حيث كان لها ما يكفها وزيد على

الكفاية فلم يبق اي سبب للتوارث فالوارث اذا كان ما يصله في العلم من
مختلف أنواع مصادر الواردات ، قد طلع احد لأقصى المقرر في الامور ولا
يرث ولذلك من كان يمتلك الحد الأقصى من الأراضي ولم يكن مديها عليها
فليس له ان يرث . واذا كان مديها عليها يؤدي الدين من نصيبه في لا يرث
والباقي تستوفيه خريفة الدولة ومع ذلك تفرض على الاموال الموروثة
الضريبة المتصاعدة بالنسبة الى نصيب كل ورث على ان نصيب حد أدنى
للأموال الموروثة لا تستوفي منه الضريبة ، فمثل هذا النظام ، يكفل مصالح
الأفراد ، ومصلحة الهيئة الاجتماعية فهو لا يسكر حق التوارث كما يسكره
الشيوعيون ولا يترك الجبل على العار ، وبسبب نصيب الثروات وحميها
بدون أسباب تقرر ذلك ونفس في الوصية عن الترتيب مع جمع
الوقف الذري وبسبب الموقف الحصري فقط . د . تجمع مصاريف في
الأشهر والسندات المالية . هـ . تجمع لاي نصيب . الأعمى التي يكون
سنادها الخط لا المهارة ، كسباقات الخيل ، الألعاب المركسية و . الى ذلك
تما يمد معنى المقامرة ، لأنها تستنزف أموال الأفراد وتورد مواردا تلعب
و تكون بعض الأعمال التجارية من حق الدولة أما محدطه دولة
تداول النقد ، أو الاشراف على حركة التجارة وتدوير لشركة اعمدة
كأعمال البنوك (الصيرفة) وأما لثمن سلامة المواصلات والتجهيف من
كاهل الفرد ، كأعمال البريد والبرق والسكك الحديدية ، والنوم وسالة
المياه وما الى ذلك . وليس ضروريا ان تصنع الدولة هذه على الماء والصناعات
والمشاريع حتى اذا كانت الصناعات صناعات عميلة والمشاريع ضخمة . لا
يصيق بحال العمل ، على الفرد وانما لها ان تحدث اذا وجدت سببا مبرره
تقتضيها مصلحة المجموع لا تعرض على هذا الجهد ، أنه يؤدي الى وقف
الأعمال الكثرة التي تهدمهم البلاد . ذلك لأن مصاريف اشركات

شركات « الافوايم » قد الفتحة المجتمعات لبشرية وان رؤوس الاموال
الصغيرة تتكون من اشتراك الافراد والمساهمة فيها . وان المشاريع الكبرى
من طبيعتها ان تدار من قبل شركات لا من قبل افراد قلائل . وان كان قد
قام ببعضها افراد معدودون فهذا نادر .

ان هذه التدابير ليست كل ما يقتضي اتحاده لتنظيم ثروات لقومية وانما
هذه تدابير ، وفي له صلة بتنظيم التجارة بين الممالك والشعوب ، من حيث التصدير
والتوريد ، والمعاملات السكركية ، وازكبر القوت العالمي على اسس ثابته ،
ومن حيث حرية التجارة او تقييدها ، وتوفيق لتعامل بين الممالك لراعية ،
والممالك لصناعية وتنظيم وسائل لتبادل فيما بينها ، ومن حيث تثبيت الصلاص
على اسس متينة بين اصحاب رؤوس الاموال والعمال ، ومن هؤلاء والمستهلكين
والى غير ذلك من الامور ذات الانثر الخطير في حياة الامم ونطور ثرواتها
القومية وهذه التدابير اما ان تكون في الدرجة الثانية فليس من
الضروري بحثها في هذا المكان ، واما ان تحدث في مكان آخر اكثر
مأسسة واقرب موضوعا . والتنظيم المالي والاقتصادي هو المسع الفياض
الذي تستمد الشعوب منه الحياة ، كما ان فساد مصدر كل الذوايب
والفسادات . والحياة خطورته تبعث عن صلته المباشرة باخلاق لشعب
وباستقامه واستقرار الامم فيه أولا . ولقد اصبح من الحقائق الثابتة ان الامم
باخلاقها وانها ان فقدت اخلاقها فقدت كيانها وحيويتها وبالعكس . ولكن لما اذا
تفسد الاخلاق وما هي عوامل هذا الفساد ؟ فالتجيب العلي ، انبت ان جرائم
الفساد تبعث عن عدم توزيع اثروات توزيعا صحيحا ، ومن الاحلال الذي
يطرأ على التنظيم المالي والاقتصادي . نعم . وبترافق هذه الجرائم جرائم
اخرى وتتعاون جميعها على الفناء على حياة امم من الامم ، ولكن سبب
لضعف المباشرة ، والاصيل ، هو ما يحوي . من ناحية وساد لتنظيم المالي
والاقتصادي فمثله كمثل حرثومة اسل فال تعلقت بحسد الانسان اخدت في

اضعاف قابليته المقاومة وقد طول عمر المريض بداء السن او بقصره نسبة الى
نكوينه الجسدي والمواقع الموجودة في داخله اء عدم وجودها وباسطر الى
موانع خارجية ء تؤخر نهايته او تعجلها فاذا كانت بدية صعبة ولم
يتدارك نفسه في المعالجة انتهت حياته بسرعة ء واذا كانت قابلية المقاومة
في جسده قوية ء او قد تهيأت له اسباب خارجية ء من معالجة سريعة ء او
مكان يهي الهواء ء وعبشة ناعمة فقد بناخر يومه ولكنه على كل اء
مريض ء وحياته محفوفة بالخطر ء ويومه يقترب رويداً رويداً وقد يصادف
ان تغزو جسده جراثيم اخرى فتعجل نهايته بقبحة الاختلاطات التي حصلت
حيث جسمه المتعادل لم تعد فيه قابلية المقاومة وبقوة هذه الحقائق يستطيع
ان يفسر سرعة انهيار امه وتأخر غيرها من الانبياء مع ان داءها واحد ء
فالامبراطورية الرومانية الغربية لاقت حتفها بسرعة بين الامراطورية
الرومانية الشرقية عمرت بعدها عصوراً مع انها كانتا مصابتين بعين الداء ء
وقد وصلتا الى احط دركة من دركات الانحلال الروحي والصفى الاخلاقي
والفوضى الاجتماعية وذلك لان الامراطورية الشرقية قد تهيأت لها مواقع
خارجية لم تقيس الاخرى ان مرارة الشمس (الهول لما احتل حواروما
العربية لم يهتروا البحر الى روما لشرقية اي افسططينية لانهم لم يكونوا ذوي
خبرة ومهارة في صناعته لسن كما اهم لم يتعودوا حياة البحار ولا حروبها
فكان البحر الاسود وبحر ايجه وما بينهما من مصابق الدروبيل كل هذه
كانت تؤلف مواقع طبيعية وفعت حائلاً دون الفاتحين الجدد وفي
الجموب كانت ملوك العرب الصغار مشغولين بانفسهم مثل بعضهم بعضاً
ويدمرون بلادهم ء ويعربون ديارهم ء يديهم مدعوين بارادة الامبراطوريتين
الشرقيتين (١) وكانت الامبراطورية الشرقية في خطر من ناحيتهم ولم تكن في
الشرق دولة يحسب لها حساب غير الدولة الابراية وهذه لم تكن باحصن

(١) الامبراطورية الفارسية والامبراطورية البرطية

حالاً من الامبراطورية الشرقية وكان من المتوقع ان تقضي الامبراطورية
 مربية اغنية عبيها ، الفعل قد حصلت المحاولة وسيطرت على كثير من الاملاك
 الخاصة للامبراطورية الشرقية ، ولكن هذه الامبراطورية العربية الجديدة
 التي كانت قد ادهشت لعالم في سرعة ، نموها ، قوتها فيها الفساد وهي في
 خرابها ، وشملت بالاختلافات الداخلية من اجل الخلافة عن اتمام
 بحراياها ، وبقرب الامبراطورية الشرقية تردد انقاسها ، وتشم الهواء ، وان
 كان احد ، لمصل ، قد انهك ولم يبق منها الا خيالاً ورسم ، واي دليل اصدق
 على مبع نرجس ، ومخطاطهم من انعامها في الاختلافات الدينية واقتتال رجال
 حربي رقيق والحضر حفاة في بينهم وللساطن محمد لفتح يحترق اسوار العاصمة
 وتبعين بحرية في صميمها ؟ فالاساس التي كانت تؤجل مصير الامبراطورية
 الشرقية كانت اسباباً خارجية فلو كانت هناك دولة ذات قوة عربية قريبة منها ،
 لما بقيت متحيرة عن احتيا في العرب وكذلك الدولة العربية في اسبانيا
 وان عمرت تمهائة عام ، واسكن اعراض الداء فيها قد لاحت في آفاقها
 وسهرت في روعها وم انصرم عليها ، عصران اثنان ، حيث نورعت الى
 امراء ، واء بعيت هذه الامارات تعيش عيش السلول الذي لا رجا فيه ستمائة
 عاماً اخرى ، لاسبب خارجية ، حيث ان الامم لاورية كانت تعجبط في
 ظلام الجهل ، وكانت تتقاتل وتباد فيها بينها فكان اكل منها واكل من
 الامراء مربية شمن في نفسها بحول بينها وبين التفكير في جاراتها المشرفة
 على لوب ، واما في الامبراطورية امنية مده اكثر مما كان يجب ، فراجع
 الى مورس الدولي ، وما تحمله من موقع جغرافي خطير وان التفكير في
 العهد على هذه الامبراطورية كان مد عهد لويس الرابع عشر اي قبل
 لقم ، على الدولة لونية في النصف الاخير في القرن الثامن عشر ولقد
 صبح اندريين على الامبراطورية العباسية ، والجمهورية التركية في الوقت
 الحاضر ، همه لا ندر ، ومنحه آلهية لا تنم بشمن . فكل دولة عظيمة تطمع

فيه ، وكل دولة من هذه الدول المتنافسة تمنع غيرها من الوصول اليه . وانما ارادت الامبراطورية البريطانية في عهد وزارة لوبد جورج ان تضرب ضربتها القاصمة وتغيب محالبها في هذا المضيق الخطير الشأن ولكن سرعان ما وجدت منافساتها امامها يحبط مساعيها . فابطاليا الحاققة مما اصابها من الخيبة في توزيع الاسلاب على المنتصرين في الحرب الكوبية السابقة وهرسة التي اُبت على حليفها ان ترد هذه اللقمة الدسمة قد خيبتا آمال لوبد جورج وحكومته كما ان روسية بعد ان استردت عافيتها كانت قد قدمت بحماسة مثيرة للاعجاب بمساعداتها لزعم الحركة الوطنية ائذاك في الاناضول حرصا على نقاء هذا المضيق في يد جاراتها الضعيفة بالنسبة اليها ، وخوفا من ان تقع يدها عليه دولة قوية ، كالدولة البريطانية ، وهي تريد لها ، ان لم تكن في المستقبل القريب وهي المستقبل البعيد . معاونة روسية لتركيا في الانقاء على حيويتها وعلى كيانها لم تكن وليدة مبدأ ، او حب للخير المحض كما يتوهم الواهمون . وانما كانت وليدة المصالح الداني ، والمصلحة الشخصية . فو اياها كانت تشفق حقيقة على حريات الامم ، لما سارعت في القضاء على دويلات اللطيق المسالمة واشتبكت مع احداها في حرب دامية وهي لم تأت امراً يستوجب اللوم بله الحرب . فالقصد من كل هذه الملاحظات هو التذليل على ان اختلال النظم الاقتصادية والمالية في كل امة يؤدي الى موتها ، واما موتها فانه يتقدم او يتأخر بالنسبة الى ما في كل امة من موانع وقائية مقاومة في الداخل واسباب ماضية ومرجئة في الخارج وهذه الامبراطوريات التي مارالت في الوقت الحاضر تعالج سكرات الموت ، داؤها كان وما يرال في فساد النظام المالي والاقتصادي والفساد فيه أدى الى الفساد في الواحي الاخرى .. والبحث يطول ان اردنا ايراد الامثلة الكثيرة في هذا الموضوع .

وقد برد سؤال وهو ان بريطانيا وامير كما رالتا تنموان وتضعفان برغم ان توزيع الثروة والممتلكات بين افرادها متفاوتا والفروق الاجتماعية

بينة واضحة بين الطبقات . والاخذ بأسباب الثروة ولزينة وصل الى اقصاه
إذن ، يجب ان نتحرى اسباب اصمحلال الأمم في غير هذه الاسباب ادلو
كان التفاوت الكبير في توزيع الثروة وما تنتجها من فروق اجتماعية ،
لعوامل مباشرة لرو ، لأمم ، سكات كل من بريطانيا واميركا في
طليعة الأمم الرائلة ؟ وقد تؤيد الطواهر صواب هذا الرأي ، ولكن
حقائق الاوضاع في هاتين الماسكن الصخمتين الغيتين المترفين
تربد ما دهمنا اليه تأييداً ، ونمكننا قلنا ان مواع الاحلال وقابليات المقاومة
في كل امة اذا قويت تستطيع ان تدفع عنها عادية الزوال وتدفعها تعيش
الى عصور وآجال وليسكن هذا لا يعني انها ليست صريضة ، وانما يعني
تأجيل الاحل الى وقت ما . بريطانيا واميركا ليستا ساهمتين من هذا الداء
النوبل الذي وصف اعراضه وآثاره ولا ناحيتين من المصير الذي ينتظرهما ،
ان لم نعيد النظر في نكوبتهما لمالي والاقتصادي . بريطانيا فيها من مواع
الانحلال الخارجية ، وقابليات المقاومة الداخلية الشئ الكثير ، وهذا هو
سرها حية . من اسباب الموانع الخارجية ، موقعها الجغرافي ، وصعوبة
عروها ولوصول اليها ، اسكوها محاطة بالحجر ومنعصلة عن اوروبا .
فاحتفظت بكيانها ، ونفاليدها ، وعصمتها او ان التطورات والتغيرات في
هذه الواحي الروحية كانت بطيئة على قوتها . ولو كان وضعها الجغرافي
غير هذا لوجدناها متوزعة اشلاء ، ومشترة هساء منذ زمن ووضعها
الجغرافي هذا فصلا عن انه جعل عروها صمما ، فقد سبب احتفاظها بحلقها
وسحاياها انفسيه التي لاشت كانت في ازل امرها قوية وما رالت القوة نادية
فيها الى الآن رغم ما اعتراها من وهن واسباب اخرى حفظت الحلق
البريطاني ، ونشاطه وحيويته من لتدهور السريع ، هي الطرق التي استعملها
البريطانيون في توسعهم ، سواء من حيث المالك ، ام من حيث الثروة . فالشعب
البريطاني واس لم يكن في الدكاء ، وقابلية الاداع في الدرجة الاولى ،

والسكن الطيبة عوضته عن هذا القصر اسجيا بنفسية قلما تجدوها في غيره
 من الشعوب الحية في الرمن الحاضر قاصير ، والجهد والتروي . والتأمل في
 تقرير القرارات الحاسمة ، والمرونة في التطور من حال الى حال كل هذه
 جعلت من هذا الشعب ضخمة لا ترعرعها الروائع ، ولا ترحرهم من مكانها
 الا قاصير ، والريطاني بفكر قبل ان يقول ، ويحضر اسباب البناء ، ويضع
 التصاميم ، قبل ان يبتدأ في البناء . واداباً في العمل ، بداه في هدوء وسكون
 واستمر في عمله بهذه الروية وبرودة الدم . ودا تخلت تحمله مصاعب ،
 احتملها . ومضقات صر عليها حتى يقهرها . واصبحت له قابلية الاعتماد
 بالحوادث المصيبة واحطائها فيتحننها بقدر الامكان . فريطانية بدأت عظمتها
 في اثلاثمئة سنة الاخيرة اما قبلها فقد كانت جزيرة قليلة لسكان ، صعبة
 الموارد . وكانت الثروة فيها ليست بالدرجة المفزية وكان يوربها لا بأس
 به . وانما لما بدأت عظمتها في حلال هذه السنين اثلاثمئة ، وهدت الى
 توسيع ممتلكاتها جعلت الروية شعارها ، ولم تدفع في هذا اتوسع سرعة ،
 فسكان كلما ضمت اليها ملكا جديدا تربت رما ، تحكم اسباب يقننها في
 هذا الملك الجديد ونس النظم والتمرائع الكاملة لاحتفاظها به ، وبعد ان
 تنهى عملها ، تستأنف حطونها الاخرى في سبيل توسع آخر . لذلك كانت
 هذه المدة الطويلة ، سلسلة انتصارات بطيئة واسكنها بحكمة نوعا من ، ما
 تداعت امبراطوريتها سرعه لان توسعها كان سريعا ، والعرب ثلاثي امرم
 في رمن قصير ، لان فتوحهم وانتصاراتهم كانت من حيث السرعة . يكاد العقل
 ان لا يصدقها ، فالفتوحات السريعة ليست خيرا . كما تدور اول نظرة وانما
 هي بالعكس تؤدي الى الروال السريع . لان قلة الرمن لا تعطي محالا للعالمين
 لكي يتخذوا التدابير الكاملة للاحتفاظ بهذه الفتوحات من جهة ، ومن جهة
 اخرى تغري النفوس الى الزرع الى "طر والترب والى اكثار التروية
 والتصرف فيها تصرفا غير حكيم كاليكس الذي نادى بثروة طائلة

او كنتز دفين على حين عرة فهو لا بدري كيف ينفق ، ولا يعرف في اى سهيل
 يبذر هذه الثروة فيخمس في لذائذه ، وبشمن في امتاع اسمه وينسى
 كل شئ . فتوسع بريطانيا الهطىء الحكم ، قد علمها كيف تستحوذ على
 ثروات الامم لتصمم ثروتها ، واهمها كيف تنفق هذه الثروة وتستفيد منها ،
 في بلادها . واما منذ منتصف القرن التاسع عشر اخذت تعي عناية متعملة ،
 بحالة العمال ، والطبقات الدنيا وتوسع عليها . ومما كانت الفروق الاجتماعية
 كثيرة ، ونور مع الثروة متفاوتا في التجربة البريطانية وعلى كل حال ، ان
 الطبقات الدنيا ، فيها أسعد حالا من مثيلاتها في البلاد الاخرى اذن فالأسباب
 المقومة لبريطانية ، هي مواعع خارجية ، وقائية مقاومة داخلية . ولكن
 مع ذلك فانها ليست غير مريضة ، فأعراض المرض ، قد تفشت في اوساط
 مجتمعتها ، والمواعع الاقتصادية والمالية اخذت تعمل عملها ، في اضعاف بقيتها
 ونظني على مواععها وقائية مقاومتها ، ولاجل ان تنهار وتنداعى ، تحتاج
 الى صدمة قوية ، وما اكثر هذه الصدمات في مثل هذه الأيام الحالى بكل
 عجب ، اللهم إلا اذا تداركت امرها واعادت الدار في وضعها المالى
 والاقتصادي بصورة حدية وسلمت من الصدمات ، وما قيل في بريطانيا يصح
 ان يقال في اميركة . فان احاطتها بالمحيطات ، ومكانها الدائم ونعقها سياسة
 عدم التدخل في شؤون غيرها من القارات كل هذه اسباب خارجية كفلت
 مقالها ودوامها وخطة الرئيس موررو ، وما كانت إلا خطة دفاعية افادت اميركة
 افادة كبرى حيث جعلتها في نحوه من التنازع والتنافس على خيراتها ،
 وممتلكاتها . وعدا ذلك فان اتساع رقعتها وخصوبتها واحتوائها على المواد
 الخام المتنوعة التي تؤمن اعراضها في التجارة والصناعة ، وعدم ازدهار
 السكان فيها ازدهاما يؤثر على المعيشة فيها ، كل هذه كانت اسباب مقاومة داخلية
 قاومت تسرب الا بحلال والفساد اليها بصورة سريعة . وان الشعوب الاميركية
 لم تشعر بشئ من الصيق ، إلا في فجر هذا العصر لذلك تجدوها قامت بتحديد

الهجرة إليها ، واخذت تعيد النظر في اوضاعها المعاشية ، وأمورها المالية والاقتصادية . وان التفاوت في توزيع الثروة والفروق بين الطبقات لا تؤدي الى انحلال السجایا ، والى إثارة الحفائط والاحقاد إلا اذا ضاقت خيرات المملكة بنيتها وكانت هناك طبقة متروكة معمة وطبقت أخرى يعصرها الجوع ، ويهبط احتيجتها العوز والعاقبة . وهذه الحالة لم تكن موحودة في اميركة قبل القرن العشرين لفيض خيرات اراضيها على حاحة اهاليها ولكن مشاكل اميركة قد بدت كما بدت منذ فجر هذا القرن وراود صعبا سوءا بعدها خطة مونرو واخذها سياسة التدخل في شؤون غيرها من القارات اي اشباكتها في الاقتتال العالمي ، والتنافس القاري فهي اليوم مريضه ، ومرصها ينذرنا بمستقبل قاتم ومصير فاجع .

ولا يقلل من شأن الاسباب المالية والاقتصادية اني عنناها ، كون الامم لها اعمار ، وآماد لا بد وان تنفهي فيها حيوتها وتلفط عددا ادهاسها فالامم قد تعيش اكثر اذا اعتنى في امرها . وعولجت مشاكلها على مسو . الحقائق الاجتماعية التي تيسر للاسنان رؤيتها . والقواعد العلمية التي استطاع العقل ابداعها بل قد تحلد وتؤسد في حياتها ، ونقاها

التكوين الاجتماعي !

ولعل الناحية الاجتماعية هي أهم لنواحي كافة ، واعظمها خطورة لانها تتصل بالروح وتخرج بالخلق لعام للشعب ولا يفص من خطورتها ، بحثها بعد الناحية السياسية ، وعقيد الناحية المادية والاقتصادية . انما تقدم لبحث في هاتين الناحيتين شي من الشعور بعداحة اصرارها ، وعظيم فسادها اكثر من الشعور بآثار الناحية الاجتماعية وان كانت الاولى نتائج اضطراب الاخيرة ، وحصاد ما بذرت ، ذلك لان الاصرار المادية في كل وقت تكون اشد ظهورا ، واسرع نقادا في القوم واقص في عقول من الاضرار الروحية او تعتبر اصبح ان الاسس يحس بالاصرار المحسوسة المباشرة قبل الاصرار غير امرئية وغير المباشرة وان كانت الاخيرة ابقى اثرأ وامضى داء واشد ايلاما . واول خطوة في تنظيم لتكوين الاجتماعي يجب ان يستهدف فيها تقويم الارواح ونهذيب الطامع . فواجب الامهات في بيوتهم والآباء والمرشدين والمدرسين في مدارسهم ، وفي محلاتهم ، ان يعمسوا في الشيء اسحايا الفاضلة ، والاخلاق الكريمة . وبعد ان يتم النشء دراسته وتنقيته ويسخل معترك الحياة ، من الضروري ان يرى في رؤساء صناعته او اصحاب معمله ، وفي الجمعيات التعاونية ، والؤسسات السياسية التي يخرط في سلكها ، ويهتظم في عقدها ، مثالا حية ناطقة ترسم فيها المزايا والسحايا ، والحلال الحميدة فعلا وقولا . وعلى السلطة العامة ان تنس اللوائح وتشرع القوانين لتنميتها في القوم وتقويتها . فالخلق والعدل ، والمساواة والحريية ،

والعفة وراحة ، والشجاعة والوفاء ، والسجاء والعدل ، وحب الخير ، والتمتع
في سبيل المجموع وتحرير النفوس من الاكالية ولطمع كل هذه لها معانيها
الواضحة ، وعلاقتها لبينة واعاريفها السهلة ، ونما عقدها الاساس وانهمها
بمقاصد مادية وعالمات دانية . فمضات حرماتها وانطلمت روائهم فاصحرت
النفوس واحداث او حداث ونهات العقول رايست لهذه الحاة لنفسية
الايمة من علاج الا حمة قوية تقوم هارجان التربية والتعليم ، واحتصصهم
اعلوم الاجتماعية لشرح الصدور . ونقية لصهار مما علق بها من ارباب ،
وشابها من شوائب . فالانسان مثلاً يحب عليه ان يحب وطنه ، ويفخر بدمه
والمكن لا هي هذا ان يدعي التفوق على الغير ، ويطمع في حرية الغير ، وما
يملك من مال وارص ويستعده ويستعده . فليس شرطاً لحب الوطن ،
وللفخر بالقومية ، ان يستعدهمها العدووان على وطن الغير وقومته ومقدساته
هذه اسباب يتمسك بها المستبدون ، او يتعلق بها من يطمع في السعي والعدوان
ليس هناك تفوق عنصري . ودعاء نقيه واخرى فاسده . لا يؤيد هذا الادعاء
علم ، ولا يبره منطق . وبهذه المناسبة اود ان انساوول هذه الفكرة « فكرة
التفوق العنصري بشيء من التفصيل .

ان التفوق العنصري ، او تفصيل دم على آخر ، وزحيج امة على امة
هذه الفكرة ابست حادثة في الوجود وانما هي قديمة وان احتلفت آفاق
وانعاد ، هذا التفوق . فكثير من الامم ادعت التفوق لنفسها وتركت الامم
الاخرى في مكانة اقل درجة او درجات منها .

وان اولاطون من من كان قد فرق بين شعوب واعتبر الشعب البشري
فوق كل شعب وذلك حين عث انفس الانسانية وقسمها الى ثلاث قوى وهي
القوة لشهوية اي القوة الشريرة المحبطة التي تصدر عن الاحساسات والتي
يسودها عنصر اللذة والالم بالامى احصى الخاص والقوة العاقلة وهي القوة
لعالية النبهة والقوة ثالثة التي تتوسط هاتين القوتين وتسمى باسم القوة العنسية

حيث قل ان الناس ليسوا متساوين في احرارهم لهذه القوى هو د البعض تسيطر
 اقوة له فية وعد البعض الاخر تسيطر القوة العنصرية وعند فريق ثالث
 تسيطر القوة لشهوية وهي احط لقوى اثلاث والاختلاف هذا كما انه يقع
 بين الافراد فانه واقع بين الاجناس والامم ولما كان اليونانيون في رأيه يمتازون
 بسيطرة القوة العقلية على بقية القوى فهم افضل من غيرهم واما الشاليون
 فاهم يمتازون بسيادة القوة العنصرية وان الفينيقيين والمصريين يمتازون بسيادة
 القوة لشهوية فتري من هذا لتقسيم البشري ، ان افلاطون يفضل الامة
 اليونانية على الامم الشمالية نفسها لان الامم الشمالية في نظره تسيطر عليها لقوة
 لعنصرية الخالة التي تجعلها اقن من ليونانيين درجة ، وأعلى من المصريين
 والفينيقيين درجة ، والمعروف ان الامم الشمالية اليوم هي التي ترفع لواء
 بطرية التفوق الجذمي ، ونقاوة الدم .

والمصريون لقدماء كانوا يقولون بطرية التفوق لمصري حتى انهم
 كانوا لا يسمحون لاجبي ان يجلس معهم على مائدة واحدة وقد صرحت
 لتوراة هذه الحقيقة في معرض قصة النبي يوسف عليه السلام
 ونشوا اسرائيلين كانوا يرون شعهم هو الشعب المختار الذي اصطفاه
 الله من بين الشعوب وفصله عليهم تفصيلا . وارضطوا فضل العرق الابيض على
 غيره من العروق واحتص الشعوب الاوربية بهذا العرق واعطاها حق التفوق .
 وحرص لقدماء ادعوا عين الادعاء والعرب في جاهليتهم وفي اسلامهم كانوا
 يقولون بالتفوق لمصري حتى ان اعتصامهم بهذه الفكرة قد ادى الى حروب
 طاحنة بينهم وبين غيرهم من الشعوب واعلمهم في جاهليتهم كانوا اشد تمسكا
 بهذه الفكرة ولا نفس ان حربا عوانا كانت قد نشبت بين الفرس وعرب
 العراق حين رفض احد ملوك الحيرة العرب ان يشكج ابنته من كسرى الفرس
 على - لالة قدره ، وعلو حصانه . ولما جاء الاسلام وازال الفروق بين العناصر
 وخلق مفرقة بآن لا فصل لعربي على عجمي ألا بالقوى وشهد في المساواة

لم يبق على الفصاء عليها المرة فلما روج صاحب الرسالة ريفاً من
ريد وكان مولى قامت قيمة قريش وثارت حميتها حتى انتهى الامر بطلاقها
وترويحها من صاحب الرسالة نفسه اصلاحاً للعادة ، ونسكياً لثورة النفوس
وقامت الامبراطورية الاموية في الشرق ، والاموية في الغرب على سياسة
التموق المصري هذه السياسة اتى عاوت كنيماً على هدم صرحها فكرة
التموق المصري ابست حديثه العمود . كما اوصحت ، ففسس عرباً اذن ان
تسمع اليوم عن لفظة ، وان تكرر امامنا الاممي الماصية . ويلوح لي ان
قوة اساطان ، والشعور بالملكة والسيطرة . هما اخطر من هذه الدعوى الباطلة
وعوربان هذه النار المحرقة . فاليوم ان قامت لديه يدعى بالتموق المصري ،
او ايطاليا اماسقيه تحميم شئت الامبراطورية الرومانية المنقرضة . فاعما
سبب ذلك ما وصلنا اليه من القوة والسلطان . على ان البريطانيين والامير كايين
ليسوا بأول تشبها بهذه الفكرة . والحقائق الثابتة تنطق بمصيبة بان
الانكليز اكثر اعتزازاً بعنصرهم واعتزازاً بدمهم ، من جميع الامم الاوربية
وانهم فوق ذلك ائبل وطأة وامعن احتقاراً غيرهم من الشعوب سيما الشعوب
التي ساقها جدها العار . الى ان تكون في مصيبتهم ونحت تصرفهم . فبده
الشعوب الافريقية وهذه الشعوب الاسيوية . من هود . وعرب . وصينيين
وغيرهم . من ينظر اليهم لبريطانيون اكثر مما ينظرون الى الحيوانات السائمة ؟
لم يقف بهم الامر الى ان يستصغر نروانها ويستجودوا على كل ذي قيمة في
بلادها . او ان تتحكموا في ابدانهم ، ويتصرفوا في ارواحهم وعقولهم ابل
انهم يعمون في احتقارها لالائهم شعوب في نظرهم اقل قدراً . واوطأ مكانة ،
من ان تقسامي اليهم . او تقساوي في حالة من الحالات . وكذلك الامر يكون
فكيف يعاملون الشعوب الحمراء ، واصفراء ، والسوداء في ممالكهم ، سيما
السوداء منها ؟ ان تاريخهم حافل باجرائم المسكرة ، عامر بالهجر الدامية ضد
هؤلاء الصغفاء الساكنين في التموق لمصري الذي يلومون عليه المادية

اليوم اذا لم يكن ما يقومون به باعمل هو ابشع صورة لهذه الفكرة ، واطم
 ناحية من نواحيها ؟ ان المانية ليست من الشعوب المستعمرة حتى يستطيع
 الباحث ان يحكم الى اي مدى تنفذ فكرتها في التموق المصري نعم كانت لها
 مستعمرات مهينة محدودة قبل الحرب السكونية الاولى ، ولكن التاريخ
 ينصف المانية كثيرا ويقرر انها كانت ارحم قلما ، ولي عريكة ، وارفق
 معاملة بأبناء مستعمراتها من الدول المستعمرة الاخرى سيما البريطانيين
 والفرنسيين ، فافرق بين الالمان ، والانكليز ان الاولين ، يقولون بفكرة ،
 ولكن الاخيرين يطبقونها بالفعل وان اولئك كانوا شعوب مستعمراتهم
 رقيقين وعليهم هينين وهؤلاء اشداء متمسعين وبالتالي فان الالمان يقولون
 بهذه الفكرة اشباعا لميولهم العنصرية حيث فطروا على التنسيق والتنظيم
 فارادوا ان يشملوا الاجناس البشرية بأسباب التنسيق والتنظيم ويطعموها
 بطوايع خاصة ليسهل عليهم تفريقها وتضييعها نظريا واما الآخرون فقد
 فرقوا وصنعوا وسقوا بالفعل وفرض التحكم والاستعباد . فأي فريق
 اخطأ على حياة الأمم ، في ادعائه التموق المصري ؟ ان اعاء العنصر
 الانكليز سكسوني بالتموق المصري اكثر اعراقا من الالمان انفسهم ، بل
 انهم يضمون الالمان في درجة اوطأ بكثير من البريطانيين والاميركيين .
 وهذا المستر (ستودوارد) مؤلف كتاب الحقائق العنصرية في اوروبا .
 وهو من افصل الكتاب الاميركيين ومن المع رجال العلم فيهم يسوق الادلة
 ويورد الدلائل . في كتابه الذي قال انه نهج في وضعه نهجا علميا محصيا ،
 ليصل الى نتيجة واحدة هي ان الشماليين « النوردبيكيون » هم انقى دماء
 وارفق عصرا من الاقوام الاوربية الاخرى وان الانكليز والاميريكانيين
 انما نجري في عروقهم دماء هؤلاء البقية واما الالمان فلم يبق فيهم من هذه
 الدماء شيء اذن فهم ليسوا كالانكليز والاميركيين في نقاء الدم ، ورفق
 العنصر لماذا ؟ لان حرب الثلاثين عاما كانت قد امتصت منهم الدماء

النوردية واستصفت منهم حيوية النوردية وشايطهم ، فأى حاهن حامل ،
او معتوه يصدق هذه النظرية ويقول ان الامكار الذين سبق ان حكمهم
قبائل شعوب البحر الابيض المتوسط ، او ان الأمريكيين الذين اختلطت
دمائهم بالدماء الحراء ، والسوداء ، وامتزجت بعضها امتزاجا لا يقبل
التحليل ، ان دماء الامير كين هذه تظل نوردية سليمة ، وشالية نقية ودماء
الالمانيين قد اصابتها التوتة ، ونطرق اليها العساد ، والشعوب الاميركية
خليط ، مزيج ، من كل نوع من شعوب الارض . الاوربية ، والاfrريقية
والآسيوية بالإضافة الى ما كان في اميركة من سكان حر ؟ اي اساس له
مسكة من العقل وذرة من الذكاء . يستسيغ مثل هذا الصلال ، وبقبل هذه
المباحكات ؟ وهكذا تصبح الحقائق العلمية في خضم ارباب السياسة ، وهوس
النفوس المندفعة بدوافع الطمع والاثارة . وحب اعتماد الغير ان لكاتب
اراد ان يوثق عرى الروابط بين الشعوب الانكلوسكونية ، ويوفق بين
الشمس البريطانية والاميركي ، فاحتسار مثل هذا الموضوع اعلمى البحث
وسخره لا عراضه السياسية . فخلق من دماء البريطانيين والاميركيين دماء
نقية راقية ومن دماء خصومهم الالمان دماء ملوثة اصيها الانحلال وماذا
اعتنى في هذا العصر بترويض هذه المكرة هذا الاعتناء . فاد كان الخبر اعلم
ولمجرد الطمر بحقائق تاريخية ، ولا العلم يؤيد هذه المكرة ، ولا الحقائق
التاريخية تقرها . وادا كان القصد منها اتحاد وسائل لاثبات حق الشعوب
الاموية في السيطرة على الشعوب لصعيفة ولا داعي للاستغلال بطلان العلم
للعور بهذه السيطرة ، ذلك لان العلم ليس اداة شر ، واد هو اداة خير وانه
لا يستهدف الكذب ولا هو من موضوعاته . ومنى احتاحت القرة ، الى سند
تستند اليه ، اذا هي وجدت في طريق العلم ولا عتساف ؟ على انه يمكن مناقشة
هذه المكرة من دجوه ثلاثة ، الاول هل ان الفوق المصري حقيقة ثابتة
بقرها لم ؟ اي هل 'ما' هي التي تكون خلق الشعوب وتحدث فيها التغيرات

الثاني اذا كان هناك تدوت فاهو اثره ، وما هي حدوده ؟ الثالث هل اذا
صح التفاوت يصلح ان يكون سببا لتحكم شعب في شعب ، وسيطرة امة
على اخرى ؟

قل كل شيء علينا ان نوقن ان ليس في الامم كان ان عهد دماء بعينها ،
بقية ، واما دماء الامم كلها قد امتزجت بعضها ببعض ، وتعذت الواحدة
بدماء الاخرى باقدار متفاوتة وكميات متباينة بالنسبة لامتداد الفتوحات
واستقرارها والمهاجرات واتساعها وبالنظر الى الصلات الاخرى بين الشعوب
المختلفة وقوتها وهذا الامتزاج حصل منذ القديم ، واشتد كلما تقدمت
وسائل النقل ، واسبب الاتصال واشتد المصالح واستعمار الحروب .
فالعهد اصابتها الموحدة الخطيرة التي رحمت عليها من اوربة ، قبل ثلاثة آلاف
وخمسمائة عاما ، فاستقر فيها المهاجرون وتصارفوا وتواصلوا مع الاقوام
الاصلية فكان ذلك الامتزاج الذي نرى سلالته الآن . وحرص احتاجوا
اليونان بحبوش قدرت عليون جندي في عهد سرجس وهذه ارجال الكثيرة
العدد التي وصلت الى اليرسور ومنه بناوت البلاد اليونانية ، فادا عمات
وهي في طريقها اليها وكم من الاقوام تفلجت منهم ؟ وفتوحات الاسكندر
الواسعة في الشرق وفتوح رومانيا وروما الشرقية وقد اشتملت على
اقوام متباينة ، وشعوب متعاضدة ، فهل اقلت شعبا من الشعوب سالما من الوثنية ؟
واذا كانت فتوحات الاسكندر سريعة العمر ، فقد كانت نتائجها خطيرة
وفتوحات الامبراطوريتين الاخيرتين طويلة ، ثم ما أعقب ذلك من الفتوح
العربية وطول استقرارها في اماكن كثيرة وفي بعض الاماكن ما زالت فيها
زان مر عليها ما يقارب الالف ولثلاثمائة عاما وهذه الفتوح بناوات عدا
فارس وما وراء النهر وسائر جهات لشرق اسيا برمتها وجموني ايطاليا ،
وفرانسة والجزر المنتمية في بحر الابيض المتوسط وشمالي افريقيا برمتها ثم
الاحتياح المعمولي الخطير الشأن والنوسع العنابي الواسع الاطراف فهل هذه

الفتوحات العظيمة ، المستمرة ، تترك الشعوب سليمة في دماها ، محافظة على
 نقاوتها ، وبعد عصر الإصلاح ونهضة الشعوب الأوروبية ، بقعة من
 بقاع المعمورة لم تصل اليها اشعوب الاوربية ، والفتوحات تحمل معها
 كثير من اسباب الاختلاط والامتزاج تحمل وراثتها صلات لتجارية
 وارتفاع التجارة ، وميول الاستيطان في سدين الجديدة ، غير ذلك مما يحمل
 اختلاط الدماء ضرورة اجتماعية . وقد حاربت اشعوب الاوربية التي تعطلت
 في القدرة الافريقية والاسيوية ، ان تحول روح انتصاهر واتراج من
 افرادها المستعمرين ، وبني اهالي البلاد المستعمرة والسكن برغم هذه التدهور
 فالاختلاط موجود ، وموجود بكثرة . وكلما طرأ من امتدت وشائج
 وتفرعت استجته لأن الاثريواج اذا منع بالفواحي ، فالانصلاط الحسية
 لا تفصل من هذا السبع ذلك لأن الهوايين لا تسيطر على القلوب والعواطف .
 فكيف تنبع ذات روح رعت في مواضع فرد من افراد اشعب الاصل ،
 وكيف تحول من دماء اجداد ، اذا ، ات ، وهن اي رجال اجداد اشعب اجداد ؟
 فالقول بأن هناك دماء ، وقوة ، انما هو بعبارة طبية ، لا شيء ، وباقص
 الاوصاف الحسية التي عليها شعوب . وقد صبح الامتزاج اسر واهول في
 المعمور المتخربة السريعة وسائل النقل ولاشك في مصالح ، من الامم كافة .
 ولا يعني امتزاج الدماء بعضها حمر ان الشعوب لهوماتها ، وقد اراها
 كيانها لأن الدماء وحدها لا تكون شعوب وانما تكونها ، انط عدة
 محتملة فالدماء واللحم والدين ، المصالح المشتركة ، لدرج مشتركة والارض
 وما نر كة مؤثراتها الطبيعية في نفوس الافراد من مؤثرات ، وسائر وما
 تكون فيهم من سجايا ومزاجات وعادات هي التي تكون لشعوب وشي .
 فيما اخلافهم وطبائعها الخاصة . فاشعوب التي تستوطن يوم شمس
 حريرة العرب وبلاد الهند والهند سوريه واعرق وفلسطين ومصر
 وجميع بلاد افريقية الشمالية هي شعوب عربية وان امرت بها شعوب اخرى

كالبربر في أفريقية والنوبيين والأفقاط والشراكسة والأمازيغ في مصر
والسودان والترك والكراد والفرس في الهلال الخصيب وتسمى كل هذه
البلاد بلاداً عربية وإن كانت في الأصل عداً ضد الجزيرة ليست عربية
ولكنها استوطنتها الشعب العربي منذ أجيال حقيقة في القدم ، وكون فيها
الأغلبية الساحقة وحمل اليها تقاليد وعاداته . ولعلنا نجد في بعض هذه
الشعوب العربية تبايناً في بعض العادات . فهذه إما أحدثتها طوائف البلاد المختلفة
التي هم فيها . إذن نستطيع أن نقول أن هذه الشعوب عربية ولكننا لا نستطيع
أن نقول أن دماءها عربية خالصة لأنها إما تزاوجت بغيرها من الدماء ، وكان
امتزاجها لحد كبير . وكذلك نستطيع أن نسمي الشعب الأمازيغي ، بأسمه
وإن كانت كميات كبيرة من الدماء لعربية ما زالت تجري في عروق أبنائه .
إن حياة خمسة سنة لا يمكن أن يكون أثرها ، بسيطاً ، سهل الاندثار . ولا
تنحصر أمة من الأمم قديمة أو حاضرة من أثر الأمازيغ إذن فدعوى نقاء الدم
دعوى باطلة من أساسها وإقامة نظرية التفوق العنصري على مثل هذه الدعوى
الباطلة ضرب من الشعوبية الكلامية ليس إلا .

والآن نعود ونقول ما معنى نقاوة الدم ، ورفيقه ؟ . إن بي الإنسان
لم يحدروا في الأصل من آباء وأمهات متفرقة حتى يقال أن دماء هــدا الأب
وهذه الأم خير من دماء ذلك الأب وتلك الأم . فالاستنتاجات العلمية ،
والاستقصاءات الجيولوجية والجيولوجية والتاريخية كلها تدل
على أن البشر نسلوا من أب واحد وأم واحدة . لقد قالت الكتب المقدسة المنزلة أن
الأب آدم والأم حواء وقال علماء الجيولوجيا وعلماء الأحياء أن الإنسان سليل تطور
القرود البشري الذي نسل من الشمبانزي . وسواء أخذنا بالرأي الديني أم بنظرية العلم
فإن جد الإنسان واحد وإنسان اليوم هو بمحصول ذلك الجد وثمرته ، فالإنسان إذن
نسلوا من جد واحد وسيط دمه من دم واحد ، وإهم حين انتشروا في هذه الأصقاع
قد تكونوا تحت تأثير طبيعة كل صقع ، واشتروا عادات متباينة ، وتكونت

فيهم سجايا ومزايا مختلفة ، هي اثر تلك الطبيعة . فالدماء اذن واحدة ، ليس
 فيها فاضل ، ومفصول ، وراق ومنحط . ان مقومات الهوب لنفسية والبدنية من
 قوة وضعف ، وصالح وردى ، وشريف وسافل ، ترجع الى العوامل
 الطبيعية التي اسقبت بالارض التي عاش فيها كل شعب من هذه الشعوب
 والمحيط الذي اثر فيه فلو كان الشاليون (النورديك) استوطنوا المناطق
 الاستوائية في افريقية لكانوا هم اليوم انماؤها . وبالعكس لو كانت قد
 تبيا لانباء هذه في اول امرهم ان يصعدوا الى الشال لكانوا هم (النورديك)
 الذين تغرب بهم الشعوب الاوربية . وادا كان ذلك كذلك فلا تسرافة
 يختص بها قوم من الاقوام ، ولا اتصاع يعمى به شعب من الشعوب من
 ناحية الدماء . نعم ! قد تصكون هناك مناطق تتوفر فيها نعم الطبيعة اكثر
 من غيرها ، ويكون الانسان الناشئ على تربتها اقوى ملكة ، واوسع
 تمكراً ، واقدر على احتمال مشاق الحياة ولكن ما هو مدى هذا التفاوت ؟
 اذا اعنى الباحثون في تديقاتهم العلمية والتاريخية ، وكان بحثهم بروح علمية
 مجردة من نوازع الهوى ، فقد يجوز ان يحرجوا من بحوثهم وتديقاتهم
 بنتيجة لا تسر الفائلين بفكرة التعوق العصري . صحيح ان الشعوب - صورة
 من طبيعة الارض التي تمكنت فيها وعاشت في اجوائها ، وان خلفها مرآة
 لما في تلك الطبيعة من رفق ولين ، او فسوة وشدة . ومن كرم وسحاء ، او
 ضمن وبحل ، ومن قوة وشباط او تحائل وارتحاء . وان طبيعة الارض
 تحفظ وهذا الاختلاف بسبب الاختلاف في قابليات الشعوب وكفاءاتها
 ولكن الطبيعة ليست ظالمه عاشمة ، قصة كرة الى درجة تجعل التفاوت بليغاً
 بين الشعوب كافة . فما عدا الشعوب المستوطنة في مناطق الاستوائية وما يصاحبها
 او المناطق الشالية القريبة للامهاد نجد الشعوب الاخرى ، تتقارب في قواها
 العقلية وكفاءاتها ومقوماتها الروحية . دليل ان كلا منها قام بنصيبه في اقامة
 الحضارات القديمة والحديثة . وقد زدهر حضارة في ظل شعب من الشعوب

ثم يهوج ارمها فتساقط وتنتثر ثم تقوم غيرها فقامها في طل شعب آخر
 وقد تدوم دوة لشعب ثم تروب ويهم الرمن لشعب آخر ، فهذا التعاقب
 في الحصار ، وانما اول الخوض من الامم لاجل اطلق شاهد على ما يقول
 نعم ! وقد تكون حصارا احفل بالفرائد من الاخرى ، ودولة شعب اضخم من
 دولة شعب آخر واسكن هذا لدواعي لا يؤثر في روعه الحقيقة التي امامها
 لان حصارات المتأخرة تعيد من احصارت سابقة لها وتصيف اسمها اطلاقا
 وكسبت في عامه لدول حيث يستفاد من احطاء الدول السابقة ، ويؤخذ
 بالصواب مما جاء على يد هذا . وبعد في اممة لم تشرك في نصيب ما صعر او
 كبر ، في احصارات قديمة وحديثة ؟ فهذه الصين وهذه الهند ، كل منها
 كانت ما حصارا حاصم بها ، وهذه اياها ان تعيد يوم حصارا تدش الا بصار وهذه
 شعوب اما صفراء واما سوداء . وهذه الامم العربية في جاهليتها قامت الحصارا البنية
 وصدرت عنها موجات الى مصر فكونت حصارا الرعاة ، الهكسور ، والى فلسطين
 وسورية فقامت فيها حصارات لعل اروعها الحصارا الفينيقيية والى اوراق
 قامت الحصارا سمورية ثم الاثورية هذا في تاريخها القديم واما في تاريخها
 الاسلامي فقد قامت حصارات رافضية رافضية في الشرق والغرب كانت اصول
 الحصارا الحاصرة ، وحصارا لامة المصرية عبيد عن تعريض وهي اممة افريقية
 والفينقيون ، والقرطاجيون كانوا من موجات شبه جزيرة العرب والدولة
 السومرية في اوراق كانت معولية ، كما ابتد الحفريات الاثرية ، واليونانيون
 الذين هروا امام اقدم ، وهروا هروا العالم الحديث في حصاراتهم ،
 كما وقد عبروا بمدبقتهم الى ايكما من شواطئ اسبوية ، فهذه المدينتان لقي
 صررت بها صرا ، هي ما درقيه واما اسبوية ، ومدشؤوها اما من العرق
 الاصفر ، والاسود ، والابيض . وكل حصارا متأخرة استقت كثيرا
 او قليلا من منافع ما سقطت ووردت من ماضيها وهذه الحصارا التي تقيمها
 اورده ، والولايات المتحدة ما هي الا قبض من تلك السحار ، وصوب من

ذلك العيث هم انها اوسع آفاقا من سابقاتها ، واحق اثرأ مهاب ولكن
 هذا الامر طبيعي لانها خلاصة الحصارات ، ولقاح تلك العقول التي اسعتها
 تصاف ليها عبقرية شعوب الجديدة ، سيما في مجالات العلوم الطبيعية .
 واضاعة شعب من الشعوب لمحضرة سابقا كياه في الوقت الحاضر ، او
 تداعي حصارة امه وفدام حصارة امه اخرى وارواء امه كان لها مجد ثالث
 وتعلب امه اخرى عليها لا يستدعي كل ذلك ان يحكم تفرد الامم المتمكنة
 اليوم بالتنوع وهفريه وقابلية الأبداع لمجرد انها قويه ليوم ، وتحكم على
 الاخرى بالبربرية والوحشة وانطواء شعبه الدكا . والافتدار بها لمجرد
 انها ضعيفة ، م تنوفر لديها أسباب لظهور وبرور فكل شعب من
 الشعوب المعنوة على أمرها ، وكل أمه صحتها المكبات سمها ، يحور ان
 تميم حيويتها وشاؤها ، وان نسام في التقدم العقلي في هذه الحصاره ، اذا
 مهد الطريق ، واهتلك امراض وواناها اعطى فالتفاوت ليس كما يتوهم
 المتوهمون عميقا من كفاء آب لشعوب وقدرتها سرجه يسوع لمعصها
 الاستثناء بمذاع لبعض الاخر أو يعطي لبعضها حق احياء ، ويحمل الموت
 نصيب الاخرى اذن لماذا يفصل من فكرة التفوق العصري ؟ ولماذا لا ينق
 الامم ذات الحصارات القديمة ، ان مسائل هذه الامم التي تدعى التفوق
 العصري ، أين كان تفوق طيلة القرون الاولى ولقرون الوسطى ، وصدرأ
 من القرون الاخيرة ؟ ولماذا تفوق لم يظهر طيه هذه المصور ؟ على ان
 الحصاره احدثته وان كانت اهمى نرا من الحصارات السابقة ، فلا يزال
 الفصل موقوداً لواءه على تلك العقول التي اقامت تلك الحصارات القديمة
 لان الفصل للمقدمين دائما ، حيث لسا يكون أصعب ، وأشق وبالتالي
 يكون لعقل المادي أقوى ملكة ، ونتاحه انقل وربما وحقه في المعن
 والمباهاة اطهر ، وبعد فلماذا تفوق لا ربه على سامية . هذه السامية التي
 سبق لها ان اقامت الحصارات البربرية ، وهدت الاسامية دهوراً عديدة

بما انجست من ابياء مصلحين ، وحكام نارعين وفلاسفة نابهين اما خصومة
العالم المتمددين ، أو بعضه لليهود الذين هم ساميون ، فليس لأن هؤلاء لاجبوية
فيهم ولا نشاط ولا قابلية للعمل والانتاج وانما بالعكس لأن فيهم حيوية
قوية ونشاطا جما ، وقابلية حارة للعمل والانتاج وانهم اصبحوا عقبات
كثيرة في سبيل أبناء البلاد الاصليين

وأما السبب الاصيل الذي اهاب بالشعوب الاوربية أو بعضها الى
ان تلاحقهم وتتعبهم فلكمائنهم وقابليتهم كما اوضحت من ناحية ومن أخرى
لما تكوّن فيهم من طباع شاذة نتيجة تشردهم المتواصل ، وتشكّتهم المستمر في
الممالك والبلدان هذه الطباع التي خلقت فيهم روحية لا تشمر إلا بمنفعتها ولا
ترتبط إلا بماديتها احتفاظا ببقاء نوعهم ، وحرصا على سلامتهم . حاربوا
الأمم كافة ، بحقدهم الدفين ، وبخصائهم السكائمة ، وبدأت الأمم تكيل لهم
الصاع صاعين ، وتنفق اثارهم فم لم يحاربوا لانهم ساميون ، وانهم لم
يطردوا وينكبوا لانهم ساميون ، ولكنهم لانهم يهود لهم طباع خاصة خطيرة ،
وبرعات عربية غريبة . اذن : فنظرية التفوق المصري بطرية خاطئة لا يدعها
المنطق ولا يقرها العلم . ولا تؤيدها الدقيقات التاريخية وان أبناء المناطق
الاستوائية الذين هست عليهم الطبيعة وان كانوا يؤلفون اقلية في المجموعة
البشرية فهم يجب ان يعاملوا بعناية ورحمة بدلا من الشدة والقسوة ، وان
نوفر عليهم خيراتهم ، ويحتفظ لهم بثرواتهم وتضمن حرياتهم بدلا من انتهاب
تلك الحريات وافتساح تلك الثروات وهدر تلك الحريات لانهم ليسوا من نوع
يختلف عن النوع البشري وما تأخروا ، أو اصبحت قابلياتهم محدودة ،
وضئيفة نوعا ، إلا من أثر البيئة ، وفعل العوامل الطبيعية التي تعاورت تربتهم
ومثلهم كمثل الاسكيمو أبناء الشمال من حيث ضيق التفكير ، ومحدودية
قابلية الابتداع ولم يعرفوا في شيء سوى ان الاولين ، يعيشون بين الثلوج

وأحواء الزمهرير والآخريين يتقلون في تربة حارة واجواء مرطبة تكتنفهم
 طانات وأحراش وأشجار طارعة . وقسوة الطبيعة اذا رادت عن المعتاد ، تركت
 آثارها السيئة في الأبدان والأرواح . فهو لا يجب أن ينظر اليهم كأفراد
 عاثلة اصابها المرض ، وأن يعاملوا بالرفق . واللين ، والسخاء والسكرام
 والعناية الفائقة ، لأنهم من أعضاء الأمة لا أكثر ولا أقل . وليس للأمة
 أن تنظر من بعض أفرادها اذا مرضوا . وأن تتجاوز على حقوقهم ونصائر
 حرياتهم اذا هرلوا ومن حسن حظ الإنسانية أن خلق هذا النوع من الناس
 أقلية وإن تركت الطبيعة الأكتزية قسوة سامة لا تفاوت بينها إلا
 بقدر يسير .



لكل هذه الأسباب لا يصح لتمسك بطريقة التفوق انصرى . والتحكم
 بواسطتها ، بالشعوب ، وإن أول واجب باقى على عوائق رجال القوية والمعلم
 والمرشدين والأبناء والأمهات أن يلقوا المشـ حب الوطن ، بطرق غير
 غير الطرق المألوفة الآن ، وبحرصوا على لتمسك بالقومية ولكن ، ساليب
 صحيحة ، سليمة من نزعات الشر ، وبوارع العبد بالعب ، أن كثيراً من
 الأمم المعاصرة ، يعتمد رجال العلم فيها ، الكذب على التاريخ ، وبالمقوت
 الحوادث الخيالية ويحافظون الأبطال الخرافية ليثيروا في أرواحهم ، بروايات
 القومية ، وبهرات العممية ، لعرض العدوان على حريات العبد ، وعلى مقدسه
 ودوائه وكنوره ، واذا اعترضت عليهم أحاولك بأن الكذب يستع في
 سبيل ذلك ، والتلقين يروق إذا كان المقصود منه تقوية الروحانيات والمعنويات ،
 والاختلاق مشروع لأجل التوسع ، فهل هذا صحيح ؟ وهل يؤمل
 تكوين الأخلاق العاضلة في أفراد لشعوب . اذا كانت تستباح حريات
 الأخلاق ، ويهتك سائر القمميلة من ذوى الفصا ، وما ، ومن قبل علمائها ؟

على ان الفتوح والاستعمار في الاستعمار ، والاكثر من الاستعمار كل هذه
أسباب وان كانت جلب الخيرات ، للممالك الفاتحة ، وتعنى الشعوب المستعمرة ،
فانها تجلب معها ايضا عوامل الموت السريع ، وتقتل نفوس افرادها من
السجاي والمرايا الحميدة وتمحرو وحداتهم من كل فضيلة وتكون الأمم
المفرمة بالفتوح كاساعية الى حتفها بظلمها ولقاضيها على نفسها بدها
وما يدريها لو ان روما بقيت متكئة في ايطاليا محتفظة بحمويتها وسعت في
تنمية ثقافتها في مدينتها ، لافادت نفسها والموع الاستعماري اكثر من روما
الأمبراطورية ولطقت نعمت نعم الحياة اطول امداً في اسعد حالة ؟ ولو ان
الامة العربية لم نورع قواها في تلك الممالك الواسعة الاطراف التي استحوذت
عليها ، لما انحطت قوتها سريرا ، ودبت في اوساطها داء الخلال مكرراً ؟ وهذه
الدول المستعمرة ، والشعوب المصحفة التي تتناول وتصارع ، وتفقد ويدا
بينها ، في هذه الحرب ، ما يدري ما اذا عصى المستقل في طيابه ، من
شقاء قاتل . وحياة قائمة اذا طلت على عرونها ، وبقيت على سياستها سواء في
ذلك العاقبة منها والمعوذ ؟ ان العدوان على حريات الأمم ، والتوسع في مدا
العدوان ، فضلا عما يحملان معها ، من أسباب الانحلال والاضمحلال
للمعتدين فانها بشرا عوامل العزة والخس . في الأمم الاخرى المناهضة من
جدة ومن حمة اخرى للهان نفوس ابناء الملاد المعتدي عليها بالثر والانتقام
فالخرب تكون موصولة الاطراف ، والمخيمات ، نصبح دائما الاستعمار ثم اذا
يعيد المعتدي من عدوانه ؟ هـ ان فريق الديمقراطيين هو الذي كسب
الحرب ، فهل في قدرته ان يثبت دعائم لسماعواما طويلة وهـ وينزع الى دور
خصومه ، ويرمي الى الاحتفاظ بما أصاب من ممالك وشعوب ؟ ان القوة
تخيف في ظروف معينة ، والى اوقات محدودة والشعوب الموثورة ، والممالك
التي تعلى في بذاتها مراجع الحق والانتقام لا تستكين لهذه القوة إلا كما

استكاثت مثلها من الشعوب والممالك في الماضي ، وفي الحاضر ، ولعل الاصطدام
يكون بين فريق نفسه و كل لعلائم نسب على ان هذا الفريق مؤلف من
دول متباينة النزعات ، متباعدة المبادئ .

وصفوة القول ان الفرور اقوي الذي يربسده في المستقبل هو ذلك
الفرور الذي لا يمس كرامة لعير ، ولا حقه وانس من مقتضيات العصر
والمناهة لعدوان واء الفخر والمناهة تكونان اسمى قدراً ، وابلح اثرأ في
النفوس ، اذا استعملت في طريق الخير ، وفي حدود الحق فمعالجة هذه الداحية
الروحانية هي من أدق الواجبات واعظم المهام

• • •

وكذلك التلقينات الدينية لما انها تؤثر تأثيراً بليغاً في النفوس فيجب ان
ان تدفع فيها طرق حكمية لان الاديان انما انت انتهدب النفوس ،
وتربيق النفوس ، وتقويم الطباع ، فهي لم توحيد لدر دور الشقاق والتمزقة
من ابناء البلاد الواحدة ولا بوحدة من من الاديان ليس فيه شيء الكثير من
المادى . الاخلاقية اسامة ولما اذا يسمح المجال للمجادلات والمهارات التي
تساعد بين القلوب ، وتماعض من النفوس ؟ وما كانت الاديان اداة صلة من الخالق
وعنده ، ولما اذا يسمح بان تتجاوز هذا الحد وتحترق هذا المطاق الطبيعي ؟
وهذا واجب مهم آخر ملق على كواهل رجال التربية والتعليم ، والسلطة العامة
المشروعة على تمهيد الطمة التربية والتعليم فليس من اصدواب ان تنقن احكام
الدين في المدارس الحكومية ، والاديرة عامة وانما نحن تلقينها هو الدور الخاصة ،
والمدارس الخاصة لعدة لغرض تنشئة الدين يقومون لأغراض المعابد ،
والقيام بالطقوس الدينية لكل دين وأي لا ذكر بين والذي كان قد صمم
على رسالي الى الكلية لا مبركة في بيروت في عهد طفولتي ولكنه لما وجد

نظامها يقضى على طلاب السكينة كآفة ان يمارسوا الطقوس الدينية المسيحية
امتنع عن ذلك راي الآسن ، مما كنت أجد الحرية ، على أنواعها ، لا تسمح
في ارسال ابنائي الى اية مدرسة تعرض عليهم ممارسة طقوس دينية غير طقوسهم
الدينية فرضا لأن هذا نوع من الاكراه يناقض المبادئ العامة الاجتماعية
وبرغم ان مبدأ حرية الأديان قد انشر في الاوساط الانسانية فمازلنا نجد
الدول المستعمرة تخلق في كل يوم اسبابا دينية لأفعال ابناء البلاد المستعمرة
فيما بينهم ، وانها ترى في هذا العمل نوعا من العمل القوي ، وصورة من
صور لنشاط الفكري ، والدهاء السيامي . ان الاصلاح الاجتماعي لا يكون
بهذه الاساليب ، ولا تنمو جذوره اذا اشرب هذه الروحانية .



ان المادى المالية والاقتصادية التي بحثناها في التكوين المالى والاقتصادى
تعيد الى درجة كبيرة التنظيم الاجتماعى وتقليل الفروق الاجتماعية حيث تمنع
تجمع الثروات في ايدي قليلة من جهة ومن جهة أخرى تخفف من وطأة
الفجاء والتعاض بين طبقات الشعب ولكن هذا لا يكفي للاستقرار
الاجتماعى في كل شعب فهناك الطبقات العاملة وهي الكثرة في كل شعب .
وأعني بالطبقة العاملة ، عمال المصانع والمعامل والحرف ، وعمال الأرض اى
« الملاحون » هؤلاء وان اطلق عليهم وصف « الملاحون » نظراً لطرقهم
الخاصة فهم عمال فكما ان في البلاد الصناعية يكون العمال أحرار في
أوساطهم كذلك للملاحين في البلاد الزراعية عين الاثر هؤلاء العمال ، مارالوا
يكافحون في سبيل تحسين معاشهم والترفيه عن حالتهم ، من حيث السكنى ،
والوقاية الصحية ، ومن حيث أحورهم ، وعطلاتهم ، ولكن توحيد أمور
كثيرة أخرى غير هذه تقتضى عناية السلطات المتواصلة . فالبطالة أصبحت

داء من منأ وسها من اسباب الموراء الاجتماعية في كل مجتمع صناعي ولئن
 كانت ايام الحرب قصت على البطالة لالرام الجميع باعمال تقتضيها الحرب، وهي
 كثيرة مختلفة الوجوه، متعددة الواحي، ولكن حالة الحرب حالة طارئة
 لا تلبث ان تروا فتعود مشكلة البطالة الى الوجود اكثر قوة واشد خطورة
 وعدا البطالة فان هناك ضرورات أخرى اقتضتها التطورات الاجتماعية فصارت
 حياة العامل اذا ما اصابته حالة من حالات العجز المحتلة عن القيام بأعماله أو
 اذا بلغ سن الشيخوخة أمر جوهري اننا ما رلنا نسمع ان الخير الاجتماعي
 وللعالم الانكليزي المعروف السير (وايم بيريج) بعد الآن تقريراً خطيراً
 ليرفعه الى لسلطات الانكليزية ولا يدري من يوفق الى حلول جديدة، وادا
 وفق هل نجد حله اذا ما صاعية في الاوساط الانكليزية وأوساط البلاد
 المتقدمة الاخرى أم لا ؟ ولكن على كل حال فقد نلتطربا حالات عصبية
 وأزمات عسيرة الحل حينما تنتهي الحرب، ويأذن الله عز وجل بعودة السلام
 على العالم. ان الحرب الحاصرة ليست كالحروب الماضية. وانما هي حرب
 طاحنة، طحنت تحت كل كلمة الانسان، وما انتجته يد الانسان، وما حاد
 به الطبيعة من مواد، وعناصر. ان القوة الشرائية في العالم اصححت اليوم اقل
 بكثير مما كانت عليه، وكلما طال احل الحرب ازدادت قلة. بحالة السم
 المستطرة، سترى ضعفا في القوة الشرائية غير معهودة، لقضاء قسم كبير من
 اي الانسان الاقوياء الشطين المرحين الذين كانوا دعامة هذه القوة وسترى
 ملايين من الناس الذين كانوا يعملون في ميادين الحرب وحقوقها، يعودون
 الى بلادهم، فيطمعون في عمل، يكتسبون من ورائه قوتهم، والمعامل
 والمصانع، والمحلات التي كانت معدة لهم فيما سبق، قد غير وقلب اكثرها
 الى اوضاع تفيد الاغراض العسكرية وليس من السهل اعادتها الى حالتها
 الاولى في وقت قصير. وسترى حالة السلم ايضا جيوشا كبيرة من المشوهين،

والضعف العتاف ، وهي الآثار المحزنة التي تتركها وراءها مثل هذه الحرب الشاملة ، وهذا الضعف خطير للجهاز الانتاج . وعدا ذلك فان الضعف في هذا الجهاز سيحس به اصحاب الاعمال واربابها من نواح أخرى ، من ناحية فقدان الكتلة من الخبراء ، والقيمين ، والعلماء الموهوبين الذين غيبت اسادهم ميادين القتال ، ومن ناحية لمواد الخام التي ندرت في سبيل المقاصد الحربية ، والاموال التي اهدقت لأغراض لا دخل لها في تنمية المشاريع العمرانية ، وهل في الحرب غير التدمير المميع للمباني والحسرات الملمية ؟ والعمال الذين سوف يهثثون انفسهم الاعمال المختلفة ستكون أكثرهم أماما من الشيوع أو من كانت أعمارهم تتجاوز سني الشباب وأماما من الضعفاء المهارين ، أو من المشوهين الذين قد يستفاد منهم في ناحية من نواحي العمل . وقوة انتاج هؤلاء تكون صورة بقوام ، وقالباتهم . فالشباب الأقوياء كانت قد سالت دماء أكثرهم ورهقت أرواحهم ، بين الحديد والسر . وسترى حالة السلم عدا ذلك اتصالاً جديداً جذبياً بالرحمة والاشفاق ، لان الضعفاء لا يدسون إلا ضعفاء على الأكثر ، وهذه حالة اجتماعية خطيرة تستدعي تدابير خاصة ، كما انها سترى نقداً متصفاً . لا يماسب والحركة التجارية وبالتالي سترى حالة السلم ويلات ومصائب تصغر بحاسنها ويلات الحرب ومصائبها ، وسيعاني آلامها ويتدوق مرارتها الفانون والمطلوبون على السواء .

ان الاوضاع الخطيرة التي ستجابهها المجتمعات البشرية في حالة السلم ، تعرض على الشعوب وحكوماتها ان تتعاون تعاون وثيقا للتخفيف من هذه المصائب والويلات ، ولخلق حالة مستقرة تكفل منافع المجموع فلم يعد في الامكان ان نسوى قضايا العمال بينهم وبين ارباب المصانع والمعامل أو بين الفلاحين وملكي الارض وانما تشمل طبقات الشعب برمتها والحكومة . يجب ان يكون هناك معدل استعادة معينة لمعدل اعمال معينة وان يكون

اشتراك في مدافع المخاص من اهور . التعاون من المال واصحاب رؤوس
 الاموال وكذلك . حكومه . كمال لأفراد من عمال وفلاحين ، واصحاب
 رؤوس الاموال من اصحاب معامل ومصانع ، ومتاجر يشتركون في مقادير
 معينة يدفعونها لصدوق الصالح على حكومه ان تصمم من المقادير ما يكفي
 لسد لفص الخصاص في هذا الصدوق . وان يكون جميع افراد الشعب يقيدون
 من قبض هذا الصدوق في احوال خاصة لهم تعين بموجب وقوانين ومن
 هذه الحاجة يكون واجب الدولة شاقه وصعبه . ومقشعة في آن واحد .
 لأن هذا التنظيم الاجتماعي يتطلب شريعات دقيقة ، وانظمة واقية واساليب
 قوية ، ومراقبة صارمة ، ولا يضطرر الحكومات الى المساهمة في مشروع
 الصعوبات ضد اهور لاثبات من اسباب شتى وقد تضطر الى ابقاء مستوى
 الضرائب لاهمية التي فرضت انشاء الحرب أو تخفيفها بنسب قليلة الى
 مدة سنتين بعد الحرب الى ان ينظم الحياة الاجتماعية . وتطرد الحركة التجارية
 إذ كانه انتظمت الحياة الاجتماعية ، واضطربت الحركة التجارية قلت نسب
 لفص في صدوق التأمين وماذا لي بحرف العبء على حربية الدولة . ومثل هذه
 التدابير الاجتماعية من شأنها ان تقسم ادا لم تعد لحدوث الاجتماعية بين طبقات
 الشعب وتزيد في ثقلها ، وبالحده وشح جهتها وعديتها ، وعدادتها على
 الحكومات ان تصمم تصاميم لما ربح كيرة المشعين الابدى العاملة ، وان
 ما أحدثته هذه الحرب من تحركات ودميرات في السمات وفي المصانع ، وفي
 الطرق ، والسكك الحديدية ، وفي الحسور وللقواطم والاعمال الاخرى
 الهندسية . كل هذه تبسر وضع مش هذه التصاميم التي تعيد العمران من
 ناحية . وتؤمن حاجات الابدى العاملة من ناحية أخرى . وثم واجب آخر
 ملهى على عاتق حكومة كل شعب بعد الحرب . وهو ابقاء اشراقها على
 تحديد اسعار الحاجيات ، واستمرار سيطرتها على التوريد والتصدير الى زمن

ما ، لأن ما عانته الإنسانية من أزمات قاتلة بعد ان وضعت الحرب الكونية
الماضية اوزارها يقضى على رجال الحكم في كل دولة ، ان تدبر الحالة ، وان
تتجنب الاخطاء التي وقعت في الماضي واما عن تضخم المقد ، وثر كبر العمالة
على اسس معينة ، تألف والتقدم العالمي ، وتبي محاذية التبادل الاممي فمن
الامور التي تناقش في غير هذا الموضع

التكوين الدولي !

أ - مفهوم

مثل الأمم كمثل الافراد . فكما أن الافراد في كل جمعية بشرية بسائق
الضرورة الاجتماعية يتصل بعضهم ببعض ، انما من حاجاتهم ، وتوفر الرقابة
لكل منهم ، كذلك الأمم مضطرة الى ان تحتلط بعضها ببعض ، وتتواصل ،
لأأمين حاجاتها ، وتوفر الرقابة لأفرادها ، وهذا الاختلاط الاثني والتواصل
الدولي ، انما هما ضرورة اجتماعية لا مفر منها . واقد كانت الأمم في العصور
الخوالي ، تتصل ببعضها بشئ الأسباب ومختلف الطرائق . ففي حالة السلم كانت
القوافل التجارية والاساطيل البحرية تغذ السير رائحة آيسة متنفلة من
من مملكة الى أخرى ، ومن أفق الى أفق آخر مصدر متوحاتها ، ونحاب
وتستورد منتوحات الأمم الأخرى ، وكانت المباحرات متصلة ، والمباحرات
نحاب معها ، تقاليد وعنومات واخلاقا جديدة الى البلدان المستوطنة حديثا ،
ثم كانت الاتصالات النفسية والمصاهرات وما تنتج من آثار وعلاقات ، وفي
حالة الحرب كانت الجيوش ، تحمل معها لحد كبير أسباب الاختلاط والامتزاج
واشتباك المصالح . والحروب كانت لا تهدأ ، ولا تقف عند حد . وهذه
الحملات العسكرية ، والغزوات ، كانت من أقوى أسباب الاتصال الاثني
والأمم اذن في حالة امتزاج مستمر ، واختلاط دائم منذ قديم الأزمان

ولكن هذه الحالة الدائمة المستمرة . اذا كانت محدودة . لا تفاق طيبة الحركة
والطور في القرون الاولى واوسطى ، فقد اصبحت في العهود الحديثة
عظيمة الخطورة ، ذلك لانها متحدة مع تقدم الصناعات ، والصنوح العقلية ،
تناساً طردياً . فهي ادنى في حالة ازدياد مستمر ، وازدياد خطير . ان التقدم
في العلوم الطبيعية ، قد سبب لتفكير في نزاع صناعات ، ودفع بالمدح الى ان
يعرّوا في صنوف الانتاج المختلفة ، انظمين رغبات المستهلكين ، وهذه
الصناعات ، وصنوف الانتاج تقتصر الى اسواق تفتقر قيم ، وإلى مستهلكين
يدفعون اقيامها ، وقد أدى هذا التقدم في ميادين الصناعة والانتاج ، الى
التقدم في استنباط اوسائط السريعة التي تنقل بها هذه المواد وقد سبب وسط
النقل ووسائله ، ردة كانت أم عربية ، أم حربية ، في لأم الاحيرة اذ ارأ
مهمة في هذا المضمار . ولما كانت الصناعة هائلة مادة صرفة ، فقد اصبحت
الصناعات لائمية ، والصناعة لمادية ، وسدتها الروح المعنوية فالتفتوحات الحديثة ،
وأسباب الحروب الجديدة ، كالم' ولده ، هذه الصناعة لمادة ، وأثر تلك الروح
المعنوية . واصبحت صناعات الأمم وعلاقتها ومصالحها اشتدكة مؤسسة على
الفكرة الاقتصادية فمن ان تكون مؤسسة على أي نوع من الأفكار الاخرى .
وهذا فرق عظيم ، بين امود لماصية والعهد الحديث . لاشك في ان كثير من
الفتوحات الماضية ، الاصلط . اما الممونة القديمة كانت تكون لا عراض
اقتصاديه ، ومنافع مادية ولكن كان في حاسمها ايضا فتوحات وعطبات
اخرى لم تكن ذات علاقه من الاقتصادية والمنافع المادية . فتلا حروب
طروادة ما كانت دوافعها إلا دوافع الشرف . واثر العرض انتمت
وفتوحات الاسكندر الكبير كانت قائمة على فكرة توحيد الأمم وتعميق
مبدأ الاتحاد العالمي . واقد كان الاسكندر يحس في فكرته هذه ، متحمسا
لتعميق هذا المبدأ . فتوحاته لم تكن ذات صفة مدفع مادية ، ولم يكن يقصد

من ورائها تدمير الممالك ، واحباب خزائنها ، واستعباد انائها ، وانما بالعكس
نعمه رفيع ، انهاء البلاد المفتوحة ، أمر الفوائد وجوده ان تصاهر مع
أبناء البلاد المغلوبة ويقيدوا من نعمتهم . كما يقيدون عمودهم ، اصهارهم
الجدد شفافاتهم . وكان في كل تمسكة بحاجهم ، ينصب من ثنائها حكاما
عليها ، وما كان يباري تمسكة ، لمعان ، أو يستهاذي ادا هي ودمته
على فكرته ، وغاوته في مهمته . وفتوحات لاسلاميه ما كانت في اول امرها
تربي الى عار ، مادة ، ومادع دائية . و كان مسدودا علا كلمة الله مبداء
وهدايه الناس كافة الى دين لتوحيد . وحروب الثلاثين عاما لم تكن الا
اصطداما ، مهييا بين ابروستانات ، والكانوايت . كان حروب اسطان سليم
العثماني مع اشاه الصفوي الاثري ما كانت الا بين مذهبين الاسلاميين الاثريين
و لكن حروب امصور لم تكن الا حروب مادية ، ومادع اوتصادية
واسبب في ذلك كاد كرا مرار ، من الحصاره حصاره مائة ومئمة
بينما في احصارات السامه كانت ها حوصلا ورجعة . ان الحرب ضر
من دون شك ولكن الأمم في نصي . فقدم على هذا الامر ثلث حروب على
الحير او انها كانت تذكر في الحرب على الاولين ، عند ، عنها هذا شر
ودعوة الوثنيين الى الله . فقدم على هذا الامر ثلث حروب على
لبها طريق الحرب ، ثلثي هي شر . وفكرة توحيد الأمم وكبره حبر محض وان
اريد تحقيقها بالقوة . ولكن الأمم ادرية تسلك من امر آخر وهي
تقدم على الحرب لتعدي على ماني ايدي الأمم الأخرى من أسس الحياة
وهذه الحالة الأليمة اني وصلت اليها . سرية قد دعت . السكتين من دوى
صائر اعمرة من علم ، حكام . بولامعة عظم ، في ان دعوا على احصارة ادمه
مدتها ، وان طلبوا عمارة . أسس . خيرة . مشربة في مثل هذه حصاره داني
وان سكت من حجب المدة . فهي قد عصب . لأساية . درجوت عما كانت عليه

في العمود الماضية من ناحية الشعور واعواطف والروح

ونماذج لتوسع الفتوحات، تختلف في شدتها وليها، في قسوتها وورعها
بالنسبة الى العايات التي تستهدفها وهذه حانة طبيعية لا تستدعي نقاشا كثيرا .
لذلك نقول لما كانت في الفتوحات والتوسعات الماضية حواش روحية ، فقد
كانت أحف وطء على لأسانية من الفتوحات والتوسعات الأخيرة التي هي
مادة صروه ولا يهمل كثيرا الاصلاحات الشكلية التي قامت بها دول العهد
الجديد من العاهة الرق ، وتنظيم الحقوق الدولية ، تنظيم يكاد يوهم الناس
بأن هناك ما يسمى عدل او اصناف عالمي فأحداث المادة ، قد أثبتت بادلة
محسوسة ان هذه الاصلاحات انما بقيت آثارها في الاقوال والخطب ، والكتب ،
فالرق قد استشرى دأوه فساد الأمم الحرة والألوان على اختلافها ، وتعددت
فيوده ، وأحكمت حلفات أصماده أصناف ما كل عليه في انامه الأولى .
والحقوق الدولية لم يعد لها أثر بالمرء ، والعدل العالمي ، فقد انحلت آثاره ،
ورالت معاه . لقد مات العدل في قرارات عصبة الأمم ، ذلك العدل ، الذي صنف
الملاذ لمحكومه من الأقواء ، دماء ادماء الأبرياء ، وشعر ندمى رعابة الأمم
الكبرى التي يكرر رعمافها بصفة احترام اقنوب ، وسيادة العدل ، تلحق ونفاهون في
الدول الصغيرة التي ادعت في خلال هذه الحرب انقاذها من الدعاية ، مابر
كتب وبهتان ، بعد ان جمعوا حجارة هذه المابر ، من رؤوس الاحرار
والمعكرين ، والدادة عن حرمان الملاذ المنتهكة . هذا تشرش وروروات
واصراسها في الوقت الذي يعلون لعلم فيه ، ان القانون يحب ان يسود
اعلاات امولية ، وينهجمون على سياسة دول المحور ، يقدمون على احتياح
بلاد ايران المجدة ، ايران التي كانت تربطها بالدول المحاورة هاهنا هاهنا صداقة
وسلام دائمة . ولم تكن ايران في طريقهم الى عدوهم ، كما كانت الماحك
وهولاء والد بهر في طريق الامان ومؤلاء الرعماء الذين تشدقون بصرورة

سيادة القانون واحترام استقلال الأمم ، يعمدون في سقاحة القانون وهدم
استقلال الأمم لصورة وأغير ضرورة ، اسبب وهدون سبب و هرب
ان ما يقومون به من انتهاك حريات وسلح حريات ، وسفك دماء ، وسقاحة
بلاد كانت آمنة مطمئة ، انما هو لعب بعينه والاصناف ، وان كان
اذا قامت دولة أخرى بحركات عسكرية في بلاد أخرى ، مصداق الدفاع عن
كيانها ، ودفع خطر الدول المناصرة ، تكون هذه الدولة متسدية لقوانين
الدولية ، معتدية على حريات الغير ؟ هم كانت الحقوق الدولية تسمح لبريطانية مثلا
ان تصطدم في السواحل الروحية مع سفن اعدائها ، والمياه له حلية هي ملك
للدولة ، والتجاوز عليها . انما هو تجاوز على سيادتها وسلطانها ؟ وهل تسمح
لها ايضا ان تلقى في المياه الروحية الاتهام ونبت فيها وسائل لدمير
والخراب ، ونجهر الخلل العسكرية ؟ من قام بهذه الاعمال المادية حقوق
الدول في أول الامر ، هل الانكسار او الامان ؟ وماذا ينتظر من الامان
غير سقمهم الى الاستيلاء على هذه المناطق المحبوبة من الناحية العسكرية ؟
هم لو تأخروا قليلا اسكت لقوات الانكسارية شائعة بلاد الروح . ان
أن المسألة كانت مسألة زمن فقط وان الامان كسوا الوقت وحاول دون القوات
الانكسارية في تلك البلاد . ولماذا كان الانكسار بصراء العدل وحماة القانون
والامان خصوم العدل ، طاعة حقا ؟ و اذا كانت في نظر الديمقراطيين
اخر اقل الجيوش الألمانية حدود الملحيت وهو لند انقضا للقواعد الدولية ، مع انها
واقعة في طريقها الى عدوها لماذا تسمى عن بريطانيا في جنياتها ابرن
وهي بلاد ذات استقلال ليست واقعة في طريقها الى عدوها ؟

أني لست في صدد تبيد حق فريق ، وانكار فريق آخر في هذه الاعمال
وأني مارلت اعتقد بأن حريات الأمم يجب ان يحرس عليها بأي صورة
كانت وبأي ثمن كان . وليس من حق أحدهم لتجاوز على حق الآخر .

وانه أي حجة الدفاع تبيح أن يسرع المخطورات القانونية ولو أن ملكي
دائم له وإن وجد حجر به رص خصمي مرتفع من الأرض تعود ملكيته
لشخص ثالث فمن وأخي أن الرص على حق الشخص الثالث في ملكه
مادام خصمي رص عليه . ولكي إذا قمت بواذر من شأنها أن تجعل هذا
الرص من الأرض في يد خصمي ، أيجد علي منه ويسألني ما أملك ويقضي
علي فمن وأخي أن هتس الفرصة لاستيلاء على هذا المرتفع
لأن أرددي في ذلك يحلني بقمة سائمه في حقه . وإذا استوليت عليه فلا
أكون باعيا وإنما له عي هو خصمي الذي سألني في التجاور على هذا المكان
احظر علي . ولم يقع في الروح غير هذا أن ليسى كانت الجهة البريطانية
واما ما حدث في إيران وسورية وغيرها من المستعمرات الفرنسية المهيمنة
الاجاح الي لم يكن في حجة حرب مع البعثقراطيين ، فان ما احدث عليه
بريطانية في هذه الممالك لم يكن له أي مبرر لأنهم لم تكن واقعة في طرفها الي
خصمها حتى يقد أن الصراوات لعسكر به حتمت عليها ذلك لاسباب في إيران
فاتحددو الربط في على إيران عدوان محض ولا دفع الي هذا العدوان سوى
اشره في الاستعمار ، واستعمل د . الطمع في هذه الامبراطورية التي لم يعرف
لتاريخ حصارها حروب الامم مثلها . والى استطيع ان في هذه الحجة
حقها في موضع آخر اكثر ملائمة من هذا الموضع .

فالقصد من هذه الملاحظات المتواضعة هو لتدليل على ان ما جاءت به
هذه حصاره من اصلاحات . تعذر ردة لها ومفاجرة لم تكن الا اصلاحات
قوابله لا تؤيد بها الافعال وان فلاسة هذا العصر وحكامه ما زالوا على حق في
حجة آملم فيها لأنها ملائمة بالشؤون متبعة بالمدى .

وقد يقال ان اميركة . في حصارها بعد عصا من اعصاب هذه الحصاره
القائمة ، وسعة من سماتها وهي ما زالت تدافع عن حريث الامم وانها

دخلت في الحرب الكوبية له صيه لأجل تحرير الأمم وأنها قد حلت الحرب
ثانية لعين الغرض ، وأنها لم تقبل سياسة استعمارية وأسس لها مطعم في أي بلد
من بلاد العالم فإذا كانت هذه الحاضرة حاضرة مادية صرفة لما كنا نلمس هذا
الشعور الإنساني في أميركة ذات الحاضرة عينا ؟. الحق أن أميركة ماراث
تأبى الأمم في ضرورة احترام لقوانين دولية ، والحرص على استقلال
الأمم الضعيفة ، وأمكن شداد الأمم لتحترم لقوانين الدولي ، وإطهارها
الحرص على استقلال الأمم للضعيفة إنما هما ناشتان عن اعراضها في ماديتهما
وشدة حرصها على نعمها ومن تمسكها بمصالحها ، فهي ليست حريصة على
القوانين الدولية ، وإنما هي حريصة على ماديتهما ، وهي ليست متعاقبة في حب
الضعفاء ، لتحرص على استقلالهم وحريةهم ، وإنما هي تدافع هذه
الفكرة عن مصالحها ، دية ، ومناقب الداية . فالامة الاميريكية أشد الأمم
تمسكا بالمادة ، وتماما أساسها . ولم يكن لويس ديكسن مسرفا في العلوجين
وصف أميركة لادبية ذلك الوصف الرائع في كتابه معرض الآراء
الحديثة ، على لسان الصحفي « آرثر إلس » ، فهي مادية وعظيمة الخطر
في ماديتهما

أن أميركة قد وهبها الله عز وجل بلاداً مترامية الأطراف وسيحة
الارحاء ، غنية في المواد الخام ، حصة كثيرة البحيرات ، لا يعمورها سكان
دربوا على طرق استنيرها ، والاستفادة من مواردها ، فهي في عى عن الاستعمار
واصناعاتها ومستوحاتها أسواق كثيرة متسعة ترحل المستهلكين فالدينيا
الجديدة رمتها شملها ، أواسطها وجنوبها كلها أسواق لها ، وعدا ذلك فإنها
قد اقتسمت أسواق البلاد الصين مع الدول الاستعمارية الكبرى ، وأن نصيبها
من أسواق الصين كان نصيب الأسد والامبراطورية البريطانية ذات الاملاك
التي لا تعب عنها شمس ، فأب أسواقها ، مفتوحة كذلك للمتوجان

الاميريكية . وهي تتساهل معها وان تشددت مع الدول الاخرى ، لا سباب
سياسية ليس هنا محل بحثها . فالامة الاميريكية تملك اسواقا تجارية اوسع
بكثير مما تملكه بريطانيا نفسها واكثرها قريب اليها فهي لا تشبه مثلاً
بريطانيا تضطر لاجل ان تعيل شعبها ، او ان تصرف منتوجاتها ، وتحافظ
على اشاطع صناعاتها ، ان تحوب الاتاق العبيدة لتقتنص شعباً تهوى عليه وتزدرده
او رقعة من ارض تجعلها مستعمرة لها ، لتنفق على اهلها بضاعتهم ، او
تستفيد من مواد الخام الموحدة فيها . ومع ذلك فان الامة الاميريكية لا تخلو
من فكرة استعمارية وان كانت محدودة . فهي تملك الفيلين وكوبا ، والجزر
المنبثقة في الباسيفيك واهالي كل هذه الممالك الواسعة الارجاء من الشعوب
المالونة التي لا تربطها رابطات بالامة الاميريكية وليس لها اي مبرر غير القوة
لاستعمارها . وهي برغم عدم افتقارها الى الاستعمار فيها ميل الى حذرها الى
الاستعمار . وان سياسة مونرو ، التي تقتضي عدم تدخل اميركة في الشؤون
الاوروبية ومشاكلها ، انما هي اثر من آثار المادية في الامة الاميريكية . لأن
الغاية التي ترمي اليها هذه السياسة هي ان تجعل الدنيا الجديدة ، في نجوة من
التراحم الاوربي ، لتبقى حاضرة الى الامة الاميريكية فهي خطة دفاعية قوية
تحمي بها منافعها ومصالحها . ويمكننا ان نقدر مادية الامة الاميريكية
من الخطوات التي خطتها ان في الحرب الماضية ، وان في هذه الحرب الضروس
وهي لما شعرت بأن الصين كانت تدخل ضمن نفوذ الامبراطورية اليابانية
من جهة ، ومن جهة اخرى لما وجدت وضع الامبراطورية البريطانية مزعزعا
بطرا للاثصارات الحاسمة التي نالتها دول المحور ، تارت نائرتها ، وقامت
قيامتها لانها تعد الامبراطورية البريطانية حصناً طبيعياً لها ، سيما انها منذ
آخر هذا القرن بدأت تحشى نفوذ الشعب الالماني ، الممتار بفشاطه ، وذكاؤه ،
المتفوق بقايلياته . في الجمهوريات الاميريكية الجنوبية وكلما رادت الصلات

الألمانية بها وثوقاً ضاقت هي بها ذرعاً واستشاطت غيماً وهي الحرب الأولى
 تذرعت بتجاوز الأبطال الألماني على سمها فأعلنت الحرب واسكن في هذه
 المرة لم تجد ذريعة تتخذها سبباً لإعلان الحرب ، ذلك لأن المانية الجديدة ،
 المانية الريح الثالث كانت أمام بصراً ، واعمق تفكيراً من المانية
 لقيصرية انها تمنعت كل عمل من شأنه ان يكون ذريعة للحرب ، وأبدت
 حلاً غريباً ، وصبراً عجيباً حيث اعصت البصر عن كل الاعمال الاستعمارية
 التي كان يقوم بها روزفلت وتفاقت عن كل مساعدات الحربية ، والمعاونات
 المادية التي كانت تقدمها اميركة الى الانكليز ولسكن روزفلت لم يكفه ذلك
 مع المانية ، وانما مال الى اليابان ، وأخذ يشتد عليها ، ويستفزها ، فكانت الحرب
 بينهما وبين دول المحور في نهاية الأمر ولو كانت اميركة امة خير تحب السلام
 العالمي حقاً ، لا أصبحت رسول سلام . لا موفدة بار الحرب ، او على الأقل لما
 كانت معينة على استمرارها ، واشتداد سميرها من الكات تنظر الى اسباب
 الحرب ، نظرة المهابة ، الذي يريد ان يصل نظره الى قرارة الحقيقة . فان
 وجدت المانية على ما ظن كانت عليها ، والا كانت بخانها او على الأقل نلزم
 الحياد التام واسباب الحرب واضحة ان المانية طلعت عودة الدائريع اليها
 وان يمدل وضع بولوية في الممر ، حيث لا يجوز ان يكون فاصلاً بين حرق
 بلاد واحدة ، والدائريع ، والممر كلاهما ارض المانية . ويجوز ان المانية
 كانت تنوي المطالبة بمستعمراتها ، ومع ان قضية المستعمرات لم تبحث او لم
 تسكن من اسباب الحرب ، فلا انري لماذا يحق امير المانية ان تملك المستعمرات
 التي لا تغيب عنها اشمس . ويدهن عليها بمستعمرات محدودة الرقعة ، محدودة
 السكان ، كانت قبل ربع قرن تحت نصمها ، وهي الدولة الضيقة رقعة الارض
 المردحة السكان ؟ فهل اذا طالبت بهذا الطالب تكون حارقة حرمة القوانين
 ومستهزة بالحقوق الدولية ، ومستعدة العالم المتحدين ؟ ولماذا هولدة ؟

تستعمر بلادا تتجاوز نفوسها السنين مليوناً ومن اغنى بلاد العالم ، مع
ان شعبها لا يتجاوز السعة ملايين ، والمناخية ذات الثمانين مليوناً من الانفس لا
يسوغ لها ان تقتصر في حرة من عشرين حرة ، مما تقتصر فيه هو لينة ؟ اي
عدل هذا العدل ، وأي منطق هذا المنطق ؟ وبالتالي كيف لا تحكم بما دية
اميركة ، وانها لا تختلف عن الدول الديمقراطية المستعمرة الاخرى ؟

والحقائق التي تعترض لتكوين الدولي ، هي هذه الرعة لمادة القوة الي
حاطت دماء الامم المستعمرة ومارحت ارواحها ، وان قواعد السم لا تلت
ان نهار مها صرف في تشييدها من جهد ، وبدل من عدا ، ادا لم تكن هناك
رواجر روجية . وروادع نفسية تقف بالامم المتحاربة ، تعد حدود الحق ،
وتلهم زعمائها وقادتها الرشيد والصواب

ان طرق تكوين الدول داخليا مهما كانت صائبة وحكيمة فهي لا تنمو
نموا المطلوب ما لم يحكم ساء لتكوين الدولي ، ونظم صلاتها سطيا بجمع
اسباب الخلاف ، والاضطدام بها فيما لقد كانت مشروع تأليف هيئة
دواية تمارس حق الاشراف ، على الصلات الدولية ، وتحمس العلاقات التي
تتكون فيما بينها من حين لا آخر ، وفق قواعد قانونية وأصول مصبوبة
أمنية من أمانى محي لسلام اعلمي ، ونهيه الحكاء المصلحين في الماضي البعيد
والقريب .



ان فكرة وضع العلاقات الدولية تحت مظلة قانونية دولية ، ليست
حديثة فقد تطورت هذه الفكرة بالمرور الى تصور احصارة الاسبابية ،
وتأثيرها في العلاقات بين المجتمعات البشرية المختلفة . وقد قسم علماء القانون
الدولي ، العهود التي مرت فيها هذه العلاقات الى ثلاثة عهود الاول يبدأ منذ
شعور المجتمعات بشرية بحاجة الى بعض الى قيم الامبراطورية
الرومانية والعهد الثاني يبدأ من قيم الامبراطورية الرومانية الى توقيع

معاهدة ويستفاليا عام ١٦٤٨ والعهد الثالث بدأ من تاريخ هذه المعاهدة الى
يومنا هذا .

أما العهد الأول فلم تكن فيه العلاقات الدولية قائمة على مبادئ و صحة
والتراتب متفائلة صريحة بين الدول او الشعوب كافة . وقد كانت الدول
تقيم علاقاتها على اساس من اقراء في الدم أو الاتحاد في الدين وإن علاقه
تقام على مثل هذين الاسس لابد ان يكون صيغة لاقى لا تتعدى مجموعة
معية ، من مجموعات الدولية . مثلاً ان مجموعات الاسر قبيلة كانت تهيم
علاقتها على اساس الدين والعصر . ويعتبر للأمم الاخرى عريضة عنها فلم تقدم
تجاهها بالتراتب ، ولم تعرف لها حقوق . كما ان المدن لرومانية كانت تتجسد
اذا ما هاجمها شعب غريب ، أو دة كانت هي تقرر مهاجمة بلاد غير ودية
لسبب من الاسباب . ولكن على كل حال كان العلاقات هذه ليسه بين المدن
اليومانية كانت في كثير من الاوقات تخضع لسلطة هذه متحدة ، وترم
بمقرراتها كما كانها كانت تخضع مسرعانها طريقه ، لتحكم . وعلى هذا
الاساس قام حلف دلفي وبلويزر ، ولما كانت روم ورومة ابط به سوء
في عهدا الاول أم في عهدا الخوري . فها كانت تعقد معاهدات مع
الاقوام المحاورة لها ، في ابط به وتنظم علاقاتهم معها على ضوء هذه الآلة فبات
كأنفاقهم مع الس . بين وغيرهم من لشعوب لا تضالهم مثلاً ولما طمعت في
خارج ابطا به ونوسعت في فتوحاتها غير وضمها تماماً لقد اضطر امبراطور
وصارت هذه الامبراطورية موئل جميع الشعوب التي تخضع لها مباشرة أو
بالواسطة ومن هذا بدأ انحسار وحلت العلاقات الدولية في عهد اثنى وبعثنا
يستطيع ان يحمل عهد الامبراطور ر حان ٩٨ - ١٠٧ بعد ميلاد مسد طمدا
لعموم . ومن النتائج الطمعية مثل هذا العهد ان تشريع فكرة خصم وع
العلاقات الدولية لتبصر روية و حدة ردت لأن الامبراطورية الرومانية كانت

تسمى سحواً مطرداً في النفوذ وفي السلطان هم تكن دولة أخرى تنارعها
النفوذ وتنافسها في السلطان وقد كان الامبراطور حكماً وكات الدون
والشعوب المتنازعة فيما بينهم ، تلجأ الى حكمه في اعاب الاحايين ولكن
هذه الفكرة ، فكرة سيطرة دولة واحدة ، على العلاقات الدولية لم تستمر طويلاً
فقد تلاشت ، أنهيها الامبراطورية الرومانية غير انها بعثت من جديد على
عهد شارلمان ولكن ما لبثت ابتأؤه ان افق سموا ايها بينهم الامبراطورية وتوزعوها ولما
مضت اليابوية وحدثت هذه السلطة الروحية تنافس الملوك ذوي السلطات الزمنية ،
عاضاً تماماً ، معنى هذه الفكرة ، فكرة سيطرة الدولة الواحدة على الصلات
الأممية . وقد جر هذا التنافس الروحي والرومي ، اوروبا ومن ورائها العالم
الى محن وشدائد ، وحلب عليها الشرور . وقد كانت الحروب الدينية ، بين
الصليبيين والاسلام نارة ، وطوراً بين البروتستانتية والكاثوليكية دالمة
الأوار متصلة الاستمرار . ولم نجد من شرورها وويلاتها الا معاهدة وستفالية
عام ١٦٤٨ ، وهذه المعاهدة ختمت الحرب الثلاثين عاماً الدينية بين معسكري
الكاثوليك والبروتستانت فجاءها ، واهت محارزها على ان هذه المعاهدة قد
تحدثت عن مدأين ما زال العالم يرتكر على دعائيهما ، وان كان هذا
الارتكار يختلف قوة وضعفاً بالمطر الى امسيات الشعوب تارة وطوراً الى
ما يجد من لطروف والاحداث والملاسات وهذا المبدأ انما هو الاعتراف
سيادة كل أمة حرة على بلادها المعروفة الحدود . وثانياً : الاعتراف بالتساوي
في معاملة الرؤوس المنوحة وان كانت بمالك الملوك تختلف ضيقاً واتساعاً
وسلطتها يتفاوت قوة وضعفاً . ومع ذلك فقد شهد مطلع القرن السابع عشر
الذي في منتصفه عقدت هذه المعاهدة ، آراء ومقترحات جديدة بالتقدير
من شأنها ان تهدي ساسة الأمم وقادتها الى خير المبادئ التي يجب ان تقوم
عليها الصلات الأممية والى أحسن القواعد التي يجب ان تستند اليها العلاقات

الدولية . لقد آلت « سلى » وزير هيرى الرابع ملك فرنسا الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت فابتثق عن عقله الجبار ، مشروع اسماء هو « بالمشروع الاعظم » يدعو فيه الى تكوين جامعة تضم الشعوب المسيحية بالقارة الاوربية . وذكر الدول التي تتكون منها هذه الجامعة مع استعادته الروسية باعتبار انها امة غير متحضرة واحوالها مضطربة فضلا عن بعدها عن دول القارة الاوربية كما يطالب في هذا المشروع بتقرير مبدأ حرية التجارة بين الدول الاعضاء واتناع طريقة التحكيم في المنازعات التي تحدث بين اعضاء الجامعة . ثم تلاه العلامة (ايمريك كروشيه) فوضع مشروعا هو اوسع افقا من السابق ، وادنى الى الخير حيث دعا فيه الى انشاء عصبة او مجلس من الانراك والبابا والاماطرة والملوك المسيحيين وبهذا يكون قد تخطى الحدود الدينية بأدخاله الانراك عضواً في هذه العصبة . وطلب ان تتحدد إحدى المدن المحايدة مقراً للعصبة التي تقوم بتسوية كل خلاف ينشأ بين اعضائها ، وحتم على الاعضاء ان يقسموا بأحترام كل ما تصدره العصبة بأغلبية الأصوات دون تمييز بين مسائل الاجراءات والمسائل الحسوية التي تمس سيادة الشعوب ومصالحها وفي هذه النقطة نحدد المشرع يذهب الى ابعاد مما رآه واضع ميثاق عصبة الأمم . وايمريك كروشيه ، قد أشار في مشروعه هذا بضرورة مقاومة كل مدبر يرفض الرضوخ للقرار الصادر ، بقوة السلاح ، بنية اقامة سلام شامل . فهو اذن قد طلب استكمال الاجراءات العسكرية الموروثة ضد المتمردين من اعضاء العصبة وفي عام ١٦٢٥ أصدر العلامة (هوجو حروشيوس) كتابه (قانون الحرب والسلام) وقرر فيه مبدأ وجوب تطبيق المبادئ التي تحكم حقوق الافراد والزاماتهم في ظل القانون المدني ، على العلاقات الدولية حيث اعتقد بأن احترام هذا المبدأ من الدول من شأنه ان يمنع الحروب بينها ولاجل تحقيق هذا المبدأ يجب

ان يكون هذا عقد تامة تنفيذه الدول ، وانه يقترح التحكيم لدى مؤتمر
 دولي بعض الخلافات ويسووه بمراتب واما ويليام بين فانه قد اراد
 ان لا ينفذ بل من لدول الاوربية مع قواعد عادلة يرعاها الحكام
 وحرص على اسباب الخلاف كاداة . ثانيا : في حالة رفض احدي الدول
 ان يصوح بقرار اردن وادانتها في تنفيذها الى ما بعد الاحل المضروب
 ونعرب الى الحرب وحده على مية الاعضاء ارغامها على احترام القرار
 ان يرضى موضوع الرابع : اننا مع التمس في التسليح بين الاعضاء
 حتى ان لا يمس نفوذ الدولة الداخلية او سيادتها او ايراداتها . ونما نحو
 هذا : الاعلام كثر و من اعلام الفكر المتأخرين كـ (سان بيير)
 و (بنتام) و (كاتب) و (صعوا) مشرع ، واقترحوا مقترحات في الوسائل
 المؤدية الى منع الحروب وشر اسلام اعمى ، عن طرق مؤسسة دولية .
 او قوة دولية ذات سلطان كامل في وسع واصفي ميثاق عصبة
 الامم ، ان يمسوا بها كثيراً ، ويعيدوا العالم المتعطش الى السلام
 واعضاء فيه ، اكثر

احل : كتاب الامم في مشروع عدة الامم انه يكفل الحاجة
 الاساسية و يستمر في الاصلاح فيها . تكون الاساسية قد افترت و وبدأ
 رويداً من اهدافها سامية . لكن خطتها الضيقة ، قد حاد مؤسسي هذا
 المشروع عن حاد صواب . وقعوا في اغلاط واخطاء تعذر اصلاحها منذ
 يوم . في العمل الاثنائي . في العمل في الحقيقة ليس اشياء ، وانما
 فان هذا ما ، وقد سبق ان بينا صراحة ان تلك الاغلاط والاعطال . فالتكوين
 الدولي بغير ، ان متوقف على منع ما عمله نفوس القادة والرعاة من النيات
 الحسنة . وما تتمثل في عقولهم ، من صور رائقة ، وما تتجرح به صائرم
 ووحدا ماتهم ، من عوطف صافية ، وقد آن لهم ان يفكروا عميقا ، ويتأملوا

طويلا في الماضي التي مرت ، بالشريعة بسبب هذه الحرب ، والعمار الذي
منبت العمورة به . والمصائب والويلات التي ذاق صابها ، كل من العالمين
والمغلوبين ، ليشجعوا الداء ، فيصعقوا له الدواء . فمن ان يفكروا في تأليف
الهيئة الدوائية ، التي مارا . سمع من كل ورق وصفا لها يختلف عن وصف
الآخر فالوصف روحه . أدبي . فهل ان يكون ماديا متحكما فهل
يوجد في الدول به حسنة لأزالة أسباب الحروب ؟ فإذا توفرت هذه الهيئة
سهلت لتدابير الأحرار السكينة لتحقيق هذه الهيئة التي لا اري ذلك بعيداً
وان كانت الطريق وعرة ، كثرة الحفر والاخاديد فلاطون وضع جمهوريته
وهم في محاولات لتحقيقها فمثل نم عاد ووضع « قواينه » التي عدل بها كثيراً
من آرائه التي كان قد نشأ في جمهوريته وجعلها ايسر تطبيقاً ، واسهل تنفيذاً
ومع ذلك فانه انقى على جمهوريته كما هي ثقته منه بأنه - يعني - من يمكن
فيه تحقيقها وكثير من رجال حكمه ، وفلاسفة المدرسة الاقلاطونية يرون
في الامكان تحقيق جمهوريته . ادن فلماذا لا ، أمل ان يتحقق السلام العالمي
وان تتوافر لثبات الحسنة للعمل في هذا السبيل ، عمدات دولية ومؤسسات
قانونية هي أو فقيوداً من جمهورية اقلاطون ، بل وقواينه بعد ان ادرك
اجمع ان الحروب العصرية ، وما يستعمل فيها من وسائل التحريب والتدمير
يغضى على حياة الجميع ، الفالين والمغلوبين ، وان ما يحسرونه في زمن يسير
لا تتداركه الا انتصارات ، ولا تلافيه جهود اجيال ؟

واليوم الذي اصم فيه هذه الدخات افكره بعضها الى بعض وان
كان مواليا لدول المحور حيث في أيديها المادئة في كل ميدان من ميادين
القتال ولا ندري ما تحمؤه الايام المقبلة لدول المحور - وطالع الحرب كما
اوضحت في دفاعي امام المحكمة العسكرية العرفية ، متغير ، - فقد انعكس
الآية ، ويقلب الوضع ، فيصبح الملب مغلوبا والمغلوب عالما فان قلت

على الفريقين المتخاصمين ، عندما يقدمان على المقارضة بشأن الصلح ، ان
لا يسكرا الا خطئه المضررة ، - بمعنى الغالب في اثناء وتغريق اوصال
الملوب فاما هو فوق صادر من اعماق قلبي حيث كلامها في الحقيقة مرهق
ومتعب ، وكلامها يمرق الاوصال موشك نلي بقاء ، فليس هناك غالب أو
مغلوب ، ومتنصر ومتدحر . لذلك من صالح الانسانية . ان يتعاونوا في التعمير
والانشاء ، من جديد ، وأن يقيموا الصلح على دعائم قوية ، وقواعد ثابتة
فقد ارتوت الارض من الدماء ما يكفيها لاحتال طويلة ، وشعت الطير
والحيوانات الاخرى من خوم الانسان الى حشد التهمة ، وطغرت الزواجر
الانتقامية اني كات نعتلج لافئدة وتخطر في المعوس بما ارادت ،
فصارت سهامها لقائن . ودرت . وخربت واهلكت ما فيه الكفاية
وأول واجب يقتطع المسؤولين عن السم العالمي ، هو المطر في حقيقة
الوضع ، واعادة بناء الأمم على ضوء هذه الحقيقة وقد يقال كيف يتم بناء
الأمم ، وعلى أي الأسس يكون هذا البناء . فهناك أمم متحاربة مارالت
محنة مكياها . وأخرى فقدت هذا الكيان . وهناك أمم صغيرة تمارس
نوعا من السيادة في اراضيها ، ولكنها في عين الوقت خاضعة لنفوذ بعض
الدول العظمى . وهناك شعوب تدار من قبل الدول ادارة استعمارية ، وتحكم
حكما مطلقا ، وليس لها كيان خاص ، او نوع من الحكم الذاتي وهي التي
يطلق عليها « المستعمرات » سبب هذه الحروب المستمرة . وعامل الاختصاص
الذي يتم . فهل نطأ على حالتها راحة او يكون لها نظام خاص ؟ وفي الحق ، انه
لا سبيل الى صلح دائم ما لم ينظر الى هذه الاعتبارات بظراً دقيقاً ، ويفكر
فيها تفكيراً صحيحاً عميقاً .

• • •

ان الأمم لا تكونها الدماء فقط ، او التباين فحسب ، او المصالح
المشتركة لا غير . او الدين ، او اللغة وحدها وانما تكونها مجموعة من

هذه الروابط فالدماء والمصالح المشتركة والتاريخ المشترك والدين واللغة والأرض الواحدة ، كلها عوامل لتكون الشعوب وخلق الأمم . وليس شرطاً أن تتوفر جميعها لتكون أمة ، وإنما يحوز اجتماع بعض هذه الروابط ليكون كافيًا لحق الأمة ، غير أن الأساس المهم ، والرابطة العظمى هما المصالح المشتركة والتاريخ المشترك وقد يكون في بعض هذه المجموعات ، رابطة اللغة أو الدم أقوى من رابطة الدين ، وفي الأخرى بعكس ذلك . فالأمة البريطانية مكوّنة من أمة الجزيرة البريطانية ، وإن كان فيهم ، سكوتيون ، وويلزيون ، واسكتلنديون ، وبريطانيون . فقد كونتهم كأمة مصالحة مشتركة وتاريخ مشترك قديم وكذلك تمثلت كندا وأستراليا ، ونيوزيلاندا ، وهم بريطانيون روحاً وإن لم يكونوا كلهم كذلك من ناحية الدم . ولكننا لا يمكننا أن ندخل ضمن هذه الأمم الأمم الأخرى التي حكمتها ماقوة كاهنود وجنوبي إفريقية وأصومون ، وعظيمة الهندسة والملايو ونيورما وما إلى ذلك من الأمم المبددة وإن كان ذلك نزع مشترك ومصالح مشتركة لأن هذه المصالح المشتركة وهذه التاريخ وهذه الانصالات للمادة كلها كانت وما تزال قائمة على أساس لغات واتحاد وان لغورات والاصططامات دائمة أو فروع إلى هذه الممالك . فبما بين الأمة البريطانية نزاع متصل واعتقال متتابع . وهذه الحالة غير موحودة في الامتلاكات البريطانية المشار إليها آنفاً .

والأمم العربية قد كوّنوا الدم والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة والأرض الواحدة وشبه الجزيرة العربية وبلاد الهلال الخصيب بلاد عربية ومصر والسودان وشمال إفريقيا برمتها بلاد عربية أقام فيها المصري العربي بعد أن خرج من شبه جزيرة ، وعموراً كثيرة وعاش فيها عيشة متصلة وغرس فيها تقاليد وعاداته ونشر فيها آراءه ، ودينه وهي الآن

عربية والعالم فان اهلها امة عربية .

فعلى هذا القرار ينظر الى الامم الاخرى فيعاد بناؤها . فالامة الفرنسية
امة قائمة بدانها وحدود بلادها معلومة وكذلك الامة الالمانية ، والامة
الروسية ، والامة البولونية . وانما سبب الاختلافات المستمرة ، هو العمل في
ضم بلاد الى اخرى لا رابطة بينها وبين البلاد التي ضمت اليها ، وفي احصاء
شعب او فريق من شعب لسلطة شعب آخر غريب

فالامم التي ما رالت محتطة كيانها ، واستقلالها ، سواء كانت هذا
الاستقلال تاما ام ناقصا كما في بعض البلاد الشرقية ، ومنها للبلاد امرينية من
السهل الاحتفاظ بكيانها ورسم حدودها ، ان هذه الامم يجب ان تحكم نفسها
بنفسها ولا يكون هناك استقلال تام او استقلال ناقص ، لسكونها من
الفريق الغالب ، او من الفريق المغلوب

وينظر كذلك في امر الأمم الناقصة السيادة ، او المحرومة السيادة .
فان كانت تحت نفس الى مدينة قديمة . وكانت لها جهود في بناء الحصارات
القديمة او الحاصرة من الانصاف ان يوسع لها المجال ان تعيش حرة مستقلة
وان تحكم نفسها بنفسها ذلك لان مساهمتها في اقامة احصارات في عهد من
عهود التاريخ دليل « اطلق على حيويتها » وعلى قابليتها . ومنها كان الحال فان
مدى الاختلاف بينها وبين الامم التي اقامت المدينة الحاصرة ليس بعيداً من
ناحية قوة التفكير وقابلية الاسراع والاختراع فالصين والهند ، والامة
العربية ، والتركية ، والفرس وغيرهم كل هؤلاء شعوب لها حصارات قديمة ،
ولانها القدماء جهود مخودة في سبيل تقدم الاساية فلا مبرر للتحكم فيهم
والسيطرة عليهم وانهم مستطيعون ان يساهموا في الحاصرة القائمة ، ان
نهيات لهم اساس المساهمة ، وتوافرت لهم عوامل الحياة والادوات . واذا
قين ان في هذه البلاد مواد اقتصادية تصلح للصناعات ، وان فيها كنزاً

ودعائى تعيد الحصار وانما ان بقيت في أيدي اهلها ، نسقى مدفونة في
جوف الارض ، او مهمل على سطحها لعدم قايستهم من الاستفادة منها ،
فيحور سعيهم طريق الاستفادة من هذه المواد والخبرات من قبل الهيئة الدولية
التي سبغت فيها بعد فليس الاستفادة من هذه المواد والخبرات ، بطريق
المسألة ، افضل من طريق لعنف والقوة

أما الشعوب الاخرى التي لم تسبق لها مدينة وحصارة والتي قست عليها
الطبيعة ، بعض القسوة لحوت من ولياتها لمكرية واصعبت فيهم المشاهدة
الضروري ، لا أقدم الحصارات ، فيحور ان تدار من قبل هذه الهيئة الدولية ،
او تدار بطريقة الانتداب تحت اشراف هذه الهيئة الدولية ، على شرط ان
يكون هدف الانتداب عليها يرمى الى مدها بالمعلومات المفصلة وتدريبها
وتثقيفها ، قدر ما يستطيع وليد انما ان تحتل لتدريب والتثقيف هذين
وان يحتفظ بحرايتها وكنوزها ، او تستمر بصورة مضيدة لها ، ومعية تقدم
الحصاره لعمد في وقت واحد وبالتالي يجب ان ينظر اليها كشعوب
جديدة بالرفق والحنو لا الغلظة والشدة

ولا يتصور انقد العالم من محط الحروب وويلاتها في المستقبل اذا
لم نسد هذه الروحانية الرعاء والعمد الذين نفودون الشعوب والمعمون لها
أسس اصلاح اقدم . فمكره الاسماء واسمعا الشعوب الضعيفة يجب ان
تقول بالمره وكذلك فكرة الاتهام من الدول المظلومة

انما ما رلنا نسمع من افواه وفادة وزعماء الدول الديمقراطية التهديدات
المتكررة لمحاكمة رعماء الفاشيست والمارية ومعاقبتهم بالعقوبات صارمة التي
يستحقون وانهم سيؤنقون محكمة دولية خاصة لمحاكمتهم . لتفرض ان الجهة
الديمقراطية ربحت الحرب وجمعت رعماء العاشية والمارية في صعيد واحد
وبدأت محاكمتهم محكمة دولية لفت لها العرص . فعلى أي قانون يكون

العقاب ؟ فالحكم العقوبة بشرط فون ارتكبت الجريمة ضده - فهل تعتبر
معاهدة وسائل قانون ملزمة للمجموعة الدولية ، وان رعاه دول المحور
ارتكبوا ضده جرائمهم ؟ ان معاهدة فرساي ليست طامعة وغادرة في نظر
دول المحور ، أما في نظر امة على الاقل وهي رعية دول المحور وانما
هي كذلك في نظر الدولة الاميريكية وهي اقوى سند للجمعية الديمقراطية
وتعصم يوثقها ، بقيت الامر طورية لمرحلة حية في الوجود ، وفي نظر
اروس السوفيت وعم الامم الاولي في اصغر اجماع اخرى المحوري .
والاميريكيون كانوا قد سدوا معاهدة فرساي لانها طامعة ، واعتدوا عن
احياء عصبة الامم لانها لم تنم على اسس العدل ، الانصاف والدولة الروسية
تعتبر نفسها من صفا معاهدة فرساي فقد انقطعت مع الدولات التي احدثت
على السطوح وصم حرة كبر من روسيا البيضاء ومن اوكرانية الى الدولة
بولونية وقول من يقوم على حرق حرمة هذه المعاهدة الجائرة ، هم
الاميريكيون وروس . وعم انفسهم الاكبر واشطر الاقوى في اجهة
الدعوى صبة وادا كانت هذه المعاهدة هذه الكيفية فكيف يساق لانها صمد
هؤلاء الرعية ؟ ومن ان عدل المحكمة يدومها الى الحكم على رحا المانية
وقدنتها ، لانهم طالبوا طامعة الادمانية كانت تستولي عليها امة اخرى لا
يربطها بها رابطة ؟ فان كان عدلهم من هذا النوع فمن يؤمل ان يكون سم
عالمي ، دائم ، او انه ممدحون على الاقل ؟ فالسلم الدائم يقضي على الجميع
من الاحقاد والصغار ، وكتب ارمات والثورات العسية ، وإن السلم العالمي
يعني فوق ذلك ان شهر الجميع ، ان الحرب التي وقعت كانت بقية اخطاء
التصرفات السابقة ، وان الجميع انهم في هذه الاخطاء كل بذمة وضمة
وغير قابلين . فقد كانت المسؤولية تشمل الجميع ، وعلى الجميع ان يتحملوا
ما صارتهم ، الحرب من كورث . وليس لهم ذنب غير التعاون على اقامة

عام أوصل . واجحد نظم دولي يسكن السلام العام بينهم وليس من
 الحق أن يفترض للمانية في حقه الديمقراطية فقد تكون في حقه المحور
 وأن المواد ما زالت تشير إلى ذلك فمن في وضع المحور بعد أن يقتصر أن
 بعيد الأخطار السابقة ، ويعرق له في زمام مرة أخرى في ستيفن
 القريب ؟ إن المانية نسم حركته بثيرة نظم في لهو من أحد نظير لاحقاد
 وإنها جربت بنفسها كيف أنها استأنفت في العمل لا عادة تسليحهم ، ولا
 من جديد برغم الهدوءات الصادرة التي فرصت عليهم وبرغم الانشغال الدقيق
 على نواحي نشاطهم والامم التي يهيئها لهم ، وتظهر فيها ما في الامم
 الالمانية من النشاط والحيوية ، وفيها ما فيها من قوة الاندفاع والاحترار
 وفيها ما فيها من القدرة على العمل ، والشجاعة في سبيل إعادة كيانها ،
 واسترداد عرثتها صرحت حولها من اسبحة تعد من هذه الهالكة وتصعب
 من هذه الهوى فلن تستطيع ان تبلغ سلطتها فراراً لنفوس وتتحكم في
 الارواح . وسوف يعمل ، عملت هي ، وسوف يعود الاصطدام من جديد اذن
 وسواء كان المنتصرون المحوريين ، أم الديمقراطيين ، فعلى الجميع ، أن يبتعدوا
 من عقولهم فكرة الانتقام او فكرة الاستفزاز بالموقع او فكرة الاستعمار
 التي هي سبب كل هذه المصائب التي عاناها العالم

وبعد كل ما تقدم افترض ان تتكون لدولي قائم على اساس التعاون
 الدولي . ونحنب فكرة الاعتداء على الشعوب او استعمارها والاحتكم فيها وهذه
 الفكرة وهذه الروح نرسم المخطوط الاسمية :

اولا تتمتع الامم لمختطه بكيانها والامم المحرومة من هذا الكيان
 وكانت لها حصاره مانقه او مساهمة في احصاءه ، دائمة سيادتها وأما
 شعوب المشرق الاستوائية وما يضافها وكذلك ما يمثّلها من شعوب
 الاخرى لشمال لي نسب عليها بطبيعته وحده من فائدها ، العدالة والسيادة

وتدار أما بمعرفة الهيئة الدولية المنشأة وأما تحت إشرافهم وفق الشروط التي
 سيأتي بحثها
 ثانياً أن يزرع سلاح من الدول كافة ونقوم قوات ملمش كافية
 لمحافظة الأمن الداخلي في كل دولة وأحمر بالأسلحة المقتضية تحت إشراف الهيئة
 الدولية أم لا ساطيل بحرية بحرية فتستجود عليها الهيئة الدولية وأما
 على إشرافها لكل دولة بحرية ما يكفي لحراسة سواحلها الداخلية فقط
 من هذه القوات البحرية وتحت المعاهدات السابقة كان موضوعها ويحترم
 مبدأ التحكم في قص الممرات الدولية هذان هما المبدأان الأساسان .

ب - تأليف الهيئة الدولية

تألف الهيئة الدولية من مجلسين . مجلس عصبة الأمم والمجلس
 الأعلى . فالمجلس الأول أي مجلس عصبة الأمم يحور أن يتعدد فيه المندوبون
 للدولة على أن لا يزيد عدد الممثلين لكل دولة عن اثنين وبالضرورة تتعدد
 الأصوات بقدر عدد الممثلين والدولة التي لها حق في أن يكون لها أكثر
 من مندوب واحد هي الدولة التي تزيد نفوسها عن العشرين مليون نفس مثلاً
 أو التي انتدت لأكثر من دة ما . إشراف الهيئة . وتفصّل الدول ممثليها في هذا
 المجلس ، من مجازاتها لتشريعية ، أو هيأتها لشعبية . أكون هذا المجلس ممثلاً
 لإرادة شعوب الدول المنصمة إليه . وأما عدد الأصوات فإنه مسداً وإن لم
 تأخذ به عصبة الأمم أمثلة فقد سبق أن أخذ به حتى في الأرمسة القديمة
 فمثلاً أن حلف دلفي اليوناني كان قد اعتبر لكل عضو صوتين اثنين . وكان
 هذا الحلف معقداً في الحقيقة بين دول أو مدن ذات سيادة هذا من جهة
 ومن جهة أخرى فإن هذا المجلس يغرب من أن يكون برلماناً لشعوب الدول

واعضاء البرلمانات وان كانوا على الاكثر يمثلون احرارا معينة ، فانهم حين يصوتون ، تعد اصواتهم بقدر عددهم لا بقدر عدد الاحزاب الممثلة في كل برلمان .

اما المجلس الاعلى فانه يتكون من اعضاء تختارهم الحكومات المنصبة الى الهيئة الدولية ويكون عدد المندوبين فيه بقدر عدد الحكومات . أي يكون لكل دولة مندوب سواء في ذلك الدول الكبيرة ، والدول الصغيرة . يجمع المجلسان ويقضيان في وقت واحد ولا يجوز الجمع بين عضويتي المجلس . اما كيمية اجتماع المجلسين واوراقته والتصويت وطرق حل المشاكل المعروضة عليهما وما الى ذلك من الامور فانها تعين بانظمة خاصة يقررها مؤتمر الصلح الذي يقيم هذه الهيئة ويجوز ترك بعضها الى كل من المجلسين . وتكون مخصصات المندوبين والممثلين لدى المجلسين على عواتق دولهم المتبوعة .

مهام مجلس عصبة الأمم

أ - تعرض المشاكل الدولية على جميع انواعها ، والمنازعات على نواحي اشكالها على مجلس العصبة في اول الامر . وبعد ان تحقق في اللجان الخاصة بالطرق التي عينها المجلس تعرض عليه فيحظى قراره بالاتفاق او بالاكثريه .

ب - للمجلس ان يؤلف لجان تحقيقية ولجان فنية وعلمية واي نوع من اللجان الأخرى التي يراها ضرورية . وهذه هي التي تقوم بالتحقيقات الأولية وتعرض نتائج تدقيقاتها بتقارير تكون موضع المذاكرة في اجتماع المجلس . وهذه اللجان تكون من اعضاء المجلس كما يجوز ان يكون فيها العلماء والخبراء الفنيون من خارج اعضاء المجلس .

ج - يركز العمل على اساس دولي ثابت ويوحد القوانين التجارية بين الدول سيما المتفرقات الكمركية .

د - يكون المجلس ممن لدى كل دولة ذات سيادة يشرف على حسن تطبيقها لقررات العصبة ويراقب شؤون العملة والسلاح وصلات الدولة بعضها من الدول وهل هناك معاهدات سرية ام لا ويرفع تقاريره الى رئاسة مجلس العصبة لعرضها على المجلس .

هـ - يكون في كل بلد مندوب عايم ممثل للمجلس يراقب سلوك الدولة المندوبة وترفع بواسطته شكاوي الاهلين الى مجلس العصبة .

و - تكون نفقات الممثل ونفقات دائرته على عاتق المجلس .

ز - على الدولة او البلد الذي يقيم فيه ممثل العصبة ان يسهلا عليه مهمته وبصما تحت تصرفه الوثائق والمستندات التي يطلبها على ان تكون ذات علاقة بمهمته .

ح - مندوبو الدول لدى العصبة هم الذين يمثلون دولهم المتبوعة في المحصومات الدولية ولا يشتركون في التصويت في القضايا المارعة عليها فيما بين دولهم .

ط - تعرض الموارد العامة في اول الامر على مجلس العصبة وبحري ادويةها ومناقشتها بالصورة التي تحريها الدول الرلمانية ثم تعرض على المجلس الاعلى شكليا فاذا اعاده الى مجلس العصبة فيكون قرار هذا المجلس بشأنها قطعيا .

ي - لما كان رئيس المجلس واعضاء مكتبه دائمين فلا يجوز ان يكونوا من وزراء دول او الموظفين فيها . ان وظائفهم في مكتب رئاسة المجلس لا تقل الجمع مع وظائف او مناصب دولهم المتبوعة .

ك - تكون حتما لجان دائمية ثلاث . الاولى للسطر في التقارير المرفوعة من قس ممثلي المجلس لدى كل دولة ذات سيادة . والثانية للنظر في التقارير المرفوعة من قبل ممثلي المجلس لدى كل بلد مندوب عليه

وشكاوى اهله ونقارير الدولة المعبدة ودفاعها . لخدمة للنظر في
الادعاءات الدولية عند عصم لبعض وفي مشاكلها ان التقارير
والشكاوى والادعاءات ترفع الى رئاسة المجلس وهذه بدورها
تحيلها الى اللجان المختصة .

لـ — للمجلس ان يصدر قرارات استشارية وارشادية فيما له علاقة بمكافحة
الاوبئة والمخدرات والانظمة الكمركية وأسس القرية والتعليم
والى غير ذلك من الامور التي من شأنها ان تهدد القوس او تدهش
التجارة او تحسن الحالة الاقتصادية والصحية وتقرت وجهات النظر
بين الدول والامم

م — ترفع جميع قرارات المجلس الى المجلس الاعلى الا اذا كان قد قس
بها الطرفان المتنازعان ، و كان موضوعه خلافا بين دولتين او
دول معينة .

ن — تؤلف لجنة خاصة لتنظيم الموارد العامة لتسيات الهيئات لدوليه
وقواتها المسلحة لكل عام

س — المجلس ان يؤلف اللحن الفنية والعلمية ، قدر ، يدعو اليه
الضرورة للنظر في امر توزيع المواد الخام المدونة في بلد ، والمحروم
منها بل آخر يفرض تنشيط الصناعات ، ولتهدم في مختلف لئواسي
التي تقصصها الحصار القائمة كما ان للمجلس حق يارب الطرق
والاساليب التي بحري عومها لتبادل لتجاري ولتعاون
الاقتصادي او الصحي بين مختلف امم العالم .

رئاسة المجلس الاعلى

أ — النظر في قرارات مجلس العصمة وتأيدتها او احراء التعديل فيها

ما عدا الموازنة العامة فإن لقرار القطعي فيها مودع الى مجلس
العصبة .

ب — قرار المجلس الأعلى قطعي ما عدا الموازنة العامة .

ج — يكون لمنتدبي الدول المتخصصة حق الكلام أمام المجلس الأعلى
حين النظر في قضايا دولهم المتبوعة مثل ما كان لهم أمام
مجلس العصبة .

د — رئيس المجلس الأعلى هو القائد العام للقوات البرية والجوية والبحرية
التي توضع تحت تصرف الهيئة الدولية ويقرارات من المجلس يعين
وكيله او وكلائه والقواد الآخرين لهذه القوات ، وهو الذي
يقرر على المناطق والأماكن المخصصة لها . والمجلس الأعلى هو الذي
يقرر عدد القوات التي تحتاجها الهيئة الدولية كما انه هو الذي يقرر
ما لكل دولة او بلد من حق في السلاح والتجهيزات الحربية
الآخري ، وعدد القوات التي تخصص لكفالة الأمن العام
للدولة او البلد .

ه — ينعقد كحكمة عليا ، لحاكمة ومعافاة من يتمرد على القرارات
النهائية لكلا المجلسين ويتعدى هيئة الهيئة الدولية ، من رجال الدول
وقادتها وكذلك لتعيين مسؤولية الدولة المردة .

و — المجلس الأعلى هو الذي يقرر مقادير الاقساط التي تدفعها كل
دولة ذات سيادة لتلاني نفقات الهيئة الدولية ومؤسساتها وقواتها
بعد استشارة مجلس العصبة .

ز — رئيس المجلس الأعلى وأعضاء مكتبته دائميون ولا يجوز ان
يشغلوا مناصب وزارية او حكومية في دولهم المتبوعة طيلة
اشتغالهم في مكتب الرئاسة .

ح - لا يجوز الجمع بين عضوية المجلس الأعلى وعضوية مجلس المصبة
ط - للمجلس أن يؤلف لجان فنية وعلمية وتحقيقية من أعضاء المجلس
أو من غيرهم . وعلى كل قطية أن يكون أربع لجان دائمة احداها
للبرامية والثلاث الاخريات للقيام بالشؤون الواردة ذكرها في مادة
ذلك السابقة .

ي - يقوم مندوبو الدول المتخاصمة بمثل دولهم المصوبة ولا يجوز
لهم التصويت في القضايا المتخاصمة فيها دولهم

مترقات

- أ - كل دولة ذات سيادة مجبورة على الانضمام في سلك الهيئة الدولية
- ب - لا يجوز الخروج من الهيئة الدولية والخروج بعرض نمردا
يستوجب ترتيب العقوبات المبرمة .
- ج - محافظة الأمن في البحار المكشوفة وتعقيب القرصان من واجبات
قوات الهيئة الدولية المسلحة .
- د - الاختلافات الدولية على أنواعها لما كانت واجبة العرض على
مجلس المصبة قبل اتخاذ أي اجراءات عسكرية من الدول ذات
العلاقة ، فكل حركة عسكرية اعتدالية تصدر من الدول المتخاصمة
تستوجب اتخاذ الاجراءات العسكرية الفورية من قبل قوات الهيئة
الدولية المسلحة .
- هـ - في حالة اشتراك قوات الهيئة الدولية المسلحة مع دولة متمردة ،
يجب على الدول كافة ان تقدم المساعدات المادية والمعنوية حسب
طلب القيادة العامة بالنسبة لمقدرة كل دولة . والتأخر أو التردد
في ذلك يستوجبان عين المعاملة التي تجري بحق الدولة المتمردة .

و — الدول المخلقة فيما بينها يجوز لها ان تسحب ادماستها وشكاواها في مجلس العصبة أو في المجلس الأعلى اذا أنقعت فيما بينها على حل الخلافات القائمة بينها حالا سلميا بشرط ان لا يكون قد صدر ، شأنها قرار المجلس الأعلى الذي تعتبر قراراته قطعية .

ز — يجوز ان يدعى المجلسان للاجتماع في غير المدة المعينة لاجتماعاتهما السنوية الاعتيادية إذا طلبت ذلك اكثرية أعضاء مجلس من المجلسين للمطرح في أمور مستعجلة وتكون دعوتها ضرورية في حالة تمرد دولة أو فريق من الدول ، واشتبكت قوات الهيئة الدولية بالحرب معها أو معه .

ح — يكون لكل رئيس من رئيسي المجلسين نائب واحد على الأقل على ان لا يكون الرئيس وفائيه من رعية دولة واحدة .

ط — لا يجوز ان يمارس مندوبو الدولة المتمردة أو فريق الدول المتمرد كل اعمالهم في كلا المجلسين ولا في لجانه أو في مكنتي الرئاسة و اذا كان رئيس احد المجلسين من رعية الدولة المتمرد يقوم نائب الرئيس بواجبات الرئاسة الى ان ينتخب رئيس جديد في محله في اول اجتماع يعقده المجلس .

ج - نصوص !

١ — إن الهيئة الدولية المقترحة ، تنفذ اول كل المجموعات الدولية في المعمورة ، سواء كانت في اوربة أم في آسيا أم في أفريقيا أم في أميركة أم في اوستراليا . وليس صحيحا التفريق بين الامم على أساس القارات أو على أساس المصرية أو غير ذلك من اسس

التفريق ، التي ولع بها السياسيون ذلك لان المصالح قد اشدت
 والمافع قد اتمزجت ، والاتصالات من جميع النواحي قد اشدت
 وتكاثرت بحيث لا يمكن لامة من الامم أن تحتص بامة واحدة
 أو بفريق من الامم في نظم حاكماتها واشباع رغباتها فقد يجوز
 أن تكون هناك دولة اوربية لها مصالح وعلاقات في ممالك آسيوية
 أكثر مما لها في اوربية نفسها وكذلك فقد يجد دولة شرقية ،
 ترتبط بروابط سياسية أو اقتصادية بدول اوربية أكثر مما ترتبط
 به بدول شرقية . فالتفريق بين الشرق والغرب ، أو بين أوربة
 أو آسيا في التكوين الدولي ، إنما هو صرب من العت اللهم إلا
 اذا يراد بهذا التفريق القضاء على حيوية وحرية لشعوب الآسيوية .
 فمثل هذه الرغبة لا يمكن أن تؤدي الى استقرار عالمي دائم ، وكما
 ان في الشعوب الاوربية رجولة وصفات اخرى تمنع استرقاقها
 فكذلك توجد عين الصفات في الشعوب الآسيوية . فالشعوب قد
 تفهت ووسائل الماضي لم تعد مجدية للمستعمرين لهذا فمن الضروري
 ان تكون الهيئة الدولية المقتلة معرعة الجميع ، وموئل الجميع

٢ - ان الانظام في سلك هذه الهيئة الدولية اعتمد اجباريا ومرصا
 على كل دولة ذات سيادة تعاديا للاخطاء التي وقعت في الماضي ، حيث
 ان امتناع بعض الدول للحكماء عن الانضمام للعصبة قد جعل
 سلطة العصبة محدودة ، وهبتها متقصصة كما ان المدأ الاختياري
 الذي تقرر للانضمام للعصبة قد جعل الخروج منها ايضا ميسورا
 لاني سبب تافه . فاصبحت العصبة لا تمثل الا فريقا من الدول ،
 وهذا الفريق نفسه بصفط الظروف السياسية والاحوال العالمية
 اضطر الى ان يداري الدول المنفصلة او الخارجة على مبادئه

العصبة وبداحيها وبذلك سقطت هيئة العصبة للمرة ، وضاعت
المجهود التي بذلت في سبيل انشائها . ولا أجل ان تكون هناك
هيئة دولية ذات كيان ودات سلطان من الضروري ان يكون
الانضمام اليها الزاميا ، والبقاء فيها كذلك .

٣ - اعتبرت الأمم التي ما زال كيانها مضمونا وعامرا ، أو الأمم التي
كانت لها حصار قديمة ولكن لأسباب شتى أضاعت حكمانيها
واستقلالها ، اعتبرت هذه الأمم ذات حيوية ونشاط فلا يجوز
استعمارها ، والتحكم في ايمانها لأنهم ليسوا أقل قابلية . في حكم
انفسهم بأنفسهم من الأمم الأوروبية . وقد اوضحنا اسباب ذلك
فيما تقدم . وعدا ذلك فان مثل هذه الأمم يصعب فيما بعد استعمارها
لأنها تكون عاملا من عوامل فقدان الاستقرار العالمي . فضلا عن
ان الفكرة الاستعمارية اذا بقيت على قوتها فلا تلبث الأمم المناهضة
في مضمار الاستعمار ان تصطدم اصطداما دمويا مرة اخرى . فتجربا
لكل هذه الغوائل يقتضي ان يقتضى على مبدأ الاستعمار بمقتضى
المعروف الآن . اما الاستفادة من خيرات ومواد بلاد هذه الأمم
من الميسور الحصول عليها بالطرق السلمية وبمصوب وترتيب
الهيئات الدولية نفسها وقد ذكر ما يكمل هذه الفاية . اما الأمم
الآخري التي قست عليها الطبيعة صعدت من قابلياتها فانها تدار اما
بواسطة الهيئات الدولية مباشرة واما بطريقة الانتداب . وقد
افترضنا الطريقة الثانية هي التي ستقبلها الدول ولكن هذا الانتداب
لا يماثل الانتداب الذي سبق ان مارسه عصبة الأمم البائدة .
فهذا الانتداب يستهدف قبل كل شيء خير البلاد المنعبد عليها
ويحتم على الدولة المنتدبة ان تبذل مجهودها لرفع المستوى الثقافي

والصحي ، والمعاشي لأهل البلاد المنتدب عليها وقد اشترط ان يكون لمجلس عصمة الامم ممثل في كل بلد منتدب عليه برأى كيف تؤدي الدولة المنتدبة الامة التي وضعت في عنقها ثم هو يقلل الشكاوى من أهالي البلد المنتدب عليه ليعرضها فوراً على مجلس العصمة . صحيح انه ليس له رأي في إدارة البلاد التي يمثل فيها بحاس العصمة وليس له حق التدخل في شؤونها ولكنه يصبح واسطة بين العصمة وبين ابناء البلد بينما انظمة العصمة السابقة كانت تعرض ارسال شكاوى البلاد المنتدب عليها بواسطة الدولة المنتدبة نفسها . وهذا فرق بين الحالتين عظيم أما عدم اعطائه صلاحية التدخل في شؤون البلد ، أو حق حسم الخلافات المكونة بين أهل البلاد ، والدولة المنتدبة ، فذلك أمر ضروري لحسن جريان المعاملات ولتلافي الفوضى والارتباك فلا يجوز ان تكون سلطتان عاليتان في مكان واحد ، وحاكيتان تسودان بلداً واحداً ، الأمر الذي يخالف النواميس الطبيعية . وبناقص القواعد المطفية

ان وسائل الاعتداء المادية تتمثل بالقوات المسلحة من برية وبحرية وجوية وما لم يقض على هذه الوسائل فلا يكون هناك سلم دائم . لذلك يجب ان يكون نزع السلاح ليس مجرد نظرية بتنفذ بها الخطاء على المنابر ورجال الدول في المجالس ، والكتاب في الصحف والكتب . فالدول تستطيع ان تحتفظ بالقوات المسلحة التي تكفل في داخلها النظام العام ، وتعيد القوانين وحماية مياهها الساحلية ان كانت من الدول البحرية ، ولقد جعل أشرف الحياة الدولية من ناحية التسليح اشراً حقيقياً فعليا . فالمجلس الأعلى هو الذي يقرر القوات المسلحة التي يجب ان تحتفظ بها كل دولة سواء من ناحية العدد

أم من ناحية العناد وأنواع الأسلحة ، لتحقيق الغاية المنوّه عنها ،
 ألا وهي حفظ النظام لعام الداخلي ، وتنفيذ القوانين ، وحماية المياه
 الساحلية ان كانت من الدول المجاورة أي ذات سواحل بحرية .
 ومن الطبيعي ان المجلس المشار اليه لا يقرر هذه القرارات الخطيرة
 إلا بعد درس أوضاع كل دولة وتعرف حاجاتها ، من قبل لجنت
 اختصاص . وقرار المجلس في هذا الشأن قطعي . لأن القطعية
 اذا لم تكن اسراً محتوماً فلا تنفك الاعتراضات تتواتر ،
 والاحتجاجات ، تتكاثر حيث كل دولة تطمح في المزيد من قواتها
 وسلاحها . ومصانع الأسلحة ومعامل العناد ، واحواض السفن ،
 وما الى ذلك من الأماكن التي ندمج فيها أنواع الأسلحة ، تكون
 تحت مراقبة الهيئة الدولية الصارمة . ولا يمكن ان تفتح إلا بالمقادير
 والأنواع ، التي تجزها هذه الهيئة . ولتأمين سيطرة الهيئة الدولية
 ونشبت سلطاتها على الدول كافة ، على أسس وطيدة يقتضي ان
 يحتص هي وحدها بامتلاك القوات المسلحة والسلاح ، والأساطيل
 لبحرية الحربية ، والجوية بالأقمار التي تعيها هي ، لتنفيذ مقرراتها
 وصورها ، ويؤدي على ذلك ان تأمين سلامة البحار المكشوفة يكون
 على عاتق قواتها . ولما كانت هذه القوات تقتصر الى غالب عام بمثلها ،
 وترعها فقد اعتبر رئيس المجلس الا على قائداً عاماً لها وانه بمعاونة
 المجلس يعين القواد ، ولصايط ، واماكن إقامة القوات والأساطيل
 وبين طرق توزيعها ، واتحافاتها وفي هذه الحالة لا تبقى حاجة
 لخوف الدول الصغيرة من تجاوزات الدول الكبيرة ، ولا الكبيرة
 تكون في وضع يهكها من الطغيان والتعسف بالدول الصغيرة .
 وهذا يصح للسائل ان يسأل هل ان الدول مجبورة على العناء العجيد

في ممالكها ، وسد المدارس والكليات التي تخرج اصساط ، والمستودعات
التي تدرب الجنود وتهيئهم للجنندية ؟

ان تحديد لقوات المسلحة ، في كل دولة ، وايداع مهمة الدفاع
عن حدود الدول ومصالحها الى الهيئة الدولية لا يقتضى إلغاء التجنيد
أو سد المدارس والكليات والمستودعات العسكرية بل ان اقتضت
صروري للسلامة العامة فالقوات المسلحة بشكل درة تحتج الى
تدريب عسكري وهي في حجة الى قواد وصداق بشرفون على
هذا التدريب ويقومون به ويبدلون جهدهم لرفع مستواه وكذلك
القوات المسلحة العامة التي تكون تحت تصرف هيئة الدولية وهي
في أمس الحاجة الى هذه المعاهد العسكرية وغير هذا وذاك فقد
يجوز ان يحصل نمرد من قبل دولة كبيرة أو فريق من الدول وتكون
الهيئة الدولية في حاجة الى قوات مسلحة اكثر عدداً مما هو موجود
لديها اصمد عدوان الدولة الكبيرة أو فريق لدول فادالم تكن
هذه القوات مهينة ومستعدة للعمل ، فقد يصعب رصدها وتدريبها ،
فالقوات المدربة الاحتياطية ضرورة دولية لا بدحـه مهم اذن
فالتجنيد ، ومعاهد التعليم العسكرية ، صرورية واسكنها على كل
بل تكون في لوسعة التي كانت عليها الدول اذ تتمتع بالحربة
المطلقة في تكوين قواتها المسلحة ، ولكن بحذر ان تكون الخدمات
الاجبارية اقصر اذ يبيها في السابق كانت ستة رت أو ثلاث ،
أو اكثر من ذلك فقد تكون مدة السنة شهور أو السنة او ما نسبها
كافية .

— • — ومن وسائل الاعتناء الدولي بالمعاهدات امرية والاتفاقات الخفية
وهذه قد سببت ازمات عالمية هائلة في الماضي فالقضاء على هذه

الطريقة الدبلوماسية الخطرة من أولى الخطوات لاستتباب الهدوء واستقرار السلام في العالم ان الحرب الكونية الماضية كانت نتيجة هذه الاتفاقات والمعاهدات السرية وبما كانت تحتمل فكرة تحريم المعاهدات السرية اثناء الحرب العالمية تلك ، لما تحقق من خطرها على السلامة العامة ، فان افترة عقدت معاهدة سايكس - بيكو السرية مع فرنسا ، كما انها منحت وعدا لليهود في فلسطين بهذه الطريقة .
 والدول الكبرى لا يهدأ لها مال إلا باقلاق الراحة العامة بالاتفاقات السرية . فأعطاء هبة حاسمة لهذه الطريقة أصبحت ضرورة تقتضيها مصالح الدول كافة لاسيما الصغيرة منها لتأمين على مصالحها . وقد جاء ذكر تحريم المعاهدات السرية غير مرة في مشاريع الأعلام الحقوقيين المنوه عنها قبل قليل .

٦ - ان وجود ممثل بمجلس العصبة ، في كل دولة ذات سيادة وممثل له في كل بلد يكون تحت الاتقاد من الضرورات التي اقتضتها طبيعة الوضع الجديد فالهيئة الدورية يجب ان تكافح وسائل الاعتداء ولاجل ان ينجح كفاحها ، يجب ان تكون ملزمة بكل ما يقع في داخلات الدول من احداث ، من شأنها اقلق الراحة العامة ، والسلام العالمي . فهمة الممثل في هذه الدول ذات السيادة ، هي مراقبة تنفيذ الدولة التي يقيم فيها ، لمقررات العصبة ، بصورة عامة وللمراقبة انتاج المعامل ، والمصانع التي تعد وسائل العدوان ، وهي السلاح بأنواعه ، ولملاحظة النشاط في هذا السبيل والحيولة دون الاتفاقات السرية ، بصورة خاصة وبشروط في هذا الممثل ان لا يكون من رعية الدولة الموقعة اليها ليكون حراً في عمله ولئلا تؤثر فيه النزعات القومية ، والمواطف الوطنية ، فالهيئة واسطة ممثلها

نستطيع ان نتعرف الى حقيقة الاوضاع والحالات في جميع الدول ذات السيادة وعلى ضوء هذه الحقيقة تصدر قراراتها .

٧ . تأليف الهيئة الدولية من مجلسين ، أفوم - هيل لحفظ التوازن بين الدول الصغيرة والدول الكبيرة من ناحية ومن ناحية اخرى لتمكين الهيئة من تنفيذ اشرائها ومن تقوية سلطاتها على الدول كافة . وقد احرر عدد المساويين لكل دولة في مجلس العصبة متعاوناً بالخدمة لا تناسعها وكثرة نفوسها أو لما القيت عليها من واجبات دولية، وهذه حالة طبيعية لأن الدولة الصغيرة يمكن ان يكون مندوب واحد لها ليمثل شؤونها وليدافع عنها في المجلس ولكن اذا كانت كبيرة ، أو كانت قائمة بمهمة الأنتداب فيقتضى ان يكون هناك أكثر من مندوب ، ليتعاونوا بها بينهم ، ويتشاوروا حينما توضع مشاكل وقضايا دولهم المتنوعة موضع البحث في المجلس أو جانه . ولما كانت قرارات هذا المجلس غير قطعية ما عدا المبرانية فلا خطر على مصالح الدول الصغيرة من هذه الناحية . ولكن المجلس الأعلى الذي اعتمدت قراراته قطعية وقد روعيت فيه المساواة بين الدول ذات السيادة من دون تمييزها بينها . وهذا أكبر ضمان لحقوق الدول الصغيرة ، ولا يعني هذا الاختصاص الذي يتمتع به هذا المجلس ان قرارات مجلس العصبة لا أهمية لها . بالعكس فان لقراراته أهميتها الخاصة فهو يثير بقراراته هذه عقول أعضاء المجلس الأعلى ويضع لهم الحقائق عارية مكشوفة بالظهر . يضم بين دفتيه من رجال علم وفن وتجربة وفضل وبمهل لهم إصدار القرارات الصحيحة . ولكن في عين الوقت ، يحور أن يندفع المجلس المشار اليه في بعض القضايا ويقرر بعض القرارات

تأثير العاطفة أو شتى التأثيرات الاخرى فيكون المجلس الاعلى معذرا لهذا الاستماع محققا من حدته عدا ذلك فبعض المهام لا يصلح اسنادها الى مجلس واحد فتدوت فيه عدد (١) اعضاء مندوبي الدول ما حرصا على حرمان العدالة من ان تنتهك وأما خشية على المصلحة العامة من ان تصاب بسوء فالمجلس الاعلى له صفة قضائية حيث له محاكمة المتعديين على مقرراته ، أو الذين يبدأون العدوان ضد احدى الدول المتحالفة. فمن مقتضيات العدالة ان تتساوى في هذه الحالة آراء الدول وللمجلس حق القيادة للقوات المسلحة الموضوعة تحت تصرفه ، وله حق تقدير نصيب كل دولة من القوات المسلحة التي يجب ان تبقى فيها فتساوى آراء الدول في مثل هذه الامور ، أمر تقتضيه المصلحة العامة للدول .

وقد يحور أن تعترض على هذا ، الدول الكبرى قائلة انه من الخطر أن تكون بدول الصغيرة هذه السيطرة في المجلس الذي تصدر قراراته فطبيعة لأن لدول الصغيرة تكون دائما أكثر عدداً من الدول الكبرى كما انها بحسب تكوينها تكون من طبيعتها مقاومة هذه الدول والروع الى الاصرار بمصالحها ، والحق ان احطرت الذي يتهدد الهم إنما يتأتى من الدول الكبرى قبل كل شيء فالدول الصغرى لا تسمى الا أن تسلم على مصالحها ، وتتحول من عدوان لدول الكبرى عليها فاذا اطمأنت على كيانها فهي لا ترعب في مقاومة لدول الكبرى أو الاقلال بمصالحها التي يقرها عليها القانون الدولي ، ووافقت عليها الهيئة الدولية على ان الدول الصغرى تكون في اكثر الاحيان هي المقترحة الى مصالحة ومجاملة

١١ « يكون لكل مندوب صوت ، حيث اعتبر هذا المجلس تدو ، نتيجة الامر .

الدول الكبرى ، لا امكس . ادن فالخوف من الدول الصغرى لا
يحل له . هـذا من جهة ومن جهة اخرى فليس شرطا ان تمر كل
قضية من المجلس الاعلى . فقد يجوز ان ينتهي الخلاف في قضية ما ،
قبل اصدار مجلس العصبة قراره فيها اذا تفق الطرفان المتخاصمان
بيدهما على تسوية الخلاف بينهما بصورة سلمية ، او بعد صدور القرار
اذا رضى به الطرفان المتخاصمان وحتى بعد صدور القرار من هذا
المجلس وقبل صدور القرار القطعي من المجلس الاعلى فلهذه طريقتين
سحب قضيتهم وحلها بيدهما بصورة سلمية فالفصلان في بصدر المجلس
الاعلى قراره بعددها قد تكون محدودة .

٨ — ان مندوبي الدول في كلا المجلس وان حدد عددهم ، فهذا
التحديد لا يمنع حصول ورراء الدول أو قبيها أو اختصاصيهما
أو محاميها في كلا المجلسين للائدلاء بوحدة نظر دولهم المتسوعة
على أن يسقى أخسار ذلك لرياستي المجلسين . وان لا يشتر كوا في
التصويت فيه .

٩ — انه من الواجب ان يكون اعضاء مكتب الرياستي دائمين
وكذلك الرئيسان لأن ممثلي المجلسين المبتئين في الدول والبلدان
دائمين على رفع تقاريرهم ، ومستمررون على مراقبتهم وعلى تادية
واجباتهم الاخرى . وفي كلا المجلسين توجد أربع لجان دائمة هي
في الحقيقة المنظمة لاشغال المجلسين والمرتنة لها ، واولا سطة بين
ممثلي المجلسين ، اذن فمكتبا الرياسة في شغل دائم ، وعمن متواصل
وقد يجوز ان تقع حوادث تستوجب اجراءات عسكرية ورئيس
المجلس الاعلى ذو صلاحيات خاصة في توجيه هسة الاجراءات
العسكرية والجيش العسكرية وسوقها وانقيام شؤونها المختلفة .

وعدا ذلك فقد تكون هناك لجان أخرى اقتضي أن تعمل في مجالات خاصة عيّنت لها ، وهذه تفتقر إلى مرجع ترجع إليه في شؤونها من حين لآخر . لقد كان في عصبة الأمم الغاية سكرتارية دائمة تقوم بتنظيم اجتماعات العصبة وتهيئة أعمالها ولكن الوضع في الهيئة الدولية المقترحة يختلف اختلافاً بيناً ووضع العصبة المنوطة عنها . ولما كانت اشغال أعضاء المكاتب ورؤسيتها متصلة ، ودائمة فيكون من الطبيعي أن يتجردوا من كل صفة رسمية في دولهم المتنوعة حتى لا يكونوا تحت تأثيرها أو مقاديرها لاوامرها . حيث أنهم أصبحوا ملك الهيئة الدولية التي يعملون تحت رايها .

— ٩٠ — وقد مع الجمع بين عضويتي المجلس لمحافظة استقلال كلا المجلسين

عن بعضهما . ولحفظ التوازن بين حقوق الدول الممثلة فيها .

— ٩١ — وقد اشترط أن يكون اجتماع كلا المجلسين في وقت واحد ، ولمدة

معينة واحدة لأن شخصية الهيئة الدولية القانونية مكونة من كليهما كما أن اجتماعهما في وقت واحد ، ولمدة معينة واحدة ، مما يسهل البحار الأعمال وحل القضايا والمشاكل الدولية بالسرعة الممكنة . وانه لمن الخطر التراخي في حل القضايا الدولية وتركها ملقاة . على أنه يحور أن تحد أمور ذات بال تستلزم الحسم السريع ، في وقت لم يكن فيه المجلسان مجتمعين ، فإذا طلبت اكثرية أعضاء أحد المجلسين دعوة المجلسين لحلها وحسمها يكون من واجب مكنتي الرئاسة تنفيذ الطلب ودعوة المجلسين للنظر في تلك الأمور المستعجلة . أما اذا كانت قوات الهيئة الدولية قد اشتكت في حرب مع قوات إحدى الدول المتمردة ، أو فريق

الدول المنعزلة فيكون الاجتماع محتوما حتى ينتهي الاشتراك
وتعاد الأمور إلى نصابها لأن هذه الحجة الدقيقة تقتضي المراقبة
الشديدة ، واتخاذ إجراءات مستعجلة لا يتيسر اجراؤها والمجلسان
في عطلتها .

— ١٢ —

أقد أثبتت التحاريب ان العقوبات الاقتصادية لا تكون رادعة .
للدول لباعية . وانما بالعكس فانها لا تريد الخالة إلا تأزما وتحرجا .
ذلك لأن العقاب اذا لم يكن رادعا فهو مع انه لا يمنع
العدوان قد يترك آثارا سببة في نفس الدولة المعتدية .
فتريد في حثها على الهيئة الدولية وتعين المرحى للإيقاع
بها . ولكن اذا كان العقاب رادعا ، مانعا للعدوان ، فما يفاعه على
الدولة الماعية ينتهي كل شيء وانها تصبح في وضع لا تستطيع معه
العمل ضد الهيئة الدولية . فادأ بأست الهيئة الدولية من اصلاح ذات
البين بين دولتين متخاصمتين . او انها لم تفلح في كسب دولة ما عن نفسها
وعدوانها ، فمن الواجب عليها ان تتحد معها خطة حارمة سريعة ،
وهي تنفيذ عقابها ، بالاجراءات العسكرية المورية ومن الطبيعي ان
تشجع اجراءاتها هذه بالاعاز الى الدول كافة ان تقطع صلاتها
الدبلوماسية والاقتصادية معها . وان من أهم عوامل سقوط هيبة
عصبة الأمم السابقة من الاطار كان تراخيها في ترتيب العقوبات
وبندها بالعقوبات الاقتصادية غير المانعة ولا الرادعة وفوق ذلك
انقائها على صلاتها الدبلوماسية مع الدولة الخارجة على مقرراتها .
والذي لم تقده عبر الماضي كان العمى اولى به وأجدر .

من لم تقده عبراً إليه

كان العمى أولى به من الهدى ..

١٣ - ان عدم استقرار العملة واختلاف الاسس المستندة اليها في المجموعات لدولية قد سبب و، برلان بصيغات الارثبات في التبادل التجاري الاثمي ، والاضطراب في الحركات الاقتصادية ويحدان من نموها ويقللان من نشاطها . وان معالجة هذه الناحية اصحتب أهمية الاثمي كافة من دون تغيير . لان المعدن الذي كان واسطه للتداول ، واساساً ترتكز عليه عملة الدول المختلفة ، والذي مدران يعتبر اسباب لعملة بعض الدول ، وهو الذهب ، اصبح غير ملائم لما كان صالح له في الماضي لاسباب شتى قد اوسعها بحثاً ، بيرون لمختصون والاقتصاديون لنقادون . ومن سائلط الامور التي يشعر بها كل انسان ، هو عجز هذا المعدن عن القيام بمهمة التداون في هذا العصر ، الذي شغكت فيه مصالح الاثمي بعضها واتسع نطاق التبادل لتجاري في بينها ، واختلعت انواع الانتاج ، اختلاف تعدد الادواق ، وحصل فيه الاعراق في التائق الذي استقرى دائره في المجتمعات البشرية ، من ناحية اللباس ، والطعام ، والشراب والسكنى ، والترفيه ، ومن ناحية تطمين الرعاب والشهوات ومالي ذلك عدا ما فتصنه مستزمات احصارة القائمة والتأسيسات لدولية . في محلات الاتاق الاخرى فالذهب اصبح لا يكفي لمن هذا التبادل الواسع الاتاق والصرف لدي لا يلغى الى نهاية ولا يحد بحدود وعدا ذلك فان هذا المعدن الثمين قد اختزن في ثنالك معينة ، وحرمت منه بقية ممالك العالم . وقد طهر التفاوت اعظم في احتران هذا المعدن في امان الحرب الماصية حيث جذبت الصناعات الاميريكية ، غلبه واختراته لدولة الاميريكية في خرائبها ومكاتب الامة الاميريكية قبل الحرب الحاصرة مالمكة لاكثر

من ثلثي ذهب العالم بزمته. وقد زاد ادخالها هذا المعدن في هذه الحرب، حيث امتدت فرنسا وبريطانيا بمقومات الحرب، ووسائلها وهاتان لدولتان من الدولتان اللتان كاتتا تدخران بقية الذهب العالمي تقريبا بعد اولايات المتحدة الامم بكية. فكيف يصح هذا المعدن اساسا لعملة الدول المختلفة، اذا كان محجورا في ناحية واحدة من دولي له لم يصحح ان بعض الدول قد شعرت، بالصعوبة المتتية من بقية هذا المعدن اساسا لعملتها، فخرحت عن قاعدة الذهب. ولكن هذه لفعدة الجديدة لم تسد المجموعة الدولية بهذا الاختلاف الجديد، الاختلاف بين احدى اساس العملة، او الخروج عليه، وقد سببت صعوبات جديدة، وراء في ارسالك لثلاثين التجاري العالمي.

ان اعطاء رأي حاسم في هذا الموضوع الدقيق، ليس من اختصاص فرد واحد، أو دولة واحدة. انها مشكلة قومية. عالميه دواية، بقضي درسم من قس جان مؤلفة من شخصيات مشهود لهم بالتفوق اعلمى. واحرة الممتارة في هذا الموضوع، وان تكون لقرارات الحكمة شئ صدارة عن هيئة دواية، لها سلطتها القوي وسيطرتها القوي على الدول كونه لذلك ارتوي ان حاتم يباط بالهيئة لدواية المقرحة. وتنظيم اسس العملة، وطرق التعادل التجاري الاقليمي، من شأنه ان يؤدي الى عالم بطر في قديم التجارة الدولية الفاعلة الفعول في كل دولة ذات سيادة اما العصبية التي هم المانكن هما تماما. هما عدا المحلات اسوسيه التي قد كانت قد خدمت الانسانية في مجالات اخرى. ورشدت الامم الى اتحاد كثير من الدول في اواقي، والتدابير العلمية. والعلمية التي من شأنها رفع

مستوى الأمم ، من نواح مالية ، وثقافية ، وصحية . ومن جملة ما قامت به وضعتها اسسا قوية للمعاملات السكمركية . وقد أخذ كثير من الدول ينضم كبر من هذه الأسس كما انها أصبحت بتوحيد القوانين التجارية ، وأوضحت الأسس العلمية التي تحقق هذه الغاية ففكرة توحيد القوانين التجارية است فكرة جديدة وانما هي فكرة قد اشملت الأذهان قبل هذه الأيام ، وصرفت في سبيل تحقيقها جهود عمودة ولعل الهيئة الدولية المقترحة تفوز بتحقيق هذه الأمنية العالية . والحق ان تحقيقها ليس امرا مستحيلا فان القواعد التجارية ، وطرقها ، وأحكامها التي تضمنتها قوانين الدول المختلفة كادت ان تكون متقاربة فهي لا يورها غير التنسيق الكامل . والانجاء التام .

— ١٤ — إن الاستعمار الذي نتج عليه الدول الكبرى وثقافتها فيه لم يكن الدافع اليه شهوة الحكم وحسب . وفي الحق ان الحكم او المصالح الحكم في الشعوب الضعيفة ان هو الا وسيلة لتحقيق غاية . والغاية هي استئثار بلاد لشعوب وأبطالها . فلاجل صرف افكار قادة الشعوب الكبرى القوية عن الاستعمار على شكله الحاضر ، من جهة ومن جهة اخرى لتطمين رعاياهم ، بحسب ان تسمى الهيئة الدولية بما لديها من وسائل ، في توزيع المواد الخام ، وما يفيد تقدم الحضارة بصورة عادلة ، وبالمقادير المناسبة وعلى شروط تملئها الحكمة وبرضاها الا بصاف لا الاستئثار ووارع العرض والهوى بين الدول التي هي في حاجة اليها . ليس من حق الشعوب ، أن تهرص على المواد الخام وخيرات بلادها وتمنع الأمم الاخرى عن الاستفادة منها بحجة انها الماسكة له وصاحبة السيادة في ممالكها وان توزيع موادها وخيراتنا برغم ارادتها يكون تجاوزا على حقوقها

وانتها كالحرية وسيادتها ان حياة لتحضر ، تفرض التعاون على
الافراد وعلى الامم ، على السواء . والبلاد ليست متساوية في
نتاجها ، او متعادلة في عنائها وخصوبتها ، وما في نظمها او على
سطحها من مواد تفيد الصناعة ، والأعمال الاقتصادية الاخرى .
ولا تردهر الصناعة في العالم ، وندتظم المعاملات الاقتصادية على
اختلافها اذ لم تتعاون البلاد فيما بينها لتأمين الرفاهية العالمية ،
والسعادة العامة فالبلاد الزراعية في حاجة الى انتاج البلاد الصناعية
والبلاد الصناعية معتمدة الى انتاج البلاد الزراعية . والبلاد الصناعية
او الزراعية فيها بعض المواد ، ومحرومة من مواد اخرى كثيرة
فبلاد ترى فيها الحديد بكثرة ولكن ليس فيها نפט ،
واخرى فيها نפט ولكن ليس فيها حديد ، وثالثة صالحة لزراعة
المطاط ، ورابعة غير صالحة لزراعة مثل هذه المادة ، الى غير ذلك من
الحالات التي تحصل البلاد جميعها بمحاذاة بعضها لمعونة الاخرى في
الحالة الحاصرة تحصل الامم القوية المعززة بسلحتها ، على نغبتها ،
بالقوة وعن طريق الطم والاعتداء . واداسألتها لماذا هذه الاعمال
غير الانسانية اجأتك ، أنها مضطرة الى ذلك لتكوين صانعها بالمواد
الخام التي لا يمكن الحصول عليها إلا بهذه الطريقة ، وان هذه
الاعمال التي ينظر اليها كأنها غير انسانية فأنها تؤدي الى تقدم
الصناعة ، والى الترفيه عن الشعوب المتعدية هي اذن أعمال انسانية
لأنها مستهدفة خيراها . فلو ان هناك دولة تحول دون
احتكار المالك لموادها الخام العائصة عن حاجتها ، ونظم التسايل
على اسس علمية وعقيدة ، وتجري التوزيع بطريقة عادلة ، لما بقي
عذر للامم تعتذر به او حجة تعتصم بها لتبرير عدوانها ، والتوزيع

مروري ، والأحتكار مضر . التوزيع ضروري لأن العالم في تقدم ، وما يصلح لهذا التقدم لا يحور ان يضمن به . والأحتكار مضر . لأنه يوقف النشاط العالمي ، ويضعف الحركة العمرانية ويشل النظام الاقتصادي . والأحتكار من ناحية أخرى يدفع بالامم القوية المقترة الى مواد الخام ، الى الاجراءات العسكرية أو الى الطرق الأخرى التي من شأنها ان تكدر صفاء السلام العالمي ، وتقلق الراحة العامة . من صالح الامم الصغيرة ان ان تجود صغرات بلادها وموادها وتقايض بها مع الامم الأخرى لتنفيذ واستفيد من جهة ، ولتأمين شر العدوان على سلامتها ، وكيانها من جهة أخرى

— ١٥ — ان وجود ثلاث لجان دائمة ما عدا لجنة الموارد بحاب محسنتب
الرياسة في كل مجلس ، ضروري لاستمرار نشاط الهيئة الدولية ولا دامة صرامتها على الدول ذات السيادة والسندان اوصوعة تحت الانجذاب ، وللا يطرأ ضعف أو فتور في أعمال الممثلين الموفدين في مجلس العصبة ، أو تنقضي تقاريرهم مهمة ، فاللجان مسنده هي التي تفحص ما في هذه التقارير من معلومات ، وهي التي تتخذ الاجراءات المقتضية عليها حتى اذا ما جاء دور انعقاد المجلس تكون الاشغال المطلوبة انجازها ، والتقارير التي يراد النظر فيها منسقة وجاهزة

— ١٦ — ليس من المصلحة ان يستمر مندوبو الدولة المتمردة أو فريق الدول المتمرد في ممارسة اعمالهم في كلا المجلسين أو في لجانه أو في مكنتي رئاسة المجلسين لأن صلة الهيئة الدولية تنقطع فوراً بالفريق المتمرد ولا مجال للتعاون مع مندوبيه في أي حال . وادا كان الرئيس لأحد المجلسين أو كلاهما من رعية الفريق المتمرد يقوم نائب

الرئيس ، واجبات الرئاسة الى ان ينتخب المجلس عوضه في أول اجتماع يعقده . لذلك فإن وجود نائب لكل رئيس ضروري وإذا كان نائب الرئيس من رعية هذا الفريق المعتمد فوجود الرئيس لا يطرأ خلل على نشاط مكتب الرئاسة ، أو اللجان الدائمة الأخرى ومع ذلك فطرأ لأهمية المنصب من الأرم ان ينتخب في محله آخر عند اجتماع المجلس الذي يعود اليه ، وعلة عدم انتهاء الرئيس ونائبه لدولة واحدة ، لئلا يكون هناك نفوذ لدولة واحدة بواسطة هذين المركبين الخطيرين من جهة ومن أخرى ليستطيع كل منهما ان يقوم ، واجبات الآخر فيما اذا حصل تمرد من دولة أو فريق من الدول وكان احدهما رعية تلك الدولة أو هذا الفريق لئلا يطرأ خلل على فعالية ونشاط المجلس .

١٧ - تصدر قرارات المجلس بأغلبية الأصوات دون تمييز بين مسائل الأحرار والمسائل الحيوية التي تمس سيادة الشوب ومصالحها ذلك لأن إصدار قرارات بالاجماع في المسائل الحيوية كما نص عليه ميثاق العصبة قد أوجب تأخيراً ، وحدث ارتباكاً . وكذلك اذا نص على ضرورة توفر اكثرية نفسية غاية كالثلاثين أو ثلاثة الارباع فانه يؤدي الى عين المحاذير . وقد وجدنا في مشروع « أميريك كروشي » نصاً يفيد ضرورة صدور القرارات بأغلبية الأصوات دون تمييز بينها .

• • •

هذه محاولة فكرية لتنظيم الدولي داخلياً وخارجياً وليس من شك في ان

الصورة التي رسمت لهذا التنظيم لا ينتظر ان تكون دقيقة ، رائقة ، والفائز
برسمها يعيش في ظلمات السجن ، تتنازع نفسه الآلام المبرحة ، والأحزان
المعدية والكنها هي محاولة تستهدف اغراضا سامية . ومقاصد نبيلة ، لاستحليل
تسميها ، ولا يصير تحقيقها ان خلعت النفوس وحسنت النيات ، وصفت
اسرائر ونماوت بمقول على العمل في سبيل الخير ا

• • •

فالأمم لا يستحيل عليها ان تقيم في داخل ممالكها نوعا من الحكم
يتميز عن انواع الحكم التي حاربها العالم قديما وحديثا ونبت فشلها . فالنوع
المقترح ، هو الارستقراطية العاصلة ، الارستقراطية التي تقوم على اساس العلم
والسكفاءة والعقل وهي ليست ارستقراطية القرون الوسطى التي كان قوامها
العلم للرعية ، والدم والامتيازات الخاصة . ولا هي ارستقراطية فاصلة
واسكنها معقدة صعبة التحقيق ، عسيرة التنفيذ كأرستقراطية افلاطون ولا
هي ايضا ارستقراطية ارسطو يفتنع بها الاحرار فقط ، ولا يصيب من خيرها
من وضعهم طابعهم السي . في مصاف الارقاء والعبيد ، وحتى ارستقراطية
افلاطون ، ومن قبله سقراط كانت قد زرعت عن طائفة من الطوائف
الاساسية وهم العبيد الارقاء السحابة الاساسية وجردتها من الفصائل البشرية
كما برعتها عنها وجردتها منها ، ديمقراطية نيكلس ، وسولون ، فالارستقراطية
المقترحة هي مزيج من محاسن الارستقراطية ومحاسن الديمقراطية وهي ايضا
لا تقلل المقارنة مع الديمقراطية الحاضرة المزيفة ، المسددة للأخلاق ،
المستهتر ، المبذرة لثروات الأمم ، الدافعة بالأمم القوية الى ان تستبد بالأمم
الضعيفة . ولا مع النظام الديكتاتوري الفردي كما هو الحال في روسية
السوفيتية والجمعي كما في تركيا او سويسرا انها ارستقراطية جمعت اطائب أنواع

الحكم ومحاسنه ونحوها رذائله ومساوئه بقدر الامكان لقد أخذت من الديمقراطية الصحيحة الحرية الشاملة للجميع فلا رقيق ، ولا عبيد ، ان الجميع احرار . واحدت منها طريقة انتخاب الحكام المسؤولين واخذت منها حرية الرأي على اختلافها ، وحرية الاعتقاد على انواعها ، ووثق بين لطيفات والطوائف امام العائون وبكافؤ لفرص . واحدت من الارستقراطية محاسنها ، فاشتد ان يكون الحكماء من طبقة اخصت بالدراسة والحكمة والمعرفة فلا يحور لها ان يسموا ابنا من كان قليل الصناعة من ناحية التثقيف مستعلا بفوقه الشخصي ، او ثروته . او قوة اعصابه التي يمت بها . ثم هي مع ذلك لم تهمل ما تشكو منه الطبقات الفقيرة او العاملة ، وهي الجمهرة في كل امة . والكثرة في كل بلد كما انها لم تصب على اساطير العقريات ، ولم تقعد بالعقول البيرة والنعوس الطامحة ، عند حافة اليأس . ولعوط ، انها ارضت انبيهم وآمالهم ، وأشعت رعايتهم ، من ناحية ربيع البدي ، بأفكار معينة مناسبة ، ثم هي قصت قصاصا مرما على الحكم المرعي . أو الاستبداد الجمعي . لأن مثل هذا التحكم ، انما هو شر خالص ، وفساد محض (١) .

وفي تنظيم المخرجي ، حاولت هذه المكرة فعل كل شيء احلال السلام العام بين الأمم كافة . ولعصاه على أسس انساني ، والتنازل والتعاضد . ولأستمرار تحقيق هذه الغاية اشنت الحياة الدولية داب الصلاحية الواسعة ، والساطان اشامن ، على مصلاب الخارجية للدول جميعها من دون ان تؤثر تأثيراً حوالياً على سيادة شعوب أو الدول في داخلاتها . وإذا كانت الطاعة لمقررات الهيئة الدولية واجبة ، على كل دولة . وللد ، فإن صور الحكم في الداخل تظن موطنة برأي اهل كل دولة وللد ، على ان لا تكون معارضة

(١) ينظر كتاب سوسيه لأرسطو حيث اعتبر سوسيه الحكم المختلط خير نظام يمكن تطبيقه في الهالك سوسيه الاتق

مع مفررات الهيئة الدولية . ذلك لأن مصدر الشر الذي احتاج العالم وما زال
يحتاجه ، على الأكثر إنما هو الحرب المطلقة التي تتمتع بها الدول والأمم
في صلاتها الخارجية . وعدم وجود هيئة قانونية عليا ، تشرف على هذه
العلاقات ، وتحول دون ترمها واحتدامها وتقف في سبيل من يبغى العدوان ،
ويزعج إلى الشر إنما صرره عام فتأثر به المجموعة البشرية جميعها بخلاف فساد أنواع
الحكم الداخلية . فاعاصره بكون قاصراً على الأمة التي تعاني نتائج هذا الفساد
وأهميته أدنى من التي بالدرجة الأخيرة . فصوره الحكم المقترحة للتظيم الداخلي ،
إنما هي مجرد فكرة يحوز الأحدثها أو لا يحوز بخلاف الصورة المقترحة للتظيم
الخارجي . فأنها يجب أن تكون حقيقة ، وناجدة

مناقشة خاطفة !

ولبت هذه الفكرة المتصورة لقيام هيئة دولية قابلية لتجميع لمصالح المجموعة الدولية ، سهلة الاقتساع ولا هي لذيذة المذاق لدى الدول الكبرى التي أقامت عظمتها على حساب الأمم الصغيرة ، وتبنت بعدها على أساس حرمان الغير سريته ، وكيانه . وسلطه حق الاجتماع بحيرات بلاده . وبسبب بعيدا أن يكون نائرتها ، وتفتيح اعصابها لدى تماعها كل نعمة تصعب من سلطانها ، وتوهن من سيطرتها . بل أعلها تقوم وتحتج على وجود مثل هذه الهيئة الدولية ، من وواح كثيرة أهمها ناحيتان . الاولى : إن هذه الهيئة تمس سيادة الأمم وتحل في حق حاكميتها احتلالا كبيرا وثانية ان ابداع مهمة توسع الثروات والمواد الخام الى هذه الهيئة صرب من العث . ويوع من اللعب ، لاستجدائه قبيح . بهذه المهمة لأسباب كثيرة من حيث صعوبة تقدير حاجة كل دولة الى نوع من المواد ، وتقدير انصبة الأمم من هذه المواد ، واستجدائه الحدود أسس يقوم عاها أمر التوزيع وتقدير الانصبة وما الى ذلك من الاسباب العديدة الى لا تدخل تحت حصر .

أما عن الناحية الاولى ، وهي ناحية اخلال الهيئة الدولية ، بسيادة الأمم وحق حاكميتها فقول صحيح ان هذه الهيئة الدولية في هذه الاصلاحيات الممنوحة لها ، والحقائق المعطاة لها ، اذا لم تكن بسيادة الأمم وحق حاكميتها فإنها على كل حال تعد منها لحد كبير . وهذه حالة صعبة . وضرورة اقتضتها السلامة الدولية ليس في الامكان تفاضي عثم ، مادامنا نطمح في ان نمد

البشرية من الممارر الدامية ، والمذايع الهائلة . على ان تحديد الحرية ، سواء
للفرد أم لامة من الائم ، امر استلزمته طبيعة الاجتماع فلاسان ، وهو
حيوان مدني بطبعه ، كلما انتظم في سلك جمعيه ، وكلما تقدمت هذه الجمعية
في مضمار الرقي والتقدم يفقد من حريته شيء فشيء الشئ ، الا ترى
انه لو خلق في مكان منعزل بمفرده لما احتاج الى قانون ينظم حياته ولا الى
عادات او عرف او تقاليد يحصص لها لانه في هذه الحالة لا تكون له حقوق
يطلب من غيره احترامها ، ولا واجبات عليه نحو غيره ؟ فالحقوق والواجبات
تنشؤها حالة الاجتماع هذه من سائط العلوم الاجتماعية ، ومن قصاهاها المسلم
ها من قبل كل ذي عقل سليم فلما كانت حالة الاجتماع تنشيء هذه الحقوق
والواجبات ، إذن فكل تقدم في حالة الاجتماع هذه ، يسلم مشوء عادات أو
عرف أو تقاليد جديدة متنوعة . وهذه صروب متنوعة لتحدد حرية الفرد
وكلما اوعت هذه الحالة في الرقي والتقدم ، تكون وسائل تنظيم الحقوق
والواجبات ، معقدة ، وأسباب استقرار النظم العام فيها ، مختلفة متبادلة ،
تضطرب الجمعية البشرية هذه الى الاكثر من سن النظم والقوانين لتكمن تحقيق
هذه الاعراض ، ولتسهل في عين الوقت الحركة التقدمية التي هي دائمة
ومستمرة . والقوانين والانظمة تحد من حرية الانسان وتصيق عليه آفاته
ولا يقال في هذه الحالة ان هذه القوانين والانظمة لا لروم لها لانه لا تفقد
الفرد الجانب الكبير من حريته لانها ضرورة من صوات الحياء وتدورها
لا يستقر نظم ولا يطارد تقدم في أي مجال من مجالات الحرية المتعددة لنداك
لا يمكن أن تتصور وجود حرية مطلقة فالحرية محدودة ، وها دائما معرضة
للتحديد ، وانها ابدأ تحت ضغط المصاحبة العامة وسيطارتها . إذن فالحرية ، هي
قدرة الانسان على عمل كل شيء اباحت القوانين ارم تمتعه . قال قان بعمله .
كانت القوانين والانظمة قد نهت عنه ، فانه يكون قد اصاع من حريته بقدر

خطورة العمل الذي اجترحه نحوها . وكذلك لتساها في تنفيذ القوانين
والانظمة يؤدي الى الفوضى ، كما ان تفسيرها تفسير لا تلتف وروحها ، ولا
تدجم مع الاعراض التي وضعت لاجلها لغاية التسهيل بالنس والقشديد
عليهم ، يؤدي الى احكام الفردي وكلتا العالمين تفتي الى الاستبداد
وليس القوانين والانظمة وحدها هي التي تحد من حرية الفرد ، وانما
العادات ، واعرف ونقلا ليد التي لم تنص عليها القوانين والانظمة ولم تأبه لها
هذه أيضا تحد من حريته . ونصيق عليه بحاج حياته لأن على الفرد ان يحسب
الرأي العام ، حسابه وأن يقدر الآداب العامة حق قدرها والرفي المستمر
للأمم ، وضرورات الحياة المدنية ، وتنظيماتها ، كل هذه أسباب داعية الى
الانكسار من هذه الوسائل لمصلحة الكيان الخربة في كل فرد . ومعنى أوضح
ان احصارة واحدة بالنسبة للفرد ، متناسان ككاسان عكسها فكلم رادت
احصارة اسما ، تمت وارتفعت ، صامت حرية الفرد ، وضعت وهرات
ومثل الأمم من هذه الحاجة كمثل الأفراد سواء . سواء . ذلك لأن التقدم
الحاصر قد جعل من المنعزل من المتعذر لقاء امة لو حدها واكتفائها بنفسها
فكما ان الاجتماع بالنسبة بالفرد حالة فرصتها عليه طبيعته كذلك اتصالات الامم
سببها أصبحت ضرورة اجتماعية لا سبيل الى التخلص منها . والاتصال
الاممي أو الدولي ، لا يكتفي واهنا وضعيفا في زمن من الأزمان فهو اتصال
دائم ، مستمر . ان انه اتصال مستمر في تطوره دائم في اشتداده . وكلمها
رادت لمدينة رسوخا ارادة قوة ومطاعة ، وكلما تحسنت وسائل النقل ، ووسائل
السفر ، وثقافة ، واسطى عفاه . وهذه الكثرة الزامية ، والزيادة
الطردة ، في هذه الاتصالات لدولية ، قد اشأتا فواعد تعارفت عليها الدول
ومبادئ قائلها . وبش كانت حالة الحرب ، تضعف من شأنها من وقت
لا آخر وهي ما اسم . وفي حالات كثيرة من حالات الحروب أيضا ، نأزم

بها الدول ، وتحافظ عليها بقدر الامكان . لماذا كل ذلك ؟ لأن الجميع كانوا وما زالوا يشعرون بأن من صالح العالم ، ومن خير الانسانية أن تكون هناك قواعد ، دولية تحترمها الدول ، كما تحترم الافراد القوانين الخاصة بها . وعلى ذلك يقولون عن الحقوق الدولية انها قانون دولي ، او قوانين دولية . وان كانت هذه التسمية الأخيرة لا تصح الآن لفقدان سلطة عليها لها حق تنفيذ القانون . وأما الرأي العام الدولي ، مع اهميته فلم تكن له هذه السلطة العليا . والجهود السياسية قد عملت في سبيل انشاء مثل هذه السلطة ولكن البرعة المادية التي مارالت تحبش بقوة في صدور قادة الأمم الكبرى ورعماؤها ، هي التي كانت تحول دون هذا الانشاء . فالذي نتصوره ، هو امكان انشاء مثل هذه السلطة العليا . وهذه لان تكون إلا في اتحاد هيئة دولية قابلية تعرض سلطانها على الدول كافة ، اما اذا لم يكن لها هذا السلطان فلا تكون هناك هيئة دولية قادرة على تنفيذ القانون الدولي . و اذا كان لابد لها من هذا السلطان فيجب ان تقابل كل دولة عن جره من سيادتها وتنظ من . ولا يكون تمارها وتنظيمها هذان ، محليين ، كرامتها أو عاينين بسيادتها . لانها واقعا ، ببعض اختيارها ، وفي سبيل الخير العام الذي لا يمكن الوصول اليه إلا بها .

وأما الناحية الثانية وهي ناحية توريد المواد الخام وصناعة القيام بهذه المهمة ، فانها ليست بهذه الدرجة من الخطورة بحيث ان يقضى من اجلها على مشروع يفقد الانسانية من الشرور التي كانت وما تزال ترهقها أرهاقاً عبيداً ، لأن للهيئة الدولية المقترحة خبراء واختصاصيين يعملون تحت رايها ، كما يوجد في حوزتها ممثلون ومدربون في كل دولة ذات سيادة وفي كل بلد وضع تحت الانتداب ولكل من هؤلاء اعوانه ودوائره هم يرودون الهيئة الدولية بفتايج بحوثهم ونقدهاتهم ، ويجمعون لها المعلومات الصحيحة ، ويسدون اليها

الآراء الناصحة ، وهم غير متأثرين بمواقف خاصة ، وميول شاذة لأنهم
 ليسوا من رعية الدولة أو البلد ، الذي يقيمون فيه ولا لهم مصالح ذاتية أو
 دواع أخرى تحمل أعمالهم ، مشوبة بالشبهات ، عدا ان رجال الصناعة ،
 والاختصاصيين والخبراء في العالم قد سبق لهم وامتدوا دولهم بكل صغيرة
 وكبيرة وعن كل ما في ممالك العالم ، من خير ، ومناجح ثروة ومواد أولية
 تفقر إليها الصناعات ، وفي الحق ، ان كل شيء متوقف على السوايا ، والعرائم ،
 فان كانت النوايا خالصة ، والعرائم صادقة فلا يقف في سبيلها شيء ولا يعوقها
 عن العمل عائق ولماذا يفكر بعيداً ، فلماذا مقلدا دولة من الدول ، ارادت
 ان تنظم موازنتها العامة فوزير كل وزارة يطمع في ان يكون نصيب وزارته
 من الاعتمادات او في من نصيب غيرها ، ويناضون ، ويتجادلون ونصل
 الحالة في بعض الاوقات الى ان تمشق الوزارة على نفسها أو تترك مسؤولية
 الحكم . ولكن الميزان الحقيقي للاعتمادات في يد وزير المالية ولذلك يشترط
 فيه ان يكون عدا غرارة علمه ، قويا في حجته رصينا في موقفه ، ذا سيطرة
 ونمود امكف كل وزير عن تجاوز الحد المرسوم له ويورع الاعتمادات
 نوريا نفعه مصلحة الدولة ، لا مصلحة الوزير وانه يستطيع ان يقوم
 بمثل هذا التوزيع بالنظر الى المصالح والمؤسسات التي تعمل تحت ادارته وتمده
 من وقت الى آخر بما يطلب من معلومات . ولش كانت مهمة الهيئة الدولية
 في هذه الحالة ، اكثر صعوبة ، وموقعها ادق وضما واشد حرجا فهي تستطيع
 ان تغلب على كثير من الصعوبات ، ونختار اكثر المواضع الدقيقة ، والواقف
 الحرجة وتصدر قراراتها المطمئنة للعادلة والصامنة لرضاء الجميع ، وذلك
 بما لديها من وسائل وما تحت تصرفها من لجان ذات اختصاص ، وهدرة على
 اسداء المصالح الصحيحة ، واداء الآراء الملحة والقيمة الناصحة

عناصر الحياة في الأمة العربية!

واعل قائلا يقول ، ان هذه الآراء ، انما أوحىها اليك وصعوبة الأمة التي
تمت اليها ، فلو انك من أمة عظمى . لها مواردها الضخمة ومستعمراتها
الغنية ، وممتلكاتها الراهنة ، بالخير ، ولها كبرها المرموق ، لما تشبثت بمش
هذا الآراء التي تعيد الأمم الضعيفة وتجهز على قائلها وامكانيات الأمم
القوية الناشطة في كس مضر . وفي الحق ن مثل هذا القول لا يتيسر لمثل
جرحه سهولة ، وان هذه الحجة التي احببها من حيث قوتها ليس في الامكان
التغلب عليها أو اضعافها . لأنني من دون شك امت الى امه قد حاربتها القراء
والخضراء ، وناجزتها الاجيال والمصور وقاوتها الأحداث والظروف .
وهي محرومة عظيمة ، برعم كثرتها . وهي ضعيفة مهمة ، وان كانت مما لكها
واقطارها ، واسعة شاسعة ، غنية ثرية ، وهي محكومة برغم بزوع اهلها
الى الحرية بطيقتهم ونفورهم من الاستعداد ، بغيرتهم . وهي لا يحسب لها
الا أن حساب برعم ما تحتل من أملاك ومصابيح ذات خطورة سياسية
وعسكرية واقتصادية . وان كان برعم كل ذلك فليس شعوري بصعف انني
هو الذي اوحى الى بهذه الآراء . ولا قنوطي من انتعاشها من جديد ، هو
الذي دفعني في هذه الطريق ولماذا نكون الآراء المسالمة وفقا على الصعفاء ،
واللشت بأسباب الخير محصوراً بالفقراء ، ولماذا يفكر الأقوياء في اسباب
قوتهم فقط ، والاغنياء بالاحتفاظ بختام وحسب ولا يفكرون بغير ذلك مما
يؤول الى خير الانسانية ، وسلامة البشرية ؟

ان الشر لسكونه شراً يجب ان يصحاه الضعيف ، كما يتجنبه القوي ،
 وان الخير لسكونه خيراً ، يجب أن يسعى اليه القوي ، بقدر ما يعمل له
 الضعيف . فليس صواباً أن يقال للضعيف الذي نشئت بالخير ، انك لا تنسب
 به إلا لكوتك ضعيفاً كما انه ليس من الرشد ان يطل القوي راجباً رأسه ،
 مزهواً بما يملك من أسباب القوة ، ولا يعترف بحق الضعيف . ولعل صروف
 الدهر ، وغير الزمان ، لم تنق على القوي قوته ، ولا على الضعيف ضعفه . فالقوي
 اليوم ، قد كان فيما مضى ضعيفاً ، وقد يجوز ان يعود سيرته الاولى في المستقبل
 والضعيف . اليوم قد كان قوياً في الأيام الخوالي ، وربما ييسم له الخط مرة اخرى ،
 فيستعيد قوته ونشاطه على انني لست قاطعاً من انبعاث الأمة العربية من جديد
 ولا يائساً من عودتها سيرتها الاولى . فقومات الأمم ، من حيث كثرة النفوس
 وخصوبة التربة وعنائها ، والمواقع المتتارة والأماكن المصطفاة التي تحتلها ،
 وقابلية الإبداع ، والقدرة على المحضر والتخمين كل هذه متوفرة ، ومتوفرة
 بكثرة في الأمة العربية ، فهي تكاد تلع السبعين مليوناً في نفوسها ، ثم هي
 تمتلك أعنى تربة في العالم ، وأثقلها بالخيرات ، وهي فوق ذلك تحتل المواقع
 الممتازة ، والأماكن ذات الخطر ، وبلادها وممالكها متصلة ببعضها ، لا
 تفصل بينها شعوب غريبة ، ولا ممالك اجنبية . هذه شبه الجزيرة العربية على
 سمتها فليس يحتلها شعب غير الشعب العربي منذ المصور السحيقة في القدم الى
 يومنا هذا ، وهذا الهلال الخصيب المتصل بها المترجمة ترجمته بتربتها منذ القدم ،
 وهذه مصر ، وافريقية الشمالية الى مصيق حبل طارق ومنه الى الساحل
 الاطلسي ، كلها بلاد آخذ بعضها برباط بعض ، يعيش فيها شعب واحد ، دينه
 واحد ، لغته واحدة ، وعاداته وتقاليده واحدة الا شيئا قليلاً هو أثر القرية
 وفعل الاجواء . وليست الخطورة ناتصال هذه الممالك والأصقاع ببعضها حسب
 واسكن خطورتها في أهمية المواقع الجغرافية . فالبحر المتوسط انما هو في

حقيقة بحر عربي . لا . الأمة العربية تستقل بجانب من أوله الى آخره
 والامم الاوربية جميعا لا تشرف الا على أقن من نشي حانه الا آخر . وجمل
 طارق ، وان كان على جانب من سيادة احبية والسكن الجانب الا آخر في يد
 الامة العربية ، واسوس يحترق الادأ عربية صميمية مفتاحا البحر الابيض
 المتوسط ادن في يد عربية . كما ان اسويس وماب المسب ، هما في يد عربية وهما
 مفتاحا البحر الاحمر كذلك . وشبه الجزيرة عدا البحر المتوسط من جانب ومن
 جانب البحر الاحمر . فنها متصلة كذلك بالبحر المحيط الهندي ، والتعبار بج
 الكثير ، في اسواحل العربية ، ولما في الطبيعة والصناعية ، فيها مما نمطي
 للاد حرب أهمية حاسمة ، وغير هذا وذاك ، فهالك قاسية الاساع ، والامتداد
 للتحضر والتدبير في هذه الامة السكثيرة العدد . المنشة في هذه الارحاء
 الوسيه الر حرة بالود عدم واتصلة ببعضها هذه الامة وان كانت قد
 عمت أحيالا عديدة بعد ثورة رسالتها تأدية أثارت اعجاب العالم ، ودهشة
 وقد لاحت في الافق تشار بقطتها ، فهي برعم ما مبيت به من تفكير أوصال
 ونمري اشلاء ، ونعترا اطراف فقد أخذت تشهر بوجودها وتقدر أهميتها ،
 فهي كل صفة من أصفاعها وثمة ، وفي كل مملكة من ممالكها استعاضة نذرت
 حوتها . ونش على عربتها من الوم الباطل أن يتجاهل امرها ، ومن
 لمرور المحض أن يفكر في مصاء على حيوتها وشااطها فتم بعد التحكم فيها
 امراً هيئاً لا ولا تصرف بمقدراتهم سهلاً مبسوراً لأن مقومات حياتها
 متوفرة من ناحية ومن ناحية اخرى فقد عصمتها الطبيعة من الأندثار
 بمواقع طبيعته لا تقوى سايها قوى الاصطناعية مها عظمت واذا هي عجزت
 عن أن تأخذ مكائهم تحت الشمس في هذه الأيام اللبس ما يجمع أن تأخذه بعد
 حدة من الزمن - واسوس ولاحياس ، في أعمار الامم ، ليست شيئاً
 مدكوراً مادام العمل في سبيل الحياة متواصلاً ، وقومات المسهلة لهذا العمل

مبسورة إذن فليست اشعر بصعوبة لاني امت الى الامة امر به ، ذلك لأن
مقدر أهميتها وعارف سر حيويتها وادن فان قد فتحت مرمر حجاب وما
انديت من آراء لم يكن مفسوؤه الصعيف وانما «أمكس» فان مثله لقوة وم
انتع من وراء ذلك الاخير الاستبصار وسعادة اجس النوري ولو اني كنت
من الأمم ذات القوة والسبطان اليوم ، لما تغير رأيي وتبدل موقعي على ان
امعان الحصار القائمة في ماديتهم ، ونحوها لها جوانب الروحية ، والمقومات
النفسية تحاطها كلياً قد فرعا حكما ، للأمم المختلفة ، وفلاستها ورحا العلم
والأخلاق فيها ذلك لأن المادة شر والشر لا يعقب الا شرّاً حالصا من
الانسانية العاليا ، انما تتجلى صورها رائعة في النفوس المهدية ، وانصاف
المؤدية الى سبل الخير فالأهم الى النال للنفوس وتركها على سجيتهم وادن
العناية القصوى في مجالات العلوم الطبيعية المحسة للمادة ، ولكل شيء مادي
وحصر النشاط الانساني فيها فقط ، كل ذلك مما جعل الانسان مادياً قاسياً ، لا
يفكر الا في نفسه ، ولا يربح الا في اشرع امانيته ، وان لا يتردد في ان
يسلك اي سبيل كان لا لحل الوصول الى عاياته المادة ، شرّاً كان أم حراماً
وهذه الرعة القادية العبيقة في قوتها هي التي دفعت بالأمم الى التناقص في الاستعمار
والتسابق في أعداد القوات اللارم ، وأسباب التدمير والتجريب الضرورية ،
للظفر بالقور في هذا الكهاساح المجرم ، والصراع الأليم واما كانت العلوم
الطبيعية ضرورية ولازمة لتقدم الحصار في ايادي المادية ، فان العناية بالعلوم
الاجتماعية والنفسية اصبحت أشد ضرورة وأكثر لزوماً لتقدم الحصار
في الناحية الروحية واقامة من عبيدا تحتسها النفوس اشرده ، ويهتدى
بنورها من اضل الطرق لذلك يقتضي إعادة النظر في لطم الاجماع ،
والأنس القانونية واجراء التعديرات الجوهرية فيها لتلافي ما فات وتدارك ما
مضى وهذا لا يكفي وانما يقتضي فوق ذلك ان قدسول التغير انواع

الحكم واساليه واسسه ، في داخل كل امة ، أو في اتصالات الامم ببعضها
وهذا ما اهاب برحال العلم ، والحكمة والفلسفة بل والسياسة في كل صقع
من الأصقاع التي تعدت اليها اشعة المدينة وأبوار الحصار الى ان يقترحوا
أنواع المقترحات ، لأقامة عالم جديد ، أو فر حظاً وأكثر رخاء ، وأسعد حالاً ،
من العالم الذي نحن فيه الآن ، وإلى ان يبحثوا أنواع المشاريع بمقول لا
تأثير للهوى عليها ، وبنفوس عامرة بترعة الانصاف . ولئن كانوا هؤلاء وما
رأوا قلة ، وما برحوا احاداً ، فإن ما ألم بالعالم المتمدين من بوائب ونوازل
ما يكفي لأعادة المفرورين الى صوابهم ورشدهم ولأن يأخذوا بما نراه القلة ،
من آراء وما تسديه الاتحاد من نصائح .

نحن والانكليز !

والآن أعود واسأل نفسي قبل ان يسألني الغير ، هل انى فيما أبديت من آراء ، واوضحت من أفكار ، من شأنه ان يؤيد ما ادعيت ويثبت ما زعمت بأنها كانت منزهة عن الهوى ، بعيدة عن نزوات النفس ، خالصة من شوائب التحيز ، واذا كان ذلك كذلك فما هذه المجهات العنيفة ، والاندفاعات الشديدة ضد بريطانيا . أو ضد الديمقراطية ، التى ترعها بريطانيا ؟ ليس من شك فى أنى معيذ ومحقق . وكل عربى ، على ما عانى من عنت بريطانيا وارهاقها ، ورأى ما تقاسيه بلاده من شذائد ، وما ينصب على امته من بلاء لا يسهه الا ان يكون مغيبا عنها . والمطلوم اذا شكى ، والمصاب اذا أن ونوح ، والجريح اذا نال ، وضجر لا يقال له لم كل ذلك ، او انت خصم مرؤتك مشوبة ونفسك متهمه لا يقبل منك قول ، ولا تسمع لك شكوى . وشأنى مع بريطانيا شأن المطلوم المشاكى ، والمصاب المتوجع والجريح المتألم لا اكثر ولا أقل . وليس من الحق ان اكون متحيزا بالتحيز او موصوفا بالعدوان اذا جلوت الحقيقة ، ولدت بالحق . واستنصرت العدل . وانما المتهم بالتحيز والموصوف بالعدوان ذاك الذى يغير صورة الحقيقة ويبدل فى الحق ويتشبهت بالباطل . على انى لم اكن خصما للشعب البريطانى ، ولا مستحما بسجاياه وتقاليده او مستهينا بمراياه وقالياته . وانما انا خصم سياسة حكومته وعدو وسائلها الاستعمارية الخطرة التى تقبها مع الأمم والشعوب سيما تلك التى وضعها سوء طامها فى طريق الهدى وقد أبدت غير مرة فصكرتى هذه ،

واعلمتها في مناسبات عدة . وكنت انمي ، ومارلت انمي ان يكون هناك مجال
للتعامم بينها وبين شعب هذه الحكومة ، أو سبب يسهل اتصال روحها بمصالحها
بعض حيث للشعب العربي أسباب مادية كثيرة تسوقه سوقاً ، الى مصالحة
الشعب البريطاني والعمل معه ، سياسياً ، وديناً ، وعسكرياً ، واقتصادياً وناهيك بها
من أسباب ، فالشعب العربي قد سبق له ووجد مساعيه مع بريطانيا وحارب معها
حتى الى حرب وسميت دمه بدمه ومرحها بدمه ، سألها في الحرب الماضية ، وتوثقت
بها عرى صداقة ، ومودة . ثم ان شعب العربي الذي مارال قتيلاً في الحياة
للاستقلالية ، وموره الحرة ، ويقصده امره ، ومن صالحه ان يسد عوره ويكفل
نقصه ، عره ومعرفة الشعب الذي احتلط به وسقت له صلة به وهو
الشعب البريطاني . وفوق ذلك ان موقع الملا العربية الجغرافي ، واتصالها
من اكثر حوائجها ، للممتلكات البريطانية ، يعملان من الشعب البريطاني خير
مساعد لها في مورها الاقتصادية ، معاملاتها التجارية ، وخير حليف لها اذا
بافاحتها قوة اسيية طامعة . ودعيتها جيوش لا قبل ببردتها وصدها
وما اكثر هذه لغوى ، على حدودها ، . ما قرب هذه الجيوش اليها . ولكن
حكومة الشعب العربي تدان ان تعيد الشعب العربي وتستفيد منه ، فاتها
اعاد عليه الحرب ، كل محل من محلات الحياة المتعددة ، وناهضته في كل
ميدان من ميادين المشد . حرمتها الحرية ، وسلت منه نعمه الاستقلال التي
كان يحلم في سبيلها ، واحطت منه حريته ، ودانت اقدامه . مقدساته
وكرامته ، وكنتهم تظلم عتبه . ولم تشف صدرها بعد . ولقد كبر عايتها
ان تحده بحرك بحسبه المسلم وهو صعب عليها ان تراه يطار بطره المدمر
وهي تراه حسداً هامداً لا حراك فيه لائن الحركة دالين الحياة ، وهي
تريده أعنى لا حصر . لأن لعمري ان الطريق بذلك تحدها ، في
الدهور ، وعزه في الامه ، متشدة في لا جهار عيه . وليس عربنا منها

ان تكون معه كذلك لأن مقومات الحياة في هذا الشعب موافقة ، وعوامل
 الامتداد ، يسورة ، وبلاذدها ، هي بلاد لا يكون منها من يقوى بها الهيا عظيمة
 من حنان الخلد ، رفقها تاريخ ، شجها ، مختلف الخراب ، وورثها ، شدة كرمه
 وفيضه من ضروب اسباب اقليم ، فكيف يكون عديم ان تغلب منها مثل هذه
 البلاد الحيلة العذبة ، وكيف تستطيع ان تحتفظ بها اذا لم تدفع مقومات احياها
 من شعبها انتزاعا . وتقتضى على عوامل الانسداد فيه فصاء مرمدا . وهي ان
 فعلت ذلك فالبلاد العربية ، فاما بعض ما فعلته مع غيرها من البلاد ، وهي ان
 عاملت الشعب العربي هذه الماهة ، فاما ته منه عمن ما فعلت به غيره من
 شعوب . ولست أريد ان ابحث اسباب شكوى الشعب العربي ، واكشف
 عن الجراح الدامية في جسده ، انصى في هذا المكان فطحت ما عده وبعثا به
 هذا الشعب الناصر ، من ريطانية مكان آخر . ولا أريد كذلك ان أقيم
 مساحة وأصعب منقما ، أو من فيها شعوب عديدة التي فعلتها ريطانية والبلاد
 الواسعة الى استباحة حرمانها لأن هذا ليس من شأن هذه المدكرات النهر من
 له من حجة ، ومن حجة أخرى فانه من نحو المصالح على عظمة ريطانية
 الاستعمارية ، ان يستقر محله واحد ، بتأريخ استعمارها الذي يستعبد اواحدا
 برقة ويسبل دماء كريمة ، والكي أ . ان امر من قريبا من حوادث التاريخ
 وشيئا من كذا ، صد حركات لا تم آتى . الب محتفظة كياها ، وحديثها ،
 فلن هذا الاستعراص يعصبه صوة . حقيقة مجتذع الرطابي ، وبه فبها .
 صحيحا . استطيع ان النفس به ، اناية هذه الامبراطورية الضخمة ومحاربتها
 لكل أمة توسكت فيها الحياة ، وشامت منها دلائل التقدم واليهوص . ودا قدر
 لما ان تصور بهذه الصورة كاملة . . هذا المقياس سلبا ويكون في وسع
 فتصور مبلغ حقبة الشعوب والامم استعصمة الاستعمار الرطابي . ويكون
 في مقدور كل احد ، ان يصدر حكمه الصحيح ، ويبدى رأيه الصائب في

الشكاوي المرة ، التي تصدر عن رجال هذه الشعوب ، من حين لآخر بصورة عامة ، وفي الانتفاضات التي مرت بالقارىء او لقي ستمر به في هذه المذكرات بصورة خاصة . حيث انه اذا كانت الحكومة البريطانية تناصب الشعوب الحرية الكمية لعداء ، ونقاوم الدول الحية وتناجرها الحرب لتقل من حدة نشاطها وحبوبها . وتتعقب الهضات القومية لتجهر عليها وهي في مهبها . اقول اذا كان هذا شأنها مع الدول الحرة ذات القوة والسلطان فكيف يكون شأنها مع الشعوب التي احصتها وتوفقت الى اتلاعها وارادها والبلاد التي تحكمت بها واحكمت فيها اسباب هذا التحكم ؟

ان التاريخ لم يعرف دولة من الدول حاصمت النهميات القوية بقوة واهميت حريات الامم بالدفاع كبريطانية كما ان الانسانية لم تشهد صريحا لها في طرق المكر والخداع للأحبار على الامم واستغلال مقومات حياتها من بين جموبها . ذلك لانها درست حياة الاميراطوريات المستعمرة المأهدة . ومحصت السبل التي سلكتها والطرائق التي اتبعتها وكان درسها متقنا وتمحيصها دقيقا وأضافت الى هذا الدرس والتحجيص المتفنيين الدقيقين اختراعاتها وقابلياتها لذلك كانت وما تزال صفة المراس في استعمارها ، شديدة الوطأة على البلاد التي نظمر بها . وان قورها في ميادين السياسة الاستعمارية قد انمى فيها عريرة الاثرة والالانية ، وقوى فيها برعة الطمع والجشع الى حد كبير وكان من أمر النفسية الاستعمارية القوية ان دفعت بها الى منساجزة الشعوب الحية ، ومقاومة كل حركة فيها ترمي الى النهوض بها ، خوفا على املاكها الواسعة من ان يكون لها منافس فيها ، وحرصا على بقائها في نحوه من كل امة تفتشى لها اسباب لقوة لتكون دولة مستعمرة مثلها . وعلى ذلك لما كادت اسبانيا تلم اطرافها ، وتتوسع غربا ويمحمر اسطولها عاب البحر الاطلسي حتى ساورت بريطانيا الغيرة ، وداخلها الحسد ، ولم يهدأ روعها ، وتسكن مائرتها الا بعد

ان قصت على الامة ، اسطول اسبابيا الذي كانت تعز به ، ونشر على
 اشرعها رايها الاستعمارية و كذلك قاومت البرتغال ، وطاردت اسطولها هورت
 الكثير من مستعمراتها ثم تعقت الفرنسيين وراحتهم ، إن في اميركة ، وإن
 في الهند ، وإن في مصر فكانت كانت فرنسة تسعى جهدها ، وتبذل مجهودها
 لتمهد لبريطانيا سبل الاستعمار وتسهل لها الاستيلاء على الممالك ، واخصاص لشعوب .
 ولكن بريطانيا ليست بالدولة القنوع فتكتفي بما أصابت من خير كثير ، ونات
 من نعم وفيرة فهي تريد كل شيء لنفسها وتريد فوق ذلك أن تمنع كل شيء عن غيرها
 ايضا و كانت تجن جنونا لدا ما توافرت اسباب الحياة للشعب من الشعوب
 وأراد الانعتاق من يرها فهي لا تملك تؤلب عليه عوامل القضاء عليه وتسخر
 افراد انفسهم ، فان عجزت عن ذلك ولم تجد وسيلة إلا الاصطدام فلا تردد
 في هذا الاصطدام . ولقد كان هذا شأنها مع الامة الأميركية فانها لما دركت
 فشلها من الاجهار على حيويتها بأيدي شعبها شنت عليها حربا عوانا واسكنها
 انتهت الى غير ما كانت تأمل فقد انتصرت جيوش واشنجتون عظيم الامير كان
 ولم يكن لبريطانيا ندحة من الاعتراف بالامر الواقع وصادقت على حرية
 أميركة واستقلالها ولسكنها مع ذلك آلت على نفسها ان لا تدع واشنجتون
 يها بمار انتصاره وان لا تترك للشعب الأميركي العنق الذي قال حريته مخضبة
 بدماء فيه ، وانزع استقلاله من مخالب الأسد البريطاني انزعاما ، فرصة يلم
 بها اطرافه ، ويجمع شتاته ويستعيد قواه فسا جلته الحرب وناجرته الصراع
 قارة بالسر والحفاء وطورا بالظهر والعلن ولعل الشعب الأميركي كان
 اشقى الشعوب مع بريطانيا حيث كانت لسهامها غرضا ولدسائسها هدفا ، مد
 بحر حياته الاستقلالية الى ما بعد الحرب الاهلية ، وهي فترة خطيرة اجتازتها
 اميركة ، ومواقف دقيقة تحطتها ، وكانت بريطانيا مصدر تلك السكوارث
 المباشرة تارة وطورا مسببتها او مسهلها .

لم تصادق ربطة على استقلال الأمة الأمريكية الا بعد حرب
صروس دمت ثمانية أعوام كاد واشطون عظيم امركة أن يلقى السلاح
بمصادقته ، ولم تتداركه الأمة الفرنسية وتجدد بالقائد لا فائت وقواته .
والكن ربطة نيا لم نشأ أن يعطى هذه الأمة الفتية فرصة تمكها من اصلاح
ما فسدته الحرب الشموه ، وتعمير ما خربته اسباب الحرب وادواتها المهلكة .
وقد الرمت الاميريكين في معاهدة باريس عام ١٧٨٣ بأن يدفعوا ديون بريطانيا
كامية وان يصوبوا المحاطين اعوانهم في امركة من كل تعرض واحتمطت مقاطعات
معهم منها اوسويكو وديروا وماكينو الى ان يجزى الاميريكين تعهداتهم
وهذه طريقة تفتيحها بريطانيا دائما ازاء الدول والأمم لتجمل منها اسبابا
جديدة للاعداء على حرباتها واستقلالها في الأوقات المناسبة . ولقد وافق
الاميريكين على ما فرضته بريطانيا عليهم لانهم كانوا يريدون ان
يعطوا نهاية للحالة التي كان عليها وطنهم . وقد ارسلوا الى البلاط البريطاني ألمع
شخصية لديهم بعد واشطون وهو جون آدامس ليكون ممثل دولتهم المتحدة
الاشنة . وقد استقبل ملك الانكلتر جورج الثالث الممثل الاميريكى بحرارة
وقال له : انى سوف اكون صريحا معك انى آخر من قبل باستقلال امركة
في هذه المملكة اما وقد منح الاستقلال ماكون آخر من يسعى الى
نقصه . وهذه كلمات جميلة جلالة تشع الأمن ، ولكن هل وفي الانكلتر
بعهد ملكهم ، أو هل ان ملكهم حقق ما وعد به ١٧

ان الاميريكين قد مهدوا بوطنهم مهضة حبارة وسارت خطواتهم في
طريق التقدم مترة سرية . لقد شطوا الى تعمير ما خربته الحرب ، واحيوا
الأرض الموات ، وخصعوا الى رسوم وتكاليف باهضة ليتمكنوا دولتهم من
سداد الدين . ولتمشيط الحياة لاقتصادية جذبوا الى بلادهم البكر العناصر
اقوية في أوربة فدأت سيول المهاجرة تتدفق . وكما زخرت هذه السيول ،

زخرفت البلاد بالأمم والاحتطت بالفسوس ، ورأى أمير كة في فاطمتها
التجارية وبناء الأساطيل التجارية وحسنت وسائل النقل البحرية من رية
ونهرية ، واختطت لنفسها خطة الحياة وراء الحروب التي انعمت فيها أرونة
بعد ثورة فرنسة الكبرى لاسيما بعد سقوط عجم النابون هذه الحركة المتفرعة
بالأمل ، التي بدأتها أمير كة ، وهذا الموقف الحياضي الذي وقفته وأتممت فيه
فرصة ملائمة لتنظيم نشاطها وتبدي حيويتها قد ادهل بريطانيا ، وركها
تضرب احكاما أساسا وبدأت على عارتها — نبت حوائطها في الاوساط
الأميريكية ، وأنشأت تحرض الهنود الحمر على العصيان والتمرد ، واعدة
زعيمهم تكومسه بشئ الوعود باذلة له الأموال والعتاد فأثارته في عام
١٨٩١ فأزلت بهم القوات الأمريكية صرناها المعبية ولكنه مالت عام ١٩١٢
إلا ان شهد أمير كة مشتبكة بحرب دامية مع بريطانيا وقد استمرت هذه
الحرب طيلة ثلاث سنوات كاد استقلال أمير كة ان يروى فيها وقد اطلق
الأمريكيون على هذه الحرب اسم حرب الاستقلال الثانية لاهميتها وفي هذه
الحرب مكن البريطانيون الهنود احرار من ان يبدوا الا سراء الأميريكين جميعهم
اولئك الا سراء الذين تمكنوا منهم في رفعة مهر ريس ولا يزال
الأمريكيون عندما يكونون في موقف حرج ووضع يأس منهمون
تذكر وارييس ا ، ولما رجعت الجيوش البريطانية في صميم البلاد
الأميريكية ودخلوا واشتغلوا عاصمة الاتحاد اجمعوا اليها كابتل والذات
الايض مقر رئيس الجمهورية والسياسات الحكومية الاخرى فهدموها
وحرقوها وسلوا ما فيها من اثاث ونحف ، ونفئس نادره ولم تبق ندية
ولا موقع يمتار من الهدم والحرق ، حتى اهم احتاجوا دائر انسجين الاحراعات
وارادوا نسفها وحرقها لو لم يكن نفوذ عماد حراسه من هذا المكان لا يعود
نفعه الى الأميريكين وانما هود الى خير الاسباب برمتها — لا تله لا تقيم إلا

ماله صلة بالمخترعات والاكتشافات العلمية وقد كان للوحشية التي اظهرها
 الانكليز والهنود احرى في هذه الحرب اثر عميق في نفوس الاميريكين كافة .
 ولئن انتهت هذه الحرب بماهدة غيبت . في اواخر عام ١٨١٤ فقد ظل الانكليز
 حرباً على الامة الابيكية ينتهرون عليها العرص ذلك لانها امة ابدت حيوية
 في الميدان الاقتصادي العالمي ، وقابلية في ساحات الاختراعات والاكتشافات .
 وما نظفون في بريطانيا ؟ ان المعروف عنها انها ضد تجارة الرقيق فاما هي التي حرمت
 هذه التجارة في العالم ولكن هل تعدقون انها بصرت الجهة القائلة لتجارة الرقيق على
 الجهة القائلة ما لغائم في اميركة ؟ من المعلوم ان الحرب الاهلية التي وقعت بين ١٨٦٠
 و ١٨٦٤ بين المقاطعات الاميريكية كان سببها انتخاب ابراهام لنكولن زعيم
 الجمهوريين القائل بالغاء الرق فلما انفصلت المقاطعات الجنوبية من الاتحاد استعاجا
 على هذا الانتخاب وبادأت الوطن الامم العداء ، فابله ابراهام لنكولن بعزمه الذي
 لا يقل ، حتى اخضعها الى الحق بعد حرب طاحنة وهذه الحرب قد جمعت
 مستقيل اميركة مخفوقاً بالمخاطر ايضاً لأن احدى عشرة مقاطعة من أصل ٣٤
 مقاطعة كانت قد انفصلت وكان على رأس الانفصاليين زعماء مشهود لهم بالكفاءة
 والقدرة وحسن السمعة في هذا الطرف الدقيق تتقدم بريطانيا الى العصاة
 الانفصاليين بالذخائر والعتاد ، وتحرمهم بالبوارج والسفن الحربية مع انهم
 يريدون ان يبقوا على الرق ، وأن ابراهام لنكولن يريد القضاء عليه ، وقد
 لعبت السفينة الحربية الاباما التي باعها بريطانيا الى الانفصاليين ادواراً
 مهمة سببت تلف كثير من القوة البحرية الاميريكية مع ان بريطانيا اعانت
 سياسة الحياد هي تملن سياسة الحياد ولكنها تمد جهة وتمسك عن جهة على
 ان الامة الاميريكية لم يكن الشر الذي يصيبها وهي في حالة صداقتها معها
 بأقل خطراً على سمعتها وكيانها من الشر الذي كان يصيبها في حالة اختصامها
 معها . والدليل على ذلك ما عاينت به اميركة في الحرب الماضية . فلما عدا اليها

اتلعت مالها ، فقد عرضت سميتها للسخرية والارذراء ، وعبثت بمادى ، وباسون
عبثا من ربا . . ١

وفرنسة ماذا لقيت من بريطانية ؟ دع عنك منافستها في الحق الاستعماري
وترسها آثارها واقتطاعها ثمرات جهودها في أميركة ، والهند ، ومصر وغير ذلك
من البلاد الغنية التربة الراضية بالمواد الخام ، المكتظة بالسكان ، فلقد وقفت في
سبيلها به . ثورتها في ١٧٨٩ و كادت لها وأست عليها دول أوربة وحرمتها
مما كسبه نابليون من بلاد ، ونيحان ، وما حصص عليه فرنسة من صيت
وشهرة وافوذ في العالم ، ولم تعد السيف الى قراره ، الا بعد ان اخر حتمها من
الحرب ذليلة ، وإلا بعد ان ساقط امراطورها اسيراً الى حريرة سفت الى
بقاسي ضروب الاهانات ، وأنواع الاعانت والارهاب والامبراطور أو
رئيس الدولة ، هو رمز محمد أمته ، وعنوان شرفها . فهاهنا اهانة للإمامة التي
تولى زعامتها ، والقشدد عليه جرح لعزتها وكرامتها ، سواء كانت هدا
الامراطور ، أو رئيس الدولة ، محبوباً أم مكروها من شعبه ، مشروعاً أم غير
مشروع . على ان نابليون كان أقرب الى قلوب الفرنسيين من غيره من الملوك
وأخف ظلاً عليهم من غيره من الزعماء والقادة .

لقد استطاع نابليون ان يقضي على الدول الأوروبية أو على أكثرها ،
أما عن طريق الحرب وأما عن طريق المسالمة وعقد المعاهدات والاتفاقات
ولم تتصلب تحاهبه ، وتطل دائرة في مناوئته دولة سوى بريطانيا لأنها كانت
وما تزال لا يرونها ان ترى امة تزاحمها في عظمتها ، وتنافسها في توسعها
ايا كانت . فصدمة فرنسة التي لم تقع منها الى اليوم ، لم تكن الا بيد بريطانيا ،
وما يدرينا على أية حالة كانت تكون حارطة أوربة اليوم لو بقيت الامراطورية
النابليوية سليمة ولم تنزل بريطانيا فيها صربها الحاسمة ؟ على ان بريطانية لم
تكشف بذلك وإمادات تراقب التطورات في داخل فرنسة ، فيون نقدح

بالشر ، وتوسع خطواتها بهمة لا يعثرها فتور ولم تهددها ونصافحها الا بعد ان وجدت الحياة تدب في عروق الشعب الالمانى قوية ، فعادت تحملك للشعب الجديد الناهض ، حماها وتصبب شاكها . حينئذ فقط بدأت تتعلق الشعب الفرنسى الذي سامته خسفا ، واذاقته ضروب الالهات ، وعملت المعجزات لكي توسع شقة الخلاف بينه وبين حاره والشعب الفرنسى يسير ورائها ، ويقتبع خطاها كان لم تكن بينه وبينها احداث ! . أجل انقلت ثقله نشاطها من الجانب الفرنسى والفته على الجانب الالمانى لانها وجدت أشد خطراً عليها ، واكثر مساساً بمناصفها ومصالحها واتحمت بكل قواها لتعرض سهيل تقدمه ، وتقيم فيه العقبات ، ولتضعف من لقوة الجديدة التي اخذت تنمو نمواً غير مشهود ، ولاجل ان تحقق اهدافها ، فقد استعلت طبش نابليون الثالث ونرقه استغلالاً ما كرا ، ودهسته الى التعصب والشدد تجاه الماهل الرومى في قضية ترشيح احد امراء البيت الملك الرومى لعرش اسبانيا ولكن حانت الحرب السبعينية خلاف ما كانت تخطر فافلت الآية واصبح الشعب الرومى ، لا يتكلم باسمه بعد صلح فرساين وانما يتكلم باسم الامراطورية الالمانية مراد سلطان هذا الشعب المصنوع ، القوي بسجايه ، المدع بعقله ، ومخاض نفوذه في الافطار واجتاحت صناعته ومخزعاته الامصار وبريطانية لا تلبس عربكها ، ولا يهد صررها ، ولا يحقدتها توارثها الامور الجسام . وهي ان فشلت في الحرب السبعينية فقد فارت في الحرب الكونية الماضية وثارت لسكرانها من هذا الشعب العنود فجرائته وأوهنته ، وصرت على قابلياته ونشاطه اسيرة سميكة من الفولاد هشمحت دنانها ثابية وعادت تسحر العالم لما قرب . بعد ان اعتقدت بأنها تحلصت نهائياً من المزاحم الخطر الجديد

وفي الوقت الذي كانت تقاوم فيه فرنسة او المانية ، كانت تصفى على يدها ، الامراطورية الممانية باسم الصداقة التقليدية ، ومن أشد المواقف

اثارة للنفوس ان ترى اموالك ونفائسك يخططها منك الخاطف وهو يدعي صداقتك وانت لا حيلة لك إلا موافقته على ما يدعيه . لانت اذا ترددت قليلا سبب هلاكك واضاع عليك حياتك فوق اضاعته اموالك ونفائسك وهكذا كان شأن الامبراطورية العثمانية المتداعية مع الامبراطورية البريطانية الصديقة المتعاقبة في صداقتها . فهي لم تكن تمنح الاعتداء على الامبراطورية العثمانية في أول الامر ، بل ان هي اصغت سكنت والافقي كثير من الاحايين كانت المشجع في الحفاء على الاعتداء . فان فارت الامبراطورية العثمانية حرمتها ثمرة هذا الفوز بشتى الوسائل وان هي اندحرت ساومت صديقتها واقتطعت منها ما كانت تريد مع العلم ان مور الامبراطورية العثمانية كان نادراً بل معدوما اذا استثنينا مورها على اليونانيين ثم رجوعها الى حدودها الاصلية بناء على ضغط الدول الاوربية وفي طبيعتها بريطانية . واما اندحاراتها فقد كانت متسلسلة لا تعرف الاقطاع واستمرار اندحاراتها وتسلسلها كانت التصمية البريطانية للامبراطورية الصديقة مستمرة ومتسلسلة ايضاً . وبكفي نظرة واحدة الى خارطة الامبراطورية العثمانية ، وما اصاب الامبراطورية البريطانية منها لتدرك على مبلغ قيامها بواجب الصداقة ، وعلى مقدار وفائها للدولة التي وضعت ثقتها فيها . فبريطانية عدا الجرالمهمة كقصرص وعيرها ، فقد وضعت يدها على مصر والسودان ومصيقي السويس ولب المندب ، والجزيرة العربية وبلاد الخليج واللال اعصيب ما عدا الشام (سورية ولبنان) وهذه هي رهرة المعتسكات العثمانية ، والدره الثمينة التي كانت تعلق في تاج اسلطان العثماني . واكثر هذه البلدان العربية قد استولت عليها بريطانية سلماً ، وعن طريق المكر والحداع حيث قوت الامراء والشيوخ في المناطقي المختلفه وحرضتهم على الانقراض على الدولة العثمانية صديقتها . ولم تأخذ منها عن طريق الحرب ألا العراق وفلسطين . وأما بلاد اوربة العثمانية فقد تقسمت وتجرأت الى دول

صغيرة مستقلة بعضها عن بعض ولم نستطع ان نستعمرها ، بريطانيا لان شعوبها من جنس أوربي أولا وثانيا لانها مسيحية وثالثا لان دولها كبرى صديقة لبريطانية كانت تقننها . ومع ذلك فقد سخرتها بريطانيا اقتصاديا واعرققتها برؤوس اموالها ولكن عدا ، بريطانيا قد اشتد وجيمه لما شمرت بأن هناك حركة تقدمية ، وشاطا حندا في البلاد التركية بتزعيمها مصطفى كمال بعد ان اصبح الخليفة العثماني المعوية يدها تسخره الى اغراضها وتسوقه امامها سوق العبيد . وكما انها ارادته ان تثبت صداقتها لهذا الشعب من جديد ، ومدى عظيمها عليه للمرة الاخيرة فسعت سعيها مشكورا لتدق آخر مسمار في دمه كما اعلن ذلك لويد جورج رئيس حكومتها آنئذ فأمدت حكومته اليوان بأنواع السلاح ولعتاد والكرامع وألبتها عليه ولكن سوء حظ لويد جورج لم يسعه بغير خطته ونجاح تديره فسقط مقهورا وولي مدحورا ، ونجا هذا الشعب المكروب بصدافة بريطانيا من الموت بالعصوة ، وبمصادم عوامل واسباب حارقة وقد سبق ذكر بعضها في إحدى المسسات .

وهذه ايران الوديعه المسألة ارادت بريطانيا ان تهتمها في عام ٩٢٠ ورضت عليها تلك المعاهدة الجائرة التي قضت على كل أمل في الحرية والاستقلال لهذه الدولة ولكن طروفا غير منتظرة طرأت وأجبرت بريطانيا على ترك البلاد دلا هلم . ولو لم تشب نار الثورة العراقية قوية واضطرت بريطانيا الى ان تسحب قواتها المنتشرة في ايران آنئذ ، ولو لم تعد الحياة الى روسية السوفيتية ، لكان مصير ايران الذي لاقته في عام ٩٤١ قد تقدم عشرين عاما ولكن الثورة العراقية ، من جهة وعودة التنافس الروسي - البريطاني في ايران الى وضعه السابق ، باستعادة روسية السوفيتية قوتها ، من جهة كانت عوامل من شأنها ان ترجى بهاية ايران . على ان بريطانيا ما أنفكت تناجز ايران ، في خلال العشرين عاما لتي مرت بين ٩٢٠ و ٩٤١ ونهت شبابها

واحاديها . وكان رعبها بوجه خاص ما كانت تجده في الشعب الابراي من
عزم صادق لتقويم نفسه ورفع مستواه بعداوتها المتأصلة لكل حركة هومية
ونهمضة اشائية ، فما آذت العرصية ، وتم الاتفاق بها وبسي روسية إلا
واحتاحت جيوشها كرة أخرى البلاد الابراييه وأخصصتها الى مشيبتها محبة
واهية يحجل الانسان من مناقشتها لوصوح بطلاها .

قلت أي لا أريد ان أورخ الاستعمار البريطاني أو أحصى اعتداءات
بريطانية على الممالك والشعوب وأما أريد أن اصرب بعض الامثلة وأمرده
شيئا من الحوادث التاريخية لتأييد ما ذهبا اليه ، فلهذا به ، ولرسم صورة
تمثل حقيقة الجشع البريطاني ولصنع مقياسا انفس به انانيتها وميلها القوي
الى الاعتداء على الحقوق .

وهذه الامثلة والحوادث التاريخية قد شاهدنا بعضها بأعيننا ولخص
الا آخر قد تحدث به الينا تاريخ العصور الحديثة وما هي إلا فطرة من بحر
الاعتداء البريطاني ، فاداهمنا منها ؟ فهمنا ان الامبراطورية تأسست على
العدوان وسقيت أصولها بالدماء . وقامت صلاتها مع الممالك والشعوب على
مقاومة الحريات والنهضات فيها وكما أمن الانسان في تاريخ بريطانيا
تمحيصا وتدقيقا كلما راد ايمانه بهذه الحقيقة . أذن فكيف يمر الباحث في
الشؤون الدولية ، من دون ان يسجل لهذه الامبراطورية احداثا وقائع
تمتزع فيها الدماء والدموع والآلام ؟ والغريب في أمر هذه الامبراطورية
انها ان فازت على أمة وفقت عليها فيها وإلا فاتها تخلق أساما جديدة ، لتجعل
من تلك الائم التي لقيت منها ما لقيت ، آلة صماء تستعملها في أغراضها وانها
على الاكثر تسبح في ذلك . فهذه اميركة التي وصفتنا طرفا من أخسارها
مع بريطانيا وهذه فرنسة وهذه تركية الجمهورية أقول ان هذه الدول برعم
ماحدث بينها وبين بريطانيا فاتها كانت وما تزال تنفذ مشيبتها وتسير وفق

ارادتها ففرسه فعب على كيان في سبيل بريطانيا وأمر كة قد وضعت مستقبلها في
 كف لقدر مرة أخرى وكما بها تعتبر بحوادث القرن الثامن عشر والمصنف الاول
 من القرن التاسع عشر فهي لم تعتبر ابداً الدروس القاسية التي لقتها بريطانيا عليها
 وعلى رئيسها وبلدونها ان تنصرت في الحرب لكونية الأولى بفصل معا ومنتها لها،
 وهذه مكرية تصعب بدنها في يد بريطانيا التي قاومت الحركة الانشائية بعد
 الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ وناهضت الحركة السكالية واستصدرت احكام
 الاعدام على مصطفى كمال وردفنه في الجهاد من الخليفة باعتبارهم عصاة
 ثورة، وحارب ان تنق آخر مسار في العيش العثماني تتحير هـا اليونان
 وتسير هـا عليها فاد، يعني ذلك؟ هل ان هذه الدول أصبحت من الغلة بحيث
 لا تمبر صديدها عن عدوها، وصاحبها عن طامعها، أم هي المصالح الدولية
 والمدافع المشتركة قد دفعت بها الى هذا التساند وانعاضد، أم حظ بريطانيا
 وطامعها؟ نس من شك في ان المقول في كات وما نزال نسير هذه الدول ليست
 بالمقول التي تمسها، اعقبة وسورها الدسيان لأن أساليب بريطانيا لم تعد
 حافية على الدول البسيطة والافهم لتوسطة فكيف يجوز ان تحو على رجال
 مثل هذه الأمم وفادتها، وانما اكبر اهن انها المنافع المشتركة والمصالح
 الدولية هي التي هيئت لبريطانية هذه الانجواء الصالحة، ومكنت لها من
 تسخير هذه الأمم لتحقيق مطامعها واهدافها، واس من حقنا ان ندعى
 امره بالمصالح لأميركية اكثر من انائها، أو زعم الحرص على منافع
 فرنسا أو تركية اكثر من رجالها ولكن هناك أوضاع عامة واضحة،
 وقصايا دولية مبسوطة لكل دي عيسى ومث هذه الاوضاع والقصايا يسوغ
 لكل احد ان يسي ربه فيها فلنأخذ فرنسا مثلاً هي منعتنا في معاداة
 المانية ومصادرة بريطانيا مع ان الأولى حارنها، وليس لها مستعمرات تصطدم
 مدافع بها وثانية بعيدة عنها ولها حالات، من استعمارية أو انتدابية أو مطامع

رفض المرشح الألماني لعرش أسبانية وقد كان هذا الرفض ترضية كافية
 للغرور العرسي ولكن « بليون الثالث » لم يكتف بذلك وإنما أراد تعهداً من عاهل
 بروسيا بأن لا يتقدم أمير ألماني في المستقبل ليرشح نفسه إلى هذا العرش .
 وما معنى هذا الطلب غير المعقول ، إذا لم يفسر بأنه كان يراد به الاغراق في
 أهامة الشعب الروسي ممثلاً بملكه . والامعان في إبدائه شعوره ؟ أن
 بريطانيا كانت تفيد من ذلك الراح ، وأنه كان من صالحها أن تشتك فرنسا
 بالشعب الروسي الذي مدت عليه محابيل لقوة والفشاط عوض أن تشتك هي
 به فعمل أن تكون حمايته على بدعيرها ولكن ذلك الراح لم يكن بوجه
 من الوجوه معيداً لفرنسة ، وكذلك فإن الأوصاف بدعو فرنسا أن تعذر أن ألمانيا
 كانت سخرية في مؤتمر فرساي ولم تكن ممنة في التشديد على فرنسة المقهورة وإن
 معاملة سبارك في ١٨٧٠ لم تكن نشاءه معاملة كلينمنصو عام ١٨١٨ . على أن الجروح
 كانت قد تكافأت والدماء قد تنهارت بانتصار عام ١٨١٨ ولم تعد المانية تفكر في
 إعادة الأكراس والورين أو في التعرض بالمصالح الفرنسية . وإذا كان هناك حق
 يحور الاشارة به ، فيجب علينا أن نذكر المحاولات الألمانية المختلفة لتقريب
 وجهتي النظر بين الشعبين الألماني والفرنسي ولتعهدات المتكررة على لسان
 المسؤولين في المانية بشأن انصراف نية الرايخ الثالث بصورة نائمة عن المطالبة
 بالأكراس والورين فما هي إذن منافع فرنسة ومصالحها التي تدعوها إلى أن
 تشتك في حرب مع أمة تسعى إلى مساومتها ، وترغب في مصافحة يدها ؟
 فالصراع الحقيقي هو بين بريطانيا والمانية . لا بين فرنسة وبين المانية لأن
 بريطانيا ليس من شيعتها أن ترى أمة نهض على قدميها ، وتنبض عروقها
 بدم الحياة ، وتركها وشأنها . وهذه شفتنة عرفت عنها دانت علقمها فرنسة
 نفسها غير مرة . بريطانيا هي التي كانت في حاجة إلى صداقة فرنسة بعد أن
 خدعت الحصة لدمر الألماني في مياه أوربة وتولاهما بقي لبريطانية نفوذ في

الاوساط الاوروبية ولا مكانة مرموقة في مؤتمراتها ، أو كلمة نافذة في تسيير
 سياسة دولها . فبفصل فرنسا احتفظت بالهيبة والنفوذ فادما جنت فرنسا من
 تعصبها مصالحها في سبيل بريطانية ؟ ان بريطانية ليست لها صداقة تركز
 على مثل عليا ، وانما صداقتها وليدة المنافع لمادية الخالصة فهي تلتقي
 الصداقات ، لتأمين هذه المنافع ، وتثير المداوات والخصومات بغية الاحتفاظ
 بهذه المنافع ولقد مرنا بحث عن مدى الصداقة التي كانت تربط الامبراطورية
 البريطانية بالامبراطورية العثمانية وكيف كان هلاك الأخيرة سبب اعمال
 الاولى وانها في الأخير عازمت على دق آخر مسمار في نعش صداقتها التي
 استصعبت خيرة املاكها ، وغيون ممتلكاتها ولا تعدو الصداقة الاسكرية
 الفرنسية هذا النوع المادي من الصداقة فهي ساعدت فرنسا بعد اندحارها
 في واقعة سيدان وتسليم امبراطورها ولكن هل ان بريطانية كانت عاجزة
 عن ان تدفع الكارثة قبل حدوثها أم لا ؟ اللهم انهم ! لقد كانت قديرة على
 ذلك ، وفوق ذلك فان الملكة فيكتوريا ارادت مخافة أن تتدخل في الزراع
 قبل استمعاله واحت في تنفيذ ارادتها ولكن علاستون وزيرها الاول
 وزعيم الشعب البريطاني وقتئذ حال دون ذلك حال دون تنفيذ ارادتها لأنه
 كان يرغب من صميم قلبه ان تقع الحرب ونسك الدماء لعل بريطانيا
 تتخلص من المزاحم القوي الجديد ولكن حجة الطاهرة التي ادلى بها امام
 ما يمكنه كانت ليس هناك منفعة لبريطانية من هذا التدخل كونه لا يعود
 لبريطانيا أن تحقق الدماء أو تسمى في حق الدماء الا اذا كانت هناك مصلحة
 مادية لبريطانيا . ومعلوم ان التدخل الذي رعبت فيه فيكتوريا لم يكن بكاف
 امبراطوريتها نفقات أو انها لا قبل لها بها فامعنى اعتذار الرئيس البريطاني
 بأن ليس هناك منفعة للامبراطورية من هذا التدخل ؟ ولكن بعد أن
 اندحرت فرنسا هو دمه طلب اني ملكته أن تتدخل لصالح فرنسا لأن

التدخل أصبح مافيا للأمبراطورية البريطانية . فإذا بقصر أحجامه
 الأول عن التدخل وأقدامه في آخر الأمر على التدخل إذا لم تكن منفعة
 بريطانية في نظره في أول الأمر كانت تقتضي اصطدام فرنسا بمراحمها
 الجديد ولكن لما وجد الدائرة تدور على فرنسا لا على هذا المراحم دلف إلى
 إلى ملكته يطالب منها التدخل وإلى الدول الأوروبية الأخرى يستنصرها
 ويستنصدها لحقن الدماء وإحلال صلح شريف بين الأمتين الأوربيتين ؟
 وبريطانية قد نفست عن المانية كثيراً في موامم عدة في الفترة التي مرت بين
 الحربين العالميتين أراجا امريسة لانيها وجدت فيها نشاطاً لا تأس له واندفاعاً
 بمس كبرياتها ونهوها في أوربة . لذلك لم تؤيد فرنسا في اقتراحاتها حينما
 أعادت المانية السار والرين ، وقابلت هذه الحركة الألمانية الحريشة باغماضة
 عين وهي تريد أن تحتكر كل شيء لنفسها ، السلطان ، الفوز ، الأموال
 المدن ، الشعوب . وإذا طمع شعب من الشعوب في شيء فيجب أن يكون
 برأيها والقدرة الذي تقدره هي ، وإن كان هذا الشعب حليفاً لها . وأثبتت صدق
 وعائمه لها في مواقف لا تعد ، ومناسبات لا تحصى . ولماذا ذهب بعيداً ولدينا
 مثلان رائعان ما رالت ذكرهما طرية في الاستماع ، دية في الأذهان ؟ أراد
 القيادة العليا البريطانية في أوربة أن تهرب بقصصها وقصصها من دنكرك إلى
 الحريشة البريطانية ، والجيش الألمانية كانت آخذة بحناق الجنود البلجيكية
 يومئذ ولما أي ملك بلجيكا حارجه موهب حيوشه واقتنع بأن لا فائدة مرجوة
 من استمرار المقاومة وتكثر عدد الصحايا بدون مبرر قرر الاستسلام مع
 حيوشه . هذه حالة عسكرية تلبس بها كل قائد ويضطر اليها كل ملك
 أو رئيس دولة لأن الاستسلام بعد تأدية واجب الدفاع ليس أمراً منكراً
 أو عريداً ولكن بريطانية أقامت الدنيا واقعدتها ضد الملك وأركان حربه
 ورمتهم بالحياة والصقت به وبهم أنواع لتهم . ولماذا كل ذلك ؟ لأنه لم يأمر

جنوده ان يموتوا الى آخر واحد منهم لبشاعلوا العدو واهبطوا بذلك جنودها
سهيل المريعة ؟ ان المريعة من دون مقاومة لا تكون خيالة لان
انتهزمين بریطانيون . اما ملك البلجيكي ورجاله وجنوده فاهم
حائسون لانهم ساءلوا بعد قتال عنيف ، ودفاع مجيد .
ونسيت بریطانية ان البلجيكي ليست هي التي اعلنت الحرب على
الماينة وانما بریطانية هي التي اعلنتها ونسيت ان ما دافعه وندوقه الشعوب
والممالك الأوربية من مرارة هذه الحرب انما كانت سببها ونتيجة لشعها
وانانيتها ونسيت كذلك الصحايا التي قدمها الشعب البلجيكي والمواقف
الجريئة التي وقفها مليكه . نسيت كل ذلك ورمتهم بالخيانة لانهم لم يموتوا
انفسهم لأجل نجاة جنودها انما كسبي الى ارض الوطن أية اقاية هذه
واية قسوة ؟ نطلب القاء لجيوش عددها يرمو على الارض مئة الف لا مائة لهم
في هذه الحرب ولا جمل ، لتقد اقن من نصف هذا العدد ، من جنودها الذين كان
عليهم ان يحموا الحرب لانهم جنود الدولة التي اعلنت الحرب

ولم يكن نصيب فرنسا من الجحود وكران الخيل من بریطانية ، فمن
نما لاقت البلجيكي وغير الناحيك . هذه فرنسا التي تأثرت خطى بریطانية في
سياستها واستسلمت كل صعب في سبيلها وضعت نكباتها ، وشبابها وبلادها
وبتاريخها اعامل بمطامير الأمور لم تكن في نظر بریطانية الا حالة حية
اضطرت اضطرارا لعقد الهدنة وانقاد الجزء الباقي من الدمار ولماذا ؟ لانها
لم تواظب على قذف بنيتها في افواه المدافع وعلى تعريض ما تبقى من الوطن
الفرنسي للتخريب والدمار . لذلك كانت فرنسا حائرة واسكن بریطانية التي
لا تجود بالعدد القليل من المدد الذي سبق ان ارسلته الى اوروقة للاستراة في
الحرب فتعيده بسرعة عن طريق دنكرك فهي محطمة وفيه . ولم تعدل الصحف

البريطانية ، لم يجعها ولم يتطامن ساستها وقادتها في نصر بحاتهم وبياناتهم ضد
فرنسة الاتحاد ان اتصل بهم ديفول واتباعه فحفظت فرقت بريطانيا بين فرنسة
الحائنة وفرنسة الوطنية وهكذا نجد بريطانيا لا تقيم وربما لصداقة ، ولا تقدر
نصيحة حليف ، الا بقدر ما يصيبها من نفع مادي . مثلها العليا المادة . والمنفعة
والمصلحة . ويمكن أن يلخصها بالمادة والآن كما اندحرت الجيوش البريطانية
وقواتها الاخرى في ميدان من الميادين الحربية تهرع الى المستعمرات الفرنسية او
الملاذ التي تحت نفوذها وتستولي عليها قبالة من قصت على سورية واليوم لتتجر على
مداعشقر وعمار بما على عربي افريقية او شمالي افريقية كأن لها على فرنسة ثأراً
او دياناً لاحقاً من احلمها ، حتى في أيام محنتها وساعات شقائها . ولحطات نزعتها .
ولو كانت فرنسة تلزم الحديد لما جرأت بريطانيا على الحرب مع المانية .
ولو كانت فرنسة متعقة مع المانية وهذا ما كانت تسعى اليه المانية للعت في
السياسة العالمية ادواراً لم يسجل التاريخ مثيلاً لها . ولكنها اسلست قيادتها
الى بريطانيا التي لا تمحكر إلا في مصالحها . ولا تسمى إلا لاجل منافعتها
فأصابها ما اصابها . ولا تدري أنعروا ذلك الى حظ فرنسة السوء أم الى طالع
بريطانية الحسن أم الى اسلب مارالت حافية على الجميع ؟

ليس في وسمي ان انهي اثر الخط وانكرو وجوده للمرة . لاني وحدث
كثيراً من جبايرة العقول يعترفون . بالخط وأثره في الفرد وفي المجمعات
وهذا ما كيا فيلي الذي يعد من الطراز الأول من مفكري أوربة فانه قد
عقد مصولاً ممتعة في كتاب الامر وذكر حوادث تاريخية واقعية متنوعة
يسند الدعاج فيها الى موازنة الخط ، والعش فيها الى إدبار الخط . وانما كان
يعمل معقول الخط ، تميلاً يختلف عما يعمل به الخط اولئك الذين لم يوهبوا عقله ،
ولم تمنحهم الطبيعة عمق تفكيره . فهو يقول ان نصف العوز قد يعود الى الخط
والنصف الاخر يعود الى السكفاءة والقابلية فقد يساير الخط فرداً من

ذوي العقول الصغيرة ويسمو به الى مكانة رفيعة ولسكه اقله تدبيره ، ولضعف
 حيلته في الاحتفاظ بهذه المكانة الرفيعة ، لا يلبث أن يهوى من عليائه ،
 ويحطم . والاخر يساير الخط كذلك ولكن له عقلية ناضجة ، تمكنه من
 الاحتفاظ بما وصل اليه وله قابلية مدبرة تفوق على التفارب على كل ما يعترض
 سبيله من عقبات كثوود فيطرد هوره ، ويضرب مثالا لذلك لينا اسك ، رهور حيا
 الذي اوتي حطا حسنا وعقلا كبيرا . ولعل وصول القائد الألماني بلوخر
 بقواته الى ميدان واترلو فيما كانت جيوش ويلينكتون تعاني مرارة الهزيمة
 وانقاده الموقف في المعركة ، بعد نوعا من الخط الحسن بالنسبة للعالماء ، ومن
 إدمار الخط بالنظر الى نابليون ويعرو فيكتور هوغو وصول بلوخر بالسرعة
 التي لم تكن مستطيرة ، سلوكه طريقا قصيرا لم يكن يعلم به وانما اشار عليه
 بسلوكه احد الرعاة الذين صادفهم في طريقه بطريق الصدفة . وسواء كان
 هناك شيء يسمى « الخط » أم لم يكن فقد تشاب صدق وطواري ، وتنصاهر
 اسباب وعوامل ، خفية أو ظاهرة تسبب الغور والجحاح ، أو تسبب الفشل
 والخيبة . وان من يحسن انقهاز تلك الصدق والطواري ، والتصرف بتلك
 الاسباب والعوامل ، يصيب الغاية والهدف ، ومن قصر في ذلك لحقته الخيبة
 ومي بالخسران ، فالمسألة ادن مسألة عقل وأدراك قل ان تكون مسألة صدق
 ومهاجمات . وبريطانية من ابرع الأمم في استغلال الصدق والطواري ،
 ومن أمهر الشعوب في استغلال الاسباب والعوامل ، التي تهى لها الفوز
 والجحاح وهذه حقيقة لا يحور لما انكارها عليها برعم خصومتنا لسياستها
 لذلك استطاعت ان تسير اسياسة الفرنسية لصاحبا دائما لانها كانت تعرف
 كيف تلدس العرق الحساس من عروق فرنسة ولائها كانت تحيد التصرف
 في استغلال عواطف هذه الأمة اللاتينية القوية الابدفاع ، السريعة التهييج ،
 المتنبهة الاحساس ، فتصحت في تصوير الاخطار الألمانية ، على فرنسة وفارت
 في تمثيلها دور الحريص الصادق في حرصه على المنافع الفرنسية والكرامة

امريسية مستغلة الحوادث التاريخية واسباب الزرع الماطعية . وكما انها
 صرحت على الاوتار المثيرة لمواطن فرسة ومحجت في ذلك ، فهي كذلك
 صرحت على الاوتار المادية لتثير مخاوف اميركة من توسع سلطان النازية ،
 وتعلق بمصلات الرحم واقرني تعلقا شديدا . ان قد صورت تدهور الصناعة
 الاميريكية . وضيق ثروتها ان فازت المانية تصويرا بارعا من ناحية ومن
 اخرى فقد ناشدتها المونة والمساعدة مستقصرة بحميتها الانكلوسكونية
 لائذ بدماها «الورديةكية» النهائية . وان اميركة آمنت بهذا التصوير ،
 ورأت نفسها ملزمة بمداد دوي قرباها ، وبني عمها . واسكنها نسبت
 الصراع الذي قام به واشطون في النصف الاحمر من القرن الثامن عشر ،
 وسبب المعارك المتسلسلة التي اثارها بريطانيا عليها نارة بصورة مباشرة ،
 واخرى عن طرق غير مباشرة طيلة قرن كامل تقريبا مد فار واشطون
 العظيم طرد القوات الانكليزية من الوطن الاميريكي . وخلال ذلك العصر
 رهيب المترع لمصائب والمواثب نرحبها بريطانيا على الوطن الاميريكي
 ارحاء ، وترسلها عليه ارسالا ، لم تكن تربط به تفكير بصلة الرحم ولا تحمل
 بالدماء الورديةكية ان تسيل عريضة في سهول اميركة وحروبها ولكنها
 تلمست هذه الصلة . وبصرت عنها هذه الدماء بعدان قطعت الرجاء من
 عودتها الى اميركة امرة ناهية . وبعد ان نهضت الامة الاميريكية على
 قدميها وبريطانيا واقفة حيرى ، تقطع نياط قلبها الغيرة ويحز فيها الحسد
 ويرمصها حقد دفين . وهن يطن رورفلت انه خدع امته بحروجه على قاعدة
 موثر ومغامرته بمستقبل وطه للدواع عن مصالح بريطانيا الاستعمارية
 «بما لا يوجد هناك اسباب تبرره هذا الخروج وتلك المغامرة ؟ وعاد ذلك فان
 بريطانيا وعدت اليهود بالوطن القومي في فلسطين على حساب الشعب العربي
 ولليهود سيطرة مالية ، ونفوذ اقتصادي متعلم في الاوساط الاميريكية

وانها لا تزداد في ان تمنحهم الهلال الحبيب العربي برحمته اذا عم اعادوها في
احالة امير ككة الى جاسها فلماذا لا عظم اليهود حملانهم القوية العيفة في
امير ككة ، ليوحوا سياسة روزفلت شطر سياسة نشرش ؟ وما يمنع ليهود
ان يستبسلوا في هذا المية ان ، ويشدوا لا بناء قومهم الذين شردتهم النازية
عن البلاد الاثمانية ، ويصبوا بلادا وسعة يقيمون فيها دعائم صهيوبيتهم ،
وان يضربوا عصعورين بحجر واحد ؟ امير ككة اذن قد اسافت بقوة
اليهودية المتمكنة فيها ، وبمهارة السياسة البريطانية ولم تكن هناك مفاع
امير ككة معرضة للخطر ، او مصالح مستها المانية او في نيتها ان تمس بها في
المستقبل وهكذا تجمعت اسباب وعوامل ونمبات فرص ومساهمات استغلتها
بريطانية استغلالا بارعا ، وانصرفت فيها نصرفا ما كرا اجذعت امة تمتلأ
بثقافتها وحضارتها وبررب بصناعاتها وعمرانها لتدرك الانحصار عن ممتلكاتها
وتدفع المصائب والويلات عن حريتها . وماداهم هي ؟ قد صرعت
فرنسة ولم تقو بعد على الموضوع ، وتعضت اوردية بالدماء ، فكيف نطن امير ككة
سائلة من الرزايا والمحن ؟ فان كانت امة اندحاراً ، فبمس وحدها الى
تموت ، لقد سافت الى الموت فم الامم اوردية جمعاء ، وهما هي تموت ومعها الامم
الجديد برحمته وان كسبت احرب ، وانتصرت فلاس روزفلت اعظم من
ويلسون . ولا هو باوسع نفوذا منه ، ولا اصبح عقلا . اما وانها قد اعادت
ذاك العظيم الى عالمه الجديد بحرب اذبال الحمية فهي مطمئنة من ان مصير
روروت سوف لا يكون اقل سوءاً من مصيره وان نهايته سوف لا تكون
أخف حزفا وأيسر ألما . واني اكاد في هذه المحطة والحرب في اوجها -
اتحسس مصير روروت مائلا امامي . في حائتي الانتصار والاندحار !! (١)

(١) حق ان الامم انصرفت اليوتين و بها لا في شمس شمس كادجه اس ،
اشيوعية ودم شمس في الله .

ويجوز ان تظن تركية ، انها قامت بتعهداتها تجاه بريطانيا وارضت
كبرياتها . فان هي تظن ذلك فقد تحطى خطه عظيم . ان تركية قد خدمت
بريطانية في موقعها الحيادي المشوب بميل طاهر اليها ، وأبقت الشرق
الوسط والشرق الأدنى من نفوذ جيوش المحور اليها . وانها لو كانت قد
نساهت ، أو لو انها اتفقت مع المانية ، لانهت امبراطورية بريطانيا في
الشرق ولا نهارت ناقص من لمح لمصر . فموقف تركية قد أثار بريطانيا كثيراً ،
ولكن بريطانيا لا تنفع بذلك . فانها بالمساعدات المادية التي تعهدت بها الى
تركية ، وبتحالفها الذي عقدت احكامه وبثوده معها ، كانت تفتقر ان تعجز
معه في الحرب ، وتنتهي شعبها في سبيل سلامة الشعب البريطاني ، وهي قد
أشارت عليها بذلك لما أقترت الحرب من الحدود التركية ، وانهارت الدولة
اليونانية ، وانها قد لمحت اليها لما اندفعت قوات روميل الى الحدود المصرية
منعقة جيوش الجبال أو كينك ، ولكن تركية تصامت عن ندائها ،
وتفاضت عن اشاراتها وتلميحاتها . وبريطانية لا تقبل صداقة لها مثل حلبا ،
واما تقيمها على المدافع المادية المحضة ، وانها لا تقبل عذر يؤيده الحق ،
وبعززه الصواب ، ما دام هذا العذر يسبب لها كذا ونسبها ويكلفها خسائر
فهي ان سكنت عن تركية اليوم فانما تسكت على مصص ، وان هي
انقسمت لها فانما تنقسم التسمية صفراء تنطوي على حقد مشوب ، وروح
تصطرم بالخصاء . وادا كان نقاء تركية قائما على التنافس على الدردنيل
مبرطانية قديرة على استساط الوسائل للتؤدية الى فض هذا التنافس واعطاء
نهاية له فهي لا نعدم براعه تفودها الى العور . ومهارة تؤدي بها الى الانتصار
سبها اذا خرجت طاهرة منصور . وبريطانية فوق ذلك تشرف على افطار
مجاورة لتركية فيها كميات غير قليلة من العنصر الكردي . ومواطن هذا
العنصر مساوحة أو قريبة من الاضاحول الذي يشتمل على عدد ضخم من

الا كراد . فيكني لبريطانية ان تنشط الفكرة القومية ، وتوقظ المواطن
المنصرية ، في هذا العنصر القوي ، لشجاع تنصطرم نار الثورة في اكثر
بلدانها وتخلق لها مشاكل متصلة لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة فيها . وهذه
حركة ميسورة لبريطانية ، لا تفقر الى اثارها الى مجهود كبير . أو
مهارة فائقة .

وان ربح المهور الحرب ، مستقبل تركية أشد ظلاما ، واكثر
تعريضا للاخطار لما اصابه منها من دعايات عدائية ، ووفعات لا تبررها خطة
الحياة . على ان المانية لم تكن يوما مسببة الى تركية وانما بالعكس فقد
كانت خليلتها في الحرب الماضية وشريكها في المصائب ، التي صبتها على
كليهما دول الحلفاء المنتصرة . فكان منطق الحوادث يقضي على تركية ان
لم تسارع الى جانب المانية ، فهي على الأقل تلتزم الحساد التام المطلق ،
وما التزمته . ولئن اعتذرت تركية بحورها من مطامع ايطالية في بلدانها
فهذا الخوف لا اساس له لأن المانية أقوى من ايطالية ، وانها اذا اخلعت
ا تركية فليس في قدرة ايطالية ان تخرج على ارادة المانية . مع ان الحالة
بالعكس في صلات تركية ببريطانية . فبريطانية لا تلتزم صديقا ، إلا اذا
كانت هناك منفعة مادية وهذه سجيئتها . وأناي لا أقول ان المانية أو غيرها
من الدول متجردة من المنافع المادية في صداقاتها ومحالفاتها وانما أقول
ان لا المانية ولمثل المانية من الأمم العسكرية ذات النفوس القوية مثلاً عليها ،
تتمتعها من الغدر بالصديق ، والفتن بالخليل من دون أسباب قوية مجزية .
فهي بقدر ما تلاحظ منفعتها تلاحظ الشرف والاحكام بالتقاليد ، وتنفيذ
الوعود للقولية والعهود الخطية ولكن بريطانيا تختلف عنها بأنها لا تلاحظ
إلا منفعتها فقط ، ولا تنزد في أنيان أي نوع من أنواع المنكر اذا قضت
بذلك منفعتها سواء لديها في ذلك العدو أم الصديق . وهذا تأريخها حاصل

ما شواهد التي لا تقبل النقص ، والامثلة التي لا تحتل الجدل والنقاش .
 هذه مجرد احتمالات يقتضيها منطق الحوادث وطبيعة الأوضاع السياسية
 التي مرت بنا . وكما انه لا قلب للسياسة كما يقولون وقد يجوز ان لا يكون
 لها منطق ايضا . والذي أرجوه مخلصا ان يكون الشعب التركي في نجوة من
 الاستبدادات وان تيسر له سبل التقدم والمجاح . لانه شعب صديق مجاور ،
 تربطنا به روابط تاريخية ومصالح مشتركة ، ونصلنا به وشائج قرى ودين
 قوية ولشقات الشعب العربي ان ينعم اليوم بنعيم الحياة الحرة ، وان ينعم
 سحر الاستقلال فقد بسره على الاقل ان يتلمس هذا النعيم في جاره المسلم وان
 يتحسس النور وهو ينبعث من بيت صديقه الشرقي .
 وصعوبة القول وان بريطانيا قد اهدت اساساتها السياسية وتوحدت
 براعتها في ادشاء الصداقات ، واحداث العتق والاضطرابات ، وبرزت على
 جميع الأمم في ماديتهما وأدبيتهما ولا يسمع المتقنع تاريخ مشاطها ، في ميادين
 الاستعمار وفي تسيير السياسات المتنايزة إلا ان يطمسك العجب ويساوره الاسهاس
 من هذه القابلية . ومن هذه الناحية كانت خيمة الوطن العربي تستمرها أليمة
 ونصيبه في الاشقاء من سلطانها عظيما ورزؤه كبيرا .

عمل متواصل !

قال « كات » . « حاسب نفسك اذا سقطت واذا خدعت فالذنب
دنك واذا قعدت العجز والفاقة فمعي ذلك انك لم تعمل شيئا لتكون
عنيا ... » . ذلك لان الله عز وجل عندما خلق الانسان قد اودع فيه
قوة مدركة ووجدانا بهما يدرك الخير والشر ويشعر بالجمال وفتنته ، والقبح
ومعرفته ، وصحة ارادة تشير عليه وتوجه سيره في هذه الحياة ، وفرض
عليه المسؤولية لقاء تفصله عليه بهذه الارادة . ولذلك فان « كات » كان
مصبيا حقا حين وجه خطابه للانسان فقال له حاسب نفسك اذا سقطت
واذا خدعت فالذنب دنك واذا قعدت العجز والفاقة فمعي ذلك انك لم
تعمل شيئا لتكون عنيا . واخر كات الشعبية . والهجمات القومية توجد
هوى الانسان وتسيرها ارادته ، فان نبحث فمعي ذلك ان القائمين بها كانوا
قد احتاطوا اسكل امر ، ونسروا واحكموا حططهم ، واحسنوا التصرف
في تنفيذها ولم يتركوا متهدداً يتسرب منه الوهن والضعف ، فتحصوا بيقظتهم
وحسن التصرف مواطن الخط ، وانفقوا موارد العمل والطبقة وان خات
فمعي ذلك انه كات هناك اسباب دعت الى الخيبة اعطها الفاشيون بالحركة
او تهاووا في انقائها او انهم لم يقفوا على الصمود في وجهها . فلا نور
ولا نجاح من غير سبب ، كالا فشل ولا خيبة من دون دواع او حداثها .
هذه هي سنة الكون ، الثابتة التي ان يعترها تغيير ولن يتناولها تدبيل .
وان الخط الذي قال به كثيرون من المفكرين فلم يكن في الحقيقة الا

ملائمة ظروف ، وتوافر فرص وصدف ، استغلها المخطوط والمجدود ففاز
سفينته ومناه فلو لم تستغل لما كان هناك فور اذن بالاستغلال ، والصرف
الحسن لهذا الاستغلال مما سبب نجاحه وما اثر من وجدانه ، وثمرة من
ثمرات قوته المدركة لا الظروف ذاتها ، ولا الفرص ولا الصدف نفسها .

لقد مر خلال البحوث السابقة كثير من الشواهد والامثلة الواقعية (١)
صربناها في سبيل تلخيص الاسباب والعوامل التي ادت اما الى نجاح الحركات
والهجمات واما الى اخفاقها وخيبتها وكانت هذه الشواهد والامثلة ،
حقائق واقعية منها ما شاهدناه في حال حياتنا ، ومنها ما حكته الينا
الحقائق التاريخية ، ونسجته لنا ايدي المؤرخين والمفكرين ، وصورته
عقولهم وافكارهم . والحركات العربية التي انتهت بالاخفاق ، كغيرها من
الحركات التاريخية اصاب الفائمون بها في مواطن ، واخطأوا في مواطن
ولما كانت اخطاؤهم غلت اصاباتهم ، فقد حقت عليها الخيبة ، وفرض
عليها العشل والمذلان .

ولئن حاولنا استقصاء اسباب العشل ، واستجلاء عوامل الخيبة فليس
هدا معناه اننا نريد ان نوهن المرائم بالنقد ، وان ندعوا للنش ورجال
المستقل الى اليأس والقنوط بالتجريح بالعكس فانما نبتغي من وراء كل
ذلك نفوذة المرائم وشجدة المم ، واثارة النعوسة والحمية من جهة ومن جهة
اخرى تجنب الاخطاء ، واتقاء السقطات لتكون الحركات المقبلة اجدى
فعما ، واحكم تدبيراً . والخيبة ليست عاراً ، كما قلت مراراً ، وانما العار
السكوت عند الخيبة ، والاستسلام للقاتل بعد المذلان . في الامة التي تجري
في عروق نبها دماء الحياة ، وتعمر نفوسهم عناصر القوة ، تكون الخيبة
اقوى حافزاً ، لهمم راعظم اثرأ في اعداد النعوس الى النشاط والكفاح . ولقد

(١) ما جاء ذكره في هذه المقدمة او في اصول الكتاب التالية .

كان الرومانيون يستمدون قوتهم من هرائهم، ويستوحون شاطئهم وفهاليتهم من اندحاراتهم اكثر مما كانوا يستمدون ويستوحون من انتصاراتهم وغالياتهم. ولقد كان اندحار المسلمين في واقعة أحد سبباً لا انتصاراتهم التي انتهت بسقوط مكة في ايديهم وتعليلهم في داخلية شبه الجزيرة كما ان خيبتهم في واقعة مؤتة كانت عاملاً قوياً لثقتهم في خارج الجزيرة واخضاعهم لقطر الشام. والذي يقرأ تاريخ الاسلام بتمعن يستطيع ان يدرك ما احدثه الاندحاران، في أحد وفي مؤتة من ألم في نفوس المسلمين، وما اثار هذا الألم من همم وألمب من عواطف، وشغف من عرائم، هيأت لهم الانتصارات المقبلة. والتاريخ لعربي، طامع بالامثلة متأق بالشواهد، لكل نوع من الابحاث التي سبق مسطها وانما يتحصيها المؤرخ، ولا يعمها الكاتب لأن اكثر رجالنا واعظم شائبا - مع الاسف - يلمون بتواريخ الامم العربية عن العرب، اكثر من إلمامهم بتاريخ امتهم وحوادث وطنهم، ولا يريد الكاتب والمؤرخ ان ينفذا الى صميم ارواح القارئ بحوثها ونظرياتهما، بصطران الى اقتطاع امثلتهما، واختطاف شواهدهما من تاريخ العرب ووقائعهم ولهذا السبب اتعدت في بحوثي عن التاريخ العربي وان كانت تنقص به عاقبة. واعقلت شواهدا وامثلته في كثير من المواطن وان كانت الروح بها مقتونة والهة.

والآن اعود مرة اخرى الى تاريخ الامم العربية لا نزع من بين متونه الامثلة والشواهد. فاروي قصق عظمة المانية واتحاد ايطالية نعتبر بحوادثها ونتمظ بوقائعها.

أ - اتحاد المانية

قلت عبر مرة ان عظمة المانية نشأت عن كارثة «يه نا» حين اجتاحت اراضيها نابليون بحبوشه الحرارة ولم يقف رحمه إلا بعد ان أذل برلين،

و أحصاهما أسلطانه . فكارثة ديه نا ، اتى انتهت بأن تقع برلين صريعة تحت
سمات خيل بالمليون ، كانت للألمان مشار آلام موحدة ، ومصدر احزان
مروعه ايفظتهم من رفقة ، وبنهم من عهله كانوا فيها سادريين ثم تلاذلك
فيهم لعداء في جامعات ، والشباب ، ثقف بحملة انتقادية قاسية تناوات كل
شيء في المانية والمانية في ذلك الوقت . وأن لم تكن بلادها خاضعة للحكم
الاجسي سببا بعد ان قهر بالمليون واعاد مؤتمر « فينة » تنظيم أوربة ، ولكنها
كانت في شر الاوصاع . وارد الحالات ، لاها كانت بجرة إلى ٣٦ دولة
صغيرة كل دولة قائمة بذاتها . لاصلة لها بالاشترى إلا عن طريق مجلس
« الديه ب » لصوري الذي كان يعقد جلساته في فرانكفورت وهذا
المجلس الذي كان يصمم مثلثين عن هذه الدوليات وعن الامبراطورية النمساوية
لم يكن في الحقيقة إلا تمثلا لإرادة ملوك هذه الدول ، لا شعوبها ، عدا ان
تمثله هؤلاء الملوك كان تمثلا رائد ، وشكليا أيضا . وما كان في الامكان
ان يكون غير ذلك لان طيبة الوضع في الملاد الألمانية . و جوهر النظام
الذي كان يقوم على اسمه هذا الوضع كانا يوجبان تلك الحالة فالمجلس كان
ينظر في امصايا مشتركة بين هذه الدول . وكان لزاما عليه ان يصدر
قراراته بانعاق الاراء . ولما كان ملوك هذه الدول يحتفلون بطبيعتهم
وبمناحرون بالنظر الى مصالحهم الشخصية فلم يكن من اليسور له أن يصدر
قراراته في أية قضية كانت منها كانت صئلة الأثر قليلة الخطورة الا بعد
مرور سنين عديدة ، والا بعد قوات المصلحة . فلنأخذ مثلا حسم قضية
الرواتب المتداخلة التي كان طلبها محامو الامبراطورية القديمة في عام ١٨١٦
وم يتم لا في عام ١٨٣٩ والديون الحربية للسسين اتى تحلت ١٧٩٢ و ١٨٠١
لم تفتت اسوئتها الا في عام ١٧٤٣ بل ان الديون الحربية اتى نشأت عن حرب
الثلاثين عاما مشهورة لم ودا الا بعد عام ١٨٥٠ وان التعاليم التي دونت في عام

١٨٢٩ لتنظيم ونفسيق جيش الهيئة المتحدة الألمانية في يؤخذ بها الا بين عامي
 ١٨٣٠ و ١٨٣٦ ان تاريخ هذا المجلس مليء بالعواطف والوقائع المادية التي
 تثبت انه لم يكن ذا أثر فعال في تكوين الميعة وتقديمها ، ولم يكن صاحباً لأن
 تمقداً الأمة الألمانية إلا لآمال عابرة والأمة الألمانية كانت في حاجة ماسة الى
 حركة نشطة تنقذها من لتحرراً التي مرفقتها واوهنتها ، والى قادة حارمين
 يأخذون بيدها ويهدونها سواء لسبيل . وكان احرارها ومكرها يدركون
 ادراكاً عميقاً حرجية الوضع ودفعه الموقف وان وطهم انما كان يصطرب من
 الحياة والموت ، كما سكوت يقتضي بالذات ، واما مهضة عبيدة تعيد له الحياة
 خصبة ممرعة . ولقد دافوا صرعات نابليون ، وتحرروا علقم الاحتلال وصد به ،
 وما دامت في جانبهم الأمة الفرنسية الدكية الشبيطة الجرقة فلا مهر لهم من
 جمع شتاتهم ونوحيد كلمتهم واتحاد افكارهم والا فلا مصير لهم غير القضاء .
 ولقد حاولت الطبقات المثقفة والمتعلمة وعلى رأسها الفلاسفة ، واساتذة
 الجامعات ان تقوم بحملة جريئة ضد الاوضاع لائمة آتدائه قدس عظمة
 القوانين الأساسية للداد ، ومنح شعوبه الحرية في الكلام ولا جنح ، والمشر
 وانما ذها من سلاسل العبودية ، لتبني نفسها الى الاتحاد وتكون المساوية
 المتحدة . وانعقدت لهذا الغرض في ١٨٤٦ مؤتمرات رسمية تدعى اراى فيها
 علماء الألمان ورجالهم . وفي عام ١٨٤٨ انتهت اضطرابات برلين وفيينا بمنح
 الملوك القوانين الأساسية لدولياتهم وجمع المجلس التأسيسي لهذا الغرض .
 وفي فرانكفورت عقد الاحرار الألمان برلماناً تخصصه بالجمع أعضاءه من
 نواب المجالس النيابية للدوليات الألمانية . وقد قرر هذا المجلس انشاء برلمان
 لجميع البلاد الألمانية ، ينتخب أعضاءه عن كل ١٠٠ ٠٠٠ من أعضاء واحد وقد حصل
 الاتفاق على تنفيذ هذا القرار الخطير وبالفعل تكون برلمان منظر وبدأت
 قانون أساسي لألمانية المتحدة كما عهد بمقدار الأمر طرية بصورة

موقعة الى أحد امراء البيت المالک النسوي . والف هذا بدوره « الورارة
الامبراطورية » .

ولما دىء بتصديق مواد القانون الاساسي أخذت تعترض سبيل البرلمان
عقبتان خطيرتان . اولاهما كيف تتكون المانية المتحدة ومن أي البلاد وثانيها
من يكون امبراطوراً ، هل تودع الامبراطورية الى امبراطور النمسة ام الى
ملك بروسية ؟ وكانت لعقبة الاولى ذات اهمية خاصة ، فادا تطلب عليها
البرلمان تلاشت اهمية العقبة الثانية بطبيعة الحال لانها فرع للاولى .

ان السبب الموحب الى الاتحاد ، والخافر الحقيقي الذي دفع برحال
المانية المثقفين المفكرين الى تنظيم الحملات التي انتهت الى هذه الاجراءات انما
كانا ناشئين عن الخوف من تكرار الماسي التي حلت بألمانية في عهد نابليون
لذلك كان المفكرون يطعمون في تكوين المانية متحدة ، مؤلفة من العصر
الالمانى الحالى بزعامة بروسية وآخرون كانوا يقولون بفكرة اوسع من
هذه الفكرة ، كانوا يقولون بانشاء المانية الكبرى التي يجب ان تؤلف
من البلاد الالمانية والبلاد النمسوية في وقت واحد ، وتكون زعامتها في
عائلة هابسبورغ النمسوية .

فالبرلمان اصطدم بهذين الرأيين وسبب هذا الاصطدام انقسام اعضاءه
الى قسمين غير ان حرب المانية الصغرى كان قد تطلب على المانية الكبرى
واصدر البرلمان قراره باغلبه ٢٦١ ضد ٢٢٤ ، بتكوين المانية الصغرى المؤلفة
من جميع البلاد الالمانية ماعدا الامبراطورية النمسوية واصحاب ملك بروسية
ملكها . وكان انتخاب ملك بروسيا حلاً طبيعياً للنقطة الثانية . ولكن
دعالية الملوك في القرن التاسع عشر لم تكن قد انطلقت من عقائدها بعد ، وهي
ما زالت تعتقد بالحق الالهي وانه ليس للشعوب الحق ان يمسحوا التيجان الى
الملوك وبناء على هذه العقلية ، فقد امتنع ملك بروسية ان يتلقى تاج المانية

المتحدة ، من الشعب الألماني لأن ناسا حفظاء من الشعب انما هو تاج « من
طين ومن خشب » فهو لن يتلقى لتاج الا من نفسه وإلا من افرائه وانداده
فهذا الرد افاجي . ، قد سبب عصب الاحرار ، او سحق الجمهوريين منهم
بالاخص ثم تتحرىض امبراطور النمسة واعرائه قام الملوك الاخرون
بسحب ممثلهم من المجلس واخذ كل واحد منهم بطارد الاحرار في بلاده
ويعتقمهم وبهذه الصورة انتهت هذه المساعي جميعها بالحيلة ، واختفي ظل القوانين
الاساسية من البلاد . ولكن ملك روسية اتقى قانون بلاده الاساسي ، على انه قد
اهم اشعب بأن مجابه لا يتعدى المجلس الاستشاري لا اكثر ولا اقل حتى ان
النواب كانوا في التشريعات الرسمية بأنون بعد الصايط الدين رتبهم لا ترد
عن الرئيس في الجيش .

ومد عام ٨٥٠ الى ١٨٦١ كانت تسود الاوساط الالمانية الارنبات كانت
الفكرية والحمة الر ، حية . فالعلماء والمثقفون كانوا لا يدرون كيف يوحّدون
بين هذه الرؤس المختلفة الأفكار المتباينة الاعراض والاهداف فان جمهورها
تحت الراية لروسية اخذ امبراطور النمسة يدس الدسائس ، ويمتل الحال
لتشتيت جمعهم ، وتفرق كلمتهم ، وان أمالوها الى الراية النمسوية وامت قيامة
الاكثرية الالمانية القائنة بالافتراق عن النمسة لأن البلاد الالمانية اذا اتحدت
في ظل راية النمسة فقدت عنصريهم وزاأ أثرها كقوة حيث ان الاكثرية غير
الالمانية الموحدة في الامبراطورية النمسوية تعطى عليها ، وتعلمها و كان
يؤيد هذه الاكثرية في دعواها احقة ملك روسية ورحاله

وفي عام ١٨٦١ وبمعص وصون سبارك الى مقام المستشارية تعينت
خطوط الجهاد الالماني واضحة ، ورسمت السياسة الالماني بدقة واتقان
قرر هذا الداهية ان يوحّد المانية « بالحديد والدم » لأن طريق السلام
قد انسدت ، وخطّة الملاينة قد مات بالفشل غير مرة ، فهو لا يريد ان يعيد التعارب

الفاشلة ، ولا يعاود المخطط الفاسدة

درس الاوضاع درس خبير حكيم . وبحث . شاك كل بحث مسدك عليم
فخلص نتيجة واحدة ، هي م يعمد في لطافة نحن تدخلات الامبراطورية
المسوية في لشؤون الالمانية . وعليه فيجب ان يتم الانحار الالماني المنتظر
على اساس طرد الامبراطورية النمساوية من ساحة العمل ، والتكثف حول ملك
بروسية ليعطي حداً للتنافس بين العائتين اماالكتين ، ولما كان طرد
الامبراطورية النمساوية من ساحة العمل الالماني لا يمكن ان يتم الا بحرب ،
وان بروسية ليست مستعدة لمحاربة القوات النمساوية فقد اعتبر إعادة تنظيم
الجيش الالماني وتقسيمه عماد سياسته الداخلية . ولما كان يحشى ان تؤدي
الاجراآت التي يعمم على انحارها ، الى تهدي الدول الخارجية ، فقد جعل
خطبه ود الدول ذات العلاقة او كسب رضاها عماد سياسته الخارجية . اذن
فقد اقام سياسته العامة المؤدية الى الاتحاد على ركيزتين احدهما دخلي وهو
تقوية الجيش وثانيها خارجي ، وهو مسايرة الدول دواب العلواء والعمل
في كسب رضاها ، ومداراتها

ان اصلاح الجيش كان يقتضي الاتفاق ، والترخيص للانه قد كان يستلزم
لرجوع الى رأي البرلمان ، ولم يكن سهلاً على سبارك ان يفتح اعضاء البرلمان
بالترخيص له بالاتفاق نطاق واسع واكثر من كان قد حسب احرب ونزع
الى الاقتصاد . ولكن سبارك تقدم بطلباته غير عابئة بما كان يجري في
أرويه البرلمان من مؤامرات تقف في سبيله وتقعدهم مشروعاته . فلما حووه
بالرفص من المجلس ثم استأنف اطلب خووه بالرفص مرة أخرى ، عندئذ
أحد بتفق على الجيش ، ويريد فيه من دون ان يراجع المجلس بل أخذ
يقدم الى المجلس الاعتمادات بعد ان تكون قد تفتت ، ثم امرها
واصبح المجلس بعد ذلك مجلساً استشارياً محضاً لا كيان له ولا سلطان على

ان يشارك وان أعصب الامة في شخص مجلسها ، فقد استطاع ان يكون لها جيشا لها مدبرا احسن تدريب ، ومفسقا اروع نسيق . ثم مال الى الخارجية الخارجية وطمع . ١٠ يون الثالث امبراطور فرنسا في معاوخته لتحقيق اعراضه في المجرى وسواحل الرن فكسبه الى جانه كما انه ساعد امبراطور روسيا في اخضاع البولويين الذين كانوا قد أعلنوا عصيانهم في ١٨٦٣ . قال رساه وفي حين الوقت افلح ان يجعل ايطالية في حانه بوعده اياها بدروسه تيا . واما بريطانيا فانه كان يعتقد بان لا مصلحة لها تدعوها الى التدخل وهذه الصورة استطاع ان يجعل الامبراطورية النمساوية في عرلة تامة وان يامن حاسب هذه الدول ، على اساس انها ادا لم تكرر متحالفة معه فهي على كل حال سوف تكون ملازمه حارسه الحيات . فيما اذا حدث حادث بهه وبين النمسة وبدأ يتجهين المرض ويرهن النمسة الدوائر ويهيئ سياج الحرب ضدها .

في عام ١٨٦٦ هاجمت بروسيا هولشتاين بحجة ان النمسة تروح فيها الاوسكار الانقلابية ومرضت النمسة الامر على محاسن الذهب وقرر لمصلحتها .

ان قرار المجلس هذا قد دفع بروسيا الى ان تعلن انحلال الاتحاد الشكلي الذي كان يمثل مجلس « الذهب » وواقعة واحدة ، سحقت بروسيا لقوات النمساوية وحطمتها .

في هذا الاضطدام انتهى بنتائج ثلاث

(١) طرد النمسة من هيئة المايه المتحدة وتحكم بروسيا فاسلاد الالمانية

برمتها وفي ضمنها شله زويخ وهولشتاين

(٢) الخاق كل من « هانورا ، وهس ، وباساو ، وفرانكفورت »
بروسية بالقوة .

(٣) عقد اتحاد من بروسية وما الخاق بها من جهة ومن الدول الألمانية
الشمالية التي طلت محافظة على استقلالها . على ان يكون ملك بروسية رأس
هذا الاتحاد . وان يتفق مستشار الدولة من وزراء بروسية بأرادة الملك وان
يؤلف مجلسان أحدهما يطلق عليه مجلس الاتحاد وهو يؤلف من مندوبين
الحكومات الداخلة في الاتحاد وثانيها يسمى بالراجشتاغ وهو يؤلف من
من النواب المنتخبين

وفي كانون الثاني ١٨٧١ وفي رسائل اعلى لا امبراطورية الألمانية
بعد اندحار فرنسة . على ان هذه الامبراطورية لم تغير الوضع في المانية
المتحدة حتى انه لم يكتب قانون اساسي لها وانما بقيت الحالة على ما كانت
عليه ولم يتبدل غير الاسم فقط وغير انصاف ان تلك الألمانية الجنوبية الأربع
الى الاتحاد ، والفاق الاكزام والورين بألمانية

ان هذه العظمة التي لحقت حكايتها في بصع صمحات ، لم تنفأ الا بين
الحديد والنار ، وفي وسط السموع والالام ، ولم تدم رواقها على الارض
الألمانية ، الا بعد اندحارات اليمه ، وخيبات وهرائم مثيرة للشجون . انهم
اليسير على المرأ ان يقرأ قصة تطورات ألمه ، ويم بمجهودها ومساعدتها ، ولكنه
ليس من اليسير ان يقدر قيمة تلك التطورات ، واهمية هاتيك المساعي والجهود
الا بعد تامل طويل وتدقيق دقيق ان . المانية الى ان تعرتت بهسارك لم تكن
واحدة من حياتها ، وتصير اصح انها الى تلك اللحظات لم تكن قد عرفت طريقها ،
واختطت خطتها . لقد كان فيها نانون مشيدون . وقد كان فيها مخربون
هدامون . وقد كان الخطر يكمنها من خارجها بقدر ما كان يعمل في داخلها .
والهمم والمراحم ، اذا ارادت امرأ ، امضته ، معها كانت صعبا ، عارما . انها

تلهم النفوس الصبر على الشدائد والمكاره ، وترزقها رباطة الجأش وقوة
الجنان في الارمات والنمات ، بل انها تستغل الاندحارات والهزائم كما تستغل
الفتوح والانتصارات . ومادا يظن في المانية المدحرة المستسلمة في عام ١٩١٨ ؟
انها اشأت نشأة جديدة اخرى كانت فيها اكثر اتحاداً ، واشد قوة من
المانية الفيصرية ، او المانية الامبراطورية . فلو كانت عناصر احياة فيها ضعيفة
واهنة لم تحتها مصيبتها ، واذلتها كارتثها ، ولكن القوة المتفجرة في عروق
بقيها لم يهدأ اعتلامها وصحها إلا بعد ان اعادت الى المانية قوتها ، وشايتها ،
بصورة أكثر روعة ، والظمروفا فالمطمة الالمانية اذن كانت وما تزال ولادة
الآلام والدموع وريسة المصائب والنوائب ، وصعفة الهزائم والانتصارات .

ب- اتحاد ايطالية

و كما كان شأن المانية العظيمة فكذلك كان شأن ايطالية المتحدة لقد
كانت في فجر القرن التاسع عشر نصيراً جغرافياً فقط كما قال ماريش ولسون
هذا القول قد جرح كبرياء الايطاليين اشاعرين بكيانهم ، واهاح عواطف
المثقفين منهم ، واثار بحوثهم وحميتهم فعملوا جاهدين في سبيل احياء مجد روما ،
واعادة سلطان ايطالية وكيانها . وقد افلحوا في عام ١٨٤٨ ان يعيدوا الى
المقاطعات الايطالية المتجرأة حرياتها ، وان يصطروا امراءها وملوكها الى
ان يعلنوا القوانين الأساسية السكافة للحريات العامة ولكن الحركة لم تكن
بحكمة التدبير ، فعادت على المقاطعات المدكورة شرراً ، وباءت على ايها مالويل
والثور ، ورجعت بهم الى الحالة التي كانوا عليها قبلاً ، واصبحت ايطالية من
حديث نصيراً جغرافياً فقط ، ولا شيء ، غير ذلك لقد اعاد ملك نابولي الادارة
المستبدة ، بعد ان امدته كل من فرنسا واسبانيا والنمسة بجيوشها والنمسيويون
احتلوا مقاطعة « روماني » ولما اعاد الادارة المستبدة السامقة في روما
ولقد طردت النمسة جيوش ساردينيا من لومبارديا . وقصت على جمهورية فينسيا

الحرية ولم تعد في صدارة حكومة وطنية حرة ، تستطع العمل في سبيل
إيطاليا ، أو ترفع الصوت عنها لا حكومة صغيرة أنزوت في ساردينيا لقد
عاد الممردون إلى البحر إلى الأرض الإيطالية ، أشد عمدا ، وأقوى سلطانا وثقل
وطأة ، حتى أن « أروغليو » وهو واحد من كان الحركة ، ورعاها الممكرين ،
قال « . اني لا استطيع أن أقرر ماذا سيكون لا ماض لنا من أن نطرح إلى
أن يمتدحى إعدارنا إلى أعماق الهاوية حتى يعود مجتمع شائنا . ويعيد تنظيمنا
فإذا جمعنا أنفسنا وأعدنا تنظيمنا يجب علينا أن نستأنف العمل وسكني واثق
من أني سوف لا أعمر إلى أن يحين اقتطاع عمرته . »

فقد الالكاه التي يمارحها الحر والالم ، ويطغوا عليها الأمل والقوة ،
بوصح لنا إلى أية درجة كانت الحمية صريعة والفسخ خبيثا . لقد انحدرت
إيطاليا بسبب هذه الحركة إلى المساوية ، وأمكن أروغليو ميا س فانه
يعلن عزمه على جمع شتات إيطاليا وإعادة تنظيمها ليستأنف العمل من جديد
وإن كان هو لا يؤمن أن يقتطف ثمرته ولئن حرمته الأقدار ثمرته ولتكن
تصيب فيه ويرود هو في دهره . ما دامت إيطاليا ماضيه في سبيل الجهاد
ومعترمة الحياة الحرة

فقد بدأ الإيطاليون يجمعون شتاتهم ، بعد حمية حركة ١٨٤٨-١٨٤٩
ويعيدون تنظيمهم فكان مكرهم أخذوا يستهدفون سباب الحمية ، وعوام
الخميران وسجنون الأخطاء ، ويدققون في السقطات فحلصوا من جميع
المخائهم وندقيقتاتهم ، واستقصوا أنهم ، متبحرين اثنين هما أس الداء
وسبب " إلا . أولا أن إيطاليا لا يمكنها أن تقوم لها قائمة ما لم تحدد موقفها
لداخلي ونعيمي تعييد ، أما أسس الخلاف ويقضي على عوام انتعرفة .
ولقد كان الإيطاليون منقسمين على أنفسهم حين قاموا بحركة ١٨٤٨-١٨٤٩
فقد كان فريق منهم يعمل للملكية وفريق يعمل للجمهورية وقد كان

وتوجيهها نحو هدف واحد هو تكوين ايطالية برعامة عائلة سافوا حاكمة
 « بيمونتي » والثاني كسب عطف الدول الاجنبية وطلب معونتها . فسياسته
 الداخلية ادن : كانت ترمي الى جمع كلمة للملكيين والجمهوريين والاتحاديين
 وحشرم في صعيد واحد وتوحيد جهودهم ليؤيدوا اتحاد ايطالية برعامة
 ساردينيا ولتستطاع اراية الملكية فيها وقد أيد الجمهوريون والاتحاديون
 سياسة كافور الملكية ونصارلوا عن فكرتهم لجمهورية . بعد ان وثقوا بأن
 نجاة ايطالية لا تقسم الا ما تعمل تحت راية ملك سرديا الايطالي وقام مارزي
 فألقى حربه الجمهوري المسمى بحرب ايطالية لعنة وأسس بدله حزب الاتحاد
 القومي مبدأه تحرير ايطاليا على أساس الملكية وماين رئيس جمهوريه الديمقراطية
 الذي كان قد التحا إلى باريس بعد اندحاره في عام ١٨٤٩ أعلن تأييده للملكية
 كذلك وحاطب اسراء عائلة سافوا المالكة بقوله المشهور « ... يا أيها
 الاسراء . اعتنوا ايطاليا الى الوجود فاني معكم ا ليكن الاتحاد والاستقلال
 شعارنا ودستورنا ١٨٤٨ » . ولماين هذا موقف رائع اراء رجال الحكومة
 البريطانية حين عرض عليه أحدم اقتراحا يرمي الى تسوية المسألة الايطالية
 باشاء ادارة نمسوية ملائمة حيث احابه برسالة جاء فيها « انه من الدناءة
 لائمة ان تخضع لملكجية أجنبية . نحن لا نطلب ادارة نمسوية ملائمة وانما
 نطلب منها ان تقادر بلادنا وتزكنا وشأننا » .

فكافور قد اتحد كل ما يقتضي من التدابير لتوحيد كلمة الايطاليين
 وتوجيه أحرابهم وجهاتهم السياسية الى هدف واحد هو العمل المتواصل
 لا تقاذ ايطالية برعامة عائلة سافوا الملكية . وبعد أن استوثق من هذه
 الناحية أخذ يعمل في حقل السياسة الخارجية لكسب الدول ذوات العلاقة
 الى جانبه واول خطوة خطاها في هذا السير اشتراكه في حملة القريم وارساله
 جيشا قوامه ١٥٠٠٠ نفراً وبهذه الحركة أولا استطاع أن يكسب عطف

فرنسة وبريطانيا وثانيا كسب لحكومته حق الاشتراك في مؤتمر مارس
الذي انعقد في عام ١٨٥٩ للتدوية المشكلة العثمانية - الروسية و كان يرمي
من وراء اشتراكه في هذا المؤتمر الى بسط مظالم النمسة في الوطن الايطالي
لمحتلي الدول فيه .

وقد استغل كافور فرصة وجود نابليون الثالث على رأس الحكم في
فرنسة كأمبراطور له سلطة ديكثاتورية ، استغلالا عظيما لصالح ايطاليا .
حيث ان نابليون كان من جهة أعضاء الحرب السري الذي الف في عام ١٨٣٩
لأنقاذ ايطالية فهو من مؤيدي استقلال الوطن الايطالي والعاملين في سبيله .
وقد زاد كافور بتصرفاته الحكيمة في ثقة نابليون به وعطفه على مقاصده
السياسية . فانه عدا اشتراكه في حرب الفريم بزولا عند ارادة نابليون فقد
وعده كدناك بالخاق سافووا ونيس بفرنسة وفي الحق ان حركة الاتحاد
ايطاليا لم تأخذ شكلها الحاسم الا منذ ١٨٥٩ أي منذ أن عقد الاتفاق بين
كافور و« نابليون » . و بناء على هذا الاتفاق فقد أعلن نابليون وكافور الحرب
على النمسة وقد احتلت الجنود الفرنسية اوميا رديا برمتها واسكن نابليون
سمرعان ما عقد الصلح مع النمسة لأسباب تخص فرنسة فقط فاضطر كافور
الى ان ينحو نحوه ، ويتعقب أثره فتصالح كذلك بعد ان كسب لومبارديه
وفي خلال الحرب قام الاتحاديون في كل من توسكانا وبارم ومورون فاعلنوا
في هذه المقاطعات القانون الاساسي اليمونتي اي « ساردينيا » ووجدوا
دوائر البرق والبريد والفوا الرسوم السكرية بين البلدين وبالأخير طالبوا
بالانضمام الى « ييمونتي » وبعد اجراء تصويت عام تم الاخاق في عام ١٨٦٠
ولم يبق خارج الاتحاد سوى ابولي وروما أما نابولي فقد وجه ليها غاريبالدي
بترتيب خاص من كافور . هاجم غاريبالدي جريدة صقلية برفقة ١٦٠
فدائيا ومنها اجتاز حدود نابولي ففر ملكها وتبعثرت قواته ف وقعت صريعة
تحت اقدام احرار ايطالية فأعلن غاريبالدي ديكثاتوريته فيها

لم يكن في وسع كافور ان يهاجم حكومة البابا لأن نابليون الثالث
 كان يحميها فاتجه صوب برسيه وسار بها وشرقيهم ولم يحل عام ١٨٧٠
 ونقم لكارثة على نابليون حتى احتلها كافور فرصة مؤآية ودخلت حدوده
 روما واعلنها عاصمة لاطيالية ولم يمر به قرن على هذه الحادثة حتى سميت
 ايطاليا الى صف الدول الاوربية المعظمة والعصر على الشدايد والامل في
 الحياة والعمل ومواصل بحرم والامة كل هذه كانت اسبابا قوية اتهمت
 امة كانت في اول القرن التاسع عشر تعبراً حفر اوقاف فقط ثم سارت في اواخره
 احدي دول اوربة المعظمة .

• • •

فالامم حين تعمل في سبيل حريقها ، وتتحرك من احسن سياستها
 وكرامتها الوطنية ، قد تعتور طريقها عقبات وتقوم في وجهها صعوبات بل وقد
 تسمى بمصائب وويلات ، وتصاب بحساره في لاثرواح وفي الامموان
 واندحارات وهرثم لم تكن في الحسبان ثم تعود فتجتمع أطرافها ، تستأنف
 اشغالها وتدفع الى الامام ، ويظل اسكررها هذه الاسفانات الى ان تظهر بها
 كانت تصبو اليه وان ظالمه الامم وحداثتها للحجبه اما تهازل بما تمضي من
 روح غارمة ، وصبر على انكاره ، وقوة في العمل لتحقيق لاثم لوان
 مثلت مراراً واندحرت اندحرات متعاقبة ا

• • •

ان الحركات العربية التي تشع حقة وصدق قد اوت بالفشل وهسته
 حاتمة أليمة لا ريب . وان هذا الفشل يجب ان يكون له مصدر قوة
 جديدة ، تستأنف العمل وتدفع بها الى الامام . ان في كل أمة فريقا
 من أبنائها يحاربون أمانهم وبقومون آها ، وشهيدون العرائم ، ويعطون
 المساعي والاعمال الوطنية وقد يحسون في حيو حركه ، وفشل مشرع ،
 حير فرصة يستعملونها لتكسبهم آرائهم ، وشاعه ودعاهم بهم في سبيل

الامة . ان مهمة الاحرار مكاثرة هذه الجرائم الفتاكة . واستقلال شفتها
واحباط مساعيها قبل كل شيء . اما اذا حصرنا الامر كفة فقد كسبنا الشرف
كسبنا اشرف لان اشعب الامر في هذا شهد العالم اجمع ، على انه شعب أبي
لا يرعى الصميم ولا الاستعداد ، ولا يقدر ان يسبق الى الاحصي أو يجمع
لارادته . و اذا كان قد دحر امام قوة لا تكافؤ ولا تقاسب مع قوته فليس في
هذا الاندحار نقص حواته ، أو بعض من شرافة مقاصده واصل
فانياته .

ليس في وسع اموة ان تزيين معصم الحق ، أو ان نطمس اثره
ونحن ما دمنا اشد حفا . فلن نقتفي جهودنا ومسايعنا بالخسران فلا بد من
يوم أعر محجل ، يمرض فيه أرادتنا ، ويمتز بالحق الذي كنا نبتدعه والذهب
لا نضعو مشاربه لا أحد سبالا لطالين وعمره واصححة ، حلية ، وعطائه مئة
فصبيحة . سا ، قال من ركه شيطان الغرور ، وجمحت به نروة الصلال
فطن نفسه من المؤبدين .

نحن لا نخاف الاحرار والمخلصين المؤمنين بحق وطهم عليهم والمقربين
واجباتهم نحوه . ان هؤلاء في حاد ، في كل وقت ما دامت فائقنا شريفة ،
واحد فدا واضحة ، سواء فزنا بالظفر ، أم اصحابنا الاندحار . لان الحق
مفهومة واحد لا تعمر ، لا اندحار او باظفر . فكما ان من كان يفتد الحق ،
وم بسمه انقدر بالظفر به لا يحمله اندحاره مطلقا ، فكذلك من يطلب باطلا
فظفر به لا يمكن ان يكون غير مبطل ذميم .

ثار عند الله بن الربيع على عبد الملك بن مروان ، الخليفة الاموي واعلن
خلافته في الحجاز . أبي لا أرهد ان احقق في أي حاسب كان الحق . وان كان
على كل حال ان عبد الله حين خرج على عبد الملك كان شعره في قرارة نفسه
انه أحق منه في الخلافة . ولكن غريمه قد صر به بالحجاج القوي الشكيمة

العايط القلب فقهره . حتى آل أمره الى ان يروي في المسجد الحرام والى ان
 يبقى في دلة من الاعوان والرفاق . لقد بدل الحاجة له الايمان فأراد هذا
 ان يستمرج رأى أمه اسماء ذات البطاقين ولما وافاها وصف لها حاله .
 وكيف ان رفاقه منهم من قتل ومنهم من خارت قواه ونزلت أرادته وانه
 لم يبق معه إلا الاقل من القليل فهذا تطون تجيب الأم انها في مثل هذا
 الموقف الذي قد تصناه سحاب الموت وأحرق به ربابه ١٢ اما كانت اسمى من
 ان تصبح أبنها بالاستسلام وتوصيل الاثم على حياته وعدم تصحيحها والقذف
 بها في ميدان الشرف عزيزة كريمة . قالت له وهي تشمه وتلمسه لانها كانت
 عمياء قد فارقت المثة عاما . . . يا هي . لا يلعب بك صبيان بني أمية عش
 كريما ومت كريما . فان الموت لابد منه انك اما ان تكون على حق وكيف
 تحموه واما ان تكون على باطل وكيف ساع لك سمك دماء المسلمين ؟ اجابها
 أنني أخشى ان يمثل بي قال . ان الكيش اذا دبج لم يأمن السلخ . . ولم
 نكتف بذلك فقد اخبرته ماها حارجة تراقبه في ساعة الكفاح ، لقدشد من
 قوته ولقدومه الى الاستبسال دوما ، وما كان عبد الله بحاجة الى
 الاثارة والقشجيع فهو ابن الحرب وابوها ، ولكمها لقوه في الروح .
 والقة في الايمان قد سمعت بنية الصديق فأوحت اليها بان تقف
 من أبنها البكر هذا الموقف الذي يتأرجح طيبا ويشع نوراً . ولقد كان
 عبد الله عند حسن طم أمه به فقد قاتل الى ان قتل دون معتقده . وفي
 سبيل فكرته .

ان الايمان باحق وحده قوة . والمؤمن الصادق في أيمانه اذا صمم وأراد
 فإنه يأتي بالعجب العجاب . على ان الحقوق قد تختلف في الجوهر والكيفية ،
 كما تختلف صلة المؤمنين بهمة ووضعا فالحق الشخصي وان كان محترما
 ومقدسا ، ولكن الحق العام هو اكثر حرمة وقدسية وكذلك يختلف الحق

العام نفسه من حيث الأهمية والمكانة هي الملكية ، أو الخلافة ، وإن كان
ذا صلة كبرى بالأمة وبكيانها ، وإن حق انقاذ الوطن من العدوان الأجنبي
هو أعظم أهمية وأسمى مكانة . ومعنى ذلك أن الذب عن حياض الوطن
واستخلاصه من السيطرة الأجنبية هو واجب يفرض على كل فرد تأديته
بأمانة وإخلاص ، قبل أن يفرض عليه واجب السعي أتركز الملكية أو
الخلافة في شخص ما من الأشخاص المكونة لمجموع الأمة وكذلك صلة
المؤمنين بالحق قد تختلف قوة وضعفا . فليس من شك مثلا أن عليا ابن أبي
طالب رضوان الله عليه كان أحق في الخلافة من معاوية . كان أحق منه
ليس الفرائد الواشحة بالأسى العربي ، وللصفات والسجيا الكثيرة التي تجعله أكثر
قابلية لتحمل عبء هذه الأمانة فقط وإنما لا تفاق كلمة ذوي الحل والعقد
عليه ومبايعتهم له . وكذلك شأن يزيد بالنسبة إلى الحسين بن علي . فإن بيعة
يزيد كانت باطلة لأنها أخذت بالقوة والعنف . ولو حذر المسلمون في وقتها
فما كانوا ليجتاروه خليفة والحسين بن علي حي في الوجود

والنزاع الذي قام بين الخليفة الأموي عبد الملك وبين عبد الله بن الزبير
وادعاء كل منهما بالخلافة وصلة كل منهما بهذا الحق ، كانت أقل قوة من صلة
الامام علي ، وأنه الحسين بدون شك . إذ لو حققنا في الموضوع لجاز أن
نصل إلى نتيجة واحدة هي أن الأولين كلاهما ليس له أي حق فيها لوجود
من هو خير منه في الإسلام في عهده . لكن إذا نظرنا إلى كليهما ، وإذا
اعتبرنا أن لا ثالث لهما يطالب بالخلافة وأردنا أن نحكم إرادتنا فيها ، فنختار
أحدهما لئلا يكون هو أنا مع ابن الزبير لأنه بلا شك ، كان أكثر غيرة على مصالح
المسلمين ، وأشد حرصا على إقامة شعائر العدل والإنصاف في الرعية من
عبد الملك ، وبالتالي فإنه يكون أكثر صلة بحق الخلافة من عبد الملك . أني
أقصد من وراء هذه الملاحظات المتواضعة الوصول إلى نتيجة واحدة ، هي أن

الحق قد تنصوت درجته نامة لاهميته وخطورته ، وقد تنهات كذلك صلة المؤمنين بهذا الحق او مدعيه بالنظر الى بعضهم البعض ومع ذلك نجد الايمان يتوغل من هذا الحق ، ايمانا صادقا يؤدى الى مواقف رائعة ومشاهد مثيرة للاعجاب . نحن ننظر عن الغور او الخفية فيها فكيف اذا كانت الايمان بحق من اسمى الحقوق مكانة ، وكان المؤمنون من أشد الناس صلة به ؟ ان الحق في الاخلاق وان كان في طبيعة الحقوق العامة التي تستلزم التصحية في سبلهم ، وان كان حق الوطن على نبيه اذا تحكّم فيه اجنبي اكثر قدسية من هذا الحق ، واولى الدين دونه والدفع عنه . واذا كنا قد اكرنا ايمان المذاهب بهذا الحق ، في أشخاص الرجال الذين يعتقد المسلمون ، انهم اولى من المتطلبين عليه فلماذا نستهم ؟ ايمان الدين قلوبوا الاجنبي وارادوا انفاذ الوطن من سلطانه ؟ ان كذا مذاهب لا شأن لنا بالنوازع الروحية ولا حرمة لسا الاوامر الدينية من واجبنا ان نستقل وطننا وان نستعمل خيراته لمصلحتنا وحدها . وان كذا مؤمنين بالدين الاسلامي مقتضين آثاره وعاملين بأوامره معرض علينا ان نكون في حالة جهاد دائم مادام وطننا يش نعت الطغيان الاحمبي الذي لا تصلنا به صلة ، ولا تربطنا به وشيعة .

لقد خطب ابو بكر حين ولي الخلافة في الناس فقال بعد ان حمد الله واثى عليه : اني قد واثيت عليكم واستبصركم فان رأيتكم موافقي على حق فاعينوني وان رأيتكم موافقي على باطل فسدوني . اطيعوني ما اطعت الله فيكم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم لقد طلب من يصدوه اذ رأوه مال الى الباطل وعاق طاعتهم ، طاعته لله عز وجل ، فان هو عصاه كانوا في حل من طاعته . لانه لا طاعة مع عصية ولم يكن منفرداً في موقفه هذا ، فقد حذا حذوه ابن الخطاب وابن عفان وابن ابي طالب وحسبك من هم .

ان هؤلاء الخلفاء الذين رافقوا صاحب الرسالة ، فكانوا في حياته

وزرائه وبعد ان لحق بآرائه خالفائه اعدا بمنشور في افواههم واعمالهم حقيقة الاسلام الصافية الرونق ، النقية الجوهر .

والدين الاسلامي لم يأمر المستظان رايته ، الداهل من معيهم ان يكتفوا بسيادتهم في بلادهم . وانما امرهم ان يحاهدوا في سبيل اعلاء كلمة الله وان يحوضوا المعارك في سبيل هذه العاية المشرفة مستبسلين مستميتين في خارج بلادهم ايضا . بذلك على ذلك موقف الخليفة الثاني من ابي عبيد ان الجراح قائد جيوشه في اشام حين لامه لوما شريدا على ابقاء جيوش المسلمين بعيدا عن مواطن الجهاد ولمسحهم لخل للدوق عصارة العيش ، ورفاء الحصاره خروفا منه على قوة معنويتهم من ان تعبط وعلى شاصهم من ان يصاب بتخاذل ومتور .

ان دينا هذا مدى بظروا الى احياء العريضة الشريعة كيم ، عقل انه يرصى للمسلمين ان يكونوا ادلاء في ديارهم ، مستعدين في بلادهم ، ان يستكبروا لهذا الذل ، وذلك الاستعداد ١٢

ان الحركات العربية . انما قامت على مفادى وطنية ، نفوس في الاحكام الدينية ، وتدعو اليها الشريعة محمدية والمبادئ الوطنية لا تتم ككس والمبادئ الدينية بها المبادئ الدينية الاسلامية لان مفادى الوطنية كانت شعار القاميين بالحر كات لم تكن ترمي لاي هدف اوطن من الاستعداد الايجابي وتحكمه المقيت وايداعه الى ايدي فيه ليعمروا فيه على اختلاف طوائفهم وادبانهم والحركات العربية كانت معروفة انه صمد ، واضعة الاهداف . انها لم ترم الى منفعة شخصية ، او تحقيق مطامع دائية ، مكس فان المنفعة الشخصية والمطامع الدائية . انما كان يمكن الوصول اليها بسهولة عن طريق عدم القيام بها ، عن طريق السعي في تشييط هرائم ، واضعها ، او الهضم . فهي فوق انها لم تكن ترمي الى منفعة شخصية او تحقيق العربية

ذاتية فقد كانت مقاومة خطيرة ، وتضحية عظمى في سبيل الله والوطن
انها كانت مقاومة خطيرة وتضحية عظمى في سبيل الواجب والواجب اما
هو التضحية ، هو الحياة لله والناس لا لانفسها فقط كما عرفه بحق الفيلسوف
السياسي « جول سيمون »

نعم قد تسمح القسرة احيانا ان يكون الواجب هينا ولسكنها غالبا
تضطرنا الى ان نتوجه نحوه بين الاخطار والآلام والى ان ننسى لاجله
الدوق والمنفعة والمجدة والبغضاء والى ان ندل في سبيله حق الحياة . فاما
خبات ثوابا للرجل الشريف فاما تجبؤه في طبقات القبور واذ كان هذا
الثواب عظيما فقد خالت بشمته . .

وفي الحق ان الواجب يكون غالبا شاقا وصعبا ، لانه قائم على التضحية
وعلى الفناء في سبيل الله والناس ولا يفرض في الواجب الفور وانجاح دائما
حسب المرأ ان يؤدي واجبه عن طيبة خاطر وطمة بيته فلا يبالي بعدئذ ا كان
يعوره ارتفع الى امير . ام محبته هبط الى الحميص . وعلى كلتي الحالتين ، انه
اوصى الله والناس ، وانه كسب المثوبة وبال الجراء من التاربيع والاحبال
للمقلة ان الذين يهون احكامهم على النتائج فقط من دون التمسك الى الجوهر
والحقيقة ، انما هم قوم وهت نفوسهم ، وهزلت ارادتهم ، واضاعوا سبيل
الرشاد . ان النتائج لا تصلح في اي وقت من الاوقات ان تكون معياراً
توزن به الاعمال ، ولا مقياسا نقاس به الجهود والمسااعي ، انما الاعمال تقدر
بجواهرها ونقاس بمفائيقها .

عقبتان

ان الشعب العربي متفرق في افطار عديدة ، وممالك واسعة مترامية
الأطراف واكل قطر بيثته ، ولكل مملكة وسطها ، وكما ان البيئات والاساط
تختلف وكذلك تتباين التأثيرات الخارجية فيها ، والقوات التي تضغط عليها
وتتحكم في شعوبها ولكن برغم كل ذلك فلا يسعنا ان نستبين بالعوامل التي
تقارب بين هذه الممالك والافطار والانساب التي تكون من شعوبها وحدة
طلت قائمة ، محتضنة بحوهرها ، امام حوادث التاريخ ، وتقلبات الزمن .
والعراق كجزء من هذا الكل ، متأثر بتلك العوامل ، متصل بها نيك
الانساب واذا اردنا ان نبحث امراضه ، وادواؤه مثلاً ، فليس لنا ان نكون
بعيدين عن هذه العوامل والانساب التي تنفصل في كل بيئة عربية ، او مملكة
عربية . صحيح ان لكل بيئة عربية . ولكل مملكة عرسه لها ، ظروفها
الخاصة ، وطبائعها الخاصة ، وحالاتها الخاصة ولكن هناك طبعاً عاماً تخصم
له هذه الشعوب المتفرقة باعتبارها متحدرة من اصلااب واحدة ، وتجري فيها
دماء واحدة ، واثرت فيها حوادث تاريخية واحدة وحالات عامة ، فتناسلت
بها ، صفتها مجموعة أمة عربية ، شرقية ، مسلمة ، تحتل امكن ومساكن لها
خطورتها العالمية من ناحية الزراعة والاقتصاد والسياسة ، ومن ناحية تحكمها
في مواصلات الأمم ، وسيطرتها على الطرق التجارية والعسكرية . ويوح لي
ان هناك عقبتان كؤدان محولان دون حرية هذه الشعوب واستقلالها ، او
بتعبير أصح كان هناك عقبتان يستعاهما العلم المتمدين ضد الشعوب العربية

اولاها خارجية لها صلة بالسياسة الخارجية واخرها داخلية قد سيطر منها
دم الشعب العربي ، وابعث منها تكوينه وخلقه ، فالأولى حرمان الشعب
العربي من المعاونة الخارجية او صعوبة حصوله عليها والثانية طبع
الشعب العربي وخليقته .

المفهوم الدولي . . .

لقد مرت نفا في العوالم السافرة ، تفاصيل وافية ، عن نهضات
الشعوب ، ومطالباتها في حريتها واستقلالها ، سواء ضد الإدارات المستبدة
التي كانت قائمة فيها ، أم ضد تحكم الأمم الأجنبية فيها والذي يعنيها من
هذه التفاصيل ، هي التي لها صلة بالنهضات والحركات التي قامت ضد تحكم
الأمم الأجنبية

لقد فهمنا من هذه التفاصيل ان أمة محكومة من أمة أجنبية أخرى ،
اذا ارادت أن تنحصر من ذل هذا التحكم ، وتفلت من قيوده اصبح لزاما
عليها أما أن تترك الى مساعدة أمة أجنبية أخرى لتأخذ بيدها ، وتسير
بها في طريق الحياة . وهذه قاعدة عامة ، وأما ان تفتقر فرصة التنافس الدولي
واختلال التوازن فيه لتجود عليهم المجموعة الدولية بالحرب والحياة . ولما كان
الطريق الأخير ، متوقفا على العرض والمصادفات ، فإن الطريق الأول كان
على الأغلبي هدف الزعماء والقادة في كل أمة تريد الحياة والنجاة .

ان أثر المعونة الأجنبية في نمو الأمم وخلقها كان قويا في كل دور
من ادوار التاريخ ولما كان قوة هذا الأثر اخذت تنمو وتطرد في نموها
كلما نمت المدنية الحاضرة ، واطردت في نموها . ومعنى ذلك ان قوة اثر
المعونة اصبحت تقاوم تناسلا طرديا مع تقدم المدنية وهذه إحدى نتائج
المدنية المادية القائمة ، الخطرة على حياة الأمم وحرياتها ذلك لأن تقدم المدنية

اذا كان يتناسب مع قوة أثر المعونة الخارجية تناسباً طردياً ، فمعناه أن تقدم
 المدنية يتناسب تناسباً عكسياً مع حريات الأمم واستقلالها . وزيادة في
 في الايضاح اقول . ان الأمم المحكومة في العهود السابقة كانت تستطيع
 ان تنال حرياتها ، واستقلالها بطرق وأساليب هي أسير من الطرق والأساليب
 التي يجب عليها ان تسير بمقتضاها في طلال المدنية القائمة في عهدنا الحاضر .
 ذلك لأن نسبة التفاوت بين قوة الأمة الحاكمة ، وقوة الأمة المحكومة
 كانت أقل من النسبة بين القوتين في الوقت الحاضر . واذا كانت النسبة قليلة
 فالأمل بالفوز والنجاح ، يكون أكثر ضماناً مما لو كانت النسبة كبيرة .
 وقبل اختراع الماكينة ، والبخار والكهرباء كانت الأسلحة التي تستعمل في
 الحروب معروفة وكان للقوى العضلية والحيلية أثر كبير في الاستعادة من
 تلك الأسلحة . كما ان وسائل التموين ، ووسائل القتل لا تعدو الحيوانات التي
 لها قابليات محدودة ، هي تلك العهود كان في وسع الأمم المحكومة ان تنال
 حريتها واستقلالها بمجهود أقل ، بل انها قد تظهر بما كانت تريد بمفردها من
 دون حاجة الى معونة خارجية . ولكن بعد اختراع الماكينة ، والبحار
 والكهرباء فقد انقلبت الأوضاع تماماً ، وتغيرت الأسلحة تغيراً كلياً .
 أصبح الفكر هو المهيمن في الحروب بدل القوى العضلية والحيلية ، وأصبحت
 الماكينة هي التي تعمل عملها القتال عوض السهم ، والسيوف والرمح ، فما كنه
 المدفع الرشاش ، وما كنه المدفع ، وما كنه الدباب وما كنه الطائرات هي التي
 تقرر النتائج في الحروب . وأمس القلاع والحصون ، والمخنادق ، وما الى
 ذلك من الموانع التي تعملها يد الانسان لا تقوى على الصمود امام نيران هذه
 الانواع من الماكينات بل ان الموانع الطبيعية أخذت تنداعى ، وتصدع عن
 هول فتكاتها وعظيم تحريباتها . ثم ما كنهات السيارات والطائرات وما كنهات
 السفن أخذت تلعب دورها الخطير في تنظيم التموين ، وتنظيم القتل وتقريب

البعيد . ان الامة القوية المتحكمة . التي استحضرت اسباب القوة ، وعبأت
 مختلف اسلحتها النارية اخذت تهدد الامة المحكومة ليس من الارض فحسب
 بل من الارض . والبحر والسماء على السواء . ولما كانت الامة الحاكمة تعمل
 قبح كل شيء ، لتعزيب الامة المحكومة من جميع انواع الاسلحة الحديثة ،
 فاصبحت المسألة كبيرة بين قوتها ، وقوة هذه الامة . ففها غلت فيها الروح
 الوطنية وكتت فيها قوة المقاومة فهي لا تقوى على مجابهة نيران الاسلحة
 الحديثة . اذن فان المدية القائمة ليست في حادب للامم الصغيرة ولا يمكن ان
 تكون في جاسها في وقت من الاوقات . الى صربت امثلة كثيرة ، وابدت وقائع
 متعددة تاريخية (١) توضح هذه لمقطة فلا وجه لاعادتها هنا ايضا ، فالنتيجة
 التي يخلص اليها من هذه الملاحظات البسيطة هي ان الامم المحكومة ترداد امامها
 المعونات والمعدات كلما اردادت المدية نفدما ، واستحدث العقل المشري
 انواعا جديدة من الاسلحة . واذا كانت الامم المحكومة تحتاج الى المعونة
 الخارجية في العمود السابقة فكما بالأحرى ان يتصاعف احتياجاها ، اليها ، في
 هذا العصر ؟

وهذه الامم التي أنعمت من جديد في القرنين الثامن عشر والتاسع
 عشر ، وبالك الامم التي وجدت في القرن العشرين اما اكثرها قد نال العور
 ولما حاج بعض المعونات الخارجية . وأما الامم التي خلفها التماس الدولي ،
 أو التي نعتها الموارنة الدولية فهي ما زالت ، قليلة العدد ، وضئيلة الاثر في
 توجيه الاساسية . فولا معونة فرنسا لم يستطع واشفطون ان يقيم صرح
 احربية في عالم جديد ، ولولا تدخل الدول الاوربية للعظمى لاسيا بريطانيا
 وروسية لما تكومت دول البلقان . ولولا فرنسا أولا والتصادم البروسي-
 الفرنسي ثانيا لما انعمت ايطالية برغم جهود نبيها العظيم في حركات عام

(١) لقد وردت شواهد كثيرة في هذه المقدمة واسول الكتاب الثلاثة الاخرى .

١٨٤٨ - ١٨٤٩ . ولولا كسب بشارك عطف الدول الروسية والفرنسية
والإيطالية لما استطاع ان يكون الاتحاد الألماني قرعاً ١٨٦٦ ولولا حصاد
الدول الأوروبية في التصادم الروسي - الفرنسي لما اعلنت الامبراطورية
الألمانية في ١٨٧١ . هذه حقائق يحكيها لنا التاريخ المعيد والقريب ، لا ندحة
لنا من الاعتباس من انوارها والسير على ضيائها . واليوم الذي نحن فيه
لا يحكي أيام القرن الثامن عشر أو القرن التاسع عشر بل انه لا يشبه الربع
الاول من القرن العشرين . وان صعوبة التخلص من التحكم الأجنبي فيه قد
تضاعفت ، بصورة تدعو أبناء الأمم المحكومة الى ان يفكروا في . هائل
أهم تفكيراً عميقاً ويبحثوا مشاكلها بدقة ولباقة اكثر من ذي قبل
بكثير .

واذا قلنا ان المعونة الخارجية أصبحت ضرورة لا عى عنها لكل أمة
نطمع في حريتها وأستقلالها فليس معنى ذلك انها لا تعمل من حاسبها لتنظيم
شؤونها ، واعداد نفسها وتمييزها لخوض المعارك الأستقلالية . ان أول عصر
من عاصر الفور ، هو الثقة بقوتها ، والأعتماد على مواردها والأكتال على
سواند نفيا وقابليتهم . ان الوفود لا يحرك الماكينة اذا كان فيها حلل ،
أو اصاب آلة من آلاتها لمعطل . فالوفود انما يحرك الماكينات السليمة ، الكاملة
الاجراء والآلات . وكذلك الامة اذا لم تكن مهيئة نفسها ، ومستحضرة
جميع أسباب النهوض فمن العت ان نطلب المعونة من الخارج وان تفيد من هذه
المعونة . فالمعونة التي اشرنا اليها ، وقلنا انها ترداد ، أرديد تقدم المدينة القائمة
انما نريد بها ان الأمم المحكومة اليوم معها أعدت نفسها واستحصرت أسباب
القوة لها ، فلا يؤمن الفور ما لم تدعم بمعونة خارجية للاختلاف الكبير بين
قواتها وقوات الأمم الحاكمة لها ، والتعاون العظيم بين الاسلحة التي تعتمد عليها
الأمم الحاكمة ، والاسلحة التي يفرض وجودها في ايدي امته الأمم المحكومة

مع ان الحالة لم تكن بهذه الدرجة من الخطورة في العصور السابقة واما
الامم التي ركنت الى الهدوء والرعي بحالة الدلة والاستكانة ولا تنجيهما من ذاتها
واستكانتها معونة خارجية ، ولا عطف دولي .

فالآن وبعد ان عرفنا أن المعونة الخارجية ضرورة لا مفر منها ،
فأين يمكن ان يجد العرب حليفهم ؟ ومن أي جانب يستطيعون ان ينالوا
المعونة ؟ وهل في إمكانهم ان ياتوها ؟ .. ان الاجابة عن هذه النقاط ليست
من الامور سهلة كما يظن لأول وهلة . لأن الشعب العربي له حالات خاصة
تميزه عن باقي الشعوب الاوربية ، أو المسيحية التي نالت حريتها واستقلالها
بمصل المعونة الخارجية . انما يحاول دون معونته عاملان خطيران ليس من
الهيئ التعلب عليها . هما موقفه الجغرافي . وشرقيته واسلاميته . لا أدري
ألمس حط الشعب العربي أم لسوء حظه انه يحتل اماكن تنظر اليها الامم
الاوربية المسيطرة على العالم اليوم . بقوتها المادية . يعيون بتقديره والطمع .
انها زائفة بالمواد الخام التي تحتاج اليها الصناعة الاوربية ، وانها خصبة
ثمرة نفتقر الى إنتاجها الزراعي الشعوب الاوربية التي ضت الطبيعة على
اكثر اراضيها وقيعاتها بالخير . وانها الجسر الذي تمر من عليه قوافل
أوربة التجارية والذي يوصل العرب بالشرق . وانها راحة بالنفوس التي تصلح
لاستهلاك الانتاج الاوربي . ان شمال أفريقيا جميعه في أيدي العرب ، من
الساحل الاطلسي الى السويس ومن السويس الى فلسطين ومن فلسطين الى
سورية الى العراق ثم شبه الجزيرة العربية وسواحلها لعجينة التي تكثر فيها
الموانئ الصالحة لرسو السفن . ولنشاط الحركة التجارية العالمية . فهم يهيمنون
على البحر الابيض المتوسط وهم الموصولون بين البحر المتوسط وبحر المحيط
الهندي من طريقين من السويس وباب المندب ، ومن البصرة وما اليها . وان
البحر الاحمر انما يعد في الحقيقة بحراً عربياً خالصاً تقريباً . وفي هذه البلاد

ذات الخطورة من ناحية التجارة ، والسياسة وسوق الجيش ، شعب تربو نفوسه على
السبعين مليوناً . وهذه النفوس الكثيرة العدد إنما متصلة ببعضها لا تنجز بينها
بلاد اجنبية عنها في لعرق والدم . فإذا نفهم من هذا الوضع ؟ ..

نفهم من هذا الوضع : ان الأمم الأوروبية التي سيطرت على العالم
وموارده بقوتها المادية كانت وما تزال تعتبر البلاد العربية بلاداً حديرة
بالاستعمار ، حرية بالاستغلال لتفشيظ صناعاتها ، ولتصريف منتوجاتها ،
والاحتفاظ بممتلكاتها الأخرى بالمرور منها إليها . ولما كانت استعمارها
واستغلالها لا يتأنيان إلا بالقوة والسيطرة التامة فتماع هذه الأمم المشتركة
تسوقها حتماً الى الاتفاق فيما بينها ضد انهاء هذه البلاد والى ترك العلاقات
الأخرى جارية اذا كانت هذه العلاقات تؤدي الى رواح مناهمة لها في بلاد
العرب . وان هذه الدول لم تفتأ تراقب كل حركة استقلالية تحاول القيام
بها الأمة العربية وتسعي للقضاء عليها بمختلف الأساليب ووفق خطط
مرسومة تتفق عليها فيما بينها . فكيف يحمد شعب عربي حليفاً له بأمل منه
معمونة في يوم من الأيام اذا كان منظوراً اليه محلاً للاستغلال هو وبلاده ؟
مشكلة العرب السياسية متأنية من هذه الناحية والوقائع التاريخية المادية
مارات تؤيد هذه الحقيقة وتؤكددها . ولعل أكثر الأمم الأوروبية مناهضة
لاعمال الشعب العربي ، وأمايهما الامتياز البريطانية وفرنسية . فإذا
ارادت بريطانيا مثلاً ان تستعدي لها مصر بحدها تتفق مع فرنسا على هذه الخطة
وتمنح فرنسا لقاء مساعدتها إياها في اطلاق يدها في مصر ، حرية التصرف في
مراكش واستثناء الى هذا الاتفاق تصع فرنسا يدها على مراكش ، أو
اذا طمعت فرنسا في سورية ولبنان فأنها تطلق يد بريطانيا في العراق ،
وفلسطين وسائر بلاد شبه الجزيرة . وإذا قامت حركة استقلالية في سورية
تعاونت السلطان على احكام الواحدة تضرب وتطارد والأخرى تسد

الحدود، وتمنع العرب والملاحقين من الاًلتجاء اليها وكذلك اذا حصلت نهضة وطنية في لعراق حاربتها الدولتان بجميع الطرق والوسائل . واذا كان التعاون بين هاتين الدولتين فيما يتعلق بالامنة العربية واخصاصها تعاونا صميميا فان تعارضها مع الدول الاًخرى الطامعة أو المتحكمة في الاًقطار العربية الاًخرى لا يقل صميمية واخلاصا . فقد رأينا فرنسا تحف الى معاولة عبد الكريم الرابي حينما استفحل أمره ضد الانسان وكاد يقضي على يهوده في بلاد الريف وشتركت الدولتان الكبيرتان الاًوروبتان ضده . خفت فرنسا الى نجدة الاًسبان لانها لا تريد ان تفوز حركة وطنية عربية في منطقة عربية مجاورة لراكش لعربية التي تسيطر عليها هي وتتحكم في ابناءها خوفاً من ان تدب الروح الوطنية في هذه المنطقة العربية ايضاً . وكذلك ايطالية لما ارادت ان تدوخ ايبية العربية وجدت معونة صادقة ونايبدأ حاراً من الامم الاوربية . ولم يحظر على مال احدي تلك الامم ان تحول بين ايطالية واستعداد شعب عربي . ودبح، ذلك لان ايبية كانت جرة آمن بلاد تركية المسلمة أولاً ولان شعبها شعب عربي مسلم ثانياً . فتعاونت الامم الاوربية ضد اشعب العربي والبلاد التي يحتلها هذا الشعب الكثير النفوس القوي الشكوة لم تفر حدثه ولم تحف وطأنه الى يومنا هذا .

ان الحصار القائمة التي رت الحصارات السابقة في ككتشافاتها واختراعاتها وابداعها، لم تغير حقيقة الانسان . ولم تبدل في ميوله واهوائه ونهسيته وان عبرت في طرر حياته، وبدلت في طرق معيشته واساليب تفكيره . فلا انسان الذي حكم على سقراط ان يشرب السم ، أو الذي اقام محررة لعرب المسلمين في الاندلس أو الذي اقام محررة مارتنلي ، أو أنار حرب الثلاثين عاما أو الذي حكم على « آبلار » و « ديكارت » بالسكوت وعلى « ديره نو » بالموت وعلى « مالبله » بالسجن أقول ان هذا الانسان ما ران يعيش في القرن

العشرين أهوائه وميوله، وانايبته ورهوه وكبريائه . وإذا كان هناك شيء من التغير والتبدل وإنما هو في الشكل والصورة، لا في الأصل والجوهر، وإذا كان الانسان الذي جاءت على يده هذه المنكرات وغيرها وغيرها كان يعمل بدافع الاخلاص والتفاني في سبيل الدين، فإن المنكرات والجناسات التي يشاهدها عصرنا هذا وتستسيغها حضارته إنما تبررها لديه المنفعة المادية ومغريات الاستعمار والاستغلال فالظلم واحد والجناسات متناهية في قوتها، والميول والأهواء هي . ولعل انسان القرن العشرين قد علط قلبه وأشدت ميوله وأهوائه أكثر من سلفه لأن الذي يحمره الى الظلم والعدوان وارتكاب الجناسات والمواقف عامل المادة والمنفعة بالدرجة الأولى وعامل الدين بالدرجة الثانية بينما ذلك الانسان كان الدافع له العامل الديني في الدرجة الأولى . وإذا وجد أثر للمادة والمنفعة في عمله إنما يأتي بالدرجة الثانية . وإذا كان لا يصح التفاضل في حالات الظلم والعدوان لأنها شر في حد ذاتها فإن الواقع يضطرنا الى ان نقرر بأن الظلم والعدوان للدين تثيرهما المادية والمنفعة يكونان دائما أثقل عشا وأعظم خطرا من ذبك للدين تثيرهما الروح الدنيوية

فالغرب اليوم يعمل ضد مصالحهم قوتان هائلتان المادية الاوربية والروحية الدينية . واننا لنحط إذا تهاونا في أمر القوة الثانية ومنها أنفسنا بأن التطور العقلي قد أزال التعصب الديني ومع من المعوس نعراته . صحيح ان خطره قد قل عما كان عليه في القرون الوسطى ولكن قوته ضد الشعوب الشرقية مازالت ذات خطر . ان هذه القوة قد لعبت دورها الخطير في تقويض دعائم الامبراطورية العثمانية المسلمة وانما مازالت تلعب دورها ضد الأمم العربية المنتشرة في اقطارها المترامية . فليس من السهل على الشعب العربي ان يجد له حليف في الأمم الاوربية شقية عليه حربنا على حريته واستقلاله

ولكن هل ان هذه الحال قد دفعتنا الى اليأس والقنوط ولا نحاول ان نصافح
بد احداها ، او ان نصادق بعضها لتحقيق اغراضنا القومية ونأمل منها
المعونة والمدد ؟

ان ارادة الانسان لا تقهر فاداصم وأراد يحد وحزم لن نرده عن
نصميمه وعرضه العقبات والصعاب معها كانت صليمة صليمة

اتنا جريشا الامم التي حارت آمالنا ، وحاصمت هضابنا ، واعتزمت
سبيلنا . وقد احتككتنا بالعالم الغربي فاطلعا على كثير من مقاصد أمم ، وغايات
حكوماته ، وفي وسعنا ان نتلمس طريقنا على ضوء تجاربنا ومعلوماتنا . ان
البلاد العربية تنقسمها بالدرجة الاولى الى الامتان البريطانية والفرنسية وبالدرجة
الثانية تتحكم فيها ايطاليا واسبانيا . ومن الطبيعي ان نقول ان هذه الدول
جميعها لا تصلح للحلف العربي ، ولا يؤمل منها الخير للشعب العربي . فمهمة
وايطاليا واسبانيا قد اخترنا شدة وطنتها وصرامة حكمها ، بالفعل هذه
الامم الثلاث شديدة الشر في استعمارها قوية الاندفاع في طريق الاستغلال
والانتفاع وهي فوق ذلك كاثوليكية المذهب ، العنيفة تنمسه الحاد في خصومته
الدينية . وأما بريطانيا فاتها وان كانت اكثر تساهلا من الناحية الدينية لأن
مذهبها بروتستانتي ، وهي عذبة في طمعها ، قاسية في اساليبها الاستعمارية وانها
فوق ذلك ترى في البلاد العربية أهمية خاصة لوقوعها على طريق الهند ، فلا يعقل
ان تهادن لشعب عربي ، ونسمح له طريق الحياة للمرة . وعدا ذلك فقد اصبحت
بريطانيا خصما لدودا للشعب العربي من ناحية تشجيعها الوطن القومي الصهيوني
في فلسطين ، وسعيها للتواصل ، في سبيل تمكين اليهود في فلسطين واداء
امكنها في بلاد الهلال الخصيب العربية كافة . والسياسة الصهيونية لن
تكون غير خصيمة وعدوة للسياسة العربية . ان جنوح السياسة البريطانية
لخصميد سياسة الوطن القومي اليهودي قد عي كل أمل في امكان الوصول

الى اتفاق بين الشعب البريطاني ولشعب العربي في المستقبل . هذه نقطة جوهرية لا يمكن ان يناسي اهميتها وخطورتها كل فرد عربي .
لو لم تكن بريطانيا نراة الى الاستعمار بعنف وقسوة ، ولو لم تكن تؤيد سياسة الوطن لقومي اليهودي لجار ان تكون خير حليف يتمي الارتباط به الشعب العربي نظراً الى الصلات التاريخية بين اللادين والى امكان الاستفادة من قلوباتها ، والى سهولة الاتصال بها وبمطبخاتها ولكن ما كل ما يتمنى المرأ يدركه .

وأما أميركة فلقد كانت في الماضي مقتضية سياسة العزلة ، ثم يشعها ان يتدخل في شؤون العالم وسياسته الا بقدر ما تسمح به المنافع الاميريكية المتعمقة مع القاعدة الأساسية التي قامت عليها سياستهم - الخارجية وهي قاعدة « مونرو » ولكنها في هذه الحرب الضروس قد استطاعت بريطانيا ملباقتها وكياستها ان تأخذ رورفت عظيم الاميريكيين بيدها وان تكسب بسببه الشعب الاميريكي وقد لاحت بوادر كثيرة تدل على ان روزفلت يسير في سياسته في الطريق التي سارت عليها بريطانيا وفرنسة من قبل ، اي انه اخذ يعيل الى التدخل في الشؤون العالمية ، والى الاستعادة من السياسة الاستعمارية التي كان الشعب الاميريكي يعطاهر مانفور منها والانتعاد عنها وان أميركة اليوم فوق كل هذه لتطورات التي حدثت في سياستها الخارجية وميولها ، نعيش تحت ضغط اليهود المالي في بلادها . ان رأس المال اليهودي في أميركة وهذه المجموعة اليهودية القوية فيها التي تقارب الاربعة ملايين من الانفس قد دفعتا بالامة الاميريكية الى الحرب دهماً ، وتوفقة - في تحقيق اكثر اغراضها وامانيها بالاضافة الى الجهود البريطانية وان الحكومة الاميريكية - ولا اقول الشعب الاميريكي - اخذت تشجع وتعصد الوطن القوي اليهودي والسياسة الصهيونية بحمارة وحماسة اكثر من بريطانيا . وهذه المبادرة

الخطرة المخبئة من شأنها ان تحمل الشعب العربي في يأس وقنوط من عطف
اميركة او ان شئت فقل من عطف الحكومة الاميريكية .

فلم تنق لدينا من الأمم الا وريه المهمة التي يرحى خيرها ويتقى شرها
مانفسة الى الشعب العربي ، غير الامتين لقوهين ، الالمانية والروسية ، الاولى
نظامها نازي والثانية شيوعي

ان روسية لا تهتم بالدين ولا تأبه بعواقبه واختلافاته لانها امة لا
تعترف بالدين ، ولا تسمح له بأن يحري نفوذه في اوساطها . وهذه مزية كبرى
بالنظر الى منافع الشعب العربي ومصالحه وروسية فوق ذلك لا تفكر بالسياسة
الاستعمارية ولا تبرز استعباد الأمم والتحكم في مقدراتها وانها تقول بهذه
السياسة لامن مبادئ . مذهبها قائمة عليها ولان مصالحها تقضي بها لاضعاف
الدول الاستعمارية الكبرى المنافسة لها وبلاضافة الى كل ذلك فان بلادها
الواسعة الأرجاء وتقاليدها الساسقة ، مما تهيب بها الى الاتصال بشعوب
الشرق الاوسط التي يكون الشعب العربي في طبيعتها فامل الاستمساكة في
معونة الشعب الروسي ، كبير والرجاء في حكومته عظيم ولكن الشعب
العربي حريص على تقاليده وعنصاته ، متمسك بآدابه وتاريخه ، حذر على
دينه وفروميته . فهو يابى ان يتخلل اوساطه وبيئاته ، نظام لا يقر الاسرة
ولا يحترم الدين ، ولا يأنه بالتقاييد والعنصتات ، ولا يهتم بالقومية والوطنية .
لذلك يصعب عليه التقرب من الشعب الروسي الذي يدين بالشيوعية الهادمة
لكل هذه العناصر التي يراها هو ضرورية لحياته ولكنه قد يضطر الى
التقرب من هذا الشعب اذا يأس من معونة الأمم الاخرى كافة . وقنط من
رحمة الناس عليه . (١)

(١) ويمكن تصورات الحكومة الروسية في خلال الحرب السكوية وما بعدها
وسيطرتها على دول البلطيق ودول شرقي اوربية ثم تعاونها مع الامم اميريكيين في =

وأما الشعب الألماني في سيبيريا وروسيا فإنه قبل كل شيء برونستاني المذهب
والألم البرونستانية كما يثبت عبر مرة نكون على الأكثر أكثر تساهلا من
الألم النصرانية الأخرى ، السكثوليكية أو الارنودو كسية على ان الشعب
الألماني بالطر الى نوع الثقافة التي درج عليها . والفلسفة التي قامت عليها
مدنيته ، فإنه أكثر الألم البرونستانية تساهلا في المسائل الدينية فالشعب
العربي لا يحشاه من هذه الناحية بتاتا والشعب الألماني اذا كان داميول
استعمارية فإنه على كل حال لم يطلع تاريخه بحجبات الألم المستعمرة الأخرى
ومنكراتها هذه حقيقة ليس في مقدوره تكرانها . واني وان قلت انه ذو
ميول استعمارية فلا في لا اريد ان ادفع عنه هذه التهمة للمرة لانه سبق وان
استعمر بعض المقاطعات ولانه ما زال يطالب باعادتها اليه بعد ان سلبتها منه
معاهدة فرساييل .

والشعب العربي انما يأمل من الشعب الألماني خيراً لا ساء كثيرة
عدا ما ذكر آنفا منها . أ - ان الشعب الألماني عدو اليهودية . فهو اذن خصم
طبيعي لسياسة الوطن القومي الصهيوني في فلسطين من هذه الناحية تتفق
مصالحه ومصالحه الشعب العربي . ب - ان الشعب الألماني منافس عنيد لكل من
بريطانية وفرنسة وبريطانية وفرنسة هما الامتان القويتان القاهرتان
للشعب العربي ، والمتحكمتان في مقدرات بلاده وخيراتها . ومن مصلحة الشعب
العربي ان يستعيد من هذا المنافس ويستعين لمصلحته هذا التراحم . ج - ان
الشعب الألماني قد خير أهمية الشعب العربي ، وخطورة البلاد التي يحتلها كما
انه قد ألم بكثير من أخلاقه وعاداته وعصناته ، ومن انذاراته ، وحر كانه
في سبيل نوال حريته واستقلاله . فليس من مصلحة ان يسير مع هذا الشعب في

تحت دولة اسرائيل من عدم ومخارضا الامم والأمة في العرب كل هذه من حيث آمال العرب
اجبين وأصبحوا لا يفرقون بينها وبين الشعوب المستعمرة ، الرأحية .

الطريق التي سارت عليها كل من بريطانيا وفرنسة وانما مصلحته تفضي عليه
بأن يماشيه في آماله وامانيه ، ليكسبه الى جونه اه لا ، وليضرب عدونه
اللدودتين بريطانيا وفرنسة ثانيا .

ان هذه الاسباب لها اثرها الفعال في توجيه سياسة الالمانية لمصالح
الشعب العربي اني لا ارى المانية من المنفعة المادية ومن اطباعها في البلاد
العربية ، واسكني أقول ان المنفعة والاطباع المادية اذا كانت معتدلة فهي لا
تضر بمنفعة الشعب العربي ان الشعب العربي ، لم يقل لبريطانيا ولا لفرنسة
اني أصن عليكما بكل شيء ، واحرمكما من كل منفعة تطمح اليها في بلادي
لم يقل هذا القول لهما وليس من مصلحته ان يقول لهما هذا القول .
لأن صلات الشعوب والامم انما تقوم قبل كل شيء على تبادل المنافع ،
والاشتراك في المصالح ولا توجد امة من الامم المستقلة منها وغير المستقلة
لا تحتاج الى متوحات ومواد الامم الاجنبية عنها . ان الامة التي تقول بحرمان
الامم الاجنبية من خيراتها انما هي تلك التي تريد ان تعيش في عزلة عن العالم
وما من امة في هذا العصر ، بقسادة على مثل هذه العيشة ، المنعزلة او على
استساعة مثل هذه الحياة الجافة المجدبة . واسكن بريطانيا وفرنسة احذتا
الشعب العربي بأساليب الرق المريعة ، ورمته بالدواهي القاصيات .

اني واثق بأن الهوة الى درجة أصبحت عميقة وسحيقة في عمقها بين
الشعب العربي ، وبين كل من بريطانيا وفرنسة انه ليس من المعقول ان
تصور لمكان اجتبارها في يوم من الايام في المستقبل وقد كانت تثقي هذه
وليدة الاسباب التي من اكثرها في السوء السابقة وان تثقي هذه هي التي
كانت تدفعني دوما الى القول بإمكان الاستعادة من الشعب الالمانى . (١)

(١) لم تعد المانية ذات موضوع اليوم بعد ان اندحرت وانهارت . ولم تعد مصلحة
الشعب العربي في التعاون مع شعب متدهر ولا يمكن أن يجد الشعب العربي حليفه في هذه النقطة
قد أعيد بحثه تفصيل في كتابي « العالم العربي بعد الحرب الكونية الثانية » على ضوء
تأنيق هذه الحرب

ان الحرب مارالت تقطعن الرجال وتذك معالم المدنية بوسائلها المخرقة .
وان جبهة المحور مارالت سليمة ولكن طالع الحرب قد تغير وقد يكسب الخلفاء
الحرب وتندحر المانية . فوسع الشعب العربي حينئذ ان يتجه صوب الامة
الروسية (١) واذا احسن قادته التصرف ، وكانوا حذرين متيقظين فانهم
يستطيعون ان يدركوا مبتغى في الامة الروسية من دون ان يمس نفيان
وسطهم الاجتماعي أي ضرر . واذا خرجت روسية طافرة مع الخلفاء ، فان
الصفاة بينها وبين خلفائها هؤلاء لا يدوم طول لالان طيبة مبادئ نظاميها
متناقضة فالتماس بينهما سوف يعود أعنف قوة واصلب عوداً . والامم
المطلومة من واجبتها ان تستغل التماس الدولي ، والاختلاف الأسمى لمصلحتها
وانني واثق من ان روسية ان تترك الخلفاء يتمتعون بانتصار انهم هادئين ناعمين
فلابد من الاصطدام والتماحر في يوم من الايام (٢) . ومما بين الاصطدام
سوف تكون ايران والعراق وسائر البلاد العربية المجاورة لان بريطانيا
لا تفصلها الا عن هذه البلاد .

لو كانت هناك أمم شرقية مسلمة مستقلة استقلالاً تاماً ، فصالح الاستفادة
من معونتها ومساعدتها ، فطبيع ان هذه الدول الشرقية المسلمة تكون أحدر
من غيرها بالالتفاف معها . ولكن الامم لاربية التي تعادلت على لشرق
طولة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لم تترك أمم شرقية مسلمة واحدة يركن
اليها فبأسيار الأباطورية العثمانية قد فقد المسلمون آخر ملجأ لهم يلجأون
اليه عند اشتداد الخطوب واما قيام الجمهورية التركية على انقاض الأباطورية

(١) اكبر واقول ان روسية لم تعد صالحة ان تكون حليفة أو صديقة للشعب العربي
وقد ذكرت الاسباب بالتفصيل في كتابي « الامم العربية الثانية » .
(٢) ان الاصطدام الادبي بين المسلمين قد حصل بالفعل فالتوبة الاولى قد صدقت
واكن نبوءة امكان استعادة العرب من هذا الاصطدام قد كذبت واسفاه !!

العبانية فيها شيء من القوة والحياة وان كان ماعثا الى سرور المسلمين وغفلتهم ولكن هذه الجمهورية قد اتمطت بالحوادث واعتبرت بالمعبر التي مرت على الامم اوروبية التي قامت هي على انقاضها فهي منذ ان انعمت من جديد الى يومنا هذا ، لم تفتأ تقترب من دول الغرب ، وتنفض من على جسمها رداء الشرقية ، والعصية الاسلامية ، وبدأت تتفاهن عن كل ما يمس الدين ، والشرق وحصرت همها بالسياسة الاوروبية ، واتجاهات المدينة الاوروبية . اننا لانشدن لحظة في ان رحلات تركية الحديثة بشعرون عاطفة ولا . وميل في قرارات أنفسهم لغور ونجاح الامم لشرقية المسلمة ومرحون للحياة الحرة والاستقلال . لان الزمن الذي مر على تكوين نظام دوائهم الجديدة ، أقصر من ان يتناسوا فيه هذه الصلات الروحية ، والروابط الدبيلة ولكنهم لا يستطيعون الجهر بهذه العاطفة ، حرصا على كيانهم من ان ينهار ، وحفظا لاستقلالهم من ان تعود الامم الغربية لاجتثانه من أصوله . وانهم لذلك معدرون وأما الامة الابرائية والافغانية فليس موقفها بأحسن من موقف العرب .

لعل ليا ان بصفتها دولة شرقية ، تقضي مصالحها بإبعاد النفوذ الغربي من آسيا ، يستفاد من معونتها ومساعدتها ولكنها لسوء الحظ بعيدة عن لبلاد العربية ، ولم تسع هي لتزيد في اتصالها بنا على انه من المفيد ان يكون هناك اتصال بينها وبين البلاد العربية . وان تبدأ البلاد العربية بهذا الاتصال لتستفيد من معونة هذه الامة العظيمة الشرقية اذا لم تكن من الناحية المادية فمن الناحية الادبية ، وفي الاوساط الدبلوماسية والمؤتمرات السياسية . لان المعونة لا تنحصر في الامور المادية فقط وقد يحور ان تكون المعونة الادبية في حالات خاصة ، اكثر فائدة للامم المستضعفة من المعونات المادية وفي الوقت الذي تتسابق فيه دول أوربة لتكوين جبهة أوربية أو اتحاد أوربي لا يعقل ان ليا ان تفعل عن ضرورة وجود اتحاد آسيوي تقوم هي

بزعامته ، بصفتها اكبر أمة في آسيا . ففي حالة فوز المحور في الحرب بنتيجة
مهادة شريفة يجوز للشعب العربي اذن ان يستفيد من اليابان بقدر ما يستفيد
من المانية . واذا اندحرت الآلية سوف تنقلب تماما .

• • •

ولقائل ان يقول ما هي فائدة العرب من اعتمادهم على المانية أو روسية
وهما لبدن متصلتين بالبلاد العربية مع ان بريطانيا وفرنسة متصلتان بها
ومجاورتان لها . فكيف يتصور ان تعاوننا البلاد وهما بميدتان عنها مع ان
التعاون محتمل مع بريطانيا وفرنسة في كل وقت لا اتصال الحدود ،
واشتراك المصالح ؟

ان هذا القول يصدق على المانية ولا يصدق على روسية لأن روسية
قريبة من البلاد العربية ولا يحصر بينهما غير البلاد الايرانية التي هي منطقة
للتعوز الروسي فيها شأن عظيم . ومهما كانت الحال . فان عدم الاتصال ربما
يكون من الميزات الخاصة التي تحجب للشعب العربي التوادد مع المانية أو مع
روسية . لأن الأمم الصاعدة مهما بدت عن الأمم القوية التي ترحو معونتها
ومساعدتها تكون أكثر أمنا على مستقبلها وأشد ثقة بسلامة سلطانها . وليس
فرضا على الأمة المطالبة للمعونة ان تكون مصافاة لأرض الأمة المطلوبة
معونتها . ان الأمة الفرنسية امدت البلاد الاميركية في نهضتها ضد بريطانيا
وبينها البحر الاطلسي . والأمم اللقائية استقلت عن الامبراطورية النمانية
وبينها وبين بريطانيا أو روسية حواجر طبيعية وامم مستقلة من القديم .
وان هذه الحواجر والموانع لم تمنع عنها المساعدات المادية ، كما لم تمنع المساعدات
الروحية والادبية المؤثرة . والمانية وروسية تستطيعان بمختلف الطرق وشي
الوسائل ان تعينا البلاد العربية في نهضاتها من الناحيتين المادية والادبية اذا
شاءتا ذلك . ألم تحب بريطانيا وفرنسة لاجدة بولونيا حين هاجمتها المانية في
ارائل هذه الحرب ١٩١٤ أما كانت الوفود البريطانية في موسكو تعمل لمقد

اتفاق بينهما وبين روسية قبل اتفاق موسكو مع برلين ١٩ لم تكن بريطانية مصالحة للبلاد النوبية كما انها لم تكن قريبة من البلاد الروسية اذن فهل في وسعنا ان نقول ان سياسى بريطانية كانوا قد اضاءوا ارشدهم بالمره في اقدامهم على مثل هذه الاتفاقات ١٩ فالاتفاق قد يقع بين أمم وممالك منفصلة بلادها بعضها عن بعض واسكن تربط بينها المنافع المادية ، والاسباب السياسيه. وعلى هذا الاساس فلا لوم ولا تثريب على الشعب العربى اذا مال الى جانب المايه ، او انه طمع في المعونه الروسية. (١) على انه قد يجوز ان يكون هذا العهد في المساواة بينه وبين المايه او روسيه مما يدعو رجاله وزعمائه الى ان يعملوا الاتصال بها على غير همام الامم. لان التجارب والوقائع المادية قد اثبتت غير مرة ، ان الامم القوية المجاورة للامم الضعيفة حين اقدمت على اتحاد بعض هذه الامم لصعوبة انتهت محددتها ومعونتها ، بوضع يدها عليها

لقد كان الرومانيون يحسدون الامم الضعيفة ثم يلحقونها بامراطوريتهم او يملكونها تحت شرايفهم وسلطانهم وكانت تسهل عليهم عملية الالتحاق او الاشراف بقدر ما تكون تلك البلاد ، قريبة منهم . وكذلك كان معونه الفرس اعطيم ابن سيف ابن ذى بن كانت قد انتهت بوضع اليمن تحت اشراف الفرس وسلطانهم وان موسى ابن نصير حين هاجم الاندلس لم يكن يفكر بالحاقها بالامراطورية العربية في اول الامر وانما هاجمها ، ليعاون صاحبها الشرعى اورليان على غاصب لتتاح فيها لودق بعد استئجار الاول به ولكن بعد ان عرت جيوشه امدوة ، رافقه تراثها ، وجذبت نفسه ربوعها ، فاستعصمها للامبراطورية لعربية وان امير تونس ريادة الله ابن الاعلى لما فتح جزيرة

(١) هذه كلها مجرد احتمالات كما ورد على خاطر عند قس هذه الاراء والا كرت

اذا الان فلا عجل لها لان المايه اعتمدت وروسية قد اصحت عن نواياها

صقلية انما كان مدفوعا بروح المعاربة « الهيمي » لثائر ضد الامبراطور
الجرمي في الحاريرة . فلو لم تكن المهالك المتجددة قريبة من البلاد المتحدة لما
وقعت الاخيرة في ايدي امراء الاولى . واصل من اكبر العوامل التي ساعدت
بريطانيا وفرنسة الى ان تعشا بمواثيقهما وعهودهما للعرب . واققسامهما البلاد
العربية بينهما . انما كانت صفتها صفة المجدين لها ، كان قرب هذه البلاد منها
وانصافها بممتلكاتهما . والوال كبل الويل للامم الضعيفة اذا اخذتها اطم
قوية قريبة منها ، متصلة بها ، وطامعة في خيراتها وكورها .

الفصل الثاني

قدم النعمان ابن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين
قدكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفصلهم على جميع الامم
لا يستثنى فارس ولا غيرها فذكر كسرى . وقد اخذته عزة الملك على
النعمان موقفه وتفصيله العرب على سائر الامم وندد بالعرب وفصل جميع
الامم عليهم في كلام طويل فاجابه النعمان واما الامم التي ذكرتها
فاني امة تقربها بالعرب الا انها قال كسرى بماذا ؟ قال النعمان . بحرها
ومنعتها وحسن وحووها وبأسها وسخاؤها وحكمة أسفتها وشدة عقولها
وأفقتها ووفائها فاما عررها ومنعتها فانها لم تزل مجورة لاناك الذين
دوخوا البلاد ووطدوا المهالك وقادوا الهند لم يطعم فيهم طامع ولم يلهم
نائل ، حصونهم ظهور خيولهم ومهادهم الارض وسوقهم السمائم وحتمهم
السيوف وعدتهم الصبر ادعيرها من الامم انما عررها الحجارة والطين وجراثيم
البحر . واما حسن وحووها وألوانها فقد يعرف فصلهم في ذلك على غيرهم
من الهند المنعرفة والصين المنحفة والترك المشوهة والروم المقتشرة وأما انسابها

وأحسابها فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من
أولها . حتى أحدم ليسأل عن وراء أبيه دنيا فلا يقسبه ولا يعرفه وليس
أحد من العرب إلا يسمى آباءه أباً فأما . حاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا
به أسابهم فلا يدخل رجل من غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسه ولا يدعى
إلى غير أبيه . فأما سعادتها . فإن أدنام رجلاً الذي تكون عده البكرة
والناب عليها نلعه وحمله وشبعه وريه فيطرقة الطارق الذي يكتب في القلدة
ويجترى بأشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دينه كلها فيما يكسبه حسن
الأحدوة وطيب الذكر . وأما حكمة السفتهم فإن الله تعالى أعطاهم في
أشعارهم وروثهم كآلامهم وحسنه وورثه وقوافيه مع معرفتهم بالأشياء
وصبرهم بالأعمال والبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس .
ثم خيلهم فصل الخيل ونسأؤهم أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ومعادتهم
الفصة والذهب وحجارة جسامهم الجرع ومطايهم التي لا يبلغ على مثلها
سفين ولا يقطع بمثلها بلد قعر . وأما دينها وشريعتها فأنهم متمسكون به
حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهراً حراماً وبلداً محرماً ويتأهبوا
ينسكون فيه مناسكهم وينبحون فيه دبائهم فيلقى الرجل قائل أبيه وأخيه
وهو قادر على أحد ثاره وأدراك رعمه منه فيحججه كرمه ويمعه دينه عن
تناوله ، دى . وأما وفاؤها فإن أحدم يلحظ اللحظة ويومئ الأمانة وهي
ولت وعقدة لا يحلها إلا خروج نفسه وإن أحدم يرفع عوداً من الأرض
فيكون رهماً بدينه فلا يفلق رهنه ولا تحمر ذمته وإن أحدهم ليبلفه أن رجلاً
استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفي تلك
القبيلة التي أصابته أو تفي قبيلته ، لما أخفر من جواره . وأنه ليلجأ إليهم
المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فعكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم
دون ماله . وأما قولك أيها الملك ، يقدون أولادهم فأنما يفعل من يفعله منهم

بالآفات أنفة من العار . وعينه من الأرواح . وأما قولك ان افضل طعامهم
لحوم الأمل على ما وصفت منها فما يتركوا ما دونهما إلا احتقاراً له فمدوا الى
احلها وافصلها فكانت سرا كهم وطعامهم مع انها اكثر الهائم شعوماً واطيبها
لحوماً وأرقها المأماً وأقلها غائلة واحلاها مصغة وأنه لا شيء من اللذات
يعالج ما يعالج به لحمها إلا استعان فضلتها عليه . وأما محاربتهم وأكل مصمهم
بعضاً وتر كهم الأتقياد لرحل سوسهم ويحمهم فأنما يفعل ذلك من يقطعه من
الأمم اذا آست من نفسها ضعفاً ونحوه فت نهوض عدوها بالرحف اليها وانه
أنما يكون في المملكة العظيمة اهل بيت واحد يعرف فصلهم على سائر غيرهم
فيلقون اليهم أمورهم ويقادون لهم بأمرهم . وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم
حق لقد حاولوا ان يكتوبوا موكاً أجمعين مع أنفسهم من اداء الخراج والورث
بالعسف

فمحب كسرى لما احابه النعمان به وقال انك لا اهل لموضعك من الرئاسة
في أهل اقليمك ولما هو افضل ثم كساه كسوته وسرحه الى موضعه من
الخيرة . ولما عاد النعمان الى الخيرة جمع وحوه العرب وألف منهم ومبدأ الى
كسرى ليلقى بين يديه الخطب التي تكشف عن عقول العرب الراجحة واحلامهم
البعيدة الفور ، فكان ما كان من أمر الوفد بما هو مسطور في الكتب مشهور
ذكره في الأوساط العربية كافة .

ان وصف النعمان هذا الوصف لقومه كان وصفاً رائعاً رائعاً . ولست
أريد ان احقق صدق حكاية النعمان ، وصحة وقوع حادثة الحكاية واورد
الأدلة على ذلك خشية الاطالة والخروج عن الصدد ، وانما في مقدوري ان
اقول انه اذا كانت الحكاية غير صحيحة في تفاصيلها ، فهي صحيحة في
محملها واذا كانت الجمل والتعابير ليست للنعمان في المأظها وحروفها فليس بعيداً
ان يكون النعمان قد تكلم بمعناها ومفراها . حتى أن طبع العرب الذي عاشوا

عليه فل النعمان وما هد النعمان الى يومنا هذا مما يؤيد ان وصف النعمان
كان صادقا ، ومتفقاً مع وقع الحال . و اذا اراد اُجبي ان يتفعل في الاوساط
العربية الحرة ، في نجد وتهامة وفي مواضع مختلفة من اليمن فإنه لا يرى امامه
إلا قوما كج وصعهم النعمان برعم تقادم الازمان ، وتوالي العصور فلسا
نكون بعيدين عن الصواب ، إن وثقنا بحكاية النعمان هذه ، وصداقاه في
وصفه لقومه اقيام الادلة المادية بحاشه ، فادانهم من هذا الوصف ؟ نعم ان
الشخصية الدانية قوية في العرب ، قوة تركت في كل فرد منهم أثرها العميق
وطاوعها الواضح فالقوة في الشخصية الدانية ، أو القوة في الروح الفردية
كانت طابعا غير العرب عن غيرهم من الأمم وطاهرة عمت أوساطهم وهذه
في صميم مجتمعاتهم برعم تناعد الاقطار التي يحتوئها ، والممالك التي يستوطنونها .
وان هذا الطابع أو هذه الطاهرة الدسية قد سابرنا الشعب العربي في مختلف
ادوار حياته ، وتوالي عصور تاريخه . وهذه الناحية من أخطر النواحي التي
يجب ان يعالجها مثقفو العرب ، وعلمائهم ، وزعمائهم وقادتهم . لأنها اذا
كانت تنطوي على مفاخر حمة فمبها اخطار جمه ايضا . ان النعمان قال ومثوله
حكم قاطع صحيح ، ان ترك العرب العادة الانقياد لرجل منهم يسوسهم
ويجمعهم اما مبغته كدرة البيوت التي تدعى العصر فيهم حتى لقد حاولوا ان
يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفسهم من اداء الخراج والورث بالسيف . فهو ان
ساق قوله هذا مساق الفخر والمباهاة بعرة العرب وكون القوة العنيفة في
شخصياتهم ، فإن هذه القوة أو تهمير أصبح ان هذه الفردية القوية هي التي
سدت لهم المصائب والشدائد وهي التي انحدرت بهم الى دركات الذل والعبودية
وقعدت بهم عن مجاراة الأمم في الحياة الحرة السعيدة مع انهم يربون على السعي
مليوناً من الانفس ، ذلك لأن أنفسهم أتت ان تطيع قادتها ، وان تحصى لرجل
معين يسوسها ويجمعها عن رضا منها واختيار ، فدالت الى الاجانب وخصمت

لهم مضطرة مكرهة . مصدقة لقول رهير ابن ابي سلمى :

ومن بعض اطراف الزجاج فانه

يطيح العوالي ركبت كل لهنم . . .

فالروح المردية المارمة هذه ، قد أتت عليهم ان يجتمعوا ، على أمر ،
وان يوحدوا صفوفهم لنوع غابة ، وحدث اليهم التفرقة وانتشلت وسهلت
عليهم التذلل والتذلل والتذلل ، صعدوا صعداء ، فرددتهم امام الأعداء المتعددين
المتجمعين ضدهم . كان التنوخيون في العراق ، يرون مصافاة الفساسنة في الشام وكان
الفساسنة مجتمعون عن مصافاة بني اعمامهم التنوخين في العراق ولكن التنوحيين
في عين الوقت كانوا يصادون الاكاسرة وبنو آلون الفرس والفساسنة بدورهم
كانوا يضجون ، بعضهم ويسجون بكل قال لديهم في سهل البزنطيين . كان
اليانيون يصعدون لمراقبة كبرى في وطنهم ويتطاحون هم وبها بينهم ،
ويتطاول مصهم على بعض في الحسب والفلسف والمكانة في العشيرة
والبيت

جاء الاسلام ونهى عن المصيبة الجاهلية ، واعلى الاطراف والمساواة وسد
الاستخائيم والاحقاد وما كانت تنصرم سنون على الحماسة البدوية والغيرة على
المعتقد الجديد الذي أرى بالعرب الى السلام والمهادنة فيما بينهم ، حتى طادت
المصيبة تنلس طريقة الى المجتمع العربي ، ودائرة الخلاف تعد الى صميم
الوحدة التي أقامها الدين الحنيف فتصدع كيان الامة وتمرق الشمل ، وسطت
الحواع الحاشدة على الخليفة لثالث فخرجوا شبيته بالدماء ثم انفتلوا بحتصون
فيهم فيهم فريق سار في اواء الخليفة الرابع ومنهم فريق انحرف الى
جانب معاوية فأحرقوا ثم شق فريق ثالث وهم الحوارج يحاربون الفريقين ،
ويستحلون دماء الطرفين ، وهذه الوحدة العربية التي كونتها الديانة الاسلامية
الجديدة وهذه الفتوحات العظيمة التي امتدت في سلاطنتها لاراي الاطراف

كومصة البرق في كد السماء ، أو خفقة جناح الطائر في اجواء الفضاء قد بدأت
تتلاشى وتختفي بالتدرج . وقد بدأ تلاشيها واختفاؤها ولما تمر على النهضة
العربية الاسلامية مدة العصر لواء . ومن يستطيع ان يجرح قول مونثسكيو
حين بحث العوامل التي تهيأت لامتداد عمر المملكة البيزنطية (١) ؟ ... كان
من المنتظر ان يفضي على المملكة البيزنطية على يد العرب ، الذين انبعثوا
جديداً من الجريرة ولكن هؤلاء ما كادوا يوسعون سلطانهم حتى اختلفوا فيما
بينهم فنحت بذلك بربطة من المعبر الذي كان يحتمل عليها ؟

اختصمت الاموية مع الهاشمية ، ثم لما دلت الدولة الاموية بفعل
الاجماع ، ولعرب معا ، وقامت الدولة العباسية في الشرق والاموية في الغرب
تحددت المحارر في الشرق واشتدت الخلافات بينهم من يؤيد سلطان العباسيين
ومنهم من يؤيد حق الطالبيين (وتري هنا الهواشم انقسموا على انفسهم ايضا
فاصبحوا ، اما عباسيين واما طالبيين) ومنهم من كان يعمل في المرو في
العلاية لتقويض السلطان العربي ، مما كان استناده ، عباسيا كان أم طاليبيا
أم أمويا واقامة السلطان الاعجمي في مقامه ونقبت هذه الدولة تتداولها ،
ايدي الامراء من فارس واثراك وديلم الى ان لعلت انفسها وكذلك الدولة
الاموية في الغرب ، فقد مرقتها الخلافات لما كاد القرن الرابع الهجري
ينسلخ حتى ودعت الحياة وقامت على انقاضها دويلات ، متناحرة فيما بينها ،
مماكرة تستصرخ الأجنبي لينصر بعضها على بعض ، حتى انتهى الامر بأن
أزوى السلطان العربي في اسبابا الوسيعة الارساء ، غرناطة وما إليها ، وفي
هذا الجزء الصغير ايضا لم يكفوا عن تحشيم وفسادهم فظل عبد الله الكبير
الملقب بالزغل يقاقل ابن اخيه عبد الله الصغير ، وعبد الله الصغير يهاجم الكبير
وكل منهما يستنجد بالقرنجة الى ان هاجم غرناطة فرد بناند الكائن وليكي فخار

١ « كتاب أسباب عظمة روما وانحطاطها » لونتسكيو

نحت لوائه عند الله الكبير ابن اخيه عند الله الصغير انتقاما منه وكرهية له
فاندحر الصغير امام القوة الغشوم فقص فربانده على ناصية الحال هناك
فطرده الصغير من وطن آباءه واجداده ، وثى الكبير ايضا فهلك الحصان
المتناحران بعد ان ساءا العرب وبلاد العرب هناك الى ذلك الطام الباطل فكان
بذلك آخر عهد العرب في هاتيك الاطراف .

ونحن اذ نعيد ذكريات الماضي فلا يجب علينا ان نلقى المحسومة العتيقة
بين المضربة واليانية وما تركت ورائها من آثار سيئة ، ومعالم دامية سواء
أهل الشرق أم في الغرب . فقد كانت هذه المحسومة جاهلية ولكن بينما كان
من المتوقع ان تنتهي بأنبياء الدين الجديد في الجزيرة فأنها بالعكس فقد
أزدادت عنفا وقوة . فهذه تقول نحن أحق بالملك لأنه متسلسل فيما وتلك
تقول نحن أحق بالملك لأن الهوة نزلت علينا وابوارها انما شئت من
جانبنا . وبقيتنا على هذا التناحر والتهارش الى ان اسكتها الاحنى بقواصمه
ودواهيه فلم تعد تسمع منها غير ألانين الموجه ، والعالم المجمع وأختفت في ظل
الصغار والاسعقار . حقوق الطرفين في الملك فلا تسلسل الملك فيهم انجدهم ،
ولا نزول النبوة عليهم اسفهم .

لقد غشى الناس العرب فرقدوا عسورا عديدة كلها شر وكلها
مصاص وإحس وكلها ظلام دامس ولما أخذوا على صيحات الانسانية
في هذه العهود ، التي تحرك فيها حتى الصغير الاضم ، يستعيقون من ذلك
الرقاد الطويل المنعب عادوا الى مصيبتهم ، وركنوا الى تناحرهم ونابذهم
ياط بهم عرق الفردية الباطل ، وتفتن فيهم روحيتها المتأججة فلم يندبروا
بالدواهي المعرعات ، ولا بالماضيات الموحشات قام الحسين العظيم في نورته
الكبرى ، فأبصر له غير قليل من أمراء العرب ومنوكمه بناوئونه وبناحرويه

فلا هو نظام لهم ولا هم اجمعوا حماهم له فانطوت أيامه ، وتداعى
سلطانته احترت العراق والمملكة السعودية حين لم يستند من هذا الا احتراب
غير الاجنبي الطامع في الاثمين وم ينته شره إلا لف علاج وما زال في
صدور بعض قادة الطرفين داء . وما كاد السلام يستقر بين هاتين المملكتين
الشقيقتين إلا واستمر الخلاف بين احدهما واليمن . فكان قتال وكات
ضحايا ودماء . ثم اصطاحا وما ران في القلوب شيء ببعض تارة على الا لسنه
وطوراً على الاعمال الفردية (١)

وهذه مصر تحترق احراسها ورغم انها اكثر ثقافة من البلاد العربية
الاخرى ، وتلك سورية تقتل جماعاتها وحبهاها الوطنية وغير الوطنية . ومن
يعتقد بان الرعيم الشامير كان يريد سورية شراً ؟ واسكبه قاوم اخوانه
في المبدأ وحارب لكتلوبين وصدع الوحدة الوطنية في سورية فأضعف نفسه
وأضعف معه وطني الكتلة فتهتلها الفرنسيون المتصدرون فرصة سانحة
خردوا - سورية من استقلالها القومي واحقتوا الروح الوطنية فلا الكتلة
تثبت في مقام الحكم ولا الشايد رفقائه بالوا ما يهتمون .

فهل حقاً ان الدين راحوا وطني مصر في مصر ، والدين راحوا
مخلصي سورية في سورية والدين اسعروا الحروب في نجد والحجاز واليمن
أقول فهل هؤلاء جميعهم كانوا اعداء أمتهم ، وخصوم وطنهم ؟ وهل انهم
انما أرادوا في مواقعهم هذه ، ان يسبوا أنفسهم وأوطانهم للأجنبي لقاء منافع
مادية ، ومكاسب شخصية ؟ من يحرق ان يحجب بالاجاب على هذه
هذه الاسئلة ؟ ليس من شك في ان هؤلاء الدين سبوا لأوطانهم المكبات
ولشدائد وهيا في اوساطهم ومحتمة انهم للأجنبي لسلطان وثبتوا اقدامه

(١) « اشارة الى المؤامرة التي قام بها بعض اليمانيون ضد دولة الملك عبد الله بن
السعود وذلك بعد وقوع الصلح بين الملكين »

في تربة وطهم ، اذا لم يكونوا جميعهم فأكثرهم لم يكونوا بقصدون من وراء أعمالهم منفعة الأجسي على حساب وطهم ، ولا ان يذلوا أقوامهم للأجانب الطامعين ولكما حفزهم اليها التنافس والتعصب ، والروح الفردية التي كانت وما تزال طابع الشعب العربي ، وظهرته النفسية الخاصة به . ان ملوك وأمراء شبه الجزيرة لم يتحمل مصعبهم لعص ، ورعساء مصر وبلاد الهلال الخصيب لم يتطامن احدهم الآخر وانما ارادوا ان يكونوا ملوكا اجمعين . فباتوا يذاكرهم ، وناغصهم ، واختلاف ريحهم ضعفاء اجمعين . . .

ان هذا الطابع الذي رسم العرب بعينه طوال هذه العصور واقرن وان هذه الطاهرة النفسية التي رقت عيشهم ، ووعرت حياتهم اذا امتلح بها العرب ونهات بها ملوكهم فيها امري داؤم العصال ، ومرصم القتال فهل آت لنا ان نفكر في علاج يشفي انفسا من شرورها ، وتخليص طامها من جراثيمها ؟ . . . فلا يسبح العرب بآدانهم بما يقولو المستشرقون للغريون عن العرب ؟ انهم يقولون ان العرب ماديون . لذلك تكثر فيهم الحيانات وتكرر منهم اعمال القدر بأوطانهم . . . ولماذا اعتقدوا فينا هذا الاعتقاد ، وذكروا في رجالنا هذا التفكير ؟ . . . لانهم يرون على نمادي الاحقاب والعصور ، اما بقناكر وبقاعص ، ويختلف فيما بيننا ، ثم ذلم انفسا واوطاسا ، وجميع ترائنا للأجانب ونحن صاغرون .

ان القلوداء يميت انه مستكر في الاعمال الرديئة ، وانه غير محب في الاعمال الحسنة الطيبة ايضا . انه مدموم في كل شيء ، في الحسن وفي القبح . ان كل شيء . تحاور هذه انقلب الى صده وان ارسطو كان عظيم حقا اد جعل الفضيلة في اواسط كل شيء . وقد قالت العرب ايضا ان خير الامور اواسطها . فالكرم ادن انما هو بين الشج والتقدير ، والشجاعة انما هي بين

الجن والنفوس ، فكما ان التذير لا يوصف يوما بالكرم فكذلك المظاهرة ان تكون شجاعة في اي حال . وماذا نقول في المتبتل المنقطع الى العبادة ، العسان على نفسه بكل شيء ، التارك العمل ، هل انه يوازي ذلك الذي يقوم بالفرائض والواجبات الدينية فقط ثم يقتل ليكمل ، ويضرب في الارض ليهبش هو واهله برخاء ويبال من متع الحياة ما استساغه الدين واماحتته المروءة ؟ ليس من شك في ان الاخير هو افضل من الاول مقاماً سواء أعند الله عز وجل أم عند الناس . واذا كانت الاديان السماوية قد أمرت الانسان بأمر يعمل لاخرته كأنه يموت عدأ فقد نبهته الى ان يعمل لدنياه كأنه يعبش ابدأ . فالقصد خير والفلو شر .

والمستشرقون حين يقولون عن العرب ما يقولون فلاهم يرون هاليج نصرانهم تماثل تصرفات الماديين حقا ثم انهم لم يكلفوا أنفسهم عناء تدقيق السراعت الى هذه التصرفات ، ولا التحقيق عن طبائع الشعب العربي وغرائره . فوقعوا في خطأ الوصف

ان للعرب أسعد الناس عن المادية ، وأعمالهم أبعد الأعمال عن اعمال الماديين . ان قوما فصل بهم الحال الى أن يرهن أحدهم قوسه ، او عصاه ، أو عوداً من الارض يلقه فلا يعلق رهنه ولا تحمر دمه ، لا يمكن ان يكونوا ماديين . ان قوما تلغ بهم عزة النفس ، الى أن أحدهم يلقه أن رجلا استجار به وعسى أن يكون بعيداً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى تفي تلك القبيلة التي أصابته او تفي قبيلته لما خفر من جواره فلا يصح ان يرموا بالمادية . وان قوما يسمون بالوفاء الى درجة ان أحدهم يلحظ اللحظة ويوميء الا بمائة هكون ولثا وعقدة لا تحلها الا خروج نفسه فلا يجوز ان يوصموا بالقدر والخيانة . ليست هذه اقوال مجردة ، او حكايات ابتدعتها الخيال ، ومصورها الوهم . كلا ! فانها حقائق ملموسة وحالات مطورة في كل

وقت وعصر .

حماه الخاحب بن زرارة كسرى لما منع تمبها من ريف اعراق فلما ادخل عليه
وتقدم بطاله قال كسرى فان ديت لكم فسدتم البلاد وأعزتم على اعداء وآدبتموني
فان صاحب بن زرارة فاني صامس للملك أن لا يفعلوا قال من لي ، أن نبي أنت ؟
قال ، ارهنت ورمي فده حاه بها صحت من كان حول كسرى وقالوا : لهداه العضا
يبي ؟ قال كسرى ما كان ايسلمها لشي . ابدأ فقبضها منه وأدن لهم أن يدخلوا
الريف ، وقام صاحب بن زرارة مهده ولما هلك ارتحل اسه عطاردا الى كسرى
يطلب قوس أبيه فقل له ما أت الذي رهنها قال أحل ! قال لما فعل ؟ قال
هلك وهو أنى وقد وفي له قومه ودي هو للعتك فردها عليه وكساه حلة

كان كليب وائل عظيم ممد كلها قد داخله الرهو والغرور ونفى على
قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويحجم
على الدهر فلا تحمر ذمته ويقرب وحش كدافي جوارى فلا يهاج ولا
تورد ابن أحد مع الله ولا تورد نار مع ناره ، حتى قالت العرب أعز من
كليب وائل ، وكاتب بنو حشم وبنو شيدان في دار واحدة شهامة و كان
كليب وائل قد نزع حليته لب مرة بن دهل بن شدان وأخوها جساس
ابن مرة . وكاتب بنسوس بنت منقذ التميمية حالة حساء بن مرة وكاتب
نارلة في شيبان محاورة حساء . وكان لها ناقة يقل لها سراب فمرت ابن
كليب سراب ناقة النسوس وهي معقولة نساء بنتها حوار جساس بن مرة .
فلما رأت سراب الاس نارعت عفاها حتى قطعتته ونعت الابن واختلطت بها
حتى انتهت الى كليب وهو على الخوص معه قوس وكدافة فلما رآها انكرها
فاستد عليها سهم فحرم صرعها ففرب لداقه وهي ترغو فلما رأتها النسوس
مالكتها فدفعت حماها عن راسها وصاحت وأدلاه وأحاراه وخرجت
فأحسنت جساسا فقتل كليباً وقامت بسبب ذلك حرب النسوس التي دامت

عشرات السنين وسفكت فيها دماء غزيرة .

بحر الاعمى الشاعر بابي الملق وهو شيخ هامة اليوم او العبد ، فقير
لا يملك غير ناقة واحدة يعمقر له وحييدته هذه التي كان عليها معتمده فيترك
عمله هذا دويبا في القسائل العربية وينطق الشاعر الصيف بقصيدته المصماء التي
التي منها قوله :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق
نشب لمفرورين بصطليانها وبات على النار الندى والمهل
وان اردنا أن نورد الشواهد والادلة التي رخرت بها بطون الكتب
لصاقت بنا المخلدات ، فعلام تدل هذه الاعمال ؟ وابن ترى المادية فيها ؟
أما الفلو والكرم حتى يصل درجة التذير والاسراف ام ما الفلو ما لوفاء الذي يبلغ حد
الكمال وفوق الكمال أم ما الفلو ما العرة ولحدة وحفظ الجوار الحالة التي تشبه الجنون ؟
فوس برهنه لقاء عمل عظيم فيصطلح به ثم لا يترك وانما يقطع ورثته المراحل
الطويلة والفيافي اشاسعة ليسترده من مرثنته حرم صرع ناقة تعود لا امرأة ،
يكاف المحير لما قتل عظيم معد ، فتكون بين الخيين تلك الحرب لضرورس الطويلة
الامد . ضيف يكتفي بالقلدة ويحترى بالشرية يعقر له مضيفه ناقة الوحيدة .
ان قوما هذه أخلاقهم وطاعهم كيف يحور أن يوصموا بالمادية وبالفرد
والحياة ؟ .. انها لعمري فردية صدرت عن المستشرقين ان لم تكن تدل على
نيات سيئة نحو الشعب العربي فاما ثقت خبطهم وخلطهم في المشرقيات ...
ليس نمة مدنية وخيانة وعدر وانما هي فردية قوية وعلو في العرة والاباء
لا اكثر ولا أقل ، ولئن تماثلت نتائج الاعمال التي تثيرها المادية ، وتوحجها
المحيانة والفردية النفسية الفردية لقويها والفلو في العرة والاباء فان
طارفا كبير آ في الواعث والأسباب ليؤدي حتما الى اختلاف في الأحكام على هذه
النتائج المتماثلة . ان القتل انما هو ارهاق الروح ، وان ارهاق الروح على اطلاقه

فعل مذموم ولكن هل ان كل ارهاق روح يكون مذموماً ؟ لقد يحور أن تكون بواعث القتل مبررة كضرورة البقاء حياة جملة ناس ، او صيانة عرض او دفاع عن وطن فهل يكون القتل المسموح عن هذه الأسباب مذموماً ، وبالتالى فهل تكون هذه النتيجة مستسكرة ؟ فاحكم على النتائج من دون ارجاع النظر الى أسبابها وبواعثها خطاً واضح ، ان الذي يقتل اساق عدا ، او لا ارتكاب عمل واضح ، او لسرقة مال ، او لتطمين شهوة العدر التي تعتلج في بعض النفوس الواطئة لا يجوز أن ينظر اليه كما ينظر الى من يقتل للدفاع عن عرض كاد أن يفتك او مال أو شك أن يسرق او وطن هوجم ، فالنتيجة وهي إرهاق الروح وان انحدرت في كل هذه الأعمال ، ولكن بواعث هذه النتيجة اختلفت فيجب ان تختلف الاحكام باختلاف هذه البواعث

ان الدين يدعوون وطائهم ، اقاء مباح شخصية ومكاسب ذاتية ، كأن ينضمون تحت ألفة الاطانب ليحاربوا اعداء. وطنهم من دون أن يفكروا هم في ملك او سلطان ، او يدلون على عورات مواطنيهم او يكونون آلة صماء في أيدي الاطانب ليبرل بواسطتها السلاء على البلاد ، او ما الى ذلك من الاعمال والاعمال المدمومة ، لا تدلس في طباعهم اثر من العزة والانهاء ، ولا قليلاً من مكارم الاخلاق ومحاسن الوفاء هؤلاء انما يعملون لنعمهم الخاص ، بقصد جعل مقدرهم لقاء قيامهم بهذه الامور فعلى مثل هؤلاء يصدق القول بأنهم ماديون ، وانهم حائزون عارون ، ولكن العرب انما يحتربون فيما بينهم ويحتلفون ، يقتلون ويقتلحرون لا لأنهم قصصوا حلالاً مقدر من الاطانب ولا لأنهم أرادوا أن يسودهم الاجني ويتحكم في مقدراتهم الغريب ، انما يقومون بهذه الاعمال ويحرقون هذه الاعمال ، من شدة عزتهم وإيمانهم ، من حبهم العميق للأجلال والسايطان . يريد كل منهم ان يتفرد بالسلطان ، وان يكون هو الأعلى ولكن تكالهم على السيطرة وحبهم

الاممى للاجلال واسلطان ، وعلوه في الاستقلال امردي واسفاهم العيب
في الفردية كل هذه اسباب ، مهتد للاسباب سبيل لنعود الى اوطهم
واختراق صهوفهم فوقعو صرعى عرتهم وانائم ، وصحايا فرديتهم ونفسيهم
القوية في نمردها . والاهواء ، والميول العبيبة اذ كانت حادة عبيبة واصماع
العقل سيطرته عليها ، انطلقت كالسمين بحرف ، بقم في سبيله من خفيف
وثقيل ، ومقول وثابت

اني لا اريد ان ارر للعرب اعمالهم ، ولا اطمح الى التحفيف من لومهم
وتقريبهم على ما حسنه ايديهم ، وما ائمت عبيه بعوسهم من تصرفات انتهت
بعوديتهم ودلتهم في الامس وليوم ولكم بحث امراً واقفا ، وحلو حقيقة
ثابتة ولو كنت ممن يعتقدون ان لشعب العربي شعب مادي يميل الى الحيانة
ولقد بطبعه وعريته ، اقول لو كنت اعتقد فيه هذا الاعتقاد لما جشمت
نفسى عناء البحث في اسباب اصمحلاه ، ولا سهرت من احل تحري عوامل
بهوضه . لان شعبا ماديا ، يميل بطبعه الى الحيانه والقدر ، حطر مربع على
الاسابية فكيف يصلح للحياة يوما من الايام ؟ واي اسباب اصمعه رثده ،
وتحرد عن ضميره وتحلى عن مريته فيرضى ان يعيش مثل هذا الشعب الخطر
على الاسابية ويسمى ليبي . له اسباب الحياة ؟ فالحق ان الشعب العربي ،
لم يكن ماديا ، وانما كان فريسة لمادية الشعوب المستعمرة ، ولم يكن غداراً
خائناً بطبعه وعريته ولكنه كان ضحية عدو لعرب وخيانه له ، واذ كان
فيه عيب فان عبيه في فرديته القوية وعلوه في استقلاله الفردى وبالتالي فانه
صريع اهوائه وميوله الحادة العبيبة ولكم اهواء وميول طاهرة . نبيلة لاشك
في طهارتها وسلها . ولما لا تكون بعض الاهواء والميول نبيلة طاهرة ؟
ان الميول والاهواء كما يحوز ان تكون ضريبة كالحقد الذي هو في الحقيقة
منع المرور ومصدرها ، وقد يحوز ان تكون خيرة كالحب والصداقة

والوطنية وحب الخير والشهقة والا^١ حلال والا^٢ عجاب . بل ان فلاسفة المدرسة
الا^٣ نقوسية ومنهم «دوقالستوارت» (١) يدكرون اوعا كثيرة للا^٤ هواه
والميوون الخيرة ولا يدكرون لتشريرة الا^٥ نوعا واحداً هو الخقد باعتسار ان
لبس للعص الا طريق واحد وهذا ما يؤيده «ديكارت» (٢) ايضا .

ان الا^٦ هواه ما هي الا طواهر تدور في انفسنا من غير ان يكون لنا
فيها عمل او بالاقول من غير ان يكون لنا فيها عمل ضروري وليس لها حقيقة
الا^٧ انها تغيرات تحقق مادة التفكير . فاللذة والالم والحب والبغص والرغبة
والرهبة كلها أهواء . وهذه الا^٨ هواه تصاحب كل فرد ، وترافق كل انسان
وانما تختلف شدة ولينا ، قوة وضعفها فاسطر الى الا^٩ خلاق الطبيعية والمكتسبة
لكل منهم فهي في الحقيقة الدعت لكل اعمال الانسان ولولاها لما كان
للا^{١٠} انسان عمل ، بل لكاف حياته مجردة فاحلة لا نفع فيها ولا خير . ان الذين
يهاجمون الا^{١١} هواه ، ويسددون بها انما هم اولئك الذين لم يدركوا أثرها في
حياة الانسان وانما هاته فلو اعطي الانسان الادراك والاختيار فغير الهوى
لكان قادراً على العمل مدركاً لما يجب أن يعمل ولتكنه يكون غير مهم ولا
عامل . كان بين تلك الا^{١٢} ارادة التي يملكها والادراك الذي يحسه هوة عميقة .
واما خطورة الا^{١٣} هواه واصرارها فتدور اذا افطنت من عقل العقل ،
واستخدمت الا^{١٤} ارادة لا^{١٥} عراضها . والانسان باعتباره كائناً يتمتع بحاسة العقل ،
فانه مسؤول ليس عن نتائج أهوائه فحسب بل وعن أهوائه نفسها ذلك لانه
يستطيع أن يوجهها كما يريد او يقاومها . ومعنى ذلك أنه يمكنه أن يدع لها
او يحتجبها ان يعينها ويساعدها او ان يمتنع عليها وان يفتح لها قلبه او يقفلها

«١» دوقالستوارت نقوسية ولد في بريمبورغ سنة ١٧٥٣ وتوفي في ١٨٢٨

«٢» ديكارت عالم فرنسي تبع في فلسفته والتجربة وأحدث وهم اول من سعى لعص

الحديث ولد سنة ١٥٩٦ وتوفي سنة ١٦٥٠

دونها. صحيح ان اللاهواء قوائين تولدها وتنميتها في نفس الانسان ولكنها
متى تكونت ونمت وجدت ازاءها الازادة والعقل.
ادن فاللاهواء وان كانت طبيعية في الانسان فانه يستطيع ان يتصرف
فيها كيما يشاء عقليه. وان يجعلها حاضمة لارادته متى يريد ويهوى ويقدر
ما تكون تربته قوية وثقافته ناصجة تكون سيطرة عقله على أهوائه قوية،
وتحكمه فيها صارما. وهذه النتيجة التي خلصنا اليها، هي التي تمنينا في بحثنا
هذا، ومن أجلها سقنا هذه الاحاديث.

تحليل وتمحيص

وكما ان كل أمة تتكون من أفرادها فكذلك خلقها العام ، وطباعها تتكون من الأخلاق والطباع الغالبة في كل فرد من أفرادها . والطبيعة العامل الأول في تكوين هذه الأخلاق العامة والطباع العالسة بلا ريب . حرارة القطس وبرودته ، خصوبة التربة وجدها ، سهولة الأرض ووعورتها جبالها وسهولها ، وقوعها على السواحل البحرية وبها عوامل طبيعية مؤثرة في التكوين الخلقي وتوليد الطباع . ان حرارة الطقس تدع الإنسان ان يكون سريع التهيج مثلاً ، وبرودته تجعله بارد الدم وخصوبة التربة تنمي فيه عريزة الكرم وجدها تقوى فيه الميل الى الاقتصاد بل تقوى عريزة البخل . وسهولة الأرض تميل بالإنسان الى السكسل بيها ووعورتها تزيد في نشاطه وكدهه وكذلك المناطق الجبلية تجعل من أبنائها اشداء اقوياء بيها المناطق السهلة تصعب في أبنائها هذه الخصائص وفي الحق اما اذا اردنا الدقة في التعبير نستطيع ان نقول ان الطبيعة واختلاف الأجواء وتباين أنواع الأرض تنمي أو تصعب الميل والطباع ، وتخصع لها لزمات والأهواء . اذا ان منشأ الأهواء هو الإنسان نفسه جميع انواع الأهواء والميل ، انما هي موجودة في قرارة نفسه وانما تكييفها عوامل الطبيعة لتلطف بعضها وتقوى آخرها حسب مقتضى الحال ، وتأثيرها فيه . ولكن العقل وما يصع من قواعد للتربية اذا لم يكن قادراً على ان يقضي على البواعث والعوامل الطبيعية فإنه ولا شك قادر الى حد كبير على توجيهها والحد من قابليتها .

ان الحب من أهواء الانسان المحسة فهذه الظاهرة الطبيعية ضرورية له
سواء انتعت له لذة أم ألماً والحب قوام كل شيء في هذه الحياة فهو
يحب نفسه قبل كل شيء ، انه يحب أن يحيا حياة سعيدة . يحب الامتلاء ، ويحب
الاجلال ويحب السيطرة والنفوذ ، ثم هو يحب أسرته ، ويحب وطنه
ويحب الانسانية التي يتقلب في احضانها فهذه أنواع الحب ، كلها أهواء
وكلها بيلة في حد ذاتها ، شريفة في غاياتها ، اذا اقتصد الانسان فيها
واعقل في استعمالها .

من يستطيع ان يجرد الانسان من حبه نفسه ؟ لا القوانين الوضعية
ولا عوامل التربية والتعليم بقادرة على محو هذه الظاهرة الطبيعية من نفس
الانسان . ان الذي تهدم آلام الحياة فيلجأ الى الانتحار يرمى نفسه في الماء
ويقبل رجل آخر لا يثاقده من لقادر انه يرفض الحياة التي يثيبها منقده .
ان مجاورته للموت ترده أشد حبا للحياة . وكم كثيراً ما يرى عظاما لا يهاون
الموت ، ولا يحشون مرارته يتعادلون أمامه في حالات خاصة حين يكونون
منه قاب قوسين أو أدنى ، ولا يبالون بما نصاب سمعهم ، من أدى ، وما نال
مكاثمهم في اوساطهم الاجتماعية من مهارة ألا ترى عظيم فرطاحنة
« هسدر و بال » ذلك الذي دافع عن وطنه وحارب الرومانيين بقوة وحرأة
يلقى بنفسه في أحضان أعدائه ويستسلم لهم حين قرر رفقاءه ومهم زوجته ،
ان يحرقوا أنفسهم في سائتهم لللا يقيموا في أيدي اعدائهم أدلاء صاغرين ؟
وهذا الاشعث بن قيس وهو عظيم من عظماء القسائل البابية التي حاربت جيوش
المسلمين في حروب الردة ، والذي عرف عند انما لا بها الموت ولا يحشوا سلطانها
والذي هب لمقاومة جيوش الخليفة الاول لمجرد سماعه من الفساة البائيات ،
يا اشعث حالانك ، حالانك ؟ . حيث استعش به واستجده ، فهل يصدق المرأ
ان رجلا هذه مكانته وهذه سجاياه يترك قبيلته فهد السيوف والرماح ،

[illegible]

و كذلك حب الامتلاك وحب الانحلال وحب السلطان والقود كلها
عوامل طبيعية واما الصدف وتقوى ونظام ونشد عوامل الطبيعية او
عوامل التربية واثبات الله وحب الامتلاك في هذين طبيعيتين اهمتهما
الطبيعية فان نفس يحب الامتلاك لانه سدد في ابدية فقط واما بحسبه
انفسه فهو تقوى وحب ويزيد حساسه اذ منبت شدة فكلمه هذا الشيء
في شي نعمه منده نسبة ذوق الانسان وانشى رغبته فهذا بين الطبيعي
حي في نفس منوحش والخصر لانه والاعظم والاسم ونحن نتعجل في
الاستيلاء شره في على ما مر من هذه ولا حتم ان نعصب منا وكذلك
نتعجل في الاستيلاء على مواد الاخرى ولا يروى ان نقاتل من ادينا لما

(١) تول بوسويه وهو قسيس فرنسي اشتهر بالمصاحفه في الخطايعه .

همى ذلك ؟ . معناه أن الطبيعة التي كونتنا وأشأنا لتكون النظام المدنى في
 هذه الحياة امرعت في أنفسنا العناصر الضرورية لتكوين هذا النظام ومن
 جملة هذه العناصر الميل إلى الامتلاك . هذا هو الحق الصراح أما أن هذا الحب
 يصنف في بئسة ويشدد في أخرى ، ويتنرى في نفس انسان ويشدد ويلطف
 ويعتدل في نفس انسان آخر فكل هذه الاختلافات إنما هي اما نتيجة عوامل
 طبيعية خارجة عن نفس الانسان واما نتيجة لتربية والوسط . صحيح أن
 الطبيعة لم تلهمنا حب الذهب والعصاة ولا حب تلك الأوراق المالية ذات القيم
 العظيمة ولكنها تعلمنا حب القيم الاعتيادية بسهولة لأن فيما ميلا طبيعيا
 للامتلاك .

وإن حب الاجلال طبيعى كذلك في الانسان وإن كان من البسير على
 التربية أن تسميه وتغير فيه . إن كل انسان في هذه المجموعة البشرية يتأثر إلى
 حد ما بالدم والقدح . إن هذا لشعور إنما هو أول المشاعر التي تظهر في الاطفال
 وهو انفعها اذا استخدم في تربيتهم . إن كل هيئة اجتماعية تستخدم ذلك
 المحرك المردوج من العقاب الشائن ولثواب الكريم وكل فرد يسعى بطبعه
 وعريته إلى أن يكون محلا للثواب الكريم ، والجراء الجيد ويبدأ عن
 موطن العقاب ، والاحتقار والاذراء . إن المتوحش الذي يستكن جحور
 الجبال ، أو يحيا في وسط المروج والغابات يستأثر به حب الاعجاب ويشعر
 بره و مباهاة حين يجد في نفسه القوة والشباب . إن هذا الحب خير انواع
 الحب الاخرى اذا استطاع الانسان التصرف فيه تصرفا حسنا . انه يوحى
 إليه بالنضحية ويشير عليه بالاخلاص ويدفعه كثيرا إلى مواقف البطولة فيحلف
 الفصيلة وبشمها . يعترم امرى القيس الشحوص إلى القسطنطينية بعد أن
 طارده المندر ابن النعمان صاحب العراق ، فيودع اسلحته ودروعه التي كان
 تركها له أبوه حفر الكندي ، لدى السموأل صاحب حصن البلق الفرد ،

فيطلب المنذر « السموأل » يسلمهم بدبعة امرى . اقيس لديه ويبنى عليه فيحاصره
في حصنه وفي تلك الاثناء كان ابن السموأل يتصيد خارج الحصن مع رفقته له
فلما آت الى حصن أبيه قصص عليه المنذر وهدد السموأل ان لم يسلمه الدبعة
قتل ابنه ففضل السموأل ان يرى ابنه قتيلا مضرعا بدمائه على ان يحون
الامانة فيسلم المال الذي كان قد اؤتمن عليه . وهكذا كان .

يجلس المنذر بن الهيمان في يوم يؤسه فيقتل عليه حنظلة ابن ابي عمراء
فيأمر بذبحه فيطلب منه حنظلة اماله سنة ليرجع الى أهله ثم يعود ويقول له
المنذر من يكفلك . فيطر هذا الى وجوه القوم فيعرف منهم شريكا من عمرو
فيطلب منه ان يكفله على ان يقتل مكانه ان هو لم يرجع فيجيب على ذلك فلما
كان العام المقبل يجلس المنذر في مجلسه ينتظر حنظلة ان يأتيه فيطلى عليه
فيهم يقتل الكفيل شريك واذا هو في هذه الحالة فاذا براكب قد طلع على القوم
فاذا به حنظلة قد أقبل متكفلا متحفظا ومعه مادته . فيؤثر هذا الوفاء بالهد
في نفس الملك فيطبق حنظلة ويترك تلك العادة السيئة (١)

يحكم بروتوس (٢) الأول القنصل الروماني على اولاده بالموت لانهم

« ١ » كان المنذر رجلا من بني امية حذوهم من الفضل اعني والاخر عمرو
من معدود الأعصاب في بعض النسخ ومن ان يحكم الكمال منهم حذر في شهر عام ثم حكمه
في نابو بن وندوب في العام بين قيس بنهم ذلك حتى اذا أصبح سأل عنهم وكان اذ
هم ذلك في حال سكر فاحمرم لاكمي بعد على ذلك ثم الاسر ثم ركب اسير في طر
الهما فامر ببناء دار من علب . والفري هو البناء الجديد . فبنيا عليهما . وحمل لنفسه
ومن في السنة من امر وود يؤس . فأول من يطلع عليه يوم سبعة يمضيه منه من لا .
وأول من يطلع عليه في يوم يؤسه يطيعه رأس ظريان اسود ثم يأمر به جديع ويهني .
الظريان . والظريان دوية كالحرة منقنة وفي الثل هما لا اظن حله العرب . اي تبارك
« ٢ » بروتوس هو اول هو سول في روم . وهو الذي . بمعونة « كولا » روح
« لوكره جيا » التي اعتدى على عهده . « سيكتون » ابن امره في روم « تاركس »
بشعر . « طاب » في روم . « الكي » في الجمهورية . ومن هو « كولا »

حكم الناس قدي يسمونه لدوق هم فني علم ان عملا ما من شيء ان يسال
 رضاء الناس عامة ويلام الدوق انه او انه وحيث سخط الناس وهو الدوق
 العام منه وهو يدعي بكلمة واحدة لا أثر لهم فاعلم الاثون وسمي
 بهذا لأن متعدد عن انبيا الناس انه سطر الى ميين ان رأي العام اكثر مما
 سطر الى صميمه ان الى الامر نفسه صحيح ان الدوق العام قد يتغير من
 وقت الى آخر وراي العام في دفع من الامور قد يتبدل بين آونة
 واخرى ولكنه حسبه أنه قد قام بما يرضى الدوق العام ويطبق
 الراي العام على ان الذي في الامور لا يتركه ان ياتي بحالين
 للمعق ولما دى لا سيما في فعل الاكثر تكلم سمعته اهلين ولسدي بالاساسة
 قوة وادا كان هناك دوق عام فدا انما انما كانت هذه من موطن حق واهل
 او راى عام قد راء انهم على سجدته قد سجدوا انهم انتمق في تدفقه ته ليعد
 آثار العدل والحق ووسوم لمدى الاساسة اي يحول بها لافل دائما
 نعم عملها احب في صميم ذلك الذي انما او ديك راى عام سجد
 مثلا الرق فقد كان طامنا بل فلالسه سهم نروه ضرورة من ضرورات
 الحياة الاجتماعية وكن احماء شيء اي كست تعمل بهذا النظام اما
 كانت تمتنع الى كثرة لعق والحر ؟ نسبه ترى لدرج والاطلس في
 المديح فيها يكونان نصيب من يعامل رفيقه بالرحمة . فهو او مسيح
 المجال له لأن يعيش عيش واسنة من ان روم حين كثر فيها افيق
 كانت تميل بسخاء الى تحريرهم وافلاته من قيود العبودية ثم اخذ عليه رداء
 الاسوة الرومانية وحقوقهم ان لا يراهم ارسلي وعلامه احكاما كما وا
 دائما يستجرون الناس على تحرير رقابهم بصحوتهم يسيرة امع ارقائهم
 وعبيدهم بالان والرق ان افلاطون حين عصب على عبده وامر اسور بسا (١)

(١) سجد افلاطون يوما من عبده ثم بصره فذكر ان يسوق و

أن يضربه عوضاً عنه وامتنع هو عن ضربه ، لم يكن ذلك منه إلا لأنه خشي
 أن يدفعه الغضب إلى القسوة بعده فأمر اسيريب الذي لم يكن تحت تأثير
 الغضب في ذلك الوقت . نعم ان اولاطون قد ذكر عليه ان يتملكه الغضب
 وان يكون تحت سلطانه وهو فيلسوف لا يحلق به ان ينال الغضب منه مثلاً
 واكنه في عين الوقت كان يلاحظ عده ويرعاه . فما معنى كل ذلك ؟ . اننا نجد
 آثار الرحمة ومبادئ الانسانية تهذب ذلك الدوق العام وتخفف من غلواء
 دبابك الرأي العام الذي كان يرى في الرق دعاية نظام الاجتماع

كذلك نظام الاستبداد الذي كانت تعانیه الأمم في القرون الاولى
 والوسطى حيث كان يعم المعمورة وبسود الاوساط وكانت الآراء العامة
 تنفسه . فهل كانت تلك العمود تحلو من حركات حرة تنال عطف الجماهير
 ونكسب رضاهم ؟ . ان هذه الجماهير وان لم تكن قادرة على اظهار شعورها في
 الجهر والعلن ولكنها كانت تشعر في قرارات نفوسها بميل وانحداب نحو
 تلك الحركات الحرة اذن فوسعنا ان نلمس في كل دور من ادوار التاريخ
 آثار العقل ومبادئ الانسانية في العوالم التي كانت تتخبطها الاذواق
 والآراء العامة التي كان يتخللها شيء من الفساد مع العلم انها لم تكن في
 وقت من الاوقات كثيرة في انواعها خطيرة في نتائجها . لأن الله عرّوجل
 قد أقاض نعمته على عباده فمنحهم قوة العقل وألهمهم مبادئ العدالة ووفر
 للانسانية العناصر المقومة لنظامها . لذلك نجد الاذواق العامة او الآراء
 العامة دائماً كانت ضد الأعمال المخربة للنظام الانساني الهادى للمعمران
 وان وحدها منها ما ينبو عن مبادئ الانسانية والعدالة فادلت الا أثر
 تغلب طبقة من الطبقات لشريعة لرمز من الارمان ، وفي هذا النوع

= أسفل الحرف الذي لا يلائم مكانه ، ولحق الى اسورب قالا « . امره سقاني
 عصان . »

الشاد من الأذواق والآراء أيضا نستطيع ان نبصر نور العدالة
وقيض الرحمة

اذن فن حب الأجلال يؤدي خدمات جلي للإنسانية وتقديم الخدمات
ان أستغل استغلالا معقولا وكذلك حب السيطرة والتفوق وأنه طمعي في
الإنسان وأنه أنرم من آثار المنفعة الخادة بين الأفراد . فلكل انسان الحق
في ان يسمى ليكون له مكانة في المجتمع وان يخلق له نفوذاً في الوسط الذي
يعيش فيه صفر أن هذا النفوذ أم كبير . هذا حق من حقوقه الطبيعية ولكن
لماذا يكون حب السيطرة والنفوذ نفيها للنفوس ؟ أي لماذا اذا ربي أحد
الأفراد بحب السلطان يغضب ويثور ؟ . يغضب ويثور لأن هذا الحب
يفسر على الأكثر مالاثرة الشديدة أو الطمع

وفي الحق ان هذا الوصف يكون محقوتا اذا كان منشأه الشعور الشديد
بالأثرة والميل الجنوني وراء المنفعة الخاصة . ويكون محقوتا لسبب مصاعف
أولاً لأن حب النفس مفوض لاسيما اذا ما ظهر وأخذ به الناس وثانياً
لأننا نثق ولنا العذر بأن لدى يسمى وراء ارضاء رغبته في احتياد
السلطان لا يستخدم سلطته متى حصل عليها إلا لتسميته وتمكينه فهو بدأ بأن
يكون طامعاً وينتهي بأن يكون مستبداً ولكن من استعمال هذا الحب بصورة
معتدلة ، واستهدف المصلحة العامة يكون خيراً محصاً ولا يلحقه المقت والخس
من الكافة .

انه لفرق عظيم بين ان يتناول السلطان مايتيادس (١) . أو تريبكس (٢)

١ « مايتياديس من ألق المواد الآتين وهو ادي عبد الحبش الايراني في وامة
ماراتون الشهيرة في ٤٩٠ قبل الميلاد

٢ « تريبكس . اركون آشي كان من عهد نبيه الالهي عشر في القرن الخامس
قبل الميلاد

أو أوستيديس (١) أو أتيقون (٢) أو تراجان (٣) أو أبو بكر أو عمر ابن الخطاب أو علي ابن أبي طالب أو غيرهم من العظام الذين أقروا نفوسهم لخدمة أوصيهم ، وتصميم جراح الأعداء ودينهم و كاليكولا أو ديمتري ، أو فلارس ، أو يزيد أو الحجاج الطغاة الجفاة

ولا شأن بحب بطريرك أسرتة ووطنه والأفصانية ، وإن هذه الأقوال من أحب مرتبطة بعضها ببعض وإن كانت تبدو لأول نظرة بغير قصد من جهة ولا يريد أن يعقب في تعيين هذه له حيزه وإنما اكتفى بأن يقول إن حب الأسرة يقضي إلى حب الوطن ، وحب الوطن يؤدي إلى حب الأوطان وإن الأوطان لا عني به عن هذه الأنواع الثلاثة من الحب

١٥٥ أوستيديس زعيم آتيني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ومعروف بالحزم وحب العدالة

« في يوم من الأيام كان يمشي في ساحة كبيرة لا أشبه بها مكان ، قال :
سأكون أول من يمشي في هذه الساحة بعد موتك طيبة » لقد ضمنت يوي ١٥٥٥
عاش في القرن الأول

« ١٥٣ » في يوم من الأيام كان يمشي في ساحة كبيرة لا أشبه بها مكان ، قال :
سأكون أول من يمشي في هذه الساحة بعد موتك طيبة » لقد ضمنت يوي ١٥٥٥
عاش في القرن الأول

« ١٥٢ » في يوم من الأيام كان يمشي في ساحة كبيرة لا أشبه بها مكان ، قال :
سأكون أول من يمشي في هذه الساحة بعد موتك طيبة » لقد ضمنت يوي ١٥٥٥
عاش في القرن الأول

« ١٥١ » في يوم من الأيام كان يمشي في ساحة كبيرة لا أشبه بها مكان ، قال :
سأكون أول من يمشي في هذه الساحة بعد موتك طيبة » لقد ضمنت يوي ١٥٥٥
عاش في القرن الأول

لأنها من جملة مقومات كيانه في هذه الحياة

فألدي بهما من جميع هذه الأنواع من الحب ثلاثة ، حب الامتلاك ،
حب الأجلال ، حب السلطان أو حب السيطرة والنفوذ واثرها في حياة
الشعب العربي وتكوين خلقه ومزاجه

• • •

إن الناعت لنا لأن نحص هذه الأنواع الثلاثة بالعناية لأنها أكثر
نفوذاً في ارادة الإنسان وأشد فعلاً في نفسه ولما كان هذا هو شأنها فإنها
تكون النتيجة من أخطر الواعث وأمر من التي تخلق الطماع العامة في الأمم
والشعوب وتؤثر في أمر جمعها .

لقد مر بنا أن هذه الأنواع من الحب هي من الأهواء والميول التي
يولد مع الإنسان وسمو فيه بنموه . فإن أحسن توجيهها واقتصاد في
في استعمالها واعتدل كانت ذات خير وبركة عليه وعلى الوسط الذي يعيش
فيه وإن هو افراط فيها كانت شراً عليه وعلى المجتمع الذي نشأ فيه . لأن
العلو في حب الامتلاك يولد الجشع . والعلو في حب الأجلال ينتج العزور
والنفوذ في حب السلطان يؤدي إلى الاستبداد . وجميع هذه النتائج خطيرة ليس
على الفرد فقط وإنما على الوسط الذي يعيش فيه ذلك الفرد . لأن الطماع العامة ،
أما هي صورة للطماع الفردية ليس غير . على أن العلو في الامتلاك أقل خطراً
من العلو في الحب أو الميل إلى الآخرين ذلك لأن حب الامتلاك أداً أنتج
البحل فإن هذا الصبر إنما ينحصر أثره في الفرد أو في المحيط العائلي الذي
يعيش فيه الفرد . وإن أضراره المباشرة بالمجموع إذا لم تكن معدومة تماماً هي
دات أثر ضئيل لا يؤبه له أداً . وأما الخطورة هي في العلو في حب الأجلال
الذي يفتيح العزور وحب السلطان الذي يؤدي إلى الاستبداد . لأن صرر كليهما

لا يؤثر في مرد أو النطق لصيق دى بعيش فيه لغرد و عما يشعورهما
الى المجتمع بل الى المجتمعات الاخرى الخارجية .

ان الانسان اذا ارط في حب الاجلال مثلا يتكون فيه برعه انفراد
والاستقلال في العمل والرأي ، وتتلشى فيه حليقة الصاعه والانقياد للغير
لان الغرور يسوقه الى ان يرى نفسه فوق كل شيء وادان ثوب افراد أمة
من الامم أو اكثريه منه من الامم بهذه السجية و صرته طهيحة طاهرة
بشأ عن ذلك ميل عام للمرد على القوايين والسلطات ، ورعه شاميه في عدم
الانقياد لسلطة ما ، أو الانصواء تحت رعاية فرد ما . وهذا النوع من حب
الاجلال ما يصح ان يطلق عليه حب الاجلال لفردى لانه يؤدى الى الغرور
الفردى وهذا النوع من الهداه هو ما كان ولا يرب يعاينه افراد
الشعب العربي

وقد يظهر الغلو في حب الاجلال في صورة اخرى كأن يدفع الغرور
بالفرد الى ان يشمر بالتفوق القوي على سائر الاقوام فيكون في تلك الحال
الغرور القوي ان قيام الفرد واجمائه قوميه نحو بلاده وقومه ، من
المرايا الحميدة ، ومن لمبادئ الاحلالية ايضا . وانه مهما كان في سبيل قوميته
وبلاده فلا يكون مع ليا ، و متحفظ بحدود او اوجب وان كان في ذلك حتمه
وهلاك اسراره وكل غرر لديه . لان الواجب يدعو الى ان يقصص النفع العام
على نفع الخاص ، و اذا اقتضت المصلحة العامة ان يفي هو ومن يحب فعليه
ان يعرض نفسه ومن يحب الى الغاء ، بحد وسرور ، وسجاء وكرم فلا
عومي التصحية في سبيل صيانة الوطن من الاعتداء او بحافطة منافع الامة
والبلاد لان التصحية في مثل هذه الحالة تكبر واحدا فكأنما هو يقوم بالواجب
لا اكثر ولا من . ولكنكم انتمو بحون محفونا وخطرا اذا تجاوز حدود
صيانة الوطن وحفظ منافع الامة الى الاعتداء على منافع شعب آخر واحتراق

حدود وطه تحت زئير الغرور القوي فهذا النوع من حب الاجلال
يصح ان يطلق اليه حب الاجلال الشعبي ، او لقومي الاعتدالي لانه
يولد شعور الاعتدال على غير اثر هذا الشعور براه حليا واضحا في
الشعوب المستعمرة كإيطالية وفرنسية وهولندا وإيطاليا

فاللوقي حب الاجلال الفردي اذن يفتح العوض ، وفقدان المطام في
الائمة ، العلوي حب الاجلال الشعبي او لقومي المتطرف يؤدي الى الاعتداء
على حقوق الامم الاخرى واحث بحريتها وكياها وكلا النوعين خطر على
الاسانية ومقنوب من الضمائر احره والمقنول السليمة

قلت ان الفرد قد يصحح نفسه وعن بحسب تحت زئير الاجلال نوعيه
الفردي ، و لقومي ، يكون في تصحيته هذه مقدرات يحسب لان في هذه
التصحيحة ليس له دمع الاسانية وري معنى الواجب فلا يكون التصحي
معاليا ، مهما كان بصورة تصحيته فهذا الذي يراه يعدي امة وفلذة كده
في سبيل امة طه شرف الاسانية وحده على الوديعة التي اؤتمن عليها ، لا
يمكن ان يلومه على معرفته بانه افاء مال كان يستطيع ان يؤدي ثمنه لمستودعه
فيها اذا اراد التحلل من اوفقه . لان اوفاء واجب ، وحفظ الامانة واجب
فهو انما قام بالواجب ، لا اكثر من الواجب . وكذلك الذي تعهد بان يعود
الى اهلك بقتله بعد امهاله مدة معينة فلا تسمح له سادى الاخلاقية ان
يعينه بتردد و تعريض نفسه لثمن فيما كان في ربه ان يهلك من الموت ،
سواء اذا كان احكم ظالما وغير مستند الى سبب شرعي او قانوني . لان
الصدق في هوى الوفاء بالعهود انما يقول بها الواجب فهو لم يقم بغير الواجب
وليس في عمله اثر من الغرور ، فهذا النوع من الاجلال الفردي انما هو محسب
للغورس الكريمة ، مستساع لدي الغرور الكريمة

(١) اشارة الى ما وقع في حادثتي السؤال والمندر .

و كذلك ما عمله بروتوس في نصحية اولاده في سبيل روما ، او ما قام
 به ميليسوس في اعدامه اذنه لمخالفته للطعام العسكري او ما قام به « ريجيولوس » (١)
 حين ابلغ روما حقيقة وضع القرطاجينيين وضح السباتو ان لا يقدر مهادنتهم
 وصلاحهم لانهم في طريق الحرب والاكسار او ما اقدم عليه « لويس فارس
 اساس » (٢) من عمل خطرناك صاحبه « والي الي دونكم لعدو ! » في اللحظة
 الحرجة التي كان عليها ونجح مواطنيه مهؤلاء وغيرهم من لعظام الانطام لم
 يكونوا مغالين في اقامتهم انفسهم بين الخطر والمهلك لانهم انما قاموا بما واجب
 نحو وطنهم وبلادهم فمثل هذا النوع من حب الاجلال القومي مقدر من الجميع
 لانه في حدود الواجب ، ومن جملة المبادئ الاخلاقية والاساسية
 وكذلك الرواد المكشعون ، والعلماء المخترعون ، والعلماء المدعون
 اذا اعطوا نصيبهم في الصعري واقفار اوفي المحيطات ولنجندات اويين
 العقاقير السامة ، والمواد الملتصقة والمتفرقة فانهم انما كانوا يقومون بواجباتهم
 نحو العلم ، ونحو الاسانية وخير البشرية فلا يكونون قد نظروا في مغاسراتهم
 او عاؤوا في اعدامهم وبالتالي فان حبهم لهذا النوع من الاجلال انما يكال
 رؤوسهم بتيجان الشرف والمجد ، فلا سبيل الى نومهم وتضييعهم
 ولكن ماذا يقول للذين يتمردون على الطعام ، ويهرمون بروحهم
 الفردية ويطمح كل منهم ان يكون اميراً او ملكاً ؟ او الذين يدفعون
 بامتهم الى العدوان والتجاوز وهطم حقوق الامم الاخرى بدافع حب السيطرة

« ١ » ريجيولوس قائد روماني كان في بعض اقرب سبيل مهادنتهم ان يكون منهم
 لدى روما ليقص في اذنه موداجيه « انا حقيق به بعد ان به اسدوا اي ما كانت
 ريد عاد الى مرطحة وعرض هذه سمات وادوت . وقد سبق ذكره في النجوت اليه
 « ٢ » بوس دوس اساس ما بعد فرسي اشتهر بنصحية به لا شعاع اخيش بوجود
 الموالية ابوسة الشهيرة بموقفه « كوستراك » من الدرسين واد بومرين وهي له
 ١٥ اكتوبر سنة ١٧٦٠ ولد في سنة ١٧٣٣

وبسائق التفوق المصري ، او العرور لقومي ؟ فكما ان الروحية الفردية
العنيفة خطره ، وبغضبة النفوس كذلك هي الروحية القومية الحادة فانها طائلة ،
قاهرة متعظية حدود الواحات وعابثة بمسدى الانسانية . واذا كان اصرار
الاولى تنحصر في مجموع معين من المجموعات البشرية فان الثانية تتجاوزها الى
اكثر من مجموعة بشرية واحدة وتفرق الانسانية في الدماء . وكما ان هبالة
الآثرى الموت فان مصير الاخرى الاضمحلال والقناء .

ولقد اصاع العرب حريتهم بسبب روحيتهم الفردية ، وعلوم في حب
الاحلال الفردي واضاعت روما كذلك عظمتها بتأثير عرورها
القومي الحاد . (١)

واليوم تلوح في الآفاق عين لواء . فالعرب تقسمهم الروحية
الفردية وتمنع عليهم الحياة الحرة والشعوب المستعمرة تتطاحن وتنتفي في
بينها ، وقد خر غير واحد من هذه الشعوب المستعمرة التي تزواها روحية
العرور القومي ، صريعا يستحيط بدمائه ويتغلب في شروره وآثامه (٢)

والشعب العربي اذن مصدر بلائه من طبعه ، ومبدئاً ذله وعودته
من صراجه وخلفه . فما هي العوامل التي كوت هذا الطبع ، وأنشأت فيه هذا
المزاج والمخلق ؟

لقد نشأ الشعب العربي ، في شبه حريرة العرب وهذه القطعة من
المعمورة ، نعورها المخصوصة ، وكثير من اسباب الحياة المرفقة ، وعوامن
الثبات والاستقرار

لقد كان هذا لشعب في حياته البدائية يعيش عبثة قبيلية ، ومن طبيعة

١٨ راجع الاتحاد السامي فقد ذكر الامم المتحدة في تقريرها عن الامم المتحدة
من التفصيل

٢٠ اشارة الى ما حدث بفرنسا

الحياة القليلة في كبر العمر فيم وهي شديدة. ثم شدة آهوه وشخصيته
وبعتمد اعتمادا مطلقا على قوته. ثم شدة ليلته. ثم شدة انقباض
الى الاستقرار والهدوء. ثم شدة حبه الى الاخلاق
والطباع. ثم تقوم الليونة. ثم شدة خوفه من الحزن
والاظف مكان شطف اميش وروبو. ثم شدة حبه الى الموت
الدائمة بدلا عن ميوت الشدة. ثم شدة حبه الى الله والى وتعم
اذا سكنت ارضا معينة لا ترحلها وأخذت تحبها. ثم شدة حبه الى الله
وتربتها. ففي هذه الحالة تشعر بحاجة ملحة الى نظام يحفظه. ثم تعود
الطاعة الى نوع من طاعة. ثم شدة حبه الى الله على ذاته. ثم شدة
محاربه منافع المبيع. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله
والعهدود المشركه يستعجز الامراض. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة
فداء احتصار. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة
العتبية الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة
الاعمال. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله
الشرف. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله
ومن حتم. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله
قد صطر. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله
الماء وللشرب. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله
ويوما. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله
ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله
روح. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله
ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله
ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله
ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله. ثم شدة حبه الى الله

بالصيغة اس كان من انكر انوارى كرس وده را الخلق العام لدى
شكوه منه اليوم

[illegible]

صحيح ان لشعب العربي ، لم يمتزج جميعه في شبه الجزيرة بل ان قريفا
كثيراً منه كان قد تغلغل في البلاد المصايفه كبلاد الهلال الخصيب
العربية — وان في هذه البلاد ، أسما كثيرة بلشبات والاستقرار التي تغري
الاسان وتدعوه الي ان يسكن فيها مساكن دائمة ثابتة ، وان يزرع الى الحضارة
وان يعمود النظام والطاعة ، وما الى ذلك من نواتج المدنية والحضارة
واسكنه بالرغم من كل ذلك فقد طلت فيه الروح القبلية تستعمر في نفسه
والسبب في ذلك انه كان في قريته محظواً ، وعلى قريته حارساً ، ويلوح له
ان مؤلف كتاب تاريخ اللغات السامية القيم الدكتور «اسرائيل ولفسون»
لم يعد الحقيقة حين قال ان الشعوب السامية تتميز في كثرة ملوكها وانقسام
شعوبها الى درجة هائلة ان هذه الملاحظة ، إنما هي ملاحظة قوية وصحيحة
فإذا نظرت الى اليمن مثلاً ، — وهي الموطن الوحيد في الجزيرة الذي كان يمكن
أن تقوم فيه حكومات منظمة — لوحدت فيها مئات الأقبال عشيرين هنا
وهناك وكذلك اذا دفقت في حانة فلسطين رأيت فيها كثيراً من الملوك
الصغار المتناحسين المتناحدين ولا احدينا هذه بظاهرة العامة التي لاحظتها
الدكتور اسرائيل الا هذه الروح لفرديّة التي تطلب العلي وتدفع بكل فرد
منهم الى ان يكون ملكاً او اميراً ، واداً كما يشعر بأثر الفرديّة في نفوس
هؤلاء الذين سكنوا الحواضر فما مالك بالفرديّة التي تقتصر لافراد الدين
لم يمكنوا عاكفين على الحياة القبلية ؟؟ لماذا طلت هذه الروحية قوية وحادة
في قوتها ؟ لأن الترسمة العربية قد عدت الوسط بها واعتمتها عوض ان
تخفف من علوها وانكسر شررتها كما قالت آرتها وانما الترسمة استمرت على قوتها
في الحواضر كما لو كانت في شبه الجزيرة ، لأن هؤلاء الذين برحوا عن
اوطانهم الاصلية ، واستقروا في هذه الحواضر ، لم يقطعوا صلاتهم بوطنهم
الاصلية ، ولم يبتعدوا عن قائله بأرواحهم ، وان كانوا بأجسادهم عنها

بهيدين . انهم ظلوا يظفرون الى تقاليد وعادات وطهم الاصيلي كثن عليا
لهم من واحهم ان يترسموا مبادئها وتبعوا فواعدها . وفي الحق ، انه لم يكن
بالمتطاع ان يقطعوا عدلاتهم ووطنهم الاصيلي او ان يبتعدوا عنه بأرواحهم
لان الاختلاط طن عي مونه ولان ليس هناك حواضر طبيعية تمنع هذا
الاختلاط . فالذي يخرج من احيرة او من اشام او من فلسطين يستطيع ان
يصل اليمن او الختار او يسوح في الدهناء وعسير ومحد بكل سهولة وأين ما
يحل رحاله يجد قوما يتكلمون لغته ويتعلقون بأخلاقه ويصلوا اليهم الى
ارومة واحدة او الى جد واحد ، فكيف يتعسر الاختلاط ويصعب الامتزاج ؟
وفوق كل ذلك ان العرب الذين سكروا الحواضر وأقاموا في فلسطين او في
الاشام او في احيرة م يس منهم الدور لثاقفة والمساكن المستقرة الا الخاصة .
واما الكافة فقد ظلت تستكن بيوت الشعر والحيام وترعى الابل والماشية
وتنتقل من مرعى الى آخر ومن ماء الى غيره لان العادة التي اعتادوها وهم
في شبه احيرة قد لا رمتهم وهم في خارجها

وليس من شك في ان حياة الصحابة قد أثرت في ريق العرب الذي كان
قد تعودها واستساعها ولكن هذا التأثير كان ضعيفا لم يسيطر على الالهواء
والميول الحادة في هؤلاء ، كحب الاستقلال المردي والتنافس في الشراعة وعراقة
المحند ، والعصبية للقبيلة والعشيرة . فقد ظلت هذه الالهواء والميول قوية في
عرب الحواضر كقوتها في عرب الارياف والصحاري والواري .
ولما كانت طبيعة هذه الالهواء والميول ، تنافس النظام والطاعة ، والاستقرار
والثبات ، وتنمي روح التعرقة والتشتت ، فقد كان العرب لا يملكون حريتهم
في البلاد التي رحلوا اليها كالاشام وفلسطين ولعراق حيث كانوا تحت اشرايف
وسيادة الانجبي بل ان اليمن وقد كانت مهد العروبة وموطن العرب الاصيل
كما قد وقعت صريعة تحت أقدام الفرس . صحيح انهم كانوا يملكون شبقا

من الحرية واسكن هذه الحرية تكاد تكون معدومة وفصلا عن ذلك فاتها
كانت في مقام الشيء المستعار متى ما اراد الاجنبي ان يسترده استرده . واذا
كانت او اسطشبه الحرية وشمالها قد بقيت في نجوة من السلطان الاجنبي
فانما كان ذلك لانها بلاد فقراء لا تحب ان يمسها الرعاع ، ولا تتحلب لها
اللباء فالحقيقة المرة التي يجب علينا ان نعترف بها هي هذه فبسبب نجاسة صميم
شبه الحرية من الاحتلال الاجنبي لم يكن قوة لعرب وانما جدوب التربة
وفقر المحيط . واما المواطن العربية التي فيها خير وبركة . واني كان فيها مطمع
وقد دخلت تحت نفوذ الاجنبي فالبس كانت تحت سلطان الفرس والشام وفلسطين
وما اليها فقد كانت في قبضة البيزنطيين والعراق وحواليه كان تحت نفوذ
الفرس وكما ان الفرس والبيزنطيين كانوا يدفعون العرب العراق ، وبالعرب
الشام الى ان يقتلوا في سهلهم ولعائدتهم ، فقد كان عرب شبه الحرية البعيدون
عن السلطان الاجنبي ايضا غافلين في الدماء الى الاندلس واذا تحررت اسباب
سكن هذه الدماء القريبة لوجدتها نائمة لا تعدو هذه الاوهام والميول الحادة
الضئيفة ، التي يمكن جمعها في كلمة الروحية العردية .

وبما كان العرب في الحرية يتعطلون في طمأنينة اجاهلية ، طمع الدين
الاسلامي بأبواره من افاق الحجار الذي لم يكن يعرف يوما من الايام ما
هو السلطان الاجنبي وما هي آلامه وأوجاعه . وكان طبعيا ان ينشأ مثل
هذا الدين لحنيف المقدس لحرية الانسان ، والقائل بالانحلال الفاضلة والآمر
بمبادئ الانسانية لمصلحة من هذا لقطر الحر ، لان الافطار العربية التي كان
يراول فيها الاجنبي نفوذه وسلطانه ليس في وسعها ان تقوم بمثل هذه
الحركة الانقلابية الحرة لمناقضتها لمصلحتها

انما جاء الدين الاسلامي بعبادة جديدة وآداب جديدة ، وبأحكام
للاجتماع جديدة . وكما انه حارب الصادة الوثنية بصنف وشدة فقد حارب كثيرا

من العادات السيئة ، والعصيات ، والتف اليد القيحة التي كانت وليدة الاهواء والميول الخطرة بعين العنف والشدة . فالقرآن الكريم استنكر المصيبة الجاهلية وسفك الدماء المحرمة وندد بعادة المناجدة في الألقاب والمناجزة ، والمباهاة . وجاءت سنة الرسول الاعظم موضحة احكام القرآن ، معيدة على الأذهان استنكار هذه الميول والاهواء الخطرة ثم قام من بعده خلفاؤه الاربعة بحارب ما حارب القرآن والرسول من عادات وعصيات وتقالييد . فترك العرب ما ساءم عنه القرآن والرسول والخطباء فاطاعوا ، وانصاعوا الى النظام واختفت منهم تلك الميول والاهواء التي كوت منهم تلك الطماع الخطرة ، والامراض الحادة . قلت اختفت ولم اقل دانت او تلاشت ذلك لانهما عادت الى الظهور بعنف وقوة ولم تمر مدة طويلة على محاورة الرسول العربي ربه . ومعنى ذلك ان الحماسة القوية للدين الجديد ، واشغال القوم بالعبادة الجديدة ، وحمادهم في سبيل الله وانلاء كلمته كل هذه عوامل نفسية كانت قد ألهمتهم عن انفسهم . وعن ميولهم واهوائهم القديمة . ولكن تناقص هذه الحماسة لقوة مرور الزمن ، قد فتح الى القلوب منافذ جديدة تسربت منها تلك الاهواء والميول وكانت تقوى ونشئت كلها بعد العهد واشتط وهذه ظاهرة اجتماعية تسود المجتمعات البشرية كافة . فان احراكات الانقلابية السياسية ، كانت ام دبية ام اجتماعية تصحبها دائما حماسة منقطعة الطير ، تلهم الجماهير عما كانت قد تعودت عليه من اهواء وميول ، وما كسبت من عادات وتقالييد وعصيات ولسكنها تعود هذه الى النشوس بالتدريج كلما خفت حرارة الحماسة ، ومردت جذوتها . فالروحبة امر دية ، التي كانت من اقوى مميزات العصر الجاهلي بدأ العرب يشعرون بقوتها وسلطانها ، في اواخر عهد الخليفة الثالث ثم اخذت طريقها في النمو والازدياد تتوالي الأيام ، وتعمل الاممحدثات والفتوح . وفقدت الوقائع المادية على ان العرب يكونون قوة لا تقف في سبيلها قوة اخرى ،

إذا اتحدوا ، وتصامنوا ، وأحسنوا لطاعة واصابعوا الى النظام ذلك ، لأنهم فوق المزايا العظيمة ، - والتي هي كريمة في حد ذاتها - التي منحهم إياها القدرة المدعة فأنهم قوم ذروا احساس دقيق ، ودكاه نادر ، فإذا انصاف الى مزاياهم هذه الدكاه المشرق والاحساس لرقيق ، مالوا بكميتهم الى النظام والطاعة حاءوا بالمدح ، وقاموا بالاعمال الحارقة ، وبالعامل أنهم حكموا امبراطورية ضخمة مترامية الاطراف في خلال مدة اقل من العصر الواحد وإذا كانوا قد احتفظوا بسلطانهم في الشرق لمدة خمسة عصور كوامل ، وفي الغرب ثمانية عصور مع ان آثار الهدم ، بدت فيهم مسكرة جدا ، فسب ذلك انما هو ناشئ من عظم الامبراطورية التي كانوا قد خلقوها ، ووسعة الممالك التي احاطوها

وبعد كل ما تقدم يحور ان نسائل انفسنا لماذا عادت فيهم هذه الروحانية الخطرة التي سبب ضياع حريتهم مع ان الدين الاسلامي قد أمر بالقضاء عليها ثم انهم رأوا قائدة أبطالها بالملكاء العنصرية المشرفة التي كانوا قد خلقوها ؟ أما كان في مقدورهم ان يحافظوا على حالتهم الاجتماعية التي كانوا عليها في صدر الاسلام ؟...

يلوح لي انه كان في وسع العرب ان يحافظوا على حالتهم الاجتماعية الجديدة التي انشأها لهم الدين الجديد ، وكان في مقدورهم ان يصوبوا مملكتهم الواسعة الجديدة لو انهم صرخوا عنابة خاصة الى طرق التربية ولتهذيب وبنوا جهداً معيناً ، في سبيل الاحتفاظ بالروحانية الجديدة التي ألهمهم إياها القرآن وسنة الرسول وأعمال الخلفاء الراشدين

فلنا غير مرة ان التربية لها أثرها الكبير في توجيه الأهواء وتمحيثها او اضعافها لذلك فقد كان لا كداب القرآن وحكمة الرسول واخلاق خلفائه من بعدها أثرها الفعال في توجيه الأهواء والميول انحاء صحيحة . وقد نست

العرب التي آمنت بالدين الجديد احقادها وتركت شعثائها ومالت بكليتها الى النظام وركبت الى الطاعة . وكان كبيرهم بلقيش ناشتهم ، وعالمهم بعلم جاهلهم الا آداب الجديدة هذه ، فلما لثوا رما حتى صاروا خلقا جديداً ، وفوما آخرين ولما حاور الرسول ربه . ارتفعت بعض الرؤوس في افطار شبه الجزيرة تلك الاقطار التي دخلت فيها آداب الدين الجديد ، حدثاء وقادت فتنة الردة العلومة ، ولكن هذه الفتنة الخطيرة لم تحاه من المؤمنين الا قوة مكينة مقراصة ، فلما كادت الاولي تفدح شررها ، حتى طمسها سيل الثانية فقام عمود الدين بعد ان كاد يعين ، وآنث الاداب من جديد اكلها في جميع الاوساط العربية بعد ان اوشكت ان تقطع جذورها العاصفة . ثم استأنف العرب تأدية رسالتهم تحت الوية الخلفاء ، فكانوا في حسادهم بررة اتقياء ، وفي تأدية الرسالة كراما أوفياء . ولو ان التربية استمرت على الصورة التي قالت بها آداب الدين الجديد ، وانتفاة سارت وفق ما كان يأمر به قادة الدين الجديد ، لصغت السموس ورفت الا هواء والميول ولساد العقل عليها ونحكم فيها . ولكنها ما هي الا ومضعة من ومضعات الدهر . او خططة من خططات العصر حتى عادت العصية الجاهلية في شكل اخر ورجعت تلك الا هواء والميول بصورة اخرى . فاخذت الروحانية العربية تعث من جديد عيشها القديم في المحتمم العربي واوساطه . فقام القادة والرعماء بدعون الاسرة وبطالون بالسلطان وكل منهم يرعم انه احق من غيره لأنه الحق رحما بالنبي ، اولائه كان اعظم بيتا في الجاهلية ، اولائه افضل أعمالا اولائه اقدم اسلاما فكان الزراع بين المهاجرين والانصار وكان الاختلاف بين اليمانية والمصرية . وكان الخصام بين فريش وسائر المصرية ، ثم اشتد الامر واستفلق ، فقامت قريش تتعاضل فيما بينها ، بل ان الأموية والهاشمية اخدت تقاكر بل ان الهاشميين اخذوا يتعاضلون ويقادون فيما بينهم . ولم تكن هذه الروحانية تهيم على الافراد والكافة ولا

الامراء والقادة فقط ، وانما تلفت مجالس الخلفاء ، وأوساطهم ايضا . وما قولك
في معاوية الذي كان أفضل خليفة بعد الخلفاء الراشدين ، واحلمهم
واكبسهم والذي كان من المنتظر ان يكون هو أول من يشعب هذه الروحية
ويدرأها على النفوس ؟ انه كان من أشد لنافعين فيها ، والمورين في رنداها
واذا كنا نرى هذه الروحية حادة ، عنيفة في رحل اللحم والكياسة كهاوية
فهل نستغرب اذا لمسناها في عمه من الخلفاء والامراء والقادة ؟

ان كتب التاريخ ، والادب قد عقدت فصولا خاصة لهذه المجالس
والمحاول التي كان يعقدها إما الخلفاء وإما قادتهم وامراؤهم يقتاطر فيها التياميون
والمضربون ، أو المضربون وقريش ، أو الامويون وبنو هاشم أو الطالبيون
والعباسيون وبتلاحون وبتهماترون . فكيف نصفو السرائر . وتلقى القلوب
وتنمو نزعات الخير . وتضعف نزعات الشر ، اذا كانت الرؤوس والقادة
يزرعون هذا المزرع ، ويساسكون هذه الطريق ؟

قال معاوية لرجل من اليمن ما كان أجمل قومك حين ملكوا عليهم
أمرأة ؟ اجابه : أجمل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة
من السماء أو أئتنا عذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فأهدنا إيه قال الابرشي الكلبي لحالد بن صعوان وهما عند الخليفة
هشام بن عبد الملك . فاخبرك قال له خالد قل وقال الابرشي وكان يمانية ،
لنا ربع البيت يريد الركن اليمني ومنا حاتم طي . ومنا المهلب بن أبي صفرة .
وقال خالد منا النبي المرسل ومينا السكتب المنزل ولنا الخليفة المؤمن . قال
الابرشي لا فاخرت مضربيا بعدك .

نزل قوم من اليمن بهشام بن أخواله من كلب ففجروا عنده بتقديمهم
وحديثهم فقال هشام لحالد بن صعوان أجب القوم فقال يا أمير المؤمنين وما

أقول لقوم هم بن حالك برد وداع بجلد وسائس فرد ملكتهم امرأة ودل عليهم
هدهد واعرفتهم طارة فلم يقم نيام بعدها اليوم قائمة .

فإذا ترك مثل هذه المفاخرات ، والشاحنات في نفوس الطرفين ؟ وإذا
كانت تربية الملوك والأمراء على هذا الطرار ، أملك في تربية الطبقات
والجواهر ؟ وكيف تكون وحدة ، وتكون طاعة ، ويكون نظام ؟

لقد ناظر عبد الله بن الربيع معاوية في مجلس حاشد فأخذ كل واحد
منهما يبين أسباب شرافته ومصلحه على الآخر ولم تعد مفاخرتهما ، ان يقول
أحدهما للآخر ان جدي خير من جدك وأبي خير من أهلك وحدني أفضل
من جدتك وعمي اكل وحالي أروع وأمي انقى في كلام كثير ، ومما من
قريش ، ومن الدواينة من قريش . وكذلك أبو جعفر المنصور ومحمد بن
عبد الله بن الحسن الطالبي فقد كانت بينهما مراسلات أنطوت على المفاخرة
بالأجداد والآباء والعلماء والخالات والامهات مع ان كليهما هاشمي ، جدهما
واحد وبنتهمايت النبوة . فلا المنصور يرى الطاعة واجبة عليه لمحمد . ولا محمد
يرى الانقياد الى المنصور . ولو لم يؤد اثبات بعض هذه المفاخرات والمساجلات
الى الاطاعة لاثبت قسمها هنا ولكن قليلها كثير ، وكثيرها ممل وما على
القارىء إلا ان يرجع اليها في مظاهرها وما اكثر هذه المطان ..

والآن ليدقق المصنف في هذا النوع من الآداب ، وفي هذا الطور
من التربية فهل يراهم بتلائم وآداب القرآن والتربية التي اقام قواعدها
الرسول الامين ، وخلفاؤه الراشدون ؟ ..

صحيح ان القرآن لم يعصم النظام الاجتماعي الذي يجب ان يكون
عليه الملة الاسلامية ، وانه لم ينص على الحدود والعقوبات إلا على أنواع
معينة ولكنه وضع أساسا سليمة لهذا النظام ، ورجع الناس عن التعلق
بالاخلاق الجاهلية . وكانت السنة النبوية مفعلة لهذه الأسس ، موضحة

لما استعلق فهمه على العامة ، كما ان في اعمال حلفائه الصالحين واعمال الجهمية
لصاحبة من اصحابه من مهاجرين وانصار ما يكفي من المبادئ والقواعد ،
التي يحور ان يقوم عليها اصح نظام اجتماعي ، واحسن طرار للحكم ، واكمل
نوع للتربية والتنشئة . وايس من المعقول ان : في القرآن على كل صفة
وكلمة تمس الاجتهاد او الحكم او التربية لانه كان للاسلام كالدستور للامم
المتحضرة اليوم . وكان على رجال الحكم في الاسلام ان يتبعوا سنة النبي ومبادئه
حلفائه ارشدين كأنما قواين لا يحور الخروج عليها ، إلا اذا تحققت في
ذلك مصلحة عامة . ولكنهم تركوا كل ذلك ، عمداً أو خطأ واهملوا تلك
المبادئ والقواعد ، ومالوا الى المصايف يسترجعون ذكرياته وبهشون عصبياته
ويحبون اهوائه وميوله . لا محال لتفرد في السلطان ، واسمو الى السيطرة
والنفوذ . وادأ قلت قولي هذا ولا أعني به ان المسلمين اهلوا احكام القرآن
بالمرءة أو انهم لم يتأثروا بآياته ومبادئ الرسول وخلقه مطلقاً . فقد تغير
فيهم كثير من الميول والطباع ، واحتفت منهم أنواع من العادات والتقاليد
لسبب التي طرأها القرآن والرسول ومن جاء بعده من الرعاه والقادة . ولكن
هذه الميول والطباع . وهذه العادات والتقاليد لسبب التي تناولها لتفسير أو
اصابها الاختفاء لم تكن تلك التي لها أثرها الاكبر في تفويم الخلق العام ، وفي
تدقية الدوق العام من الاوشاب والادراة بل لعل هذا التغير في هذه الانواع
اعما طراً لامن القرآن وضع احكاماً تترك آثاراً مادية ضد من يرتكبها . ان
عادة الوأد للبيات قد تركت . وهذه لعادة قد حرمها القرآن بنص صريح .
فلماذا تركت هذه اعادة ؟ ان الخوف من العقاب كان السبب المباشر لتركها .
لا من قتل النفس المحرمة يستوجب القود ويستلزم القصاص . ان الاقران
بروحة الائم بعد وفاته كانت عادة سبب قد حرمها القرآن تحريماً مطلقاً
فلاشت آثارها من الاوساط العربية لامن من يقدم على هذه الموبقة كان

[illegible]

إن حب الأهل هو ع من لا هواء ، والأهواء بنفسها متغيرة
لا تعرف الثبات . وبكرة سطيم لا تدرك من الخضم فقط وإنما تنشأ من
المران واسمه راص . ش . والأهل ناسان تهمار ع في داخله قوتان خطيرتان هما
المتاع تسيراته وهم المتاع تدركه في الأعمال ، هما قوة أعين وقوة الأهواء .

فني تحكمت الأولى ناشائية وسيطرت عليها عرف هذا التوفيق والسلطان طريق
 المعصية ومنى كانت الثانية هي العادة ركب لطريق أو عر ، وجاء بالمكرات .
 ذلك لأن الهواء قد تسقط في حطة لأنها متغيرة ولكن العقل هو الذي يبقى
 وحده مسارياً نفسه دائماً كما قال سيديكا (١) بحق . فبقوة العقل يستطيع
 الإنسان ان يدرك قيمة المعصاة وحدودها ، وبقوته يستطيع ان يميز الإنسان بين
 الاطرار والتعريض . لذلك كان ارسطو لم يتعد الحقيقة حين وجد المعصية في واسط
 الامور . لأن العقل اذا تحكم هان عليه ان يهدي الارادة الى الوسط من كل
 امر . فانتقاد بعض المدارس الفلسفية رأيه هذا بحجة انه من لا يبين بوضوح
 معرفة الوسط في كل أمر انما هو انتقاد لم يقوم على اساس صحيح

فالعرب كما اوتوا تحت سلطان حب الاجلال المردي احاد لذلك كان
 عروهم الشخصي او المردي حاداً عيباً ، بعض عليهم حياتهم ، واقدم في
 كثير من الاوقات حربهم . فظاهرة القوصى الناشئة من عدم اطاعة ، ومن
 الحرص على الاستقلال المردي حرصاً حوياً تسكاد تكون عامة في جميع
 الاوساط العربية ، جاهلية كانت أم مسلمة . ولغزو الشخص انتهى بهم
 كذلك الى الاستبداد ، حين اقاموا الملك وشيئوه . بعد تلك الفترة لسعيدة لقي
 اشرا اليها مرارا . وهذا مرض آخر كان له أثره الدامي في المجتمعات
 العربية .

ف رغم ان الدين الجديد قد قال بالشورى ، وناهض الظلم والاستبداد
 وادعم ان سيرة الرسول ، وخدمته لاربعة كانت تنطوي على اجلال الحق
 والحرية ، فان الحكومات العربية التي قامت بعد زوال تلك الفترة كانت
 حكومات مستندة على الاعراب . وهذه النتيجة طبيعية للوحشية المفرورة .

(١) « ١ » - كما بيندوف روماني ولد في مرسية بالأسس وعاش في روما نحو اقرت
 الأول للمسيح وهو سبي الأمر طور دون وقد قتل دون . شمع له الفصل عليه .

فالتفرور الخاد بدفع المتعلقات على الامارة والسلطان الى ان يركب كل صعب
لاجل الاحتفاظ بسلطانه وصيانة منفعة الخاصة

والصبيحة العربية الناعرة من الاستسلام والاستعداد لكل سلطة ،
الشفوفة بالحريصة المظلمة وعرة المس ، هذه الطبيعة التي تاتي الانقياد
حق للسلطان المادى ، واسيطرة الهيبة لمجرد انها تحدان من الحرية الشخصية
كيف يتصور ان تنفذ بسهولة الى اساطان الجائر واسيطرة المستبدة ؟ لذلك
كان المراك دامياً ، بين طبيعة الفرد العربى ، وبين طبيعة الاستعداد الذى
كان يطمع ان يعرضه المتفعلون على الامارة والسلطان وكان العنف والعلو
في الشدة من الجانبين ، من الجانب الحاكم ومن الجانب المحكوم فالجانب
الحاكم كان يدرك انه امام قوة بعيدة عنيفة لا يمكن ان تدان الا في الامعان
في العنف والتغالى في الشدة والجانب المحكوم كان يشعر بحيف عظيم ان يتقاد
الى نظام ، وان يعطى طاعة راضية محتسرا الى من ليس له حق السيطرة
والنفوذ عليه . وهذه الروحانية هي التي تعمرك عهود الاضطراب ، التي مرت
بالحياة الامم العربية ، بعد الاسلام . اما اذا استعرضنا تاريخ الامم العربية
ايام عرها وسؤدها لم نجد فيها حقبة من الزمن حلت من اهن والاضطرابات
وسوء النوا . ذلك لان الروحانية الفردية قد تمت عليهم الحياة المنظمة
والانقياد للسلطات اولاً ، ثانياً لان الاستعداد الذي حنح اليه المتعللون على
الامارة والسلطان قد اراد في القوصى وأوغل في الشدة والعنف . فالملوك
أو الخلفاء أو ممثلوهم من مواد ومحمل يتوون شؤون الامصار كانوا مطالبين
الحرية في التصرف برواح الناس واموالهم ، ولا الارواح كانت مصار ،
ولا الاموال والحقوق كانت في امان .

ادعى الربير الخلافة واصطدم فائده بقائد الخليفة الاموي عبدالملك ابن
مروان في اربعة اهرم فائداً الربير حش الخليفة بعد ان هلك فائده فتحصن بحصنة

رجل وهم من اهل الشام على عمرو ال وهو رجل الذي عليهم فاحاط بهم
ديان ابن سهر قال ابن ابراهيم وطردوا الامان فقال دوا على حكمي فزولوا
على حكمه فضرب اعناقهم اجمعين .

قدم رجل من القادر على ساطع خطاه ، الى الحجاج فقال له علي
دين من انت قال علي دبر ابراهيم حنيفة وما كان . مشركين فقال لي اصر بوا
عنه ثم قدم آخر فقال له علي دين من انت قال علي دين ابيك الشيخ يوسف
فقال والله لقد كن صوما قواما ، نحن عنه باعلام ا واما حنيفة عنه انصرف
اليه فقال له ما حجاج سأت صاحب علي دين من انت فقال علي دين
ابراهيم حنيفة وما كان من المشركين فأمرت به فقتل وسألتني علي دين من
انت فقلت علي دين ابيك الشيخ يوسف فقال ان والله هو كان صوما قواما
فأمرت بتعليه سبيلي والله لو لم يكن لأبي من الحنيفة لآذنه ، لدم تلك
السكران . فأمر به فصرت عنه ومات الحجاج فاحصوا من قتر
صبرا فوجدوه مائة الف وعشرين دينا وعرضت لسجود . فمد حجاج
فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين دينا لم يحب شي واحد منهم فتن او صلب . وكان
الحجاج يدين بعضه لا يدين امرئ من العرافين كما يظهر من كرههم ومعتهم
الشديدين به ولقد اراد ان يجمع فاحسب الله محكمي هذا امر في ثم حذفت العرافين
فقال ابا اهل العراق . . . اهل الشام والاندلس ان راس الحجاج قد استخلف
عليكم محمدا ولدي وأوصيته فيكم خلاف ما أوصى به رسول الله في الأوصياء .
أوصى فيهم أن يقبل من محسبهم ويتردد عن من هم واني وصيته ان لا يقبل من
محسبكم وان لا يتحدوا عن محسبكم . لا والله قالوا . . . مني معاذا بكم من
اطهارها إلا خوفي ، لا احسن الله بصدقه . . . نحن انكم احوال ، ولا
احسن الله عليكم اخلاقه . . . برغم هذا . . . من حاكم . . . المحكوم وهذا
طعن الى آخره عمره حكا على عرق وحليته . . . ربي عهده . . . وسبح
ماذنيه مقالة العرافين بالحجاج وسيرة الحجاج معهم ولم يحب منهم وريته لأن

مصلحته كان تفضي ذلك

عصب لم يدرى خباياها المعاسي على وريره يعصم ابن دود السلمي فالفاه
في محل مطم ، صادر جميع امواله وأهله عائلته المقولة والثقة ولم يخرج
من السجن الا بعد ان هلك المهدد ، الا بعد ان فقد اسحق بن ور عيبيه وقد كان
مقبوب من المع الادماء وابرز الساسة في عصره .

وعصب الرشيد على ابن مكة فقتل حمقرا البرمكي وسجن اياه واخوة
حمقرا وصادر جميع املاكه وأمواله البرمكية وكذلك عصب ائتو كل على
وريره الاريب امرني الا كبر محمد بن عبد الله الرضا فقتله قتلة شيعه وصادر
جميع ما كان يملك

انما نعت القلم اذا اردنا استعراض احوال الامم العربية الفردية او
الاجمعية التي صدرت عن تلك الادارة المسقطة وما كان يقع في الحكومة
له من القائمة في شرق كابل يقع مثله واشد في حكومة العرب في العرب .
هناك هناك قوانين مكتوبة تعرف افراد مناسبات في الاعمال لمواجهة العقاب
وما هي لمحة ولم يكن هناك سلطة خاصة بالقوانين ، ولا سلطة خاصة بالنظم
السلطة التنفيذية كانت الارادة كبريه هي التي يرضى حكمها . الخليفة مطلق
الارادة ، عمانه وولائه مطلقوا الارادة ، حانه وشرطه وحراسه ، طوقوا
الارادة . نعم اكان هناك قضاء يحكمون بالقرآن وبالسنة ولكن الاقوى
التي تدخل ضمن صلاحيات القضاة وساطتهم كانت محدودة ، فالاعمال
التي كانت تدس الامر المساء ، وخطر في الاعمال السياسية . كانت في قسمة
العمل والولاية وناعه لا اذ الخليفة . ذلك كانت حيلة الافراد ، وانواع
الزوات . هناك متعلقين بآرائهم مكبهم . ومتوقعين على اشارة منهم .

الا ترى الخراج في حطة يعني احدث من لفتل ثم لم يحججه بالمصق
يعود فيصرب عقه ؟ وحمقرا البرمكي بين كابل في نساء مصباحنا بحبيبة

أصبح معاقراً رأسه وأوصال حسده في أماكن متفرقة في بساتين وأفراد عائلته
في السجون وممتلكاتهم ونزولهم مترعة من أيديهم ؟
وأي إدارة بسوءها نظام وبسبب طرأ عليها قانون تبيح لأحد أولاده أن
يقتل صبراً من أبناء جلدته مائة وعشرين لفاً ، خلال مدة ولايته ويكون في
سجون أكثر من ثلاثة وثلاثين ألف نفس لم يحب على واحد منهم قتل ولا
صلب ؟ . وأي نظام هذا الذي يستسيح أن يبلغ الخفاء بين الحاكم والمحكوم
إلى درجة أن يقوم الحاكم فيحطب أبناء البلد الذي يحكمه بمثل تلك العبارات
القارصة . المدطوبة على لفظاظة والخلافة بسمع الخليفة برصه . . . ؟

فهل إن العرب كانوا بدرجة من اللادة أنهم لا يعقلون التنظيم ولا يدركون
هوائده . . . ؟ إن الثابت غير هذا الكتاب أن العرب قوم أدكيه ألواء ، لهم عقول
راجحة ، وأحلام بعيدة الأمور ولكن أبصارهم اندعوا حصارة وأقاموا
مدينة تدلان على عنقرية وهوة اداع أدن فما هذا التناقض . . . ؟ الواقع أن
تربيتهم كانت قائمة على تقوية وتسمية الروح مردية ، التي كانوا يرون فيها
مثلهم الأعلى ، ومستندة إلى لمرور الفردي الذي كان من طبيعتهم أولاً ثم رأوا
تقويته وتسميته كواجب عليهم ثانياً . ولم استعجل أمره فيهم لم هووا على
التخلص من شروره والآفات من ويلاته فيما بعد . ولما تخون لهم سلطان
في العالم ، منوا إلى الاستعداد لأنهم من النتائج المحتملة لهذا الطمع العام والذوق
العام . وانهم برغم إقامة حصارة ومدينة أفرعوا فيها تاج قر الثهم القياضة ،
ومدقن انداعهم وعنقرياتهم وقد بدعوا عمداً في سياسة وصناعة الحكم عن
الوصول إلى نه من عن الحريات السياسية . انهم أخذوا من اليونان والرومان
حكمتهم وفلسفتهم ، أشروا روحهم في البحث عن الحقيقة ، أشاعوا في
أوساطهم ومجتمعاتهم عنومهم وموهمهم ثم أضافوا إلى كل ذلك ، الصانع العربي
والمسحة العربية وأوجدوا حضارة سميت باسمهم وأقاموا مدنيتهم وسمت

بمسحهم ومع ذلك هـتمهم لم يأخذوا من اوائك شيئا مما له صلة بالسياسة وصناعة
 الحكم . ثم يوحّدوا سلطات للتشريع ولا للأدارة والتنفيد ولم يقبوا واحداً
 من الطرق التي كان يعمل بها اليونانيون او الرومانيون في التصويت واحصاء
 الآراء ولم يخصّصوا ارادتهم لنوع من اقيودهم كان شكلها ذلك لأن الاحد
 بهذه الامور ثمة يقصص وروحيتهم وثمة لا يتلائم وطعمهم امام ، ودوقهم
 العام . وهن يعقل انهم بسر كون غوامض اعسفة ويتعلون على مشكلات
 المنطق . ويهيمون دقائق العود والتمون ويحجرون عن ادراك الاصول
 الديمقراطية ، وكيفية جمع المجالس وانتخاب الاعضاء وسن القوانين ١٢
 اذن كيف أقاموا حصاراً ومدنية في طن الاستداد وكيف ارتفع مستواهم
 الثقة في وعم على تلك الحالة التي كانت تسودها الروحانية الفردية وعدم الاستقرار .
 ان الاستداد الوطني لا يجمع فيام حصاراً ومدنية كما ان الصوج العقلي
 يجوز ان يكون في الحالة التي تسودها الروحانية الفردية وعدم الاستقرار .
 ذلك لأن الاستداد الوطني لا يقضي الا على النشاط السياسي وما يقتضيه هذا
 النشاط . وقد سبق لي أن أوضحت هذه النقطة حين بيت الفروق المميزة
 للاستداد الوطني ، عن الاستداد الاحمي (١) . واكبر دليل مادي ينص صحة
 قولي هو أن عهد الاصلاح او عهد النهضة العلمية الذي قام في اوروبا وأنتج
 هذه المدنية القائمة انما كان في عصر الاستداد الاوربي ، اذن فقد يجوز أن
 تقوم حصاراً في طن ادارة مستعدة ولكنها تكون ذات حدود معينة وآفاق
 ضيقة وكذلك الحصار العربية فقد كانت حصاراً خاصة لا تنافسها الادارة
 المستعدة .

أرجو أن لا يفسر قولي تفسيراً عاطفياً . اني اذا قلت ان ادارة الحكومات
 العربية اني قامت بعد فترة الخلفاء الراشدين كانت استداداً له ، فلا يعني هذا أنه

(١) هذا الموضوع قد بحث في اصول الكتاب الاخرى

لم يأت خلفاء أو أمراء أقاموا مزارع الحق ، وأفاضوا ورأى العدل أو لم تقيم فترات
كان يسود فيها نوع من النظام . والاستقرار . وقد ساءت أحوالهم ، وأمرهم اختلفوا
في أدبهم ، رسالتهم ، وكاتبهم ، عهودهم ، كلماتهم ، وأكثرها حيراً ، وركبها كجاءه وقد
قامت فترات كان يسود فيها نوع من اللطافة ، والاستقرار ، ولكن مع ذلك فإن
الوضع كان مستقراً ، وحالة مصر . لأن فيهم بعض الخلفاء ، ولا أمراء
المسلمين لا يغير الوضع إذا كانوا يتحدوا الاستبداد ، فقيم الحكم
الاستبدادي من بعدهم . لأنهم في روما ، لقيصرية كانت أدارتها قبله ، وإن
كان على رأس حكمهم . مثلاً ، تبتو ، ونراخان ، وأنطونيوس ، ومارث ، أوريل
أفصلا ، بعد ذلك . ذلك لأنهم ومن عدوا في حياتهم ، وسكنهم لم يصنعوا
الاستبداد ، فقامت جامعة الاستبداد من قتي من بعدهم ، فكان أيامهم كانت أيام
هدية في طلال الإدارة ، مستعدة على أن تطاعية المستبد نفسه ، وقد يكف في
بعض الفترات من أيام حكمه عن لطم والاعتساف ، ويهادن شعبه . فحينئذ
كجائته سواء سواء من حيث الحقيقة ، وأما هو . وقد سبق لي أن عالج
هذه النقطة بشيء من التفصيل في الأجزاء التي تليها ، أصول استكشاف ، ويقف
عين القوم في الفترات التي كان قد ساد فيها نوع من اللطافة ، والاستقرار .

ولكن الاستبداد . أمر في هذا ، بعد ما كان شراً على أبناء العرب ، وسلمين
وقد كان خيراً على الأمم غير المسلمة ، وعلى أبناء البلاد المفتوحة الذين كانوا
قد احتفظوا بأديانهم ، كالمسيحية ، واليهودية . لأن أحكام القرآن بحفظهم
كانت صريحة لا تقبل لتأويل ، فالخوارج حين كانوا يقتلون كل مسلم لا يقوى
قولهم ولا رأي رأيهم كانوا يحافظون على طوائف غير المسلمة ، ويصوبون
أموالهم ويملككانهم . وكذلك كان شأن المسلمين العرب في معاملتهم الطوائف
غير المسلمة في البلاد التي كانوا يفتحونها . لذلك كان أصبح العرب هيباً ، أيما على
أبناء البلاد المفتوحة ، وكان مغايراً حوسد نون حين قال لم يعرف التاريخ

فأتمنا أرحم من العرب

وصفوة القول ان حب الا*جلال العردي الحاد في العرب قد ألتج فيهم
الغرور العردي وهذا الغرور العردي مع عنهم المطام وحب اليهم عدم الانقياد
لاحد منهم وبالتالي أدى الى تفرقهم واضطراب امورهم وفقدانهم حريتهم .
وان هذه التسمية المغرورة قد جعلت نظام الحكم فيهم استبداديا ، ولم يستطع
العرب ان يقدموا للاستباية حصارا ومدينة الا بقدر ما كان يقسع لها نظام
الاستبداد . وكان يجوز ان يقدموا الاستباية اكثر ويخلقوا مدينة اوسع
أما وأغرر درآ لو كانوا قد تأدبوا بآداب القرآن وتربوا على المبادئ التي
تركها الرسول وخلقوا لهم وعصوا عن طريق التزنية وتهذيب على هذه
الروحانية او خضعوا من عوائثها على الافل وايوم تقوم في سبيلنا هذه الروح
كعقبة كؤود لأنها لاصقة بالروح وبمزجة بالدم .

وقل ان انهي البحث عن هذه العقبة الخطرة ، أود ان اتي على نفس
سؤال ربما يتوارد على فكر كل من يقرأ هذه الملاحظات المتواضعة وأقول لماذا
هذه العصابة للمرطة بهذه الروحانية الخاصة والعرب كغيرهم من الشعوب
يهضوا وفتحوا الممالك واقاموا مدينة حامية بهم وعاشوا ثم هزموا وشاخوا
وزالوا كما هزم وشاخ وراى غيرهم من الشعوب . فبين اليونان واين الرومان ؟
ألم يهضبوا من قصص التاريخ وأرلم تكن في هؤلاء هذه الطاهرة النفسية ؟
واي شر يخلق منها وهي من الامهات التي تولد معه ولا ترايله الى ان
يوسد رمسه ؟ وهل من سبيل الى تغيير هذه النفسية في الشعب العربي بعد
ان رأينا عجز الدين الجديد عن تغييرها ؟

من حق كل عربي أن يقتنع عوامل اضمحلال العرب ، وأن يستقصي
الاعل والأسباب التي أردت هذه الامة الذكيه القوية الى الهاوية . ولما كانت
الروحانية الفردية ، في طبيعة العوامل والاسباب التي هوت بها الى الخضمض

فقد أصبح لزاما على كل عربي ان يبحث طبيعتها ويسمى جاهداً ، لا يجاد وسيلة
تقضي على شرورها وتربل أوصارها ومضراتها ونكيفها الى حالة مفيدة . نعم
ان الامة كالامم كالافراد تولد وتعيش أحلا معيناً طال او قصر ، ثم يدركها الهرم
والشيخوخة والموت . ولكن أليس في الامكان ان يؤخر أجل الهرم
والشيخوخة والموت ؟ ... ان الفرد يستطيع ان يسمي أجله مبكراً ، اذا
اراد ذلك كان يستغرق في اللذات الجسدية ويدمن استعمال المواد المخدرة
ويحمل نفسه فلا يهتم بنفسه اذا مرض ، ولا يبالي اذا نام في العراء ، يطيل
السهر ، لا يلتفت لاول الطعام الصحي ، او الغذاء الكافي منه لمحافظة الجسد على
قوته . فكل هذه عوامل قد تسرع في حياة الانسان وتكون سبباً لاقتطاعها
في ربيعها . وعكسها من شأنه ان ينظم حياته ويوفر اسباب الاطالة . والله
عر وجل قد جعل لكل شيء سبباً والامة ايضاً قد يدركها الفناء وهي في
مقتل عمرها ، وقد يتأخر أجلها الى آماط طويلة . وما دام في مقدور الانسان
ان يراعي صحته ويتجنب موارد الخطر فكذلك في مقدور الامة ان
تتجنب الاسباب والعوامل التي ادت الى اصمحلال غيرها ، وأن تقصر في
امورها وتنقي مواطن الزلل ، وتحتاط لدرأ الممارسات عنها لئلا تضعف فيها
قابلية المقاومة . وتكون عرضة للاختلاطات .

ان الامة لا تموت الا بطل وأسباب ولا تبعث ونحيا الا بعوامل
واسباب ايضاً ، هذه حقيقة مفروغ منها ان فمن الواجب استقصاء جميع
هذه العلل والاسباب والعوامل المؤدية بها الى الموت ، او المعصية الى القوة
والحياة . نعم . ان العرب كغيرهم من الامة انبعثوا وعاشوا وأدركهم الهرم
والشيخوخة ورقدوا كالاُممات حيناً من الدهر ثم بدأت علامات الحياة فيهم
من جديد . ولكن ما بدأت حياتهم الجديدة هذه الا وشئنا بولدر الفناء
والاصمحلال التي سببت هزمهم وشيخوختهم ورقدتهم من قبل تلوح في

الآفاق من جديد فكيف لا يقلق من هذه الحالة من يتصل بهذا الشعب بوشيجة
الدم ، ويرتبط به بروابط الرحم ؟ .

ولقائل ان يقول ان العرب لم يهلكوا ويندثر مجدهم ، بسبب هذه
الروحية الفردية فقط وانما تصاهرت عليهم عوامل ، واجتمعت فيهم أسباب
واحدت بهم علل متنوعة كثيرة . وهذا حق وصواب لاعار عليهما ولكن
هذه الروحية هي التي انهكتهم وأضعفت فيهم قابلية المقاومة فلما ان تصاهرت
عليهم العوامل الأخرى ، عجزوا عن المقاومة والقوا السلاح مستسلمين
مستغدين . وانك ان دقت أسباب الضمحلل وفناء الأمم ، او أسباب رفوها
وعظمتها تجد اسما خاصة تتميز عن غيرها ، هي التي كانت السبب الاصيل
للضمحلل والفناء او للزف والعظمة فالاحثون انما يشارلون تلك الأسباب
الخاصة المتميزة عن غيرها ، ويحملونها مدار تدقيقاتهم ومادة بحوثهم . فالرومايون
مثلا كانوا قد وصلوا الى الذروة في عظمتهم وكانت عوامل عديدة قد ادت
بهم الى ان يسر كوا هذه العظمة المقطعة لنظير ولكن على كل حال فان روحية
الهندية القوية المشبعة بالنظام العارم ، وبعدم عن الزف والريثة كانا السبب
الخطيرين المتميزين من بين تلك الأسباب التي سببت تلك العظمة . كما ان فقدان
تلك الروحية وانهباء ذلك النظام ، واستمرارهم في الحياة المترفة كانا من
الأسباب المتميزة في زوال تلك العظمة وتداعي صروح ذلك المجد .

ونحن لا نلام اذا اولينا عبقنا الروحية الفردية الخطرة التي مزفت
او صال الشعب العربي قديما ، والتي اخذت تحطم معنويته ، ونهد سكباته
من جديد

قلنا غير مرة ان حب الأمتلاك ، وحب الاجلال ، وحب السيطرة
انما هي انواع محببة من انواع الحب ، وانما أهواء نبيلة في حد ذاتها ، شريفة في
علياتها اذا اقتصر الانسان فيها واعتدل في استعمالها . وفوق ذلك انها طبعية

في الانسان ليس في الامكان ولا من المصلحة تحريره منها تقانا . فمن اذ
يعالج هذه الناحية فالمسمة الى لشعب العربي ، فلا تقصد من وراء ذلك تحريره
منها وانما تكييفها ونهذبها وتوجيهها اتحافا آخر يقيد ولا يضر ، هذا جل
ما نطمح اليه ونهتفيه .

ان الامم تسير بهذه الـ"اوع الثلاثة من الحب . فهي تحب الـ"امتلاك
وتحب الـ"احلال وتحب السيطرة ولكن القليل منها ما يعطو بحب الـ"احلال
وحب السيطرة عمو العرب . واذا كان فيها نوع من العلو فلم يكن هذا العلو
فرديا ومؤديا الى الفوضى وعدم الانقياد لسلطة معينة . ان اليونانيين ،
والرومانيين كانت فيهم روحية الـ"اجلال القوي بدرجة قوية ، وانك اذا
قرأت تاريخ هذين الشعبين فان تقع عينك إلا على مواقف رائعة ، ومشاهد
رائقة بقسايق فيها العطاء والكراه الى التضحية في سبيل المجموع كانوا
يعملون نظام ، ويمجدون الطاعة ، ويميلون بطبعهم وغريزتهم الى الاستقرار
والثبات . لا يريد أن تأتي باسماء وحوادث جديدة ، لأن ما ذكر آتيا في
سياق الاحداث ما يكنى لاثبات هذه الحقيقة . ويلوح لي ان العامل الطبيعي
كان اكبر عون لقدف هذه العصبية في صائهم . لأن سكان المناطق الباردة
يكونون بطبعهم ميا ان الى الاستقرار ولثبات ، وبناء مدارهم بالحجارة .
وهذه الحالة من شأنها أن تكون فيهم روحا اجتماعية منظمة ، تحصم السلطة
عامة ، وتنقاد للنظام وتمرن على الطاعة وحتى ان الرأية القبايل « الهون »
حين تغفلوا في اواسط اوربة وجوبها ، وندخلوا في شؤون الامبراطورية
الرومانية العربية ، كانوا يتميزون عن غيرهم بالطاعة الى قادتهم ، والانقياد الى
زعمائهم فهذه الروحانية الطاعة للزعماء والانقياد للسلطات العامة ،
من شأنها أن تخلق في الفرد او شعبا أصبح تنمي فيه روح الاجلال ، القوي ،
او الوطني ، لا حب الـ"احلال لفردى او الفرور الفردي ، وتكون الروحانية

العامة ، او الطمع العام للامة ، الغدا في سبيل المجموع ، او الميل الى خدمة
 المجموع واذا احسن التصرف في استعمال هذه الروحية تكون رحمة على تلك
 الامة وخيراً ومركزة ثم ان المدنية التي تنشأ عنها تكون مدنية واسعة الاتاق
 عزيزة النفع للانسانية . فالرومانيون كانت لهم هذه السجية لذلك كانت
 مدنياتهم شاملة ، والرومانيون كان فيهم شيء من هذه الروحية فكانت مدنيتهم
 تكاد تقرب من المدنية اليونانية ولم يصب اليونانيون والرومانيون الضعف
 وبدرتهم الا انحلال الامم ان غلوا في روحيتهم القومية والوطنية غلوا كثيراً
 دفعهم الى الاعتداء على الشعوب الاخرى واغتصبات حرياتهم ، وكنوزها
 وسائر خيراتها فالرومانيون عدا اراضيهم فانهم قد ملأوا سواحل البحر
 الابيض ، سواء مايقع منها في حاسب آسيا ام مايقع على حاسب اوروبا المستعمرات
 وكذلك الرومانيون في اواخر العهد الجمهوري فانهم قد استولوا على خير اجزاء
 المعمورة فكونوا منها امبراطوريتهم الضخمة ، فلما انتج هذا الدوان ؟
 أنتج ان هذه الفتوحات قد درت عليهم بنعم لم يكونوا يحملون بها ، فملأوا الى
 الى الحياة المترفة بضمسون في لداثها ، ويسالون من نعمها وهنائها وتركوا
 واجباتهم ، وأهملوا شؤونهم العامة . توارعت فيهم الثروات ، توربعا غير عادل ،
 فظهرت الفروق الاجتماعية بصورها المقيتة فأخذت حروب الطبقات تشتد
 وتقوى ، فصاعت تلك الوحدة ، وتلاقي ذلك الاستحجام الاجتماعي ، تعود
 القواد والولاة والحمود الذين كانوا قد عاشوا على حساب الامم انفتوحه على
 حياة المطر وعلى القسوة والصرامة التي كانتا وسيلتهم في حكم تلك الامم
 المعنوبة فلما عادوا الى اوطانهم الاصلية ، أشاعوا في أوساطها روحيتهم
 الجديدة فكثرت الانتماضات ، وتراحت الجبهات على الحكم ، وتمددت
 الاحزاب واختلفت الميول والاهواء كل هذه عوامل قوية صككت بها
 لروال عظامتهم وسلطانهم ، وما اتالي اختفاء مدنيتهم ، فالفوا بالفرور الفردي

كما أنه يؤدي بحياة الأمم ، كما أودى بحياة الأمة العربية كذلك المرور الوطني
إذا استند ووصل إلى درجة العدوان على حريات الغير فإنه يورد الأمة حتفها .
إن المفكرين يحمون على أن روما لو لم تنبع حطى التوسع ، ولو أنها بقيت على
الحالة التي كانت قد رسمتها الجمهورية لها ، لاستطاعت أن تقاوم الزمن أمداً
أكبر ، ولا تنموت مدينة أكن وكانت عيشتها أفضل . وفي الحق ، إن تاريخ
روما أنان عهداً ملكي ، وأثناء العصور الأولى لجمهوريتها التي اعتدت عهداً
الملك ، كان مليئاً بالمواقف الطولية ، وراخراً بالمأساة والفناء ، وكانت الأمة
تصطبغ بقوة واقتداراً .

فالخطر في كل شيء ، كما أوضحت مراراً فكان أن المرور الفردي
مضر للفرد وجميع الأمم كذلك المرور الوطني والقوي يكون مضر
بمجموع الأمة إذا تجاوز على حريات الشعوب الأخرى ومنافعها . ولكن
على كل حال فإن المرور الوطني ، أو القومي هو أهم شئ من الأول لأنه
لا يجهز على حياة الأمة وكيانها بسرعة وإنما يجهزها إلى أجل . فهو يقص عليها
بصورة تدريجية أولاً وثانياً إذا انتهت إلى نوع من الإدارة المستبعدة فيكون
استبداده أخف وطأة بخلاف المرور الفردي فإنه لا يعمل الأمة أن تعيش طويلاً
ويكثر فيها الفتن والاضطرابات ثم إنه إذا انتهى إلى نوع من الإدارة
المستبعدة فيكون استبداده قوياً لا يقاوم ، ثقيل لا يطاق .

أمل !

فهل من سبيل الى تغيير هذه النفسية في الشعب العربي بعد ان رأينا ان
الدين الجديد كان قد عجز عن تغييرها ؟ . اني اقول نعم ! . وتوجد سبل
كثيرة الى تغيير هذه النفسية لا سبيل واحد فقط . لأن ارادة الانسان لا
تقهر اذا صممت على شيء . فمادامت الارادة بعيدة عن متناول اليأس والقنوط
فهي قادرة على أنيان كل شيء . ولماذا يمنع التغلب على هذه النفسية اذا
كانت هناك عزيمة ماضية ، و ارادة صارمة ؟ . ان الارادة الانسانية استطاعت
ان تزيل من الوجود ، او تطفى وتهدب أشد الطبائع المتصاقا بالنفوس ،
وترعرع اركان أقوى الأنظمة في الهيئة الاجتماعية . من كان يصدق قبل
ثلاثة او اربعة قرون ان عادة الرق سيقضي عليها في وقت من الاوقات ؟ ومن
كان يصدق ان نظام الاستعداد الذي استحكمت حلقاته واستفحل امره في
المجتمعات البشرية ان يهد يوما من الايام من اساسه ويهوى صريحا ؟ فكما
ان الرأي في اعاء الرق كان يبدو شادا وغريبا في تلك العصور فان الرأي
بوجوده او امكان وجوده في المجموعة البشرية اليوم يبدو شادا غريبا .
وكذلك النظام الاستعدادي وان لم يحتف من هذا العصر تماما ، فان اكثر
المجموعات البشرية الحرة قد اطرحته ونذته وأخذت بأظمة جديدة ملائمة
فكيف حصل هذا التغير ؟ . . .

ان الاستعداد مثلا كان قد استولى على اذهان الجماهير في العصور الخوالي
بحيث ان كثيرين من المفكرين كانوا قد وقعوا في وهدة اليأس من شفاء

الانسانية من بلواه ألا ترى كاتباً حراً قديراً مثل « الفيدري » قد عمرته موجة قاتلة من اليأس حتى انه غاب على الناس المفكرين ، الا ردواج لانه لا يفتيح إلا أسارى ينصاهون الى كتلة الاسارى المؤلفة منها المجموعة البشرية في ظل الادارات المستبدة ؟ (١) وكيف يفتي به التفكير الى ضرورة الاقتلاع عن الا ردواج اذا لم يكن اليأس قد اعتصره عصراً ؟ ولو لم يكن الا ردواج أ كان في مقدوره ان يطلع هو على الوجود ، فيشجب الاستعداد بعنف وقوة ويندد بحالاته ويصف طاعه ؟ ولو لم يكن الا ردواج هل كانت الحرية تظهر انصاراً ابطالاً يذودون عنها ، ويعملون من أجلها ، كوتسكيو ، وجان حاك روسو ، وفولتير ، أو تغور الانسانية بالعقول الصكية التي أسدت لها الخير الكثير ، كعقول اسحق بيونن ، ولوفس هولك (٢) ، ورومو (٣) ولزار (٤) وسيللا ناراسي ، وكات وديكارت وهيكل وم من اساطير العلم والفن وهؤلاء اما ولدوا ونشأوا وعاشوا وماتوا في ظل الادارات المستبدة ؟ فالحق ان اليأس ليس غيره هو الذي ساق الفيه رى الى ان يقول قوله هذه ، ويرتأى هذا الرأي ، على ابي أقول اذا كان الاستعداد يزيد في شقاء الانسانية ، على الانسانية ان تزيد في الفسل تزيد في شقاء المستبدين . اني اذا اهلكتي الادارة المستبدة طمها وعدوانا ، فولدي الذي اعقبه هو الذي سوف يأخذ بثأري وثأر الانسانية من المستبدين الطاملين وان هو هلك فأولاده وعقبه .

« ١ » اقر كتابه « الاستعداد » فصل . « الزوجية والاولاد في ظل الادارة المستبدة » .

« ٢ » لوفس هولك ولد عام ١٦٣٢ ومات عام ١٧٢٣ من أول امرأة اليكروب وكان عصوا في احمية الملكية لبريطانية

« ٣ » هام درسي ولد عام ١٦٧٢ درس لبريد ، واربامية وبحث في الحيوان والنبات وفي الكيمياء والصناعة وهو موجد مقياس الحرارة المعروف باسمه

« ٤ » ولد عام ١٧٢٩ من ايطالي . اثبت ان الكرويات ككل الاحياء لاهل لها من ... عند موته اوصى بهدائه متاعه انويشه لتعري عنها التدقيقات الطبية .

ان الامل في القضاء على الظلم والاستبداد ، يظل حياً مادام الفصل قائماً
ولا يقطع الا من إلا اذا انقطع فصل وتناقصت المجموعات البشرية وانحصر
التوالد بالطبقات المستعدة . ماذا أثار ليس ديموستينس (١) ، مثلاً حين سمع اسمه
أو برونس حين انتحر ؟ لقد كان في وسع ديموستينس ان يبقى على نفسه
ويناضل ضداً لعداء المقدونيين على أثينس ، وكان في مقدور برونس ان يعيش
ليجتارب الطوبى بأمداً أطول . علمه يرحله عن مكانه ويقدروا . نعم ا
كان في إمكانها ، وإمكان غيرهم من لعظم الذين نولاهم اليأس فأصاعوا
حياتهم ، ان يبقوا عليها ، ليكفحوا ، ويباينوا حتى اذا ما دنت ساعة الموت ،
تلقوه بصبر وشجاعة ورهطة جوش كما تلقاه سقراط من من

وما تنفست الخدير روح الخربة ، وحصت الارواح بالامصال ،
واستنصر العمران وتقدم المدينة إلا بجهود اولئك الدواخل الذين تغلبت
ارادتهم على كل صعب ، واجتارب كل عقبة وسوا اليأس وفيدوه ، وتدرعوا
بالأمل ونسروا به . فليس من المتعذر أن ان يوجه عامس التربية والتعليم الخلق
المر في العام . توجيهاً آخر ، وان تكيف الروحانية في أبناء الشعب تكييفاً يلائم
الظروف التي يعيشون فيها اليوم .

ليس من شك في انه توجد كثير من الصعاب امام العاملين لتغيير هذا
الاتجاه ، ولتكيف هذه الروحانية ، لأن فعل مئات السنين ، واثار المصهور
الكثيرة لا يروان بسهولة ، ولا في زمن قصير ، ولكن ما دام الامل في النجاح
عظيماً ، فلا يحب علينا ان نقف حائرة قواراً ، مهددة عريضة ان الشعب العربي .

« ١ » خطيب آتنى أشهر بكم . حميد فيليب المقدوني وله مجموعة خطب تسمى « فيليبس »

سمي اسمه حين امتاحت الجيوش المقدونية آتنة

« ٢ » برويوس قاتل بربار غصباً وطه روم . وهو الذي رسل كلته الشهيرة ضد

الارطوخ من قبل انطونيوس الكثر بعد سمرار . وحين اعمر الاسعار « انتبا المصيبة ..

ما انت الا كلة جوفاء ... »

الذي هو شعب سامي ، اذا انتهد عن الروح القبلية . وتمشت فيه التزينة على
 اساس آخر بانهض هذه الروح ، بتغير خلفه ، وتطور روحيته وبأنه
 بالحوارق فهو ليس شعباً حامداً لا يزعج الى التطور والتغير اذا
 نوافرت اسبابها . وتهيأت عواملها ان الشعب الذي اقام المدنية الاولى
 في التاريخ ، في بلاد الرافدين كانت شعباً سامياً . وموق ذلك
 ان العرب كانوا قد اقاموا مدينة رائعة ، ودولة ذات نظام في اليمن
 عرفت في التاريخ باسم الدولة المعينية . وحتى ان الهيكسوس «العرب الرعاة»
 الذين احتلوا مصر ، واهلوا فيها سلالتهم الحاكمة ما لبثوا ان امتزجوا
 بالمصريين . وعرفوا النظام وصرخوا على الطاعة ، واستطاعوا ان يؤدوا الى
 المدنية خدمات جليلة . وكانت مدة حاكميتهم فيها اني استغرقت عدة عصور
 حافلة باسباب الحياة ، راحة بوائع الفن ، وان اترجم في الحياة المصرية كان
 قويا وطاهراً حتى بعد ان احتق سلطانهم وانتهى نفوذهم السياسي في البلاد
 لماذا حصل هذا التغير والتكيف ؟ حصل ذلك لان الشعب السامي ، حين تطفل
 في مصر وجد فيها تربة صالحة للثبات والاستقرار وادامة حياة تختلف عن
 الحياة القبلية التي من مقتضياتها التنقل . وبمرور الزمن استطاع ان يكون
 ذلك النظام الاجتماعي البديع الذي تمتدح عن تلك المدنية الرائعة . وكذلك
 كان شأن من حل منهم في بلاد ارافين . والعرب الرعاة الذين اختلفوا
 الحدود المصرية وان كانوا في مبدأ أمرهم سواء لا يعرفون نظاماً ولا يدينون
 بطاعة لسلطة ما ، فقد أثرت فيهم الحياة المصرية ، والاطمئنان المصرية فتحلوا
 من عاداتهم البدوية ، وتحلقوا بالانحلال الجديدة فأعادوا واستعادوا .
 فالوقائع لتاريخية تثبت لنا أولاً ان الشعب السامي بجمليته ليس شعباً
 جامداً ، بعيداً عن التطور والتكيف ، وثانياً ان الشعب العربي الذي هو شعب

ساهم في العميم ، لم يكن ، أقل قابلية الى التغير و التكييف عن أخويه في مصر ،
وفي بلاد الرافدين . فالمسألة انما تحتاج الى صبر وطول أناة ، ثم التفتت من
صحة المبادئ التي تقوم عليها التربية ووسئ التعليم ليكون الاتجاه صحيحا
والتطور ناميا ، ومتواصل لعمور وان المربية القائمة وان كانت مرتكزة
على روحية مادية حادة ، فقد هيأت وسائل وأسبابا تبصر كثيراً من
الاصحاب التي كانت تعانيها الامم في ايامها الحزالي ، في سبيل التربية والتعليم .
فالطاعة بتفسيرها المكتب والفشرات والرسائل قد جاءت بانقلاب عظيم في
علم التربية حتى ان كثيراً من الامم لا يستطيع ان يرى ان يجد فيها اليوم من
لا يقرأ ولا يكتب . وما كانت الحالة تلح هذه الدرجة الرفيعة لو لم يكن
هذا الاختراع في اوجود . فكثرة المدارس ، وبيوت الثقافة وسهولة الحصول
على الكتب والفشرات والرسائل ، ثم سرعة توزيع هذه المواد الثقافية بين
الاعواسط كل هذه اسباب تعين الى حد بعيد على تدليل اصحاب وبنات
الى ذلك دور السبيل ، ثم الامكانيات المادية . فلهذا يحوز ادار وفيت مراقبة
دقيقة واعتنى بأمورها - ان تكون أشد أنرا في تعميم الثقافة ، والطلع مفعولا
في توجيه الاهواء والميول الى الانعاش لصحبة من المدارس نفسها .
وهذه العوامل المعشقة الى العقول ، انقوية الى الارادات ، والمهدنة للاخلاق
لم تكن معسرة في السابق من كل هذا استطيع ان يقدر الى انة درجة قد
تبهرت لنا الاسباب .

ان أول مهمة للقائمين بشؤون لشعب عربي في الافطار العربية كاه ،
ان ينفذوا قذول العربية الكثيرة المنتشرة في الصحاري والقفار من حالتهم
البدوية واعرائهم شتى الوسئ ، باشاء القرى والامصات ونحوهم على
قبول الحياة المدنية .

والمهمة الثانية هي تكييف لروح المردبة وتغيير عواها من الناحية

الفردية الى الناحية القومية . واقامة لسياسة التزوية على هذا الاساس على
 ان لا نقصر المساعي التي تبذل لغرض هذا التوجيه الجسد ، على البيوت والمدارس ،
 وانما يجب ان تنفذ الى كل مكان . فاذا انحرت هاتان المهمتان بلقاء ومهارة
 أصبح من الميسور على الشعب ان يهتف بأعضاء الحياة ، وبأخذ مكانه تحت
 الشمس كشعب له أثر في المجموعة الدوائية . فوسيلة الانفاذ ان تقوم على
 أساس الاول تحصيل الفوائد لدوية والكافي تمييز اتحاد الروحانية الى
 الناحية القومية . كلنا يعلم ان الشعب العربي ليوم مجرم ومتفرق ولا تجمعته
 راية ، ولا توحيد آراء فيه ، وافكارهم قوايين واحدة ، وانظمة متماثلة .
 ولا تقرب بين آمالهم ، وامايتهم سياسة واحدة ، وحكومة واحدة ، ولا لائمه
 بين طباعهم واخلاقهم متاهج متعاقبة ومباينة ، تربوية متفارقة أو متطابقة
 وكل قطر كأنه يعيش في معزل عن أخيه . ذلك لأن هذا الشعب الكثير
 النفوس ، العظيم الموارد ، لمحت اماكن شاسعة ، وممالك مترامية الاطراف
 خاضع لدول استعمارية ضخمه في قوائمه قوية في اسباب استعمارها ،
 صارمة في معاملتها ، قاسية في حكمها . وان هذه الدول تترصد حر كانه ،
 وتترقب همساته ، وتتمقب أثره وهي تدرك كل فونها ومشاطها لتحول دونه
 ودون اسباب الحياة ، ولتتمتع عنه عناصر القوة والنشاط اتريل منه قابلية
 الاستعاش ان هذه الدول سزالت شتى الاساليب ومختلف الوسائل دائمة
 على تنمية الروح القبلية فيه ايبي على مداوته ، بعيدا عن الحياة المدنية ، وانها
 من مباشرة ، أو تعطر الحكومات المحلية الى ان تنس القوايين والانظمة التي من
 شأنها ان تقوى هذه لروح وان تساعد ليس بين الاقطار العربية بعضها عن
 بعض فحسب بل تساعد بين اساء القطر الواحد ، والصقع الخاضع لحاكمية
 واحدة . وكذلك انها تعرض انظمة للتربية والتعليم ، تميت بواسطتها الضمائر
 وتشيع في النفوس الاخلاق المردودة ، والسجيا المستنقحة ، ونحو الاعصاب

ونظم المواهب والقابليات ، لتعزى العرائم وتنحاذل اهمم ، وتضمحل الحيوية
والنشاط . فالسيطرة الانجليزية التي استفحص أمرها في البلاد العربية كانت
وما تزال العقمة الكدأة التي تعترض سبيلها وتحول دون ما ينبغيه ، اذن فكيف
السبيل الى تحقيق هاتين المهمتين الاساسيتين ؟

ان الامم التي تعتلج فيها قوة الانعاث ، وتفتقم فيها عناصر الحياة ، فادرة
على الثغاب على كل ما يعترض سبيلها ان شاءت وازادت . فوضع لشعب العربي
لم يكن باكثر حرجا ، من الشعب لولوني . هذا الشعب الاخير كانت
تنقسمه ثلاث دول قوى : الشكيمة محيطة به من كل جانب هي الامبراطورية
النمساوية ، والامبراطورية الالمانية ، والامبراطورية الروسية ومع ذلك فقد
عمل لانبعائه ، وهيا اسباب نحاته ، وسائل كثيرة وانه فوق ذلك استطاع
ان يحتفظ بكيانه ، وبصون تراثه خلال المئة والحسين عاما التي فصاها تحت
السلطان الانحني ولما احدث ساعة التحرر هب كوحدة سياسية مترابطة فاشأ
كيانه وخلق نظامه السياسي ، فكان في الاشياء عظيم ، وفي نظامه صبرا
حكما . ان رجوه العمل ، واساليه قد تختلف في كل أمة فالظر الى مساواها
العقلي ، ومراحها العام ، والظروف الملائمة لها فاني ان اقول قولي هذا ،
فلا أفهم به ان على العرب ان يسيروا على عرار الولويين لان الظروف
والمراح العام ، والمستوى العقلي والثقافي كل هذه تختلف في الشعبين ،
وتناب في المماكتين ، وانما اقول ان العرب يستطيعون ان يعملوا في سبيل
حررتهم وخلاصهم بحماسة وامل ، لان وضمهم بس أصعب من وضع لولوبين
أيام يؤسهم وشقا لهم .

اذا كان العرب لا يهدرون على العاء القوايين والانظمة التي تفرق بين
انناهم ، والتي تنمي الروح القبلية في القسم الاسكر منهم وتخلق العداوة
والحرارات بين طبقاتهم ، بصورة مباشرة فاهم يقدر على اضعاف اثرها

ثم ازالتها من عهد ، باتخاذ وسائل تؤدي الى هذا الغرض عن طريق غير
مباشر ان العناية في تنظيم القرى والقصبات ، واصدار قوانين وانظمة تكفل
هذا التنظيم انما هما عملان يحيطان بمحمول القوانين العشائرية السائدة مثلاً في
العراق وسورية او المراسيم البربرية النافذة في مراکش او المراسيم المتعلقة
بأدارة الواحات وغيرها في مصر ان طاهر القوانين والانظمة المنظمة للقرى
والقصبات وان كان لا يعيد الا جهاز على تلك القوانين والمراسيم المضرة ، فانه
يطعنها في العميق في الخفاء ، والدول الأجنبية المسيطرة لا تمنع المشاريع التي
ترمي الى تأسيس القرى والقصبات نعم ! يحور انها تضع العراقيل في سبيل
انشاءها او تنظيمها واسكنها على كل حال ، لا تحراً على المجاهرة في محاربتها
او اعلان سحقها على مثل هذه السياسيه العمرانية بالنظر الى الاتمه الذي
انحبت اليه الاثم والشعوب في هذا العصر . على ان المهم هو ان الاثم التي
تعمل لخيانها وحربتها ان تتكل على مؤسساتها لشعبية فل كل شيء . وانها
في الوقت عينه لا تفعل من الاستفادة من المشاريع الحكومية وتستغل اجرااتها
وتأخذ منها ما يصلح وتدر ما يفسد ، وبضر . اذ ليس كل عمل حكومي
شراً كله ولا كل مشروع صراً محضاً فاذ كانت في كل مشروع او عمل
حكومي وحوه تفيد غايات ومنافع الا حسي المسيطر فعليه ايضاً وحه او
وحوه يمكن للاحرار الاستفادة منها لخير المجموع سواء كانت هذه الوحوه
حادثاً عمداً ، أم مصادفة ولرب رمية تكون من غير رام كما قال المتن .

فاللوبيون الذين ذكركم انما عولوا قبل كل شيء على مؤسساتهم
الشعبية . ألا انهم لم يتركوا فرصة تمر عليهم من دون ان يستفيدوا من بعض
الاعمال الحكومية لا غرضهم الوطنية اهم حافظوا على واردات الاقتصاديه
ونردتهم لقومية فانشأوا المصارف وبيوت المال على حسابهم ، وانهم
احتفظوا بقايدهم وعصانهم القومية وروحيهم الوطنية فاقاموا بيوت التهذيب

ومدارس العلم والفن من اموالهم ، انهم صابوا شعائرهم الدينية واخلاقهم
فأسسوا الكنائس والصوامع ولبسوا بمجدهم الشعبي ، بهم نظموا كياناتهم
الاجتماعي ووجدوا تفكيرهم ، وانعادهم فأكثروا من النقابات الحرفية ،
والجمعيات التعاونية والغرف التجارية ، وانهم دبوا عن نرائهم الصناعي والفني
فبوا من خالص اموالهم المعامل والمصانع ، ولقوا الشركات وكانت كل
مؤسسة من هذه المؤسسات وكل مصلحة من هذه المصالح ، تعمل بهدوء
وسكون لتنمية الروح الوطنية ، وتقوية الامل المستقل فالتاجر كان
يعمل لبولونية ، والمدرس ، والراعي والمصانع والعامل ، والملاك ، والزارع
والدلمي ، كل واحد من هؤلاء كان يعمل لحياة بولونية وحريتها في الدائرة
التي كان يعمل فيها ، والمحفل الذي كان يعبر فيه ولم يكن البولونيون وحدهم
يقومون بهذه الاعمال الجبارة لوطية وانما اكثر الامم التي ماتت حريتها
في العصر المتقدم وفي هذا العصر ، كانت تقوم مثل هذه الاعمال وان
المدقق انما يربح الحركة المتفارية ، يستطيع ان يقتبس منه امثلة رائعة في
البطولة والجهاد القومي قام بها رؤساء الكنائس والرهان والقسس ومم رجال
روحانيون يكونون عادة أقل ميلا الى الشؤون لسياسية من سائر الطبقات ،
فما قولك في غيرهم ممن كان اشد التصاقا بالسياسة منهم ؟

واذا كان العرب مختلف عندهم وجوه العمل ، عن هذه الاعمال فان
الواجب يفرض عليهم الامتداد بالروحانية التي حركت هذه الامم الى العمل ،
واثارت سبلهم اثناء الكفاح والجهاد . لذلك حتى اذا كانت الحكومات المحلية
لم تقم بشيء فيما يتعلق بتنظيم القرى والقصبات ولم تنس لهذا الغرض القوانين
والانظمة فبأمكن الشعب ان يحقق هذا الغرض بمجهوده وبماله . وكذلك في
المدن ، والارباب في قدرته ان ينشئ بيوت التهذيب ومدارس العلم والفن ،
وان يؤسس النقابات الحرفية والجمعيات التعاونية والغرف التجارية ، وان

يقوم المصانع والمعامل والمصارف وبيوت المال ، وان يجعل كل هذه المصالح والبيوت والمؤسسات كدور للتهديب الروحي ، والتوجيه الوطني . ان الحكومة وعملها ، لا يستطيعون ان ينفذوا دون هذا الطابع الشعبي ، اذا صمم الشعب على هذا النشاط مما كانت الحكومة متيقظة ، حارمة . لان هذه الجهود انما هي جهود روحية ، فلا نستطيع ان نمثل اليها قوات الدولة وحرايتها

كيف نستطيع الدولة ، ان تمنع النقابات ، والجمعيات والغرف او تحول دون انشاء المصانع والمعامل ، والمصارف ، او نحرّم على الناس انشاء بيوت التهديب ، ومدارس العلم والفن لاهلية ؟ . ليس في امكانها ان تمنع مثل هذه المؤسسات عن مزاوله اعمالها الاقتصادية او الاجتماعية فاذا استغلت هذه المؤسسات اوصاعها لقانونية وقامت بهذه الواجبات لقومية من يحراً على لومها وتعنيها من رجال الدولة وعملها ؟ انى اذا لغت اننا في البيت الروح الوطني واشربت بعوسهم لفصيلة هم من سبيل الى ؟ . ان هذه الجهود الروحية ، ليست مادية حتى يعثر عليها من قبل لسلطات الحكومية فتكون سببا للمسؤولية الجنائية او لتأديبات العرفية انما هي تلقى آراء ، وتلعب افكار ، واتصال ارواح وامزاج بعوس تحت ستار التنظيم الاجتماعي ، والاقتصادي .

ان العرب في حاجة ماسة الى انشاء هذه المؤسسات اولا لانها تنظم حياتهم لاجتماعية والاقتصادية وثانية لانها تعودهم على الحياة المشتركة وتعينهم على تدفق البطام والطاعة وثالثا نعت فيهم المين الى العمل الخير المجموع وتوجه روحيتهم الفردية القوية ، توجيهها قوميا هو الغاية الاساسية من كل هذه الجهود .

انما مارنا ففراء في هذه المؤسسات . لا نميل الى التعاون مع بعضنا ، ولا نرغب في الحياة المشتركة ولا تدفق حياة الجمعيات ، والنقابات ، واذا

اردنا ان نؤسس مثل هذه المؤسسات فمرعان ما نتصرف تصرفات من شأنها
 ان تلت انتظار الحكومات اليه ، فتسمى ان علقها واقصاء عليها بأعتبارها
 خطرة على الأمن العام في نظرها . وعلى العرب ادن واحسان اساسيان الاول
 واجب السعى في تخصيص القائل الرحل ، لتتجه للحياة المدنية ، ولتلقى مبادئ
 السياسة التربوية . والثاني اقامة السياسة التربوية في الاوساط على اساس
 توجيه الروحانية الفردية ، او المرور العردي ، الى روحية قومية ووطنية اي
 الى عرور قومي ووطني معتدل . و مهم الكافة ان الروحانية الفردية لا قيمة
 لها اذا لم تكن هذه الروحانية قومية ووطنية . وفي الحق انه من الحق ان يفكر
 العردي بالمرور العردي ، وأن يشمخ بأفقه اذا كان وطنه دليلا وقومه بسومهم
 الأجنبي الحسف والهوان . ان الربطاني ، او الألماني ، او الروسي ، اذا
 تجاوز حدود بلاده وساح في بلاد الأجنبية ، يكون موهور الكرامة في اي
 محل استقر فيه ، اذ اية حجة قصده اليها ، ذلك لأن غوذه دولته يظله في حله
 وترحاله ، وعر قومه يرافقه في عدوه ورواحه . فهو يعود دولته وعر
 قومه ، يسير سرفوع الرأس ، عزيز الجانب وادن فهو يشعر بطبيعته بفرور
 شخصي بفصل الفرور القومي الذي هيئته هذه المكانة الرفيعة بين
 الشعوب . بخلاف الذي لا ينتمي الى شعب محترم ذي مكانة مرموقة من
 المجموعة الدولية . فها كان مروراً بنفسه ، مزهوا بحسبه ونسبه ، مدلا
 بثروته وجاهه ، فانه لن ينعم بوفور الكرامة ، ولا بعزة النفس ، ولا بأي
 أثر من العوذ اذا اجتار حدود بلاده ، وعبر الى بلاد الغير ، لانه محروم من
 ظل دولة يقيه العدوان . فما قيمة مروره اذن وما هو أثر زهوه وادلاله ؟
 فالفرور القومي يأتي بالفرور الشخصي ولا عكس . وهذه حقيقة بدر كها كل
 انسان منها ضعف ادراكه ، وفلت ثقافته . وان اس فلا اس دمدمة
 الحكومة الربطانية ورمحها حين تعرض بعض ادائها في بلاد السوفيت في

عام ١٩٣٣ (١) الى بعض الاجراءات العارمة التي قامت بها الحكومة السوفيتية بحرقهم ، من أجل اشخاص معدودين ، كاد ان تحدث بين المملكتين فتنة عمية ، لولا ان تتدارك الحكومة السوفيتية الامر وتبدي بعض الرفق واللين بحق هؤلاء . ولو كان هؤلاء عربا مثلاً هل كانت الحكومة السوفيتية تأبه لهم . او تمسك عن اجراءاتها صدم ؟ ان سياستنا القروية يجب ان تقوم على هذا الاساس الصحيح . اساس لغرور القوي ، لا لغرور الشخصي الذي لا يجدي نفعاً والذي ليس من ورائه غير الشر والاضرار المميتة . ولا يصح ان يعترض على توجبها الروحية الفردية ، الى الروحية القومية باعتبار ان الروحية القومية ايضا تكون محطرة ومضرة بالنسبة الى الابصاحات التي سبق سردها ، لان الروحية القومية لا تكون محطرة ومضرة الا اذا تجاوزت حدودها ، ووصلت الى درجة العدوان على حريات الامم الاخرى ومنافعها . ولعرب ليسوا في حاجة الى ان تلحق بهم الحالة الى هذه الدرجة ، الى درجة الاعتداء على الغير ، لانهم كثير في نفوسهم ، ولان بلادهم غنية وراخرة بالمواد الخام وواسعة . فهم ان احتفظوا بحرياتهم وسيادتهم في حدود ممالكهم وأوطانهم كانوا اسعد شعب على وجه الارض .

(١) اشارة الى الاحكام القديسة التي اصدرتها الحكومة السوفيتية ضد بعض العبيد الانكليز الذين كانوا مستعبدين لديها والذين اتهموا بخرامات التجرب والتدمير .

الأسباب الأصلية

في اخفاق الحركات العربية

ان الأسباب التي أدت الى اخفاق الحركات العربية كثيرة وقد يستطيع القارئ ان يلم بها اذا دقق ما جاء في لمحات لسابقة بصورة عامة ، وما جاء في الصفحات التي تضمنت اخبارها بصورة خاصة . ولكننا على كل حال نستطيع ان نرجعها الى أسباب أصلية معينة .

١ — الروحية الفردية الخادة التي تقمصت صفات العرب ووجداناتهم . لقد سببت هذه الروحية الخطرة ان يفتكر العرب بعضهم لبعض ، وان ينعدم الانسجام في اتحاداتهم وتفكيراتهم ، وأن تختلف ميولهم واهواؤهم فأخذ كل فريق يقص ما ابرم عريضة ، ويهدم ما اشاده فريقه . وهذه الفوضى الروحية قد استغلها الأجنبي المسيطر الى أقصى حدود الاستغلال فقصى على كثير من عناصر الحياة فيها . ولو كانت رؤوس الجهات السياسية متفقة فيما بينها ، في الأهداف والاعراض . لكان سهل حينئذ السياسية اتحاد وجمعة أخرى ، غير التي نحن عليها الآن . ولكن الفرور لشخصي أبي على هذه الرؤوس ان تتحد فاداً قام فريق منها بعمل في الحق القومى وأصاب شيفاً من النجاح . ووسط من رضاه الرئى لعام ناهضه فريق آخر منها ومال الى الجهة المغايرة لاحقاً في ادلال شعبه ، واضاعة حريته

ولكن انتقام من ذلك الفريق الذي اصابه النجاح ، واحاطه الرأي
اهام شي من عنايته وعطفه ، وارضاء لغوره الشخصي . في كل
شعب يوجد نخوة مادون وفي الشعب العربي ايضا يوجد من
هذا الطراز السافل من الناس . واسكن المرؤة والحق ، بمعانا ان
يقول ان الدين قارموا الحركات الوطنية ، كانوا كلهم
من هؤلاء . بالمعكس : فقد يستطيع ان يقول ان اكثر المقاومين كانوا
من الذين سبقت لهم خدمات على للقضية العربية بصورة عامة ،
واقصا باقطارهم بصورة خاصة . وانما قارموا وعارضوا ، واشتدوا
في معارمتهم ومعارصتهم . تأخير هذه الروح الفردية الخطرة ،
وتحت ضغط الفرور الشخصي ان الهوى فيهم قد غلب العقل .
وان ميولهم التوسعية اخضعت لها ارادتهم ، فمحقوا بها خسرت
سببه القضية الوطنية ، وفارت بفصله السياسة الاحثية الطامعة .

٢ - لم يحسن التصرف في اتصالاتنا الخارجية ، ولم تتحد التدابير الحارمة
الحكيمة للاستفادة من المعونة الخارجية فيما كان في مقدورنا ان
نستفيد مما استفادة عظيمة وقد اوضحت هذه النقطة في بحوث
سابقة فلا وجه لاعادة النظر فيها

٣ - فقدان المنطلقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية . فحرماننا من
المنطلقات السياسية اوجب تشتت اعمالنا السياسية ، واختلاف اهدافنا
وعاياتنا القومية ، واصعب جبهاتنا الوطنية وحلوا اوساطنا من
المنطلقات الاجتماعية والاقتصادية ادى الى انحلال معنوياتنا وروحياتنا
والى انحطاط قوتنا المادية . واهدام قابلية المقاومة فينا

٤ - ان العالم الخارجي لا يعرف عن العالم العربي شيئا ، وادا عرف شيئا
فانما قد تسرب اليه من الجهات المعادية للعرب ، او من الجهات التي لها

مصلحة في اظهار العرب على غير حقيقتهم وهذا النقص الكبير
ناشئ عن عجزنا عن اتخاذ التدابير الحارمة فيما له صلة بفرن
الدعاية الذي اصبح في هذا العصر ، أهم القنون وأعظمها وأخطرها
ان الدعاية من وعلى العرب ان يحسنوا هذا الفن ، ويلبوا بدوائقه ،
وأن يعملوا في حقها جادين غير هازلين . معتمدين على انفسهم
غير متواكلين .

لم انعرض لذكر الأشخاص ، ولا لأنواع المقاومة التي لاقتها
الحركات القومية في كل قطر عربي لأن ما جاء في البحوث
السابقة ما يكفي لاجلاء المقصد ، وايضاح المرام ولعل هذا من
اسباب اخرى أقل أثراً ، وأهون مفعولاً تعاونت على الأخفاق
والخيبة ولكن في ذكر المهم منها الكتابة وما أسعدنا اذا تمكنا
من القضاء عليها وحدها ١١

طرق الخلاص !...

١ - علينا ان نقضي قبل كل شيء على الروحية المردية فينا كما قلت مراراً مالمحي في تخصيص الفئائل الرجل لتعويدها الحياة المدنية واعدادها لاستساعة السياسة التربوية وببذل الجهود المشتركة في المدن والقصبات لنقل الاتهام انفسى من العردية الى الاتجاه القومي والوطني .

ب - ان نقيم صلاتنا الخارجية على اساس متين وان نختار الحليف ، والصديق الذي يحف الى مساعدتنا ، اذا اصطرتنا الظروف الى الانتقال على القوة الاجنبية المسيطرة علينا . لأن كل حركة انقلابية ضد قوة احببية متحكممة لا يكتب لها النجاح إلا بالمساعدة الخارجية

ج - علينا ان نحمل الاجنبي المسيطر قلقاً على منافعنا المادية وسلطاننا ونفوذنا في بلادنا بدرجة يصطرها الى وضع قوات كبيرة نكسده بفعات توارى أو تزيد على منافعنا المادية التي ينالها من جراء عدوانه على حرياتنا السياسية وراثنا لقوي . ان هذه الطريقة نستلزم بذل تصحيات جملة مادية وأدبية من قبلنا وان كنا ان نتحملها مفتطين ونصير عليها محسبين . لقد سبق لي ان اوضحت في مناسبات عدة ان أهم ما يرجوه المستعمر في هذا العصر ، ان ينال المنافع المادية من وراء استعمارها للبلاد ما ، فإذا اجبر على انفاق الاموال على قواته المسلحة ، ما يوارى المنافع التي يكسبها من

البلاد المقهورة ، او ما يريد عليها قاتل رعيته في الاستعمار ،
 فان رعيته في الاستعمار ثقل وربما يضطر الى مصافاة الشعب
 الشعب المحكوم ويتفق معه على شروط تكون في صالح هذا الشعب
 نعم !.. يجوز انه يشتد في أول الامر في ضغطه في الشعب بقصد
 اخضاعه واضعاف قاطبة المقاومة فيه ويتركب كثراً من الجنايات
 والاكتام ولكننا يجب ان يؤمن ايماناً قوياً بأنه كلما أشد في ضغطه ،
 وأمعن في جباياته وآثامه يكون الاًمل في الخلاص والنجاة
 كبيراً وعظيماً . ان النظام الاستبدادي لم يمن تلك المرائم الحاسمة
 وتلاشي أثره في كثير من الممالك والاقطار إلا بعد ان استعمل
 أسره وثقلت وطأته على الناس . ولقد كان كثير من الاحرار
 المفكرين ، يرون في اشتداد المستبدين على الرعية سبيل النجاة الى
 الحرية بل ان غير واحد منهم (١) كان يحرص رجال السياسة على
 اغراء المستبدين لبشتدوا على الرعية وليصطفوا على الكافة لتلتهب
 النفوس وتضطرم الجوائح بروح الاًتقام وتمتلىء الصدور
 بالحق والفضاء . لأن هذه الحالة مما تساعد كثيراً على خلق
 الحركات الحرة والاندفاع في سبيل انقاذ الوطن من العابثين به .
 فمن واحب العرب اذن ان يعملوا المستحيل لا أجل ان يعملوا الاًجني
 هي بلادهم قلقاً على مصيره مضطرباً على منفعته ومصالحه وان يتقلوا
 بصدور رغبة ما يترزله فيهم من بلايا ومصائب .

— د — ان الجندية ذات أثر خاص ، في تسهيل لقيام بالحركات الوطنية في
 المستقبل ، لأنها أولاً تعود الناس على الحياة المشتركة وعلى النظام
 والطاعة وثانياً تقرب فيما بين الافراد من الناحية الروحية وثالثاً
 تعلمهم كيفية استعمال السلاح على انواعه وتعودهم على تحمل المتاعب

(١) انظر في : كتب الاستعداد

والمشاق ، واثن كان تنعيم انظمة الجندية تحت مراقبة الاجنسي
واققيام بالواجبات الجندية وفق تعليماته ولكن على كل حال
ان الغاية التي يرمي اليها تكون حاصلة بالضرورة . فاجندي الذي
بعد الانظمة ويقوم بواجباته ، وامن الاجنسي او تحت اشرافه
هو يتم استعمال اسلح حتما ، ويتعود على احياء المشتركة وعلى
تحمل المتاعب والمشاق بالضرورة ، وهذا كسب للقضية الوطنية .
لان الامة التي تطمح الى الحرية والانفلات من يد العبودية يجب
عليها قبل كل شيء ان تعرف كيف تستعمل السلاح وكيف تتحمل
المتاعب والمشاق ولذلك سبق لي ان قلت ان ليس كل المماريع
الحكومية شراً محضاً ، فان كانت فيها وجوه يستفاد منها الاجنسي
فهيها كذلك وجوه يستطيع الامحرار ان يستفيدوا منها اذا احسوا
العصرى واحكموا التدبير . وصعوبة اقول ان التشجيع على
الانحراط في سلك الجندية ، واجب فومي سواء كانت الجندية
قائمة على اساس الرضا والاختيار والتطوع أم على أساس التكليف
والاجبار . انها تكون نافعة وضرورية للقضية الوطنية على الحالتين
ولا يجب ان نكتفي بذلك وانما علينا ان نسعى الى ان ندخل الى
المدارس نظام التدريب العسكري وان شوق الشء كافة على الرياضة
وعلى التدريب على استعمال الأسلحة على اختلافها بشق الصور والاساليب .

— ه — ان الاداعة اللاسلكية ، ودور السينما ، والتليف والترجمة والفن في
الامم الحرة منافع لا تثنى شمس ، ولها اثر في التوجيه الوطني
لا يعادله اثر لقد اصححت الاداعة اخطر دار للتهديب النفس ،
والتشقيف العقلي ، وكذلك لما يعرض في دور السينما من رقوق
ومناظر ذات موضوعات تهديفية وثقافية أمسى لها شأن يذكر .

أما ما تفتحه الطبعة في طلال الحرية الفكرية التي تتمتع بها هذه
الأمم من مؤلفات القيمة ، ودفتر مصادقة ، والرسائل
المقيمة ومن صحف يومية وموفقة قد جعل لها من
المكان والتأثير في حياة الأمم ما لم تصل إليه الانسانية
في عصر من عصوره التاريخية السابقة ، فإن هذه الوسائط
الثلاث هي التي تستمد المقول نورها ، والنفوس أريجها في الأمم
الحرّة ، لا سيما في أوساط الأمم المعهورة الانكسارية والظلام .
لأنّ الانساني لا يستطيع أن يروقه أن تبصر هذه الأمم النور ، ولا
أن تدمش نفوسها بأريج الحرية وعطرها ، فوسائل الخير هذه
في الأمم حرة لا تستعمل في الأمم المعهورة الا للشر والابناء
الروحي . ويمكن برغم كل ذلك فقد يستطيع التحرار ان يستغلوا
لخير وان يكافحوا سلعهم الانساني ويعودوا في تدبير شؤون هذه
الوسائط واوساطهم . من اختيار الرفق السياسية ذات الأهداف
الشريفة والموضوعات الوطنية ، والوقائع البطولية له تأثير كبير في
الروح الوطنية . ان من هذه الوقائع وان كان دياراً أجنبية ،
واقائهم بالروائع البطولية وان كانوا أحباب قاطباً تعكس صورها
في نفوس انظاره وتحدث تأثيرها العميق في اتجاهاتهم العسكرية .
وكذلك ما يداع من محطه لأداعة ، وان كان تحت مراقبة السلطة
عبر المحبة فمقدح يحور أن تدس الموضوعات المثيرة للشعور الوطني ،
من حين لا آخر بواسطة اوساط الوطنيين في حياة الإدارة . واما
من ناحية التأليف وترجمه ومشر . فاذا عجز المفكرون عن نشر
آراءهم الوطنية بصورة مباشرة فانهم يستهيضون أن يترجموا المؤلفات
الأجنبية معطوية على الآراء الحرة والموضوعات المسمية للروح

الوطنية وان كان مؤلفوها من رجال السلطة الأجنبية المسيطرة
لان المهم ليس المؤلفين وانما الموضوعات التي تشتمل عليها المؤلفات .
ان حركة مثل هذه في الترجمة والتأليف والفسر تأتي اكلها وتثمر
ثمرها الايجابي في اوطاننا ، فلا يجب ان تأخذنا العرة ، ووطنيتنا
وبهمل أمرها لكونها أجنبية عنا ، او لكون مؤلفيها من الأمة
المعحكمة فيما ، والمذلة لنا لاننا نريد ان نتمسك بكل سبب يؤثر
في روحيتنا وبوجهها الى الاتجاه الصحيح مما كان منشأه
ومصدره .

— و — علينا ان نسمى الاشياء الى ان نكثر من الجمعيات التعاونية
والنقابات الحرفية ، ولوادي الثقافية . فلا يجب علينا أن نسكن
ونهدأ ونركن الى الراحة ونقول مادامت السلطة تحرم علينا
المؤسسات السياسية فانه من العت أن نقسم بمثل هذه المؤسسات
الاقتصادية والاجتماعية بالعكس فان الاكثار من هذه المؤسسات
الاقتصادية والاجتماعية يؤدي الى عين الاغراض التي تؤديها
المؤسسات السياسية اذا كنا عارفين بواجباتنا ، مدركين مسؤولياتنا
بحر وطننا . ان كل مؤسسة من هذه المؤسسات غير السياسية يمان
ان تكون داراً للتهديب الوطني ، ومنهلاً عما يفترق منه الفش .
وسائر طبقات الشعب . فهذه المؤسسات التي تكون بطبيعتها بعيدة
عن مراقبة سلطة ، لكونها غير سياسية . ليس فقط ننظم صفوفنا ،
ونوحد ارادتنا ، وتهدينا الى مثلنا العليا ، فانها تكون سبباً لتوحيد
المساعي في مجالات الاقتصاد والصناعة . والهن . وتفتح السبل الى
الفش . ليكسب رقة من آخرى الحرة والصناعات . فلا يكون كلا
على خريته الدولة ، فيركن الى حياة الوطنية التي هي اشبه شيء .

بالسجون المعلقة على من فيها وكما كان النشء بعيداً عن دور
الحكومة ومصالحها ، فاندراجاً على الارتفاق من مساعيها الشخصية ، ومن
جهودها التي بسدها في المحلات الحرة تكون رتبته الوطنية اقوى
واشد ، واستعداده لمكافحة الظلم والعدوان اعظم واخطر . ان
الاجنبي يرى من مصلحته دائماً ، ان تكون المحلات الحرة في
الامم المقهورة ضيقة ، وان يحد النفس . وسائر طبقات الامة
يلتمسون الرق من خراطة الدولة ليعتفظ سلطانه في السلاد ،
وليدل على الدائم فيهمه عليهم واحسانه اليهم ، وان كانت الخيانة
تملأ من مال الوطنيين . ومن عرق جناهم في الحقيقة .

— ر — عليهما ان يعرف أنفسهما للعارج وأن يبرع في من العناية وان
نرخص في سبيل ذلك المال والصحة والراحة

— ح — قلنا غير مرة ، ان الامم المقهورة وان كان واجبها الأول هو ان
تعتمد على المنشآت والؤسسات الشعبية ولكنهما في عين الوقت
يجب ان تستعيد الى اقصى حدود الاستعادة ، من احراآت السلطات
العامة واعمالها ومشروعاتها وان تهتمل العرص الموائمة بلقاءة
وكياسة . ومن جملة المشاريع الحكومية التي يساعد فيها الاجنبي
في هذه الايام هو ما تهتمس به الأوساط عن اقدام الحكومات العربية على
مما وضعت برعاها ترمي الى تكوين اوحدة عربية (١) التي هي غاية
المخلصين من العرب التي واثق من ان هذه الحركة يقصدها التلبية واشغال
الحواطر في زمن الحرب ، لا اكثر ولا اقل . والا فكيف تكون
وحدة وعصبة امهوية في نحس . وكيف يتصور ان تمنح فكرة
الوحدة وفلسطين لا تكون جزءاً متمماً لها ؟ وهل يعقل ان نقيم

« ١ » تمخضت هذه المهودات أخيراً عن تأليف الجامعة العربية .

وحدة عربية تكون الصهيونية من جملة أحرارها هذا إذا سمحنا
لفلسطين أن تدخل فيها على حالتها الحاضرة ٩. فالحق يقتضيها أن
نقول ان هذه الحركة ما هي الا تلبية في من الحرب والعونة
تتمثل فيها لا أفكار وخواطر ، ومع اعتقاد هذا ، فلا ينبغي
أن يبحث هذه الحركة عنها ، ونعمهم فيبحثها الاثنية . ان هذه
الحركة اذا لم تتمحور عن الاتحاد العربي رصين ، فانها على الأقل
في فكرة او وحدة عربية حية في القدس ، مائة في الأذهان
والخواطر ، وهذا كسب معوي للمصحة العربية . فليكن أن نرحب
بها وان كانت تؤدي الى موقع ضئيلة وساح تافهة . فاذا حصل
استحسان فكري من الافاضة العربية فهو كسب واذا أنمته الحركة
اتفاقا على سياسة معينة لمهدد ، انتم من هو كسب او اذا أنتجت
اتحاداً كبريا وعاونا اقتصاديا فهو كسب . ان حصلت كل هذه
لذائع ، او بعضها ، وحينئذ هو كسب في ما يقدر فيه أنه يفتى .
روابط ومناسبات وارتباطات بين هذه الاقطار ، وانه يحى في
شخص هذه الروابط والمماسات والاتصالات فكرة الاتحاد
ويحول دون ادثارها واسرارها معاير في القدس

ان محاسن « الذب » الذي كان يعقد في فرانكفورت للحكومات
الجرمانية م يكن ذا أثر كبير في حياة هذه الحكومات ، ان كان هيكلا غاوا
لاخير فيه ولا دفع ولكن قائمه « اعظمى » كانت في احماه أمن الأمم الحرمنية
بالاتحاد في المستقبل . لقد كان هذا قائما يذكر سوءه ان في دنيا الجرمنين
يوحدتهم واتحادهم في كل وقت وآل واعد بالوا بعضهم ومبتهم حين قبض
الله لهم بشارك وقام الاتحاد احرمني على الحديد والدم ١٠٠
ان الاتحاد احرمني اصحح لا يمكن ، يوم لا على الحديد والدم كما

قام الاتحاد الجرماني من قبل بالنظر الى اختلاف المصالح او بتعبير أوضح بالنظر
الى التناقض الواضح أثره السب خطره ، بين رعماء الحكومات لعربية وملوكها
وامرائها . فالى ان يحين الوقت بحسب علينا ان نكرر نقدا بذكرنا بالوحدة
دائما ، وان كان أجوفا تنحور في جوفه الرياح

هذه جملة طرق مادية وأدبية يمكن اتباعها والسير في منعطفاتها نحو
أهداء الوطنية ، واما بنا القومية على وضع النهار وشعاع الشمس ، واما
الآخري التي نكثر فيها المراقب ، وتسودها عممة السرية والخفاء فليس محلها ،
المكتب والمؤلفات وانما لصدور ، والالسة الهامسة ...

٢٧ كانون اول ١٩٤٢

موضوعات الكتاب !

الموضوع	الصفحة
المقدمة	•
لهجات فكر وخطرات نفس	١٨
عوامل الخيبة	٣١
الحق والعدل	٥٥
ديمقراطيتهم	٦١
الارستقراطية العاضلة والديمقراطية الواحية	٨٤
التكوين السياسي	٨٧
التكوين الاقتصادي والمالي	٩٥
التكوين الاجتماعي	١١٨
التكوين الدولي	١٣٩
أ — نميد	١٣٩
ب — مايف امه الدولة	١٦٠
ج — مبيدات	١٦٦
مناشئة خاطمة	١٨٧
عناصر الحياة في الامة العربية	١٩٢
نحن والانكلز	١٩٧
عمل معاصل	٢٢٣
أ — اتحاد الامة	٢٢٥
ب — اتحاد ايطالية	٢٣٣

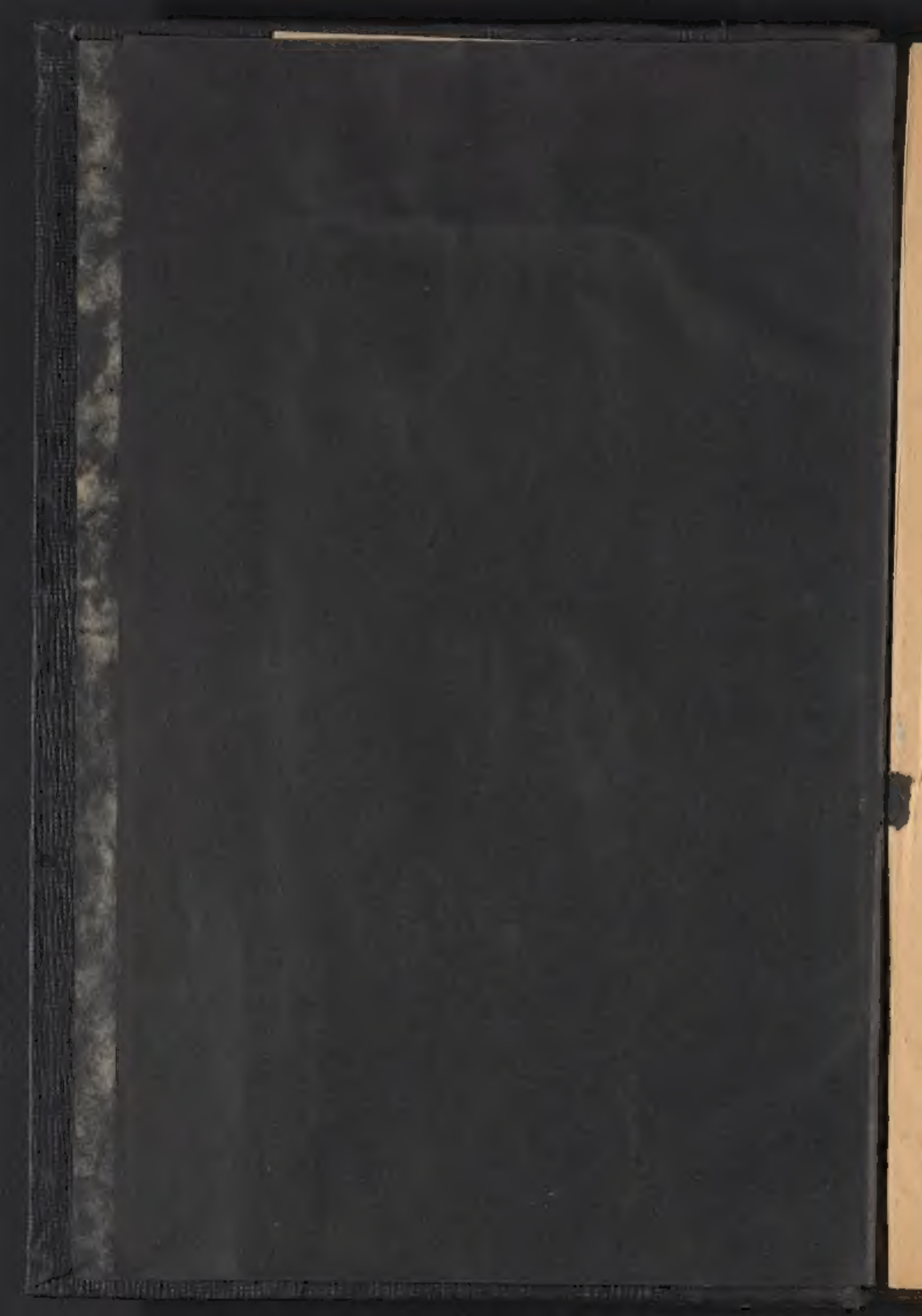
الموضوع	الصفحة
عقبتان	٢٤٥
المقهى الاولى	٢٤٦
المقهى الثانية	٢٦٣
تحليل وتمحيص	٢٧٩
أمل !	٣١٩
الأسباب الأصبغة في اخفاق الحركات العربية	٣٣١
طرق الخلاص	٣٣٤

تصويب

الصفحة	السطر	الصواب
٢٥	١٨	رضمت حجارته رضا
٣٧	٢٢	من درجة (ب)
٤٨	١٨	فالمستر اسكويتم لم يكن وليام بيت
٥٣	١١	ولويد جورج لم يكن علاءسون
٦٧	٦	لا ادري
٩١	١١	بما كان عليه
١٢٠	٢٤	بمضمون الى
١٢١	٢٠	اعجمي
١٦١	٢٣	لاها
١٦٤	٨	العرفات
١٦٤	١٧	بقرارات
٢٠١	١٢	المعمدة
٢٠٥	١١	في الاجهار
٢٠٨	٥	ومن
٢١٥	٧	يتزعمها
٢١٦	١٢	كان
		قيادها

وانند سقطت بعض حروف الكلمات بما لا يحفى على القارى.

الذهب .



DS
63
S525
v.1
c.1

الشيخ علي هادي محمود
آراء في القضية العربية
وتذكريات عنها

DS
63
S525
v.1



